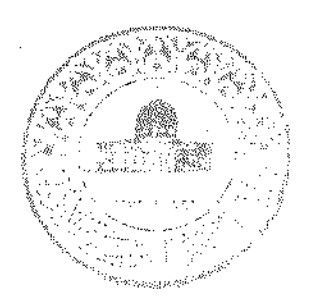


من تحقيقات مجمع اللغة العربية الأردني ٥

الفِلاحَة الأَنْدَلُسِيَّة

لأَبِي زَكَرِيَّا، يَحْيَى بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن العَوَّام الإِشْبِيْلِي
المُتَوَفَّى سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م

الجزء الأول

تحقيق

د. أنور أبو سويلم د. سمير الدروبي د. علي ارشيد محاسنة

منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢ م



تحقيق مجمع اللغة العربية الأردني

الفلاحة الأندلسية

لأبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي

المتوفى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م

الجزء الأول

عني بدراسته وتحقيقه وشرحه نخبة من الأساتذة المتخصصين بتكليف من

مجمع اللغة العربية الأردني

د. أنور أبو سويلم   د. سمير الدروبي   د. علي ارشيد محاسنة

منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

الطبعة الأولى

عمان– الأردن

١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/٨/٢٩٩٢)

مطبعة الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

اختار مجمع اللغة العربية الأردني في إطار مشاركته بتحقيق تراثنا الثقافي والحضاري العظيم، أن يتجه إلى تحقيق التراث العلمي واختار من هذا المجال علم الفلاحة. فالفلاحة علم تضرب جذوره بعيداً في أعماق التاريخ، وظهرت التآليف القيمة في الفلاحة في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات عند البابليين والآشوريين والكلدانيين وفي بلاد الشام عند الفينيقيين والكنعانيين والآراميين والأنباط وعند المصريين القدامى على ضفاف النيل وفي قرطاج في تونس.

وقد ورثت الحضارة العربية الإسلامية، هذا التراث العلمي في الفلاحة، ونقل إلى العربية منذ وقت مبكرٍ زمن الأمويين والعباسيين، مضافاً إلى الخبرات العلمية لهذه الشعوب التي ورثتها عن الأصول والأجداد في مناطقها الجغرافية. وبقيت الفلاحة، علماً وفناً، حيّة في الاستعمال، مواكبة حياة الأمة في جميع مراحلها التاريخية، منذ أقدم العصور، وعبر الحضارة العربية الإسلامية، في العصر الأموي والعصور العباسية في المشرق، وفي المغرب العربي والأندلس منذ القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي. وقد حملت القبائل الشامية التي استوطنت في مختلف المناطق في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، تراثها الفلاحي الخصب علماً وفناً.

اختار المجمع على وجه التحديد تحقيق تراث علم الفلاحة في الأندلس، حيث نشأت حضارة عربية إسلامية أصيلة، امتدت حوالي ثمانية قرون، وازدهرت فيها الحركة العلمية، وظهرت التآليف العلمية والموسوعات الرصينة في جميع حقول المعرفة، في الطب والفلك والفلسفة والفكر وفي التاريخ والجغرافيا والفلاحة...الخ، واشتهر من العلماء أبناء زهر وابن طفيل وابن رشد وابن عربي والإدريسي وغيرهم، ووجدت مصنفاهم طريقها إلى أوروبا، فترجمت إلى اللاتينية عبر الأندلس وصقلية، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة، حاملة معها التراث العربي الإسلامي في المشرق والأندلس والمغرب.

ازدهرت الفلاحة في الأندلس، وظهرت التآليف المهمة في هذا العلم، وإنَّ جُلَّ ما وصل إلينا يعود إلى القرون الثلاثة: الرابع والخامس والسادس للهجرة. فقد ظهر كبار علماء الفلاحة أمثال: ابن وافد الطليطلي وابن بَصَّال الطليطلي وابن حجَّاج الأشبيلي... وابن العوام الأشبيلي المتوفى في نهاية القرن السادس الهجري، صاحب كتاب "الفلاحة الأندلسية".

كان مجمع اللغة العربية قد أخذ على عاتقه تحقيق كتاب "المقنع في الفلاحة" لمؤلفه أحمد بن محمد بن حجَّاج الأشبيلي، وقد فرغ ابن حجَّاج من تأليفه هذا سنة ٤٦٦هـ، وقام بتحقيقه أساتذة متخصصون أعلام: الأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ: الدكتور جاسر أبو صفية بأشراف الزميل المرحوم المؤرخ الكبير الأستاذ عبد العزيز الدوري، ونشره المجمع سنة ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م.

ومنذ سنوات توقف المجمع عند موسوعة مهمة في علم الفلاحة، معنونة: "الفلاحة الأندلسية" لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الأشبيلي، المتوفى في نهاية القرن السادس الهجري.

بدأ المجمع يُعدّ العُدّة لتحقيق هذا المؤلف الضخم، ووجد أن هذه الموسوعة العلمية في الفلاحة قد ترجمت، لأهميتها العلمية والعملية إلى اللغة الأسبانية، ونشرت عام ١٨٠٢م، أي قبل أكثر من قرنين، وترجمت أيضاً إلى الفرنسية في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، مع مقدمة بالفرنسية، كانت دراسة علمية لهذا المصنَّف الفلاحي الموسوعي وبيان قيمته العلمية، وتبيان موقعه التاريخي العلمي في ميدان "علم الفلاحة"... وترجم أيضاً فيما بعد إلى عدد من اللغات الأخرى مثل الأوزدية والتركية والإيطالية... ولكنَّه لم يحقّق ولم ينشر، مع الأسف بلغته الأصلية لغته الأم اللغة العربية...

وربما يفسِّرُ لنا هذا الوضع المؤسف، ما عليه الحال في كليات الزراعة (الفلاحة) في الجامعات العربية حيث يُدَرِّسُ معظمها "علم الفلاحة" بلغات أجنبية، الإنجليزية في المشرق العربي والفرنسية في المغرب العربي، وأخصُّ منها كليات الزراعة في الجامعات الأردنية، حيث تدرس العلوم والطب والهندسة والزراعة (والفلاحة) باللغة الإنجليزية، وتكتب البحوث العلمية باللغة الإنجليزية، ويشترط نشرها في مجلات أجنبية أمريكية أو بريطانية!! كي تقبل لأغراض الترقية لأعضاء هيئات التدريس في هذه الجامعات!!! هذا مع العلم

أن كليات الزراعة (الفلاحة) بخاصة، قد أنشئت لخدمة الفلاحة والفلاحين وباعتبارها مراكز للبحث والتطوير إلى جانب كونها مؤسسات لتخريج المتخصصين بعلم الفلاحة، (العلوم الزراعية)، والاتصال الوثيق بالفلاحين العرب، ومنهم الفلاح الأردني!!

بذل المجمع جهوداً مهمة لتحقيق هذا السفر الجليل في علم الفلاحة، واستطاع الحصول على المخطوطات الرئيسة المتوافرة وهي:

١. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

٢. مخطوطة مكتبة الأسد بدمشق.

٣. مخطوطة المتحف البريطاني بلندن.

وتوقفنا عند الحصول على "مخطوطة الأسكوريال"، وهي مخطوطة رئيسة ومهمة من حيث كونها مخطوطة المنشأ، ومن المفروض أن تكون هي "المخطوطة الأم". وبعد مراسلات وجهود متواصلة مع مكتبة الاسكوريال في إسبانيا ومكتبة التاريخ في مدريد، لم نستطع الحصول على هذه المخطوطة. وإزاء هذا الوضع الذي يشكل عواراً في منهج التحقيق، وكسباً للوقت اعتبرنا أنّ النسخة المطبوعة في مدريد سنة ١٨٠٢م، التي ترجمها المستشرق بانكويري إلى الأسبانية قد تَحلُّ هذا الأشكال. فقد ظهرت هذه الترجمة في مجلدين كبيرين من القطع الكبير مع مقدمة ضافية باللغة الأسبانية، وجعلت

كل صفحة تتكون من عمودين: فالعمود الأيمن يشتمل على النص العربي، ويقابله العمود الأيسر الذي يشتمل على الترجمة الأسبانية. فاتَّجه الرأي إلى أن المترجم قد اعتمد على الأرجح "مخطوطة الأسكوريال" التي هي من حيث واقع الحال، متوافرة بين يديه ... وبذلك اعتبرنا أن النصَّ العربي في هذه المطبوعة قد أخذ عن مخطوطة الأسكوريال... ولا شك أن لهذا الاجتهاد ما يبررّه لاسيما عندما اطلعت مؤخراً على الجهد الكبير الذي بذله الزملاء الأعلام الذين كلفهم المجمع تحقيق هذا العمل الجليل وهم: الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، والأستاذ الدكتور سمير الدروبي والأستاذ الدكتور علي إرشيد المحاسنة، ازددت يقيناً بسلامة الاجتهاد الذي ذهبنا إليه.

يقول الزميل الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، في الدراسة العلمية القيِّمة التي أقامها على هذه الموسوعة الفلاحية، انه عندما أجرى مقابلة النصِّ العربي في هذه النسخة المترجمة إلى الإسبانية المنشورة سنة ١٨٠٢م على مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، تبيَّن له أن النسختين متفرعتان عن أصل واحد... ومن المرجَّح أن يكون هذا الأصل هو"نسخة الأسكوريال" المفقودة...

وربما كان من المفيد أن نورد هنا نصاً مهماً من مقدّمة المؤلف ابن العوام، صاحب "الفلاحة الأندلسية" الذي يلقي ضوءاً على منهجه العلمي التجريبي في التأليف، وهو الآتي:

"فإني لما قرأت كتب فلاحة المسلمين، وكتب غيرهم من القدماء المتقدّمين في صنعة فلاحة الأرضين، المُضَمَّنة كيفية العمل في الزراعة

والغراسة، ولواحق ذلك، وما يتعلق به من كتبهم في فلاحة الحيوان، وما وصل إليّ منها، ووقفت على ما نصّوه فيها، فنقلت من عيونها إلى هذا التأليف، ما إن نظر فيه، وحفظ أبوابه وفصوله ومعانيه، مَنْ يريد أن يتخذ من هذا الفن صناعة، يصل بها بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته، وقوت عياله وأطفاله، وجد فيه ضالته (خاصته)، وبلغ فيه إرادته، واستعان بها على الأقوات. وقيل: إن إلى ذلك أشار النبي (*)، فقال: "اطلبوا الرزق في خبايا الأرض".

وإن نظر في هذا التأليف صاحب صنعة انتفع مما تضمَّنه هذا الكتاب من أعمال الفلاحة، وما تضمنه في صنعة العمل في إصلاح الأرضين وإفلاحها والقيام عليها، واستغنى بما يقتبسه منه عن تقليد العوام في شأنها، إذ لا يجوز تقليدهم والاستدلال بآرائهم..."

ومن الواضح أن ابن العوام يكثر من النقول من مصادره، ولكنه يؤكد التزامه بمنهجه العلمي التجريبي، إذ يقول:"ولم أثبت فيه شيئاً من رأي إلا ما جَرَّبته مراراً فَصَحّ". فابن العوام يؤكد منهجه العلمي خاصة ومنهج علماء الفلاحة في الأندلس عامة، هذا المنهج الذي يقوم على المزاوجة بين "النظريّة" و "التطبيق".

ومنذ أربع سنوات، عهد إلى تحقيق هذا العمل الجليل، بتكليف من مجمع اللغة العربية الأردني أساتذة أعلام أشرنا إليهم سابقاً، قد بذلوا جهوداً مضنية

في تحقيقه ودراسته. ويسعد المجمع أن يقدم هذا السفر العلمي الجليل في علم الفلاحة، إلى الخزانة العربية في الجامعات العربية ومؤسسات البحث العلمي العربية والدولية وإلى المهتمين بالفلاحة والفلاح في الوطن العربي.

والحمد لله ربّ العالمين.

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

عمان في ٦ شعبان سنة ١٤٣٣هـ

الموافق ٢٦ حزيران سنة ٢٠١٢م

كِتَابُ الفِلاحَةِ الأَنْدَلُسِيَّة

لأبي زكريا: يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي

الجُـزْءُ الأَوَّل

المقدمة:

والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي أخرج أمته من الجهل إلى العلم، ومن الظلمات إلى النور، وحثهم على الصلاح والفلاح، ودعاهم إلى خير العمل والنجاح، وبعد...

فإنّ أستاذنا رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الموقر -مدَّ الله في عمره- ما يزال منذ عقدين يلهج بضرورة تحقيق كتب الفلاحة العربية، ويدعو إلى ذلك، ويحث عليه، لما لهذا التراث العلمي العربي الحي من قيم معرفية وعلمية ما يزال العمل جارياً عليها، وما زالت تجاربها نافعة للمزارعين والدارسين حتى الآن، ونزيد التراث العلمي الإنساني خصباً وعمقاً.

ووجدنا أنّه لا بد من تحقيق هذه الرغبة، وإنجاز هذا العمل، وكلف أستاذنا عبد الكريم خليفة ثلاثتنا: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي محاسنة بالقيام بتحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، وذلك بعد موافقة المكتب التنفيذي لمجمع اللغة العربية الأردني على هذا المشروع.

وزودنا مجمع اللغة العربية بما لديه من مخطوطات كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، واستجلب منها ما يمكن استجلابه، وشرعنا في العمل المتواصل منذ سنتين ونيف، باذلين أقصى جهد ممكن، وقاطعين سود الليالي وبياض الأيام، وساعين أشد السعي إلى الإكمال والإتمام، حتى أتمّ الله علينا نعمته بتحقيق الغاية والمرام، وتمكنّا من إنجاز هذا العمل.

والفلاحة في لغة العرب: الزراعة، ولفظتها مشتقة من الفَلَحِ وهو البقاء في الخير، وفلاحُ الدّهر: بقاؤه، وحَيَّ على الفلاح، أي: هَلُمّ على بقاء الخير. أما في اصطلاحهم فإنّها علم يعرف من خلاله كيفية تدبير النباتات والحيوانات المتعلقة بالفلاحة، وهو ضروري لبقاء الإنسان؛ لأنّه مشتق من الفلاح وهو البقاء.

ويبدو أن لفظة "الفلاحة" كانت مستخدمة في لغة العرب قبل الإسلام، وبقي استعمالها مطرداً في المصادر العربية حتى عصرنا، ونجد حضورها واضحاً في أغلب المعاجم العربية منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي وحتى آخر معجم عربي صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني في مطلع القرن الحادي والعشرين. ولكن تداول هذه اللفظة في المغرب العربي في الإدارة والإعلام والاستعمال الشعبي أكثر منه في المشرق العربي الذي تشيع فيه لفظة "الزراعة"، علماً بأن لفظة "الفلاحة" شائعة في الأوساط الشعبية في بلاد الشام، وخاصة في بلدنا الأردن.

إنّ الفلاحة والمعرفة بها ضاربة بجذورها في الأرض العربية في وادي الأردن وعلى الساحل الشامي، وعلى ضفاف الرافدين في العراق، وعلى جنبات نهر النيل بمصر، إذ كانت الزراعة الباعث الأول لقيام تلك الحضارات العروبية والشرقية العريقة التي بنت المدن، وأقامت السدود، ووضعت التقاويم، وقامت السلالات الحاكمة، ونظمت العمل والإدارة، وطورت العلوم والآداب.

ويبدو أنّ الكنعانيين والفينيقيين قد ازدهرت لديهم حركة التأليف في الفلاحة، فألف ماجون القرطاجي موسوعته في الفلاحة، وبعد تدمير الرومان لقرطاج قبل الميلاد بقرنين من الزمان تقريباً، ترجمت موسوعة ماجون إلى اليونانية، ونسي اسم ماجون، وأصبح علم الفلاحة يونانياً بعد أن كان قرطاجياً عربياً.

وكان تراث الشرق قد حمل إلى اليونان والرومان، وترجم إلى لغاتهم ونسب إليهم، قبل فتوحات الإسكندر وبعدها، ثم ترجم تراث العرب العلمي في الأندلس وغيرها من مراكز العلم في صقلية والراين إلى اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات الأوروبية، وانتحل الأوروبيون أغلب هذا التراث، أو جعلوه مجهول المؤلف، ومن ذلك كتاب ابن بصّال الأندلسي في الفلاحة.

إنّ الحضارة الإسلامية قد استقبلت بصدر رحب كل العلوم والأفكار والمعارف الإنسانية التي جادت بها قرائح الأمم، وتعهد العرب النافع المفيد منها بترجمته إلى اللغة العربية، ونقلت منذ النصف الثاني من القرن الهجري الثاني كتب: الطب والكيمياء والفلك والهندسة والفلاحة وغيرها، وقد نسبوا هذه الكتب لأصحابها معترفين بفضلهم، ومقدرين لعلمهم، فحفظ المسلمون تراث الإنسانية بكل صدق وأمانة علمية ومنهجية، بحيث بدا عملهم خارقاً في تاريخ الفكر الإنساني، كما يعترف بذلك المنصفون من المستشرقين.

إنّ كتب الفلاحة والنبات والحشائش والبيطرة وطباع الحيوان كانت مِمَّا ترجم إلى لغة العرب، وعرفوا دياسقوريدس، وأرسطو، وقسطوس، وأفليمون وغيرهم من علماء الفلاحة السريان واليونان.

ولم تقتصر جهود العرب على ترجمة كتب الفلاحة والنبات، بل هبّ عشرات اللغويين يؤلفون في النبات والشجر، والغرس والنخل، والخيل والشاء. وجهود الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وابن الأعرابي وأبي حاتم السجستاني والجاحظ وغيرهم معروفة.

ويبقى أبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) مقدماً عليهم جميعاً، وذلك بعد إنجازه كتابه الذائع الصيت في "النبات" والذي جاء في ستة أجزاء ضخمة، وعوّل عليه علماء الفلاحة والنبات تعويلاً كبيراً، إلاّ أنّ أغلب هذا الكتاب ما زال مفقوداً.

ويمكن للدارس القول: إنّه قد نشأت مدارس فلاحية في العالم الإسلامي، **أولها مدرسة بغداد** التي يمثلها حنين بن إسحاق، والجاحظ، وأبو حنيفة الدينوري، وابن وحشية وغيرهم، ولكن هذه المدرسة لم تستطع أن تتجاوز الكتب المترجمة، سوى أبي حنيفة الذي تركزت جهوده على أسماء النباتات وصفاتها، ومنابتها وخصائصها العلاجية وغير ذلك.

أمّا **المدرسة الثانية** فهي المدرسة **الشامية المصرية**، ويمثلها ابن مماتي، وابن فضل الله العمري، والوطواط الكتبي، والنويري والغزي والنابلسي، ولكنّها مدرسة ضعيفة –فيما نعلم– ولم تقدم كتاباً أصيلاً في الفلاحة، بل

عاشت هذه المدرسة في ظل كتاب "الفلاحة النبطية" وغيره من المصادر المشرقية والأندلسية، بل إنّ علمها في الفلاحة كان نقلاً من غيرهم، ولم نجد لديهم تجارب فلاحية بالمعنى الحقيقي والعملي.

والمدرسة الثالثة هي المدرسة **اليمنية**، فقد ازدهرت الزراعة في اليمن في ظل الدولة الرسولية في القرنين السابع والثامن الهجريين، وألّف بعض ملوكهم كتباً في الفلاحة تدل على مراعاة الظروف المناخية للبيئة اليمنية.

أمّا المدرسة الفلاحية الرابعة، فهي المدرسة الأندلسية التي بدأت نشاطها في قرطبة زمن الخلافة، وقوي عودها على الأخص في القرنين الخامس والسادس الهجريين خلال فترة ملوك الطوائف والأمراء المرابطين، وتركزت المراكز الرئيسة لإنتاج هذا الأدب في قرطبة وطليطلة وإشبيلية وغرناطة، فظهر في الأندلس كبار علماء الفلاحة أمثال: ابن وافد الطليطلي، وابن بصّال الطليطلي، وابن أبي الجود، وابن حجاج الإشبيلي، وأبي الخير الإشبيلي، والطغنري أو الحاج الغرناطي، وابن العوّام الإشبيلي وغيرهم من فرسان هذا الميدان.

إنّ علماء الفلاحة في الأندلس يشكلون مدرسة فلاحية حقيقية تعتمد العلم النظري وتهتم به، ولكنّها ترتكز بشكل أساس على التجارب الفلاحية، والتطبيق العملي لأمور الفلاحة وشؤونها.

ويبدو أنَّ ظروف الأندلس الاقتصادية والسياسية والثقافية بعد انهيار الخلافة، وتقويض الجماعة، قد مكّنت أعلام هذه المدرسة من نقل أفكارهم ومعارفهم إلى حيز التطبيق، إذ وفر لهم ملوك الطوائف الحدائق والجنّات، والمختبرات الزراعية، وتباروا في تطوير زراعات ذات مردود اقتصادي مرتفع، وقام بعضهم برحلات واسعة إلى المغرب العربي وبلاد الشرق بحثاً عن النباتات والبذور والمصادر، والمعرفة الزراعية التي لا عهد لهم بها، فتراكمت لديهم خبرات النبط واليونان والعرب والفُرس والرومان، إضافة إلى بيئتهم الأندلسية الخصبة، ذات الأمطار الغزيرة، والسهول الفسيحة، والأنهار المادة، والمناخ الملائم.

وتقوم نظرة الأندلسيين للفلاحة على التبجيل والاحترام، وهي عندهم من أهنأ المكاسب وأشرفها كما يقول ابن العوّام؛ لأنَّ صاحبها يكسب قوته من جدِّه وكده، وعمله وعَرَقِ جبينه، ولذلك امتهنها بعض الأطباء والفقهاء والكتاب، وخير من يعبر عن ذلك الموقف الإيجابي من مهنة الفلاحة الطبيب حمدين بن أَبَّا القرطبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وكان لا يركب دابة إلاَّ من نتاجه، ولا يأكل إلاَّ من محصوله، ولا يلبس إلاَّ من كتَّان ضيعته.

لقد أدرك الأندلسيون، أن نجاح زراعتهم، وتحقيق فائض الإنتاج لديهم، هو مصدر بقائهم، وهو الرافد الحقيقي لقوتهم الاقتصادية والعسكرية، ولذلك سعوا إلى الاكتفاء الذاتي فلاحةً وصناعةً وتجارةً، وسبقوا من قال في عصرنا "ويل لأمة تأكل مما لا تزرع، وتلبس مما لا

تصنع". أي إن الأندلسيين سعوا بكل ما لديهم من معرفة ومهارة، ورغبة حقيقية في العمل إلى استصلاح كل شبر من أرض بلادهم، وجرّ الماء إليه بكل وسيلة ممكنة حتى تحولت بلادهم إلى جنات وارفة الظلال، وروضات ومتنَزهات تضرب بها الأمثال في الحسن والرونق والبهاء والجمال، في قرطبة والرصافة والصمادحية وإشبيلية وبلنسية التي وصفت بأنها قارورة عطر لفوح أشجارها وأزهارها، وحللها السندسية التي كأنَّها أذناب الطواويس.

ولله در شاعرهم إذ يقول:

إنَّ للجنة بالأندلس   مُجتَلى حُسْنٍ وريّا نفسِ

وإذا ما هبت الريح صباً   صِحْتُ وا شوقي إلى الأندلسِ

إنَّ الزراعة هي المقوم الأساس للبقاء، وانعدام الزراعة يعني الفقر والمجاعات، وتحقيق الأمن الغذائي مُقَدَّمٌ على غيره، وهو أمر أخَلَّت به أمتنا –في حاضرها– إخلالاً عظيماً، فالعرب يستوردون أكثر من نصف غذائهم، والتصحر يغلب على أرضهم، ومياههم بيد أعدائهم تبنى عليها السدود للتحكم في كل قطرة ماء يمكن أن يكون بها قوام زراعتهم ومعيشتهم، والدور والقصور زحفت على الأرض الزراعية الخصبة، وهذه الأمور الخطيرة يجب أن تستدرك، وأن نسعى لتحقيق أمننا الغذائي الذي مبناه على الإبداع والتطوير الزراعي، وهو ما سعى إليه أجدادنا علماء الفلاحة في الأندلس من قبل، عندما زرع ابن العوّام أرضاً يَئِسَ مَنْ قبله

من علماء الفلاحة من زراعتها، وسبق إلى فكرة الرّي بالتنقيط توفيراً لكل قطرة ماء.

إنَّ ابن العوَّام الأندلسي مؤلف كتاب "الفلاحة الأندلسية" من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ألف موسوعته الضخمة في الفلاحة في بلدته إشبيلية وأجرى تجاربه الزراعية في جبال الشَّرَف الأعلى المطلة على إشبيلية، بعد إفادته من كل المصادر الشفوية والخطية النظرية والعملية المتاحة.

لقد لفت ابن العوَّام من خلال موسوعته "الفلاحة الأندلسية" انتباه علماء الفلاحة من الأوروبيين وغيرهم إلى ما لديه من روح تجريبية تقوم على إدامة التجربة الفلاحية، لغاية تعليل الظواهر الزراعية، ورصد نتائجها، جامعاً إلى ذلك كل ما لديه من معرفة نظرية واسعة استمدها من النبط واليونان والعرب والأندلسيين، وهذا المنهج التجريبي كان راسخاً في الفكر الفلاحي الأندلسي، وبوحي منه قام ابن العوَّام بعشرات التجارب الفلاحية الناجحة، فكان بذلك واحداً من كبار علماء الفلاحة في الأندلس من ناحية، كما أنَّه حفظ تراث من سبقه من علماء الفلاحة الأندلسيين من ناحية أخرى.

لقد أدرك الأسبان منذ قرنين ونيف القيمة الكبرى لهذا الكتاب فترجمة بانكويري إلى الإسبانية، ثم ترجم بعدها إلى الفرنسية والأوردية والتركية والإيطالية والإنجليزية لقيمته العلمية الكبرى في ميدان الفلاحة نظرياً وعملياً.

ومن المفارقات العجيبة أنَّ عملاً كهذا يترجم إلى هذه اللغات العالمية، ولكنّه يبقى مهملاً في لغته العربية؛ لأنَّ الجامعات العربية لا تدرس العلوم العصرية باللغة العربية، بل إنَّ الإنجليزية والفرنسية هما اللغتان اللتان تحتلان مكانة اللغة العربية في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية والأكاديمية، وكل دارْ أحق بالأهل كما يقال، إلاّ في خبيث من المذاهب رجسِ.

ومن الأسئلة المطروحة: لمن نُدَرِّس الزراعة؟ ولمن نكتب أبحاثنا في الزراعة؟ وأين الكتب التي تم تعريبها في هذا الميدان؟ وقد طرحنا هذه الأسئلة على المختصين الذين يدرسون الفلاحة في جامعاتنا فلم نجد لديهم جواباً. ثم نقول: هل المزارع في صعيد مصر، أو غور الأردن، أو في أهوار العراق، أو في أرض الجزيرة الفراتية يفهم الإنجليزية حتى نكتب أبحاثنا الزراعية بها؟! وهل الطالب العربي بحاجة إلى دراسة علم الزراعة بغير لغته؟!

لقد اعترف مؤرخو العلوم عند العرب أمثال مايرهوف وألدوميلي، وزغريد هونكه، ولكلير وغيرهم بالجهد العظيم الذي قدمه ابن العوَّام في كتابه فأصبح بذلك من أبرز علماء النبات في تاريخ العلم الإنساني.

واكتسب كتاب ابن العوَّام "الفلاحة الأندلسية" أهميته من نواحٍ عديدةٍ، فهو يمثل الفلاحة الأندلسية خير تمثيل، وحفظ لنا هذا الكتاب مادة ضخمة من مصادر مفقودة أو شبه مفقودة، ولذلك فإنَّه يُعدُّ أهم مصدر في تاريخ الفلاحة، وحفظ نصوصها، كما أنَّه أصبح مصدراً مهماً لكل الكتب التي ألفت في الفلاحة في العصور التالية لعصره.

ويكشف لنا ابن العوّام عن كثيرٍ من المصادر المفقودة سواء المشرقية منها أم المغربية، ويبين لنا الكم الهائل من التحريفات والتصحيفات والسقط في مصادر الفلاحة المطبوعة.

والكتاب مصدر أصيل للمعرّب والدخيل في الألفاظ الفلاحية، وجاء الكتاب حافلاً بألفاظ العامة، وعجمية أهل الأندلس، ولغة الأمازيغ والنبط والروم وغيرها، وهو بذلك يعكس بذلك الجو الإنساني المتسامح الذي أضفاه الإسلام على الأندلس، فتحدث الناس العربية، واستعملوا البربرية، والأعجمية الإسبانية، وأشبهت قرطبة وإشبيلية وغيرها من حواضر الأندلس بغداد في قبولها لكل عرق وجنس وملّة ودين، دون تسلط أو إكراه من الحاكمين العرب، فَعَمَّت الحضارة، وازدهر الإبداع، حتى ساد التعليم بقاع الأندلس كلها، في حين كانت القراءة والكتابة في أوروبا محصورة في عددٍ قليلٍ من رجال الدين كما يقول رينهارت دوزي، مِمّا يؤكد مقالة روجيه غارودي عندما تساءل عن أسوأ عام عرفته فرنسا الفرنجية؟ فأجاب هو عام معركة بواتيه سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) عندما تراجعت جيوش الفتح الإسلامي أمام بربرية الفرنجة.

وتقوم فلاحة ابن العوّام على منهج علمي صارمٍ رفض فيه صاحبه السحر والعزائم والطلسمات التي تسربت إلى فلاحة النبط واليونان، وبنى كتابه على منهج علمي سديد يؤمن بالتجربة المبنية على الرصد والملاحظة وتسجيل النتائج كما أسلفنا.

لقد جاء هذا العمل في قسمين، **الأول: دراسة للكتاب**، وقد اشتملت هذه الدراسة على ستة فصول:

الفصل الأول: دلالة لفظة الفلاحة اللغوية والاصطلاحية في المعاجم اللغوية، وكتب تصنيف العلوم عند العرب، وكتب الفلاحة.

الفصل الثاني: ابن العوّام، حياته ومؤلفاته.

الفصل الثالث: مصادر الكتاب.

الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" وقيمته العلمية.

الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته.

الفصل السادس: نسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل في التحقيق.

أمّا القسم الثاني من الكتاب، فكان النص المحقق اعتماداً على نسخة باريس، ونسخة المتحف البريطاني، ونشرة المستشرق بانكويري التي ترجمت إلى الإسبانية عام (١٨٠٢م).

وزودنا الكتاب بجهاز نقدي كامل يشتمل على مقابلة النسخ تخريج النصوص، وضبط الألفاظ، والتعريف بالأعلام، وشرح دلالات المصطلحات والأدوات، وكل ما هو بحاجة إلى شرح أو تحقيق.

وأردفنا العمل بفهارس فنية واسعة لأسماء النبات والحيوان والأمراض والترب والأدوات والمصطلحات... الخ.

وبناءً على اقتراح تقدم به أنور أبو سويلم عند شروعنا في العمل، فإنَّ اللجنة العلمية المكلّفة من قِبَل مجمع اللغة العربية بتحقيق هذا الكتاب، قد توزعت إنجاز هذا العمل على النحو التالي:

١. المقدمة والدراسة والفهارس الفنية الشاملة وثبت المصادر والمراجع من عمل سمير الدروبي.

٢. تحقيق المجلد الأول من الكتاب (ويشمل الأجزاء الأول، والثاني، والثالث) نهض به أنور أبو سويلم.

٣. تحقيق المجلد الثاني من الكتاب (ويشمل الأجزاء الرابع، والخامس، والسادس) نهض به علي محاسنة.

وقد تولى كل عضو من لجنة التحقيق مراجعة عمل زميليه قراءةً وتدقيقاً وتوثيقاً وضبطاً وتقويماً وتعديلاً وتصحيحاً وإضافةً، وكل ما يجعل العمل لُحمة واحدةً وبِنية متحدةً، وكياناً متكاملاً.

وختاماً فلا بد لنا من شكر أستاذنا رئيس مجمع اللغة العربية على رعايته واهتمامه بهذا العمل، وشكر الأمين العام لمجمع اللغة العربية عبد الحميد الفلاح العبادي، وشكر الأساتذة محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، وجاسر أبو صفية، على ما أسدوه لهذا العمل.

لقد تم إنجاز هذا العمل بعون الله في غرة شهر رمضان المبارك من عام (١٤٣٢هـ) الموافق للأول من شهر آب عام (٢٠١١) للميلاد في

جامعة مؤتة قرب مشهد المناحة، حيث جعفر وزيد وابن رواحة، عليهم الرضوان، والروح والريحان في هذا الشهر المبارك.

المحققون:

أنور أبو سويلم — سمير الدروبي — علي إرشيد المحاسنة

القسم الأول من الكتاب

الدراسة

الفصل الأول: لفظة الفلاحة بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية.

الفصل الثاني: ابن العوّام، حياته ومؤلفاته.

الفصل الثالث: مصادر الكتاب.

الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" وقيمته العلمية.

الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته.

الفصل السادس: نسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل في التحقيق.

الفصل الأول

لفظة "الفلاحة" بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية:

أ. الدلالة المعجمية.

ب. الدلالة في كتب تصنيف العلوم.

ج. الدلالة في كتب الفلاحة.

الفصل الأول

لفظة "الفلاحة" بين دلالتها اللغوية والاصطلاحية

كتاب "الفلاحة الأندلسية" من المؤلفات الموسوعية في مجاله، سعةً وخصباً ومشمولاً، وكمالاً وإحاطةً، وهذا يقتضي منا تحديداً دقيقاً لمعنى "الفِلاحة" التي غابت عن وسائل الإعلام والصحافة في المشرق العربي، ولكنَّها بقيت متداولة في بعض البيئات الفلاحية في بلاد الشام ومصر.

أمَّا في المغرب العربي، فإنَّ **لفظة الفلاحة** ما زالت مستخدمة في دواوين الدولة، وفي وسائل الإعلام، وفي الاستعمال الشعبي، وسنحاول الوقوف على الدلالة المعجمية والاصطلاحية **للفظة الفلاحة** في المعاجم اللغوية، وكتب تصنيف العلوم، وفي كتب الفلاحة نفسها.

أ. الدلالة المعجمية:

لقد تكرر لفظ "الفلاحة" في أبرز المعاجم العربية القديمة حتى نصل إلى آخر معجم أصدرته المجامع اللغوية العربية في عصرنا، وهو "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" الذي أصدره مجمع اللغة العربية الأردني عام (٢٠٠٦).

ونبدأ بأول معجم عربي، وهو **"العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت: ١٧٥هـ/٧٩١م)، الذي يقول: "فلح: الفَلاحُ، والفَلَحُ لغة: البقاء في الخير، وفَلاحُ الدَّهْر: بقاؤه. وحَيَّ على الفَلاح، أي: هَلُمَّ على بقاء

خير. والفَلَحُ: الشّق في الشّفَة في وسـطها. والفَلاَّحـون: الزّرّاعـون. الفَلاّح: المُكاري [وإنّما قيل له فلاّح تشبيهاً بالأكّار]، قال: "وفَـلاّحٌ سوق له حِمارا"[1].

والملاحظ أنّ أبا بكر محمد بن الحسن المعروف **بابن دريد الأزدي** ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، قد كان أكثر استيعاباً وتوضيحاً لدلالة "فلاحة" ن سلفه الخليل بن أحمد الفرهيدي، ولعلّ مردّ ذلك إلى ما طـرأ علـى دلول هذه اللفظة من اتساع دلالي، وخاصة بعد ترجمة كتب في الفلاحة ن الآرامية أو السريانية القديمة، ومن اليونانية إلى لغة العرب، وقد كـان لفارق الزمني بين الأول والثاني قرابة قرن ونصف من الزمان، وقد مضت الأمّة قُدُماً في معارج الرقي العلمي، وما تبع ذلك من انسياب ثروة لفظية هائلة إلى لغة العرب.

يقول ابن دريد الأزدي: "... وفلحتُ الشيء أفلحـه فلحـاً إذا شققته أو قطعته، ومنه المثل: "إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفلَح"، وسُمي الأكّـار فلاحاً؛ لأنّه يشقُ الأرض، وجعله ابن أحمر: (المُكَاري)، فقال:

لها رطلٌ تَكيلُ الزيتَ فيه ... وفَلاَّحٌ يَسُوق لها حِمَاراً

وصناعة الفلاّح: الفِلاحة"[2].

(١) الفراهيدي، **العين:** ٣/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة:** ٢/١٧٧.

ولعلّ ابن دريد أول من استخدم لفظة "الفلاحة" مـن المعجمـيين القدماء.

أمّا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ/٩٩٥م)– وهو المعروف بشدة طلبه، وفحصه عن المصادر لمواده المعجمية– فقد أفاد من سابقيه: الفراهيدي والأزهري، وزاد دلالة "الفلاحة" توضيحاً وتقريباً للقارئ، يقول:

"والفَلاَّح: الأكّارُ، وإنّما قيل: فلاحٌ؛ لأنّه يَفلَحُ الأرض أي يَشُقُّها، قال: والفَلَحُ: الشقُّ في الشَّفة... الحرّاني عن ابن السكيت: الفَلْحُ: فلحتُ الأرضَ إذا شققتُها للزراعة.

قال: والفَلَحُ: شق في الشّفَة السُّفلى. ويقال: أفْلَحـتُ الأرضَ إذا شَقَقْتُها للحرث.

وقال الزجّاج: الفلاّح: الأكّار، والفِلاحَةُ صناعتُه. قـال ويقـال: فلحتُ الحديدَ إذا قطعته. قال: يقال للمُكَاري فَلاَّح، وإنّما يُقال له فلاَّحٌ تشبيهاً بالأكّار، ومنه قول عمرو بن أحمر الباهلي:

لها رِطْلٌ تَكِيلُ الزَّيْتَ فيه ... وفلاّح يسوقُ لَهَا حِمَارا"[1]

ولم يذكر الصاحب بن عبـاد (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، لفظـة "الفلاحة"، واكتفى بالقول: "فلح، الفَلاحُ: الـسّحُورُ... والفَلاَّحُـون:

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة:** ٥/٧٢-٧٣.

الملاحون. والأكّارُ يقال له: الفَلاَّحُ. والمُكَاري: فلاَّح"[١]. والجديد عند الصاحب بن عباد أن الفلاحين تأتي بمعنى الملاحين.

ولم يخرج **إسماعيل بن حماد الجوهري** (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) في شرحه لمادة فلاحة عمن تقدمه من أصحاب المعاجم، إلاّ أنّه أول من ضبط لفظة "الفِلاحة" عندما قال: بالكَسرِ أي بكسر الفَاء، يقول:

"وفَلَحتُ الأرض: شققتها للحرث. ومنه سُمِّي الأَكّار فلاحاً. والفِلاحةُ، (بالكسر) الحِراثة"[٢].

وجاء في مادة (فلح) عند **محمود بن عمر الزمخشري** (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م):

"وأحسبُكَ من فلاّحة اليمن، وهم الأَكَرة؛ لأنّهم يفلحون الأرض أي يشقونها"[٣].

ولا ندري عِلّة إضافة "فلاّحة" أي جمع فلاح إلى اليمن، ولعلّ مرد ذلك؛ إلى أنّ اليمن هي أخصب بيئة زراعية عند العرب قبل الإسلام، ولعلّ هذا القول كان متداولاً بين الناس منذ العصر الجاهلي أو فيما تلاه من عصور.

(١) الصاحب بن عباد، **المحيط في اللغة**: ٣/١٠٥.

(٢) الجوهري، **الصحاح** (فلح): ١/٣٩٢-٣٩٣.

(٣) الزمخشري، **أساس البلاغة** (فلح).

أمّا اللغوي اليمني **نشوان بن سعيد الحميري** (ت: ٥٧٣هـ/ ١١٨٧م) فهو أوّل معجمي عرّف الفلاحة بأنّها الزراعة، يقول: "الفِلاحة، بالحاء الزراعة"[١]، ولم يزد على ذلك.

وتعريف الحميري على وجازته، يطابق ما جاء في مقدمة كتاب "الفلاحة الرومية"، يقول قُسطا بن لوقا البعلبكي: "هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة، وما يتعلق بها، مِمَّا لا يستغنِيْ عنه المزارعون وغيرهم من النَّاس عن علمه"[٢]. فقسطوس لم يقل الفِلاحة ولا الفلاحين، وإنّما قال: الزراعة والمزارعين.

ولم يشر **أبو الفتح ناصر الدين المطرّزي** (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م) في معجمه الموسوم بـ"المُغرب في ترتيب المعرب" إلى "الفلاحة".

ونجد **ابن منظور المصري** (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م) صاحب "لسان العرب"، قد أفاد مِمَّن سبقه من المعجميين، فجاءت مادة "فلاحة" في معجمه أكثر وضوحاً وتفسيراً، واستيعاباً وإشباعاً في دلالاتها، يقول: "والفَلْحُ: مصدر فَلَحْت الأرض إذا شققتها للزراعة. وفَلَحَ الأرضَ للزراعة يَفْلَحُها فَلْحاً إذا شقها للحرث. والفَلاّح: الأكّار، وإنّما قيل له فَلاّح؛ لأنّه يَفْلَحُ الأرض أي يَشقُها، وحِرْفَتُهُ الفِلاحة، والفِلاحَة، بالكسر: الحِراثة؛ وفي حديث عمر: اتقوا الله في الفَلاّحين؛ يعني الزَّرّاعين الذين

(١) الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: ٨/٥٢٤٩.

(٢) البعلبكي، **الفلاحة الرومية**، ص٨٩.

يفلحون الأرض أي يشقونها، والفَلَح: شقٌّ في الشَّفة السُّفلى، والفَلَحة: القَراح الذي اشتُق للزرع؛ عن أبي حنيفة؛ وأنشد لِحسَّان:

دَعُوا فَلَحَات الشَّام قد حال دونها

طِعان كأفْواه المَخاضِ الأوارِكِ

يعني المَزارِع؛ ومن رواه فَلَجات الشام، بالجيم، فمعناه ما اشتق من الأرض للدِّبار [وهي البُقَعُ من الأرض تزرع]".

والفَلاَّح: المُكاري، التهذيب: ويقال للمُكاري فلاَّح، وإنَّما قيل الفَلاَّح تشبيهاً بالأكَّار..."(1).

واللافت للنظر، أن ابن منظور قد أربى على ما تقدمه من المعجميين باطلاعه على مصادر جديدة، ذات علاقة بالفلاحة، وهو كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدينوري الذي يُعدَّ بحق مؤسساً لعلم النبات عند العرب.

وفوق ذلك، فإنَّ ابن منظور قد رجع إلى كُتبِ آثار الصحابة وأخبارهم وسيرهم، وما نقل عنهم في كتب الأموال والخراج، فأتى بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -ﷺ- الذي يحث فيه على الرفق بالفلاحين؛ لأنَّ في ذلك صلاحاً للبلاد والعباد، وديمومة للزرع والحصاد، ورخصاً في أسعار الأقوات.

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فلح).

وتمتاز مادة (فلح) عند **الفيومي** (ت: ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) بأنَّها قصيرة، ولكنّها مُكَثَّفَة، يقول:

"فَلحتُ الأرضَ فلحاً، من باب (نفع): شققتها للحرث. والفَلْحُ: الشق، والجمع: فُلُوحٌ، مثل: فَلس وفُلُوس: والأَكَّارُ: فلاح، والصناعة فِلاحة، بالكسر، وفلحتُ الحديد فلحاً أيضاً: شققته وقطعته، وأفلح الرجل بالألف: فاز وظفر"(1).

وجاءت مادة "فلح" عند **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي** (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) مختصرة، فقال: "الفَلاحة: الحِراثة، والفلاح: الملاح والأكَّار، والمكاري"(2).

أمَّا **محمد مرتضى الحسيني الزبيدي** (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) خاتمة المعجميين القدماء، والمعروف بسعة مصادره وموارده، وتدقيقه وتحقيقه، فإنَّه قد حشد لُبابَ ما في المعاجم القديمة في مادة "فلاحة"، وجاء شرحه لها من أوفى وأكمل ما في المعاجم من تعريف بدلالة هذه المفردة، يقول:

"قلت" فليس في كلام العرب كلِّه أجمع من لفظة الفَلاح لخيري الدُّنيا والآخرة، كما قاله أئمّةُ اللِّسان، والفَلْح: الشَّقُّ والقطع. قال

(1) الفيومي، **المصباح المنير**، ص٤٨.

(2) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (فلح).

شيخنا: الفَلْحُ وما يشاركه كالفَلْقِ والفَلْدِ والفَلْذِ ونحو ذلك يَدُلُّ على الشَّقّ والفَتْح، كما في الكشّاف، وصَرَّح به الرّاغبُ وغيره.

والفَلاَّح: المَلاَّح، وهو الذي يَخدُم السُّفنَ. وفَلَحَ الأرْضَ للزِّراعة يَفْلَحها فَلْحاً، إذا شَقّها للحرث.

والفَلاَّح: الأكّار؛ لأنّه يَفلَحُ الأرضَ، أي يَشقُّها، وحِرْفَتُهُ الفِلاحَة. وفي الأساس [أساس البلاغة]: وأحسبُك من فَلاَّحَة اليمن، وهم الأَكَرَة؛ لأنهم يَفلَحون الأرضَ أي يَشقّونها، والفَلاّح: المُكَاري، تشبيهاً بالأكّار، ومنه قولُ عَمرو بن أحمر الباهِلِيّ:

لها رِطلٌ تكيلُ الزَّيت فيه وفَلاَّح يَسوق لها حِمَارًا

وقيل لأهل الجنّةِ مُفْلِحُون لفوزهم ببقاء الأبد.

وأَفْلَحَ بالشيء عاش به، وقال ابن سِيدة: الفَلَحَةُ، مُحرَّكَة: القَرَاح من الأرض الذي اشتُقَّ للزَّرْع، عن أبي حنيفة، وأنشد لحسّان:

دَعُوا فَلَحَاتِ الشَّامِ قد حَالَ دُونَهَا

طِعانٌ كأفواه المَخَاضِ الأوارِكِ

يعني المَزَارِعَ.

ومن رواه: "فَلَجات الشأم"، بالجيم، فمعناه ما اشتُقَّ من الأرض للدِّبار [البقع من الأرض تزرع]، كلُّ ذلك قول أبي حنيفة، كذا في اللسان.

والفَلاحَة، (بالفتح)، وضبطُه صاحب اللسان (بالكَسر): "الحِرَاثة وهي حِرْفَة الأكّار..."(١).

ويلاحظ أن الزبيدي هو أول من ضبط لفظة "الفَلاَحَة" بالفتح وبالكسر أيضاً، كما أنّه يعزو الأقوال إلى قائليها بدقة، فهو لم يرجع إلى كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات، بل نقل قوله عن اللسان، فأشار إلى أبي حنيفة نقلاً عن اللسان.

ومن مصادر الزبيدي في هذه المادة: الزمخشري، وابن سيدة الأندلسي، وابن منظور المصري، وغيرهم، وتاجه يُعدُّ بحق موسوعة لغوية محيطة بجمهرة ما جاء في المعاجم العربية القديمة مع إضافات أصيلة إلى مواد أسلافه من المعجميين.

ومعروف لدى الباحثين أنّ المعاجم القديمة تعتمد في مادتها على ما صحّ وفصح لدى العرب، وما تسرَّب إليها من ألفاظ الحياة العامة، ومن المعرب والدخيل كان قليلاً(٢)، وجُلُّ مادتها مستقاة من العصر الجاهلي والإسلامي وحتى بداية العباسي.

---

(١) الزبيدي، **تاج العروس**، (فلح).

(٢) انظر: سمير الدروبي: "**المعرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالته المعجمية واستعماله اللغوي: لفظة "الفهرست" أنموذجاً**: مقاربات في اللغة والأدب [٤]، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص١٣-٤٤.

أمَّا **المستشرق رينهارت دوزي**، فإنَّه قد كشف عن دلالات أخرى، واستعمالات وصيغ جديدة لمفردة "الفلاحة"؛ لأنَّه تتبع استعمال هذه المفردة في المصادر التي جاءت بعد عصر الاحتجاج اللغوي.

يقول دوزي: "أفلح: فلّح، زرع. وأفلح الشجرَ: زرعه. وأفلح القمح: زرعه. وأَفْلَحَت الشجرة: نمت.

فَلاحَة: حقل مزرعة، حقل، ضيعة.

فَلاَحَة: محصول، ريع، غلّة.

فَلاحَة الحيوانات: تربية الحيوانات.

شيخ الفلاحة: هو في مراكش وكيل أملاك السلطان الخاصة، وهو يشرف على زراعة الأراضي، وتربية المواشي، وتربية الخيل، وكل الأملاك الخاصة بالسلطان.

فَلاَّح: الفَلاَّح في مراكش هو رئيس بستاني السلطان.

فَلاَّح: فظ، خشن، غليظ، بربري، جلف، كزّ، جافي، رجل يجهل أصول اللياقة والأدب.

الفلاحون: فرقة النصيرية في شمالي سورية[1].

---

(١) دوزي، **تكملة المعاجم العربية**: ٨/١٠٧-١٠٨.

ومِمَّا هو لافت للنظر، أن دوزي قد قدَّم دلالات جديدة للفظة "الفلاحة"، حيث إنَّه لم يكتفِ بما وَقَفَتْ عنده المعاجم القديمة، بل تتبع دلالات لفظة فلاحة في مصادر العصور التالية.

وفوق ذلك، فإنَّه قد أفاد مِمَّا كتبه غيره من المستشرقين في معاجمهم الثنائية، الأمر الذي يؤكد على ضرورة تقصي تطور استعمالات هذه المفردة في مختلف المصادر التراثية منذ عصر التدوين وحتى وقتنا الحاضر؛ لأنَّ المعاجم القديمة -على ضخمة الجهود المبذولة في صنعها- أوصدت أبوابها أمام الدلالات والمعاني الجديدة التي تكتسبها الألفاظ بتطور العصور والحضارة والعمران، وهذا مِمَّا سينهض به المعجم التاريخي الذي يقوم اتحاد المجامع العربية على رعايته وجمع مادته في هذه الأيّام[1].

وقال **المعلم بطرس البستاني** (ت: ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م) وهو أبرز المعجميين اليسوعيين في نهاية القرن التاسع عشر، والمصدر الأساس لمن جاء بعده من المعجميين اليسوعيين[2]:

"فلحَ الرجل الأرض يفلحها فَلْحاً شقها. والفِلاحَة: الحراثة وصناعة

---

(١) كاتب هذه السطور هو ممثل الأردن في الهيئة العلمية للمعجم التاريخي، وقد شارك في إعداد قائمة مصادر هذا المعجم الذي نأمل أن ترى باكورته النور قريباً بعون الله.

(٢) انظر: سمير الدروبي: **"حياة لفظة فهرس في المعاجم اليسوعية"**، بحث مقدم لجامعة منوبة في تونس، تكريماً للأستاذ إبراهيم مراد، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

الفلاح. والفَلاَّح: الـمَلاَّح والحَرَّاث والـمُكَاري، ويطلق عند أهل المدن على من يسكن الجبال والأرياف"[1].

ويذكر **المعجم الوسيط** الذي أصدره **مجمع اللغة العربية** في القاهرة في ستينيات القرن الميلادي الماضي: "الفِلاحة: القيام بشؤون الأرض الزراعية من حرث وري وزرع ونحو ذلك، الفلاح: محترف الفلاحة ملاح السفينة. ج (فلاحون)"[2].

أمَّا "**معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن**" الذي أصدره **مجمع اللغة العربية الأردني**، وهو من المعاجم التي صدرت في مطلع القرن الحادي والعشرين، فقد ورد فيه: "فِلاحة: العمل في المزرعة من نكش وعزق وزراعة وسقاية. فلاح، مرابعي: فلاح يقوم بأعمال الفِلاحة من حرثٍ وبذرٍ وحصادٍ، ويأخذ مقابل ذلك ربع المحصول، ويأخذ مالك الأرض ما يتبقى من الغلّة"[3].

قلنا: ومن الدلالات التي أخلت بها المعاجم العربية الحديثة، أنّ لفظة "الفلاحة" تطلق في بلاد الشام –وخاصة لهجة الفلاحين والبدو في الأردن– على الأرض الزراعية نفسها سواء زرعت أو لم تزرع.

---

(١) البستاني، **محيط المحيط**، ص٧٠٠.

(٢) مجمع اللغة العربية، القاهرة، **المعجم الوسيط**: ٢/٧٠٠.

(٣) مجمع اللغة العربية الأردني، **معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن**، ص٧٢٦.

ب. الدلالة الاصطلاحية للفظة الفلاحة في كتب تصنيف العلوم عند العرب:

لعلَّ **الجاحظ** (ت: ٢٥٥هـ-٨٦٨هـ) من أوائل الذين أشاروا إلى أنَّ "الفلاحة" علم يُعلّم لأبناء الرعية، يقول:

"ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يُعلِّمهم الكتابة والحساب، ثم لعب الصَّوالجة والرَّمي في التَّنبُوك [قوس]... وبعد ذلك الفُروسية، واللَّعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة، ثم النُّجوم واللُّحون، والطبّ والهندسة، وتعلُّم النرد والشِّطْرنج، وضرب الدُّفوف والأوتار، والوقع والنَّفخ في أصناف المزامير.

ويأمرون بتعلم أبناء الرعيّة **الفِلاحَة** والنِّجارة والبنيان والصياغة، والخياطة، والسَّرد والصَّبْغ، وأنواع الحياكة، نعم حتى علموا البلابل وأصناف الطَّير الألحانَ"[1].

ويقول **الجاحظ** في موضع آخر:

"ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العِلَل لم يكونوا تجاراً، ولا صناعاً بأكفهم، ولا أصحاب زرعٍ **وفِلاحة**، وبناءٍ وغرسٍ...

وكانت الملوك تُفرِّغهم، وتُجري عليهم كفايتهم، فنظروا حين نظروا بأنفسٍ مجتمعة، وقوةٍ وافرة، وأذهان فارغة، حتى استخرجوا الآلات

---

(١) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**: ٣٢/٣.

والأدوات..."[1].

ويقول أيضاً: "وكذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صُنّاعاً، ولا أطباءَ ولا حُساباً، ولا أصحاب **فِلاحة**، فيكونوا مَهَنة، ولا أصحاب زرعٍ لخوفهم صَغَار الجزية..."[2].

ويقول **الجاحظ في كتاب آخر من كتبه:**

"... وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب، وليس له طبيعة في الكلام؛ وتكون له طبيعة في **الفلاحة**؛ وتكون له طبيعة في الحُداء أو في التغبير، أو في القراءة بالألحان، وليست له طبيعة في الغناء..."[3].

إنَّ إنعام النظر، والتدقيق في نصوص الجاحظ السالفة يبين لنا الآتي:

أولاً: إنَّ الجاحظ يُعدُّ الفِلاحة أحد العلوم التي تكتسب بالتعلم.

ثانياً: إنَّ الفلاحة عند الجاحظ مهنة كغيرها من المهن كالتجارة والحِدادة والخياطة والصياغة.

ثالثاً: إنَّ الفِلاحة وغيرها من المِهَن والحِرَف كانت مخصوصة بأبناء العامة الذين يحصرون في هذه المِهَن، ويتوارثونها جيلاً بعد جيل.

---

(١) **المصدر السابق:** ٢١٤/٣.

(٢) **المصدر السابق:** ٢١٦/٣.

(٣) **الجاحظ، البيان والتبيين:** ٢٠٨/١.

رابعاً: إنَّ الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، وهم أبناء الأغنياء، والوزراء والقواد، ورجال الدولة، وأصحاب النفوذ والسلطان، يأنفون من هذه المهن، وهم يتعلمون الفروسية، وركوب الخيل، والموسيقى، والطب والهندسة وغيرها.

خامساً: إنَّ مهنة الفِلاحة والحِياكة، والحِدادة والبناء والصِّياغة، تجعل من أصحابها عرضة للامتهان والذل والصَّغَار، وفرض الضرائب والإتاوات التي يقررها أصحاب السيوف والأقلام على الصناع والزراع وأرباب الحِرَف.

سادساً: إنَّ مدلول "الفلاحة" عند الجاحظ مرتبط بالزرع والغرس والإقامة في الأرض وخدمتها.

سابعاً: يعدُّ الجاحظ البراعة في الفلاحة موهبة من المواهب التي يمكن تعزيزها بالدُّربة والتعلم.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ ما صوره الجاحظ عن وضع الفلاحة في عصره، وأنَّها مهنة إذلالٍ واحتقارٍ، تقوم على سطوة وقسوة وسَلط عمال الخرج، وجلاوزة الدولة على من يمتهنون هذه الحرفة، يبدو واقعياً إلى حدٍ كبيرٍ.

ولعلَّ هذا ما يفسر لنا ما أورده ابن وحشية الكسداني مترجم كتاب "الفلاحة النبطيّة" عن السريانية أو الآرامية القديمة بخصوص موقف السلطان من الفلاحين، حيث اقتبس ابن وحشية نصاً نسبه لصحيفة الملك

حرماني التي وصّى فيها ابنه قائلاً: "إنّ حَبَّ الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوبات، إنّما تكبر حتى تصير كالنوى، إن يسمّن الملك زوارعي [كذا] الضياع، فإنّه كلّما سمن أرباب الضياع، سمن الحب الذي يزرعونه، يريد بذلك أنّ الملك إذا سامح الثُّناء، وأرباب الضياع والمزارع، سمن الحب الذي يزرعونه، والمسامحة والإرفاق هو أن لا يتقصى عليهم في الخراج والأداء، وأن يترك لهم منه، ويتفاضل عنهم حتى يستغنوا، وتتسع أحوالهم... فاعدل في رعيتك وانصف الضعيف من القويّ..."[1].

ويبدو أن أمر الفلاحة، وحال أصحابها قد ازداد سوءاً بمرور القرون، عندما تسلط العسكر من التركمان والديلم والفرس، والسلاجقة والترك، والجركس والألبان والعثمانيين وغيرهم على البلاد والعباد، وأقطعت الأراضي للقادة العسكريين، وأصبح الفلاح والفلاحة رمزاً للشقاء والرق والعبودية، وكل أنواع القهر والتسلط على المنْتِجين الحقيقيين الذي يعيش المجتمع بكل طبقاته وفئاته عالة على جهدهم وكدحهم، وقد نص **المقريزي** (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) على ما آل إليه أمر الفلاحة في زمانه، يقول:

"هذه الآبدة التي يقال لها اليوم "الفلاحة"، ويُسمى المزارعُ المقيم بالبلد "فَلاّحاً قرّاراً" فيصير عبداً قِناً لمن أُقطع تلك الناحية؛ إلاّ أنّه لا يرجو

(1) ابن وحشية، **الفلاحة النبطية**: ١/ ٤١٠.

قطُّ أن يُباع ولا يُعتق، بل هو قِنٌ ما بقي، ومن ولد له كذلك"[1].

وألحق **أبو نصر محمد بن محمد الفارابي** (ت: ٣٣٩هـ/ ٩٢١م) النبات والحيوان بالعلم الطبيعي الذي مهمته النظر بالأجسام الطبيعية[2].

ويستغرب الباحث مِمَّا صنعه **محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم** (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في كتابه الجليل الموسوم بـ"الفهرست"، والذي صنف فيه العلوم، ولكنّه لم يفرد فيه الفلاحة عِلماً مستقلاً، بل ألحق ما تم ترجمته من كتب النبط في الفلاحة بكتب السحر والطلسمات[3]، علماً بأن النديم كان رائداً وبارعاً في تقسيمه للعلوم والمعارف الإنسانية.

أمّا **الخوارزمي** (ت: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) في كتابه "مفاتيح العلوم" فإنّه لم يذكر لفظة "الفلاحة"، ولكنّه يجعل علم المعادن والنبات والحيوان من العلم الطبيعي، يقول: "وأمّا العلم الطبيعي، فمن أقسامه: علم الطب، وعلم الآثار العلوية أعني الأمطار والرياح، والرعود والبروق، ونحوها،

(1) المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**: ١/ ٢٣٠، وانظر: السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص٥٤-٥٥، الأسدي، **التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار**، ص٧٢-٩٦، ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**: ٢/ ٣١٣-٣١٤.

(2) الفارابي، **إحصاء العلوم**، ص١١٩.

(3) انظر: النديم، **الفهرست**: ٢/ ٣٤٠ (بتحقيق: أيمن فؤاد سيد).

وعلم المعادن والنبات والحيوان..."(١).

ويأتي **ابن حزم الأندلسي** (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٤٦م)، ويبرز للناس رسالته الذائعة الصيت في "مراتب العلوم"، ويبين أنَّ من العلوم ما قد درس ولم يَعد قائماً، كالسحر والطلسمات، ومنها ما زال قائماً وبقيت حاجة الناس إليه. وبعد تحذيره من الممخرقين والكذابين والمشعوذين، يحث الناس على تعلم ما هو نافع لهم من العلوم، فيقول: "وإنَّما الواجب أن يتهمم المرء بالعلوم الممكن تعلمها، التي قد ينتفع بها في الوقت، وأن يؤثر منها بالتقديم ما لا يتوصل إلى سائره إلاَّ به، ثم الأهم فالأهم، والأنفع فالأنفع"(٢).

فابن حزم يؤكد الغاية النفعية في تعلم العلوم، ولذلك فإنَّه يجانب كثيراً من مصنفي العلوم عند العرب كالكندي والفارابي والنديم والخوارزمي، ويدخل في نطاق العلوم ودائرتها ما أهمله القدماء، ولم يعدوه علماً، ولذا فإنَّنا نجده يقول:

"وعند التحقيق وصحة النظر، فكلُّ ما عُلم فهو علم، فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة، وتدبير السفن، **وفلاحة الأرض**، وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها، والبناء وغير ذلك.

(١) الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص١٦٢.

(٢) ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم**: ٦٢/٤.

إلاَّ أنَّ هذه إنَّما هي للدنيا خاصة فيما بالناس إليه حاجة في معاشهم"(١).

فابن حزم كما نرى هنا خرج عن دوائر التقييد، والحدود الضيقة التي فرضها المشارقة على دوائر العلوم، وانطلق إلى آفاق جديدة أكثر رحابة واتساعاً، وجاء ذلك نتيجة طبيعية أملاها الواقع الجديد الذي تجلى في جهود الأندلسيين في التأليف في علوم النبات والطب والفلاحة وغيرها من العلوم، ولاسيَّما أنَّ الرجل عاش في العصر الذي تشكلت فيه فعلياً مدرسة فلاحية أصيلة في الأندلس يمثلها عَريب بن سعد القرطبي، والزهراوي، وابن الجواد، وابن وافد، وابن اللُّونقة، والطغنري، والجبلي، وابن حجاج الإشبيلي، وأبو الخير الإشبيلي إلى أن نصل إلى ختام مسكهم وهو الموسوعي النحرير، والفلاح الكبير، ابن العوَّام الإشبيلي مصنف "الفلاحة الأندلسية"التي مثلت جهود الأندلسيين عامة، وجهود ابن العوَّام خاصة في علم الفلاحة.

وعلى الرغم من أن ابن حزم قد سلك "الفِلاحة" في عِداد العلوم النافعة، إلاَّ أنَّه لم يحد لنا هذا العلم، ولم يقدم له رسماً أو تعريفاً، وبقي الأمر كذلك –فيما نعلم– إلى أن جاء الطبيب محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف **بابن الأكفاني** (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، الذي عاش في دولة المماليك الأولى، وشهد له بالفضل والعلم، وإتقان الحكمة

(١) **المصدر السابق**: ٨١/٤.

والرياضة كُتّابُ السيَر والتراجم في ذلك العصر[١].

لقد عرّف ابن الأكفاني علم الفِلاحَة قائلاً:

"علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه.

وهذا التدبير إنّما هو بإصلاح الأرض بالماء، وبما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالسماد ونحوه مع مراعاة الأهوية، ويختلف باختلاف الأماكن، ولذلك إنّما يوافق أرض العراق القوانين النبطية المودعة في **كتاب الفلاحة** الذي نقله ابن وحشية، وكذلك الشام وديار بكر وجزيرة الأندلس، إنّما يوافقها **الفلاحة الرومية**، وأرض مصر إنّما يوافقها **الفلاحة المصرية**.

وإن كانت كلّها تشترك في أمور كلية.

ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوها، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفَلاَح، وهو البقاء، ومن لطائفه: إيجاد بعض نتائجه في غير وقته، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها على بعض"[٢].

---

(١) انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**: ٢/٢٥، **أعيان العصر وأعوان النصر**: ٤/٢٢٥؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**: ٣/ ٣٦٦ ترجمة رقم (٣٢٦٤).

(٢) ابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، ص١٨٧.

ومعلوم أن ابن الأكفاني من الحكماء التراجمة في العصر المملوكي، وقد عُرف ببراعته في الطب والهندسة والفلسفة، والمنطق والحساب[١]، وغيرها من العلوم، ولذلك فإنّنا لا نستغرب منه هذا التعريف الدقيق — الذي ربما كان أول من قال به– لعلم الفلاحة.

فالفِلاحة عنده هي معرفة كيفية العناية بالنبات منذ زراعتها وحتى اكتمال نشوئها، وهذا العلم يقوم على إصلاح الأرض، والعناية بها سقاية وسماداً، كما أنّه يختلف من بيئة إلى أخرى وفقاً للعوامل الجوية، والظروف المناخية، وعلم الفلاحة له قوانينه وضوابطه التي تعرف من مصادره الأساسية كالفلاحة النبطية، والفلاحة الرومية.

وعلم الفلاحة عند ابن الأكفاني غايته أن بقاء الإنسان حيّاً منوطٌ به، فهو ضروري لبقائه، وله منفعة شرعية تتمثل في أداء زكاة الحبوب والثمار، كما أنّه علم قابل للبحث والتطوير كما يقول: "ومن لطائفه إيجاد بعض نتائجه في غير وقته، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها على بعض"[٢].

ومِمّا هو لافت للنظر، أن الفلاحة عند ابن الأكفاني فرع من العلم الطبيعي الذي "يبحث فيه عن أصول الجسم المحسوس من حيث هو

---

(١) انظر: سمير الدروبي: "**أصناف التراجمة في العصر المملوكي**"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة (٢٧)، العدد (٦٥)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٧.

(٢) ابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، ص١٨٧.

مُعرّض للتغيير في الأحوال والثبات فيها"[١]، وقد اشتمل هذا القسم عنده على علم الطب، وعلم البيطرة والبيزرة، وعلم الفراسة، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم أحكام النجوم، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم السيمياء، وعلم الكيمياء، **وعلم الفلاحة**، وعلم الرمل، والقول في الهندسة[٢].

ومِمَّا هو مستغرب أنَّ ابن الأكفاني ذكر فلاحة ابن العوَّام على أنَّه من مصادر البيطرة والبيزرة، يقول: "ومن كتب البيزرة، القانون الواضح، وفي كتاب الفلاحة لابن العوَّام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"[٣]، ولم يذكره في معرض حديثه عن علم الفلاحة، واكتفى هناك بذكر "الفلاحة النبطية" و"الفلاحة الرومية"[٤].

أمَّا عبد الرحمن ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، فإنَّه قد جعل الفلاحة تالية لعلم الطب، وسابقة على علم السحر والطلسمات، يقول: "الفلاحة، هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه [كذا في الأصل] بالسقي والعلاج، وتعهده بمثل ذلك. وكان للمتقدين بها عناية كبيرة، وكان النظر فيه

(١) **المصدر السابق**، ص١٦٨.

(٢) انظر: **المصدر السابق**، ص١٦٨.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٧٥.

(٤) انظر: **المصدر السابق**، ص١٨٧.

عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خَوَاصّه وروحانيته، ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعملة ذلك كله في باب السحر. فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين كتاب "الفلاحة النبطية" منسوبة لعلماء النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير، ولَمَّا نظر أهل المِلّة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة، **واختصر ابن العوَّام** كتاب "الفلاحة النبطية" على هذا المنهاج، وبقي الفن الآخر منه مغفلاً.

ونقل **مسلمة** في كتبه السحرية أُمهات من مسائله، كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله، وكُتبُ المتأخرين في الفلاحة كثيرة، ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج، وحفظ النبات من حوائجه [كذا ولعل الصواب جوائحه] عوائقه، وما يعرض في ذلك كله، وهي موجودة"[١].

وعندما تحدث **ابن خلدون** عن علوم السحر والطلسمات، قال:

"ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلاَّ القليل، مثل: "الفلاحة النبطية" من أوضاع أهل بابل...، ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها،

(١) ابن خلدون، **المقدمة**: ٣/١٠٢٨.

وجمع طرقها في كتابه الذي سمّاه "غاية الحكيم". ولم يكتب أحدٌ في هذا العلم بعده"[1].

والملاحظ هنا في أنّ تعريف ابن خلدون لعلم الفلاحة جاء مركزاً على العلاقة الأولية بين السحر والطلسمات وبين علم الفلاحة، مع إشارة ابن خلدون إلى تخلص علماء الفلاحة المسلمين من سيطرة السَحَرَة وأصحاب الطلاسم والروحانيات على صنعتهم، وعدَّ ابن العوّام مثالاً على المنهج الإسلامي الذي قطع وشائج الفلاحة مع الغيبيات والروحانيات، وحولها إلى علم يبحث في المحسوسات.

أمّا قول ابن خلدون: إنّ ابن العوّام كان مختصراً أو ملخصاً لفلاحة النبط، فإنّه حُكْمٌ يخلو من الدِّقة والصواب، ولا يُسلّم به على إطلاقه، وكذلك قوله: إنّ فلاحة النبط مترجمة عن اليونان، بحاجة إلى تحكيك وإعادة نَظَر، وسيأتي ردنا على ذلك في فصل تالٍ من فصول هذه الدراسة.

وجعل **أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي** (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) "علم الفلاحة" من العلوم المكملة لصناعة الكاتب في ديوان الإنشاء المملوكي، وذلك بعد تمكنه من الأصول والقواعد التي تقوم عليها صناعة الإنشاء، وخاصة بعد أن تعددت مهام كاتب الإنشاء، وتوسعت

(١) **المصدر السابق**: ٣/١٠٣٠-١٠٣١.

صلاحياته[1]، يقول القلقشندي: "منها ما تكمل به صناعته، وتعظم مكانته: كعلم الكلام، وأصول الفقه، وسائر الأحكام، والمنطق والجدل، وأحوال الفِرق والنحل والملل، وعلم العروض... وحساب الدور والوصايا... **والعلم بالفلاحة**، وأصول المساحة، وعلم عقود الأبنية..."[2].

أي إنّ الفِلاحة أصبحت من العلوم التي يتوجب على رجل الدولة -وهو كاتب السر أو كاتب الإنشاء- أن يُلمّ بها؛ لأنّ الزراعة من الأعمدة الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد الدولة، وهي أيضاً قوام وجودها العسكري المرتكز على نظام الإقطاع للأرضي لكبار الأمراء والجُند في عصر القلقشندي، وفي بعض العصور السابقة على عصره.

وفوق ذلك، فإنّ العلوم الطبيعية عند القلقشندي اثنا عشر علماً، أولها علم الطب، وآخرها علم ضرب الرمل، وقد جاء ترتيب علم الفلاحة الحادي عشر بين هذه العلوم[3].

ويُعدُّ كُتاب **أحمد بن مصطفى** المعروف **بطاش كبرى زاده** (ت: ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) والموسوم بـ"مفتاح السعادة ومصباح السيادة، في

(١) انظر: العمري، **عرف التعريف في المكاتبات**، ص٧٧-٨٠ (بتحقيق: سمير الدروبي).

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**: ١٤/١٢١.

(٣) **المصدر السابق**: ١/٤٧٤-٤٧٦.

موضوعات العلوم" موسوعة في تاريخ العلوم، وقد عرف بكثرة تشقيقاته وتفريعاته لأنواع العلوم المختلفة، وقد عَرّف طاش كبرى زاده الفلاحة بقوله: "علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نُشُوئه إلى منتهى كماله، بإصلاح الأرض، إمَّا بالماء، أو بما يخلخلها ويحميها من المعفنات: كالسماد ونحوه، أو يحميها في أوقات البرد، مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن، ولذلك تختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم. ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوها. وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء.

ومن لطائفه: إيجاد بعض نتائجه في غير أوانه، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى غير ذلك.

ذكر أبو بكر بن وحشية في كتابه المسمى بـــ"الفِلاحة عن النبط": أنَّ من دار حول شجرة الخطمي، وتطلع بالنظر إلى ورودها، وأدام ذلك فإنَّها تحدث فرحاً في النفس، وتزيل عنه الهم والحزن"[(١)].

ويتبين لنا أن عند النظر فيما أورد طاش كبري زاده الآتي:

أولاً: إنَّ زاده قد اعتمد اعتماداً كلياً في تعريفه لعلم الفلاحة على ما جاء عند ابن الأكفاني في كتابه "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في

---

(١) طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم:** ٣٠٨/١.

أنواع العلوم"، فقد نقل طاش كبري زاده منه نقلاً حرفياً مع التقديم والتأخير، والحذف وزيادة بعض الكلمات.

ثانياً: إن طاش كبري زاده قد خالف كلاً من ابن الأكفاني، وابن خلدون في ترتيبه لعلم الفلاحة بين العلوم، إذ جاء التدريج عنده على النحو التالي: علم البيطرة، علم البيزرة، علم النبات، علم الحيوان، **علم الفلاحة**، علم المعادن.

وهو ترتيب منطقي وعلمي، ونظن أنَّه لم يكن مسبوقاً إليه، بينما عَدَّ ابن الأكفاني وابن خلدون، علم الفلاحة قريباً من السحر والطلسمات وهي علوم زائفة.

ثالثاً: إنَّ طاش كبري زاده قد زاد على تعريف ابن الأكفاني، الاقتباس من كتاب "الفلاحة النبطية" فيما يتعلق بالتأثير النفسي الإيجابي الذي تتركه بعض النباتات على الإنسان.

رابعاً: لم يحدد طاش كبري زاده مصدراً أساسياً لعلم الفلاحة عند العرب، ويبدو لنا أنَّه لم يقف على شيء مِمَّا تركه الأندلسيون في علم الفلاحة.

وقَدَّم **حاجي خليفة** (ت: ١٠٦٧هــ/١٦٥٦م) صاحب أوسع مصدر لتاريخ الكتب العربية الإسلامية، تعريفاً لعلم الفلاحة، وجاء تعريفه منقولاً بنصه عمَّا قاله طاش كبري زاده في "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" السابق ذكره، يقول:

"علم الفلاحة: قال صاحب مفتاح السعادة، وهو علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات..."[١].

وفوق ذلك، فإنّ حاجي خليفة لا يعرفنا بأيّ من كتب الفلاحة في الأندلس على كثرتها وأهميتها، ولعل مردّ ذلك إلى عملية التدمير والحرق البشعة التي تعرضت لها الكتب العربية بعد سقوط غرناطة، عندما عرضت بالمزاد العلني في ساحات غرناطة[٢]، ومن اشترى واحداً منها وحرقه عُدّ ذلك قرباناً إلى الرّب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ حاجي خليفة قد ألّف كتابه "كشف الظنون" بعد ضياع الأندلس، وجناية محاكم التفتيش الباغية على جُلّ مصادر التراث الأندلسي على الرغم من تشبث المورسكيين بتراثهم، ومحاولة إخفائه وحفظه عن أعين الجهاز البوليسي الرهيب لتلك المحاكم غير الإنسانية.

وقد جاءت معلومات حاجي خليفة عن كتب الفلاحة في المشرق نزرة، يسيرة، فهو يذكر فلاحة ابن وحشية والفلاحة الرومية[٣].

ويقدِّمُ محمد علي الفاروقي **التهانوي** المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تعريفاً مقتضباً لعلم الفلاحة، فيقول:

---

(١) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: ١٢٨٨/٢؛ انظر: ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ص١٤٥-١٤٧.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ١٢٨٩/٢، ١٤٤٧.

(٣) حاجي خليفة، **كشف الظنون**: ١٢٨٨/٢.

"علم الفلاحة: وهو علم تُتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه، وهذا التدبير إنّما هو بإصلاح الأرض بالماء وبما يخلخلها، ويحميها: كالسماد والرّماد، مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن"[١].

فجلّ كلام التهانوي مأخوذ حرفياً من ابن الأكفاني من جهة، كما أنّه جعل علم الفلاحة تالياً لعلم أحكام النجوم، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم السيمياء، وعلم الكيمياء، ولعلّه في هذا كان متابعاً لابن خلدون أو قريباً من منهجه في ترتيب العلوم.

أمّا خاتمة مؤرخي تاريخ العلوم عند العرب من القدماء، فهو **صديق بن حسن القَنوجي** (ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، فقد جاء تعريفه لعلم الفلاحة نقلاً عَمّا قال ابن خلدون، وطاش كبري زاده[٢].

وأضاف القنوجي: "قال في مدينة العلوم: ومن لطائف علم الفلاحة اتخاذ بعض نتائجه في غير أوقاته، واستخراج بعض مباديه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى غير ذلك"[٣].

---

(١) التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**: ٦٣/١.

(٢) انظر: ابن خلدون، **المقدمة**: ١٠٢٨/٣؛ طاش كبري زادة، **مفتاح السعادة**: ٣٠٨/١.

(٣) انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ج٢، ق٢، ص٩٩.

ولكنَّنا لم نجد كتاباً بعنوان "مدينة العلوم"، والنص المعزو إلى مدينة العلوم منقول عن ابن الأكفاني[1]، أو عن طاش كبري زاده[2].

وبناءً على ما تقدم ذكره من المصادر التي صنفت العلوم عند العرب، فإنَّ مؤلفيها قد قَصَروا "علم الفلاحة" على الأرض وإصلاحها، وسقايتها وتسميدها، وزراعة النبات فيها، ثم العناية بالنبات المزروع من بداية زرعه أو غرسه، وحتى اكتمال نموه، مع مراعاة الظروف والبيئات المختلفة.

وفوق ذلك، فإنَّ مؤرخي العلوم عند العرب لم يلتفتوا إلى فلاحة الحيوان التي خصها ابن العوَّام بجزء كامل من سفره الجليل الموسوم بـ"الفلاحة الأندلسية".

(١) انظر: الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، ص١٨٧.

(٢) انظر: طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**: ١/٣٠٨.

ج. دلالة لفظة "الفلاحة" في كتب الفلاحة:

إنَّ المطلع على تاريخ حركة التدوين عند العرب منذ مطلع العصر العباسي، يدرك أن اللغويين والحكماء والمترجمين قد بذلوا جهوداً ضخمة في وضع المؤلفات ذات العلاقة بالنبات والشجر والغراس والكلأ، والأنواء والحيوان، وكل ما له علاقة بالفلاحة أو الزراعة.

فجابر بن حيان (ت: ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) له "كتاب النبات"، وأبو عمرو الشيباني (ت: ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) له "كتاب النخلة"، وأبو زيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) له "كتاب الشجر والكلأ"، والأصمعي (ت: ٢١٦هـ/ ٨٣١م) له "كتاب النخل والكرم"، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) له "كتاب النبات والشجر" و"كتاب النخل" و"كتاب السحاب والمطر والأزمنة والرياح"، وابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) له "كتاب النبات والبقل" و"كتاب صفة الزرع" و"كتاب صفة النخل"، وابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ/ ٨٥٨ م تقريباً) له "كتاب النبات والشجر"[1]، وغيرهم الكثير من اللغويين والنحويين والإخباريين الذين بذلوا جهوداً مضنية وعظيمة في تدوين الألفاظ المتعلقة بالزرع والكلأ، والنبات والنخيل، وغيرها من ضروب النباتات والحشائش البرية والمزروعة.

(١) انظر: أبو الحاج، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي**، ص٢٧-٣٨، وانظر: إقبال، **معجم المعاجم**، ص١١٥-١١٩.

ويبدو أنَّ أول كتاب عُنون بـ"كتاب الفلاحة" عند العرب هو كتاب **أنطوليوس بلياس الحكيم البيروتي**، وقد نقله إلى العربية بطرك الإسكندرية، ومطران دمشق سنة (١٧٩هـ/ ٨٠٥م)، وقدمت هذه الترجمة لخالد بن يحيى البرمكي (ت: ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)[1].

وربما كان "كتاب الفلاحة" **لحنين بن إسحاق العِبادي** (ت: ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، أول كتاب أُلِّف وعنون بـ"الفلاحة" عند العرب[2]. ثم توالت بعد ذلك الكتب الموسومة بـ"الفلاحة" سواء أكانت معربة أم مؤلّفة.

ويُعد كتاب "الفلاحة الرومية" **لقسطا بن لوقا البعلبكي** المتوفى في حدود (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، وما زال الخلاف قائماً بين الباحثين حول هذا الكتاب فيما إذا كان مترجماً أم مؤلفاً، فقد ذكر حاجي خليفة: "كتاب الفلاحة الرومية- تأليف الحكيم قسطوس بن إسكوار إسكينه، وترجمة سرجس بن هليا الرومي من الرومي [اليوناني] إلى العربي، يشتمل على اثني عشر باباً، وعَرَّبه أيضاً قسطا بن لوقا البعلبكي، واسطاث، وأبو زكريا يحيى بن عدي، وكانت ترجمة سرجس أكمل وأصلح من غيرها.

---

(١) انظر: أبو الحاج، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي**، ص٤٤؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**: ٦/٢١٩-٢٢٩.

(٢) انظر: ابن أبي إصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: ٢/١٥٦ (ط الهيئة المصرية).

وترجم هذا الكتاب بالفارسية [كذا في الأصل]، وسمّاه الفرس كتاب "بورنامه"، وترجمه بعض المترجمين من الفارسية إلى العربية، فلم يأتِ به على ما يجب من الترتيب والكمال"[1].

ويرى محقق كتابه "الفلاحة الرومية" أنّه من تأليف قسطا بن لوقا البعلبكي، وأنَّ قسطا هو قسطوس، وهو شامي الأصل[2].

ولا ريب في أن حسم أمر الخلاف في حقيقة كون هذا الكتاب مؤلفاً أم مترجماً، يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء، وموازنة بين ترجمات الكتاب المختلفة، ويحتاج إلى الاطلاع على أصوله اليونانية، وغير ذلك من أدوات التحقيق العلمي الجاد.

وعلى الرغم من أنَّ الكتاب يحمل عنوان "الفلاحة الرومية"، وأنَّ كل جزء من أجزائه يشير إلى هذا الاسم، كقوله: "الجزء الأول من كتاب الفلاحة الرومية في هيئة الأفلاك"[3]، الجزء الثاني من كتاب الفلاحة الرومية "المساكن والأرض"[4]... إلخ، فإنَّ قسطوس أو قسطا بن لوقا لم يستخدم كلمة الفلاحة، أو الفلاحين، أو الإفلاح، في موضوعات كتابه،

---

(١) حاجي خليفة، **كشف الظنون**: ٢/١٤٤٧.

(٢) قسطا بن لوقا، **الفلاحة الرومية**، ص٥٣ (مقدمة المحقق).

(٣) **المصدر السابق**، ص٨٩.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٣١.

بل استخدم لفظة الزراعة والمزارعين والزُّرّاع، يقول: "هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزارعة، وما يتعلق بها، مِمَّا لا يستغني عنه المزارعون"[1]، ويقول: "قال قسطوس: قصدُنا أن نذكر في هذا الجزء اختيار المساكن... وما يصلح للزراعة والرعي..."[2]، ويقول: "وينبغي للزُراع أن يُكثر [كذا في الأصل] تعهد ذكور النخل وإناثه..."[3].

وترجم **أبو بكر أحمد بن علي الكسداني المعروف بابن وحشية في** القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كتاب "الفلاحة النبطية" من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وهو يستخدم ترجمته لفظة "الفلاحة" وما اشتق منها، يقول: "واعلموا أنَّه معطي الفلاحة للأرض..."[4]، ويقول أيضاً: لأنَّ هذا الكتاب إنَّما حرّكني على نظمه إلهنا زحل؛ لأنَّ الفلاحة له كلّها، وعمارة الأرضين وإصلاح النبات..."[5]، ويقول: "وأنا أدخل في ذكر الفلاحة بعد فراغي من تدبير فلاحة الزيتون"[6]، ويقول: "واعلموا أنَّ فلاح هذه الشجرة وغيرها من الشجر الذي هو مثلها، وغير ذلك من

(١) **المصدر السابق**، ص٨٩.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٣١.

(٣) **المصدر السابق**، ص٢٨٧.

(٤) ابن وحشية، **الفلاحة النبطية**: ١/١١.

(٥) **المصدر السابق**: ١/١٨.

(٦) **المصدر السابق**: ١/٢٠.

النبات، إلى أن يبلغ إلى أصغر النبات وأدونه، ليس يكون إفلاحه وغَرسه، ودفع ما يندفع عنه من العلامات في كل البلدان متساوياً... والذي أذكره في هذا الكتاب من الفلاحة للشجر... وقد كان يمكننا أن نعلّم الفلاحة في إقليم إقليم بحسب مزاجه، ومسامتة الكواكب له"[1].

وبناءً على ما تقدم ذكره من الشواهد، والاستخدام المكثف للفظة "الفلاحة"، فإنَّ ابن وحشية قد أشاع هذه اللفظة في العصور التالية، وأصبحت هذه اللفظة أساسية في تسميات الكتب التي تناولت الفلاحة.

وفوق ذلك، فإنَّ دلالة الفلاحة عند ابن وحشية مرتبطة بزراعة الأشجار والنباتات المختلفة، مع مراعاة اختلاف البلدان والمناخات.

كما أنَّ الفلاحة -عنده- مرتبطة بالأرض والتربة التي لا بُدَّ من تعهد ما يزرع فيها بالإصلاح والعمران.

والملاحظ أنَّ التأليف الفلاحي في الأندلس قد ازدهر ازدهاراً عظيماً في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حتى أطلق بعض الباحثين اسم الثورة الفلاحية في الأندلس على هذه الفترة، قال الطاهري:

"يكاد يجمع المهتمون بكتب الفلاحة على الإقرار، بأنَّ ذروة العطاء في هذا الحقل المعرفي قد تحققت خلال القرن الخامس الهجري. ولم يتردد البعض عن القول بحدوث ثورة فلاحية حقيقية خلال هذا العصر المتميز

(١) **المصدر السابق**: ١/٣٥.

باختلال المركزية السياسية إثر انهيار نظام الخلافة بقرطبة، وقيام الطوائف بمجموع البلاد الأندلسية"[1].

ومن أبرز المؤلفات الفلاحية الأندلسية التي أُلِّفَتْ إبّان عهد ملوك الطوائف، كتاب "المقنع في الفلاحة" **لأحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي** الذي ألّفه سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م)[2].

ويبدو أنّ هذا الكتاب لم يصل إلنا كاملاً، ولكنّ ابن حجاج الإشبيلي يستخدم لفظي الزراعة والفلاحة في كتابه "المقنع في الفلاحة"، يقول: "ذكر أهل الفلاحة أجمعون إن أنت أخذت جلد ذيب..."[3].

ويقول: "زراعة العدس... زراعة الحمص... زراعة الباقلا... زراعة الترمس"[4].

ويقول: "وقد أتيت بأحسن ما ذكره أصحاب الفلاحة في كتبهم في الحمام... وقد رأيت أن أتبع ذلك بما ذكره الحكماء غير الفلاحين من أجناسه وهدايته..."[5].

---

(١) الطاهري، **الطب والفلاحة في الأندلس بين الحكمة والتجريب**، ص٨٥.

(٢) انظر: ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/ ٢٠ (قديم).

(٣) ابن حجاج، **المقنع في الفلاحة**، ص١١.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٤-١٥.

(٥) **المصدر السابق**، ص٧٢.

والملاحظ أنّ ابن حجاج الإشبيلي يقصر معنى الفلاحة على العناية بالتربة والزبول والماء، والنبات وزراعته، ولم يدخل الحيوان في دلالة الفلاحة، يقول: "وقد أتيت على أحسن ما ذكرته الفلاسفة في الفلاحة وعمارة الأرضين، بأوجز قول وأقربه من الصواب. وأمّا ما ذكروه من تخير البقر والغنم، والخيل، والبغال، والحمير، وعلاج أدوائها، ودفع الآفات عنها، وما يصلح لها من العلف، وتخير مواضع الرعي، ووقت الإنزاء فهو أشبه بالبيطرة منه في الفلاحة. وقد ذكرت جميع ذلك في كتابي "البيطرة" وتقصيته في جميع الحيوان على ما وجدت الفلاسفة فيه، ولم آل فيه الاجتهاد، ولا معنى لإعادة معنى واحدٍ في كتابين"[1].

فموقف ابن الحجاج واضح في الفصل بين فلاحة النبات، وتربية الحيوانات، وهو يرى أنّ موضوع الحيوانات أدخل في باب البيطرة، ولكنّه عاد واستدرك قائلاً: "وأمّا ما ذكروه في علاج النحل والحمام والدجاج والطواويس، فإنّي أذكره هنا لِمَا فيه من المنافع، والأنس في الضياع والبساتين؛ ولأنّه أمر يسير لا يمكن أن يفرد فيه كتاب لقلته"[2].

أما شيخ الفلاحين الأندلسيين **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصّال الطليطلي** الذي عاش في القرن الخامس الهجري وصاحب كتاب "القصد والبيان" المطبوع بعنوان "كتاب الفلاحة"، فإنّه يستخدم لفظة

---

(١) **المصدر السابق**، ص٦٦.

(٢) **المصدر السابق**، ص٦٧.

الزراعة والزرع والزريعة، يقول: "وتترك بعد الزراعة عامين... وتزرع زريعة التين أول شهر مارس..."[١]، ويقول: "ويكون زرع الزريعة في شهر فبراير"[٢]، ويقول: "زراعة الكراويا: زراعتها قريبة من زراعة الكمون في الحرث والوقت"[٣]، ويقول: "الباب الخامس عشر في زراعة الرياحين ذوات الزهور وما شاكلها من الأحباق وسائر الشجر"[٤].

وألفينا ابن بصّال قد استخدم لفظة "الفلاحة" في كتابه، ولكن الغالب عليه استعماله للفظة (الزراعة) وما اشتق منها، يقول: "الباب الثالث في ذكر السرقين: اعلم أنّ السرقين المستعمل في صناعة **الفلاحة** ينقسم إلى سبعة أنواع: فزبل الخيل والبغال والحمير نوع واحد..."[٥]، ويقول: "الباب السادس عشر، وهو باب جامع لمعانٍ غريبة، ومنافع جسيمة من معرفة المياه والآبار، واختزان الثمار، وغير ذلك مِمَّا لا يستغني عن معرفتها **أهل الفلاحة** إذ هي من تمام أعمالها واستكمال فائدتها"[٦]،

(١) ابن بصّال، **كتاب الفلاحة**، ص٦٧.

(٢) **المصدر السابق**، ص٨٠.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٢٢.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٦٣.

(٥) **المصدر السابق**، ص٤٩.

(٦) **المصدر السابق**، ص١٧٣.

ويقول: "ومن جيد أعمال أهل الفلاحة إحكام العمل في اختزان الثمار وعلاجها حتى لا تفسد فمن ذلك التفاح..."[١].

وبناءً على ما تقدم فإنّ الفلاحة هي صناعة عند ابن بصّال، ومعنى الفلاحة -عنده- أشمل وأوسع من معنى الزراعة التي تشتمل على العناية بالأرض والنبات، كما أنّ صناعة الفلاحة تمتد لتشمل: المياه، وخزن الثمار ومقاومة الآفات الزراعية إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة التي تنضوي تحت مسمى "الفلاحة"، ويباشرها الفلاحون.

وعند نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يؤلف **الملك الرسولي، الأشرف عمر بن يوسف بن رسول** (ت: ٦٩٦هـ/ ١٢٦٩م) وهو أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن، وعرف بحبه للعلم والعلماء، وله كتب في الصيدلة والطب، والإسطرلاب والأنساب وغيرها، وقد ألّف في الفلاحة كتاباً وسمه بـ"مُلح الملاحة في علم الفلاحة"، وأفرد البيطرة بكتاب آخر عنونه بـ"المغني في البيطرة"[٢].

يقول الملك عمر الرسولي: "ووضعته على حكم اصطلاح أهل المعرفة في اليمن، بعد البحث معهم في كل ما فيه من صنف وفن، وسميته بـ"ملح الملاحة في معرفة الفلاحة"، ورتبته على سبعة أبواب هي: الباب

(١) **المصدر السابق**، ص١٧٩.

(٢) انظر: الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**: ١/٢٨٤.

الأول: فيما يحتاج إليه من **الفلاحة** في معرفة أوقاتها للزرع والغرس، وأعمال الأرض وإصلاحها، الباب الثاني: في الزرع وما يلحق به..."[١].

فالفلاحة عند الملك عمر بن رسول هي الزراعة، وإصلاح الأرض وما يتعلق بذلك من أعمال، ولذا فإنّنا نجده يستخدم في كتابه لفظة: الزرع، يزرع، والزارعين، يقول:

"اللوبياء: صنفان: حمراء وبيضاء، ومن الصنف [كذا في الأصل] البيضاء صنف تسميه الزارعون في تهامة الوابية، وجميع أصنافها يزرع كما يزرع الماش في الجبال"[٢].

وعند منتصف القرن الثامن الهجري يؤلف ملك رسولي آخر هو **الأفضل عباس بن علي بن داود الرسولي** (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) كتاباً في الفلاحة هو "بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين" الذي جاءت فيه لفظة الفلاحة بمعنى الزراعة والغرس والعناية بالأرض، يقول: "وقد شجعني ما تفضل الله به عليَّ من مطالعة الكتب المدونة في الفِلاحات، والأفعال المجربة في الأوقات، المروية عن الثقات في معرفة زراعة الأشجار المثمرات..."[٣]، ويقول: "زعم بعض أهل الفلاحة: أن

(١) الأشرف الرسولي، **ملح الملاحة في معرفة الفلاحة**، ص١٣-١٤.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٠٦.

(٣) الأفضل الرسولي، **بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين**: ٣/١.

مبتدأ قصب السُّكر كان عِكرِشاً، فسقي بالعسل..."[١]، ويقول: "الباب الخامس: في أوقات الفلاحة، وما يحتاج إليه من أمورها"[٢]، ويقول:

"واعلم أنَّ للزراعة ولغرس الأشجار أوقاتاً من هذه الفصول، وفي هذه الشهور على ما يأتي ذكره.

فإذا أخلَّ **الزّارع**، أو من يريد الغرس بالوقت الذي وُقِت **للزّرع** والغرس؛ لم ينجب زرعُه، ولم ينمُ غرسه، ولا يكاد يُثمر، ويصعب عناء **الفلاح**، وتعظم مشقته..."[٣].

فجلي عند عباس الرسولي أن الفلاح هو الزّارع، وأن الفلاحة هي الزراعة لا فرق بينهما.

وفي مطلع القرن الثامن الهجري صنف **محمد بن إبراهيم بن يحيى الشهير بالوطواط الكتبي** (ت: ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) موسوعته المعروفة باسم "مناهج الفكر ومباهج العبر"، وأفرد قسمها الرابع والأخير للحديث عن النبات، والملاحظ أن الكتبي يستخدم في موسوعته في الأعم الأغلب لفظة "الفلاحة"[٤].

(١) **المصدر السابق**: ١١/١.

(٢) **المصدر السابق**: ١٥/١.

(٣) **المصدر السابق**: ٨٣/١.

(٤) الوطواط الكتبي، **مناهج الفكر ومباهج العبر**، القسم الرابع، ص٢٦٤.

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي يكتب **مؤلف مجهول** كتاباً سمّاه بـــ"مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"، والمؤلف شامي مصري كما يبدو من مادة كتابه، فهو يذكر غور الأردن وبيسان[1]، ويذكر الفلاحة المصرية[2].

ومِمَّا هو لافت للنظر، أنَّ هذا المؤلف المجهول يستخدم كلمة **الفلاحة** في كتابه استخداماً واسعاً، وقلّما يستخدم كلمة الزراعة، يقول:

"في فلاحة الحبوب والقطاني... في فلاحة البقول... في فلاحة النبات ذي النوى... في فلاحة أنواع الرياحين"[3].

ويقول:

"قال أصحاب الفلاحة..."[4]، ويقول: "القول في إفلاح الحنطة"[5]، ويقول: "القول في إفلاح الشعير... القول في إفلاح الذرة...، القول في إفلاح الباقلاء... القول في إفلاح الحمص... القول في إفلاح العدس..."[6].

(١) مؤلف مجهول، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة**، ص١٨١.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٠١.

(٣) **المصدر السابق**، ص٧٤.

(٤) **المصدر السابق**، ص٨٧.

(٥) **المصدر السابق**، ص١٢٥.

(٦) **المصدر السابق**، ص١٢٦-١٢٩.

ويلاحظ أنَّ هذا المؤلف المجهول يستخدم اللفظ (إفلاح) بمعنى (فلاحة) كما يستشف من الشواهد السالفة، ويجري كتابه على هذا النمط من الاستعمال.

وأبرز **محمد بن محمد الغزي الدمشقي** (ت: ٩٣٥هـــ/ ١٥٢٩م) كتابه الموسوم بـــ"جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة" في دمشق في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس الميلادي.

وتتضح دلالة الفِلاحة عند الغزي من خلال مقدمة كتابه الآنف الذكر، يقول:

"فهذا كتاب يُعَوَّلُ في **علم الفلاحة** عليه، ويرجع في عمارة الأرض إليه، حيث اشتمل على بديع شؤون الملاحة في صنيع **فنون الفِلاحة**، من كل تركيب عجيب، وتطعيم غريب، وتوليد وتشكيل، وتحسين وتجميل.

وعلاج علل الأرض والنبات، ودفع سائر الآفات، ووضع كل ما يغرس ويزرع في إبانه، بالنسبة إلى زمانه ومكانه، ومعرفة التلقيح والتذكير، والكسح والتشمير، وحرث الأرض وقلبها، وكيفية زرعها ونصبها، وتعميرها بالزبل بما يناسب من الأزبال والأرمدة والأتبان، وترتيب السقي في سائر الأحيان، وما يُسقى بالأمطار، وحفر الآبار والأنهار، وصفات العمّال في جميع الأعمال، ووضع الطلسمات، وادخار الفواكه والأقوات، وأمارات الخصب، وعلامات الجدب"[1].

(١) الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**: ١/٢.

فالفلاحة عند الغزي تتركز على إصلاح الأرض وعلاجها، وزراعة النبات فيها، وتعهدها بالحرث والتسميد والسقي، وجَرِّ المياه إليها. ولكن الغزي عاد أدراجه، وجعل الطّلسمات من أعمال الفلاحة، مع أنّه كان فقيهاً وطبيباً، ويبدو أن غلبة التصوف عليه هي التي هوت به من يفاع التفكير العلمي السليم، إلى حضيض الطلاسم والخزعبلات والسحريات، بحيث يَعْقِدُ الباب السابع من كتابه للطلاسم[1].

ومن خلال تتبع لفظة "الفلاحة" في أبرز ما وصل إلينا من كتب الفلاحة: النبطية والرومية، والأندلسية واليمنية، والشامية والمصرية، يتجلى لنا أن جُلّ هذه المصادر يحصر الفلاحة في موضوع الأرض والزرع والغرس، والنبات والمياه والسماد وما يتعلق بالزراعة، سوى كتاب "الفلاحة الرومية" الذي اشتملت فلاحته النبات والحيوان، وكذلك ابن حجاج الإشبيلي الذي تناول في فلاحته تربية الحمام والنحل والدجاج والطواويس فقط[2].

ويقدم **ابن العوَّام الإشبيلي** في موسوعته الجليلة "الفلاحة الأندلسية" تعريفاً واضحاً ودقيقاً للفلاحة، فيقول:

"ومعنى فلاحة الأرض: إصلاحها، وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلحه التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتادُ زراعتها فيها، وإصلاح

---

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢، ٥٤٧-٥٥٨.

(٢) انظر: ابن حجاج، **المقنع في الفلاحة**، ص٦٧-٧٨.

ذلك، وإمداده بما ينفعه ويجوده، وعلاج ذلك بما يدفع -بمشيئة الله- الآفات عنه، ومعرفة جيِّد الأرض، ووسطها، والدون منها.

وهذا هو الأصل الذي لا يُستغنى عنه، ومعرفةُ ما يصلُحُ أن يزرع أو يغرس في كل نوعٍ منها، من الشجر والحبوب والخضر، واختيار النوع الجيد من ذلك. ومعرفة الوقت المختص بزراعة كُلّ صنف منها، والهواء الموافق لذلك، وغراسة ما يُغرس فيها، وكيفية العمل في الزراعة وفي الغراسة أيضاً.

ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي لكلّ نوعٍ منها، وقدره ومعرفة الزِّبْول وإصلاحها، وما يصلح منها لكلّ نوعٍ من أنواع الأشجار والخُضَر والزَّرع والأرض.

وكيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها، وبعد غِراستها، وتزبيلها، وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير [التلقيح]، وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه، حتى يُدرك فائده، ويكثر -بمشيئة الله- عائِدُهُ، وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار، وفوائد الثمار، وشبه هذا مِمَّا يلحق به -إن شاء الله-"[1].

---

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٧٤/١.

وأضاف ابن العوَّام قائلاً:

"وإنّي لما استوفيتُ —بعون الله– القول في ذلك بحسب الغرض المقصود إليه، أضفت إلى ذلك **فلاحة الحيوانات** التي لا غنى عن استعمالها في فلاحة الأرض، وبعض الأطيار التي تتخذُ في الضّياع، وفي المنازل للانتفاع بها، ووصف الجيد منها، ونُعوته، ووجه العمل في إنتاجها، وسياستها، وعلاج بعض أدوائها، ولواحق ذلك وما يتعلق به"[1].

وعند النظر في هذا التعريف الضافي الجامع المانع الذي يقدمه ابن العوَّام للفظة "الفلاحة" فإنّنا يمكن أن نستشفالآتي:

أولاً: إنّ ابن العوَّام هو الوحيد الذي قدم تعريفاً مقصوداً وواضحاً ومفصلاً من بين مؤلفي كتب الفلاحة الذين جاءت تعريفاتهم عرضية، أو أمكن استنباطها وتركيبها من خلال مقدماتهم لمصنفاتهم الفلاحية.

ثانياً: إنّ ابن العوَّام جعل الفلاحة علماً قائماً على العناية بالنبات والعناية بالحيوان الذي لا غنى للفلاحين عن استعماله، أو يتخذه الفلاحون للانتفاع به، فالفلاحة عنده، فلاحة النبات وفلاحة الحيوان.

ثالثاً: إنّ ابن العوَّام يتابع المدرسة الرومية في الفلاحة التي تهتم بالنبات والحيوان في آنٍ واحدٍ، ورائده في ذلك هو كتاب قسطوس الموسوم بـ"الفلاحة الرومية" الذي جمع فيه بين العناية بالنبات والحيوان.

---

(١) **المصدر السابق**، ٢٧٥/١.

رابعاً: إنّ فلاحة النبات عنده جاءت مفصلة من حيث العناية بالأرض وإصلاحها، وغراسة الأشجار فيها، وزراعة الحبوب، واختيار الأنواع الجيدة من الغراس والبذور، ومعرفة أنواع السماد المناسبة للتربة، ومعرفة المياه وأنواعها، وتحضير الأرض قبل زراعتها، وعلاج النبات من الآفات الزراعية التي تطرأ عليها، إلى أن نصل إلى تمام العملية الزراعية، وجني المحصول والثمار، والعمل على تخزينها.

خامساً: إنّ ابن العوَّام حدد مقصوده من فلاحة الحيوان فيما بعد، مدخلاً في ذلك البقر والضّأن والمعز واختيار الأنواع الجيدة منها، والعمل على تكاثرها، ثم أدخل الحيوانات المستخدمة في الفلاحة وغيرها كالخيل والبغال والحمير والإبل، وما يتعلق بصفاتها وتكاثرها، وتسمينها، وعلاجها من أدوائها وعللها، كما أدخل الكلاب: كلاب الصيد والحراسة التي تقوم بحراسة الأغنام، والمزارعين والبيوت في الأرياف والجبال، ولكن لسوء الحظ سقط الباب الأخير المتعلق بهذا الحيوان من كل النسخ الخطيّة، والنسخة المطبوعة فلاحة ابن العوَّام.

سادساً: إنّ تعريف ابن العوَّام للفلاحة هو أقرب التعريفات لما تقوم به كليات الزراعة المعاصرة من دراسة للإنتاج النباتي والحيواني، وما يتبع ذلك من تجارب وتطبيقات عملية على الأصناف النباتية والحيوانية.

سابعاً: لعلّه يمكن القول: بأن ابن العوّام هو الأب الحقيقي لعلم الفلاحة أو الزراعة الحديثة، بناءً على هذه النظرة الشاملة والعميقة لهذا العلم.

* * * * *

الفصل الثاني

ابن العوّام، حياته ومؤلفاته

الفصل الثاني

ابن العوّام، حياته ومؤلفاته

اسمه ونسبه:

تضمّنت الأصول الخطية لكتاب "الفلاحة الأندلسية" اسم الرجل كاملاً، فهو يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، وكنيته: أبو زكريا، ولا شك في أنّ تواطؤ الأصول الخطية لكتابه على ذكر اسمه كاملاً، ثم اتفاقها على هذا الاسم يؤكد صحته، لأنّنا نعلم أنّ كثيراً من المخطوطات لا تتواتر روايتها، ولا تتفق على نسبٍ واحدٍ للمؤلف، بل إنّ بعضها قد يكون مجهول المؤلف، أو قد تكون منحولة لغير مؤلفيها.

فقد نُسب للجاحظ خمسة عشر أثراً ليست له، والإمام الغزالي نُحل إليه ما لا يقل عن ثمانية وأربعين أثراً، وكذلك الإمام جلال الدين السيوطي وغيرهم الكثير من أعلام الحضارة الإسلامية[1].

وتبين لنا من خلال البحث في المصادر القديمة، أنّ أول من ذكر ابن العوّام هو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف **بابن الأكفاني** (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، يقول: "وفي كتاب الفلاحة لابن العوّام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"[2]، فابن الأكفاني اكتفى بذكر اسم الشهرة

---

(١) انظر: سمير الدروبي، ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي، ص١١٧-١١٨.

(٢) ابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، ص١٧٥.

وهو "ابن العوّام"، وذكر كتابه "الفلاحة" عند الحديث عن علم البيطرة والبيزرة، ولم يذكره ابن الأكفاني في تعريفه لعلم الفلاحة، ولعلّ مبرر ذلك أن شهرة كتاب ابن العوّام في الفلاحة تغني عن ذكره، كما أن ابن الأكفاني كان يكتفي بأسماء الشهرة لأبرز المصنفين الذين ذكرهم في كتابه "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد" الذي كان هدفه الأساس تقديم تعريفات موجزة للعلوم، وإرشاد القارئ إلى أهم المصنفات فيها.

وذكر **ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون** (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ابن العوّام، مكتفياً باسم شهرته، يقول: "واختصر ابن العوّام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج"[١]، أي أنّ ابن العوّام قام بتجريد كتاب "الفلاحة النبطية" من السحر والطلسمات. وما ذكره ابن خلدون له أهميته من حيث أنّه قد عاش في البيئة الأندلسية والمغربية، وكان قريباً من مصادرها وكتبها الرائجة بين القرّاء في مختلف الفنون والعلوم.

وعندما تحدث **أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي** (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) عن موضوعات العلوم، قال:

"علم البيزرة: من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح، وفي كتاب "العلاجين" لابن العوّام جملة كافية من البيطرة والبيزرة"[٢].

---

(١) ابن خلدون، **المقدمة**: ١٠٢٨/٣.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**: ٤٧٤/١.

واللافت للنظر في قول القلقشندي، أنّه يذكر ابن العوّام باسم الشهرة، مِمَّا يدل على انتشار اسم هذا الرجل في المشرق والمغرب، ومعة المشارقة له بابن العوّام، علماً بأن القلقشندي كان مجايلاً لعبد الرحمن بن خلدون، فهل عرف القلقشندي ذلك من ابن خلدون؟ أم عرفه من طريق ابن الأكفاني صاحب "إرشاد القاصد" الذي اكتفى بذكر ابن العوّام، ولم يزد على ذلك؟ أو أنّ كتاب ابن العوّام "الفلاحة الأندلسية" كان موجوداً في سوق الكتب القاهرية التي كانت يومها أشهر سوق للكتاب في العالم؟ أو أنّ كتاب الفلاحة الأندلسية كان موقوفاً في خزائن كتب المدارس التي كانت منتشرة في مدن دولة المماليك؟[١]

وكل هذه الاستفسارات تحتاج إلى وثائق ومصادر جديدة، قد تظهر في قابل الأيام.

أمّا ما جاء في "صبح الأعشى" من ذكر لكتاب "العلاجين" لابن العوّام، فهو غير صحيح، ويبدو أن ناشري الكتاب قد صحفوه وحرفوه، ولعلّ المقصود كتاب "الفلاحين" الذي ربما كان اسماً ثانياً شهر به كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام.

وإشارتا ابن خلدون والقلقشندي مهمتان، وإن لم تقدما لنا توثيقاً كاشفاً لحياة هذا الرجل.

---

(١) انظر: العمري، **عرف التعريف في المكاتبات**، ص٤١ (بتحقيق: سمير الدروبي).

وقد تنبهت إلى أهمية هاتين الإشارتين الخافتتين المستشرقة إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، فقالت:

"لقد ظلت رسالة ابن العوَّام لوقت طويل المرجع الوحيد في الزراعة الأندلسية، بيد أن المفارقات أبقت شخصية المؤلف مجهولة بشكل يكاد يكون كاملاً، فالرسالة لا تقدم لنا حول سيرة ابن العوَّام إلاَّ نُتَفاً نزرة، كما أن المؤلفين العربيين الوحيدين اللذين يشيران إليها، وهما المؤرخ ابن خلدون، والجغرافي المشرقي القلقشندي، لم يعرفا ابن العوَّام على ما يبدو إلاَّ معرفة قليلة وعابرة"[1].

قلنا: لم يكن ابن خلدون والقلقشندي أول من أشار إلى فلاحة ابن العوَّام، بل سبقهما ابن الأكفاني، وتلاهما الغزي كما ذُكر سابقاً، ونأمل بظهور مصادر جديدة تكشف لنا المزيد عن حياة ابن العوَّام.

وألَّف محمد بن محمد العامري المعروف بالرضي الغزي (ت: ٩٣٥هـ/١٥٢٩م) كتابه المعروف بـ"جامع فرائد الـمِلاحة في جوامع فوائد الفلاحة"، وكان كِتابُ ابن العوَّام في الفلاحة واحداً من مصادره الأساسية ونقل منه كثيراً بعزو، وبغير عزو.

وكان الغزي أحياناً يكتفي باسم شهرته: "قال ابن العوَّام"[2]،

(١) سانشيز: **"الزراعة في إسبانية المسلمة"**، ضمن كتاب: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**: ٢/١٣٤٧.

(٢) الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**، ص٥٨٣.

ولكنه ذكر كنيته واسمه مرتين، فقال: "أبو زكريا، يحيى بن العوام"[1]، ولعلّ الغزي أول مصدر يذكر هذه الفائدة العلمية عن ابن العوَّام.

وذكر إسماعيل باشا البغدادي كنية ابن العوَّام، وشهرته، واسمه كاملاً مرتين، يقول: "ابن العوَّام: أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن العوَّام"[2].

ويقول البغدادي أيضاً: "كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوَّام الإشبيلي"[3].

وجاء في "معجم المطبوعات العربية والمعربة" ليوسف إليان سركيس: "الشيخ أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد، الشهير بابن العوَّام الإشبيلي"[4].

أمَّا اسمه ولقبه وكنيته عند خير الدين الزركلي، فهو: "يحيى بن محمد بن أحمد، الشهير بابن العوَّام الإشبيلي، أبو زكريا"[5].

واللافت للنظر أنّه لا خـلاف بين المصادر القديمة والحديثة في كنية

(١) **المصدر السابق**، ص١٣٨، ٣٦١.

(٢) البغدادي، **هدية العارفين**: ٦/٥٢٠.

(٣) البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون**: ٤/٣٢٠.

(٤) سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ص١٩٤.

(٥) الزركلي، **الأعلام**: ٨/١٦٥.

الرجل وشهرته واسمه، ولعل مصدرهم جميعاً هو الأصول الخطية لكتاب الفلاحة الأندلسية.

أمَّا المعاصرون كالبغدادي وسركيس والزركلي، فإنَّ مصدرهم هو -فيما نرجح- نشرة بانكويري الإسباني الذي ترجم "الفلاحة الأندلسية" إلى الإسبانية قبل قرنين ونيف من الزمان.

مولده ووفاته:

ما زال تاريخ مولد ابن العوَّام مجهولاً للباحثين كافة، ولم يذكر مصدر قديم أو مرجع حديث تاريخاً محدداً لولادة هذا الرجل.

فقد ذكر محمد عبد الله عنان -وهو صاحب الباع الطويل في تاريخ الأندلس وحضارته-: "وأمَّا ابن العوَّام الإشبيلي، فهو حسبما يرد ذكر اسمه في كتابه: أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي.

ولكنَّنا لا نعرف كذلك سوى القليل عن حياته ونشأته، بل لا نعرف متى عاش بالضبط، وكل ما نعرفه أنَّه عاش في إشبيلية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي"[١].

وسكت المستشرق بالنثيا عن تاريخ مولده، واكتفى بالقول: "ومن أعلام النباتيين الأندلسيين، أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام، صاحب كتاب الفلاحة"[٢].

وكررّ فريد جحا ما ذكره بالنثيا بشأن ابن العوَّام، قال: "ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياته، وكل ما نعرفه أنَّه كان يعيش حوالي نهاية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وأن أصله من إشبيلية"[٣].

---

(١) عنان، **علماء الزراعة الأندلسيون**، مجلة العربي، العدد ١٤٤، سنة ١٩٧٠، ص٨٨.

(٢) بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٤٧٥.

(٣) فريد جُحا: **التراث العربي الأندلسي في ميدان النبات**، بحث مقدم ضمن ندوة "إسهامات العرب في علم النبات"، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٦٦.

ويبدو أن الجهل بتاريخ مولد هذا الرجل، وتاريخ وفاته، ينسحب على جمهرة علماء الفلاحة من الأندلسيين، تقول إكسبيراثيون غارثيا سانشيز:

"ظهرت في القرنين الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والسادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أكبر وأهم نواة للرسائل الزراعية، مثل: رسائل ابن وافد، وابن بصّال، وأبي الخير، وابن حجاج، والطغنري وابن العوّام، بيد أنّ المصادر العربية، والسِّيَر الذاتية منها بوجه الخصوص، لا توفر لنا معلومات كافية حول هؤلاء الكتّاب. إنّ الشح في المعلومات، بالإضافة إلى الطابع التعميمي والوجيز لمختلف المخطوطات الزراعية الأندلسية، يجعلان من الصعوبة بمكان دراسة هذا الموضوع"[1].

وإذا لم يكن هناك أية إشارة، أو تلميح، أو قرينة، أو خبر يمكن من خلاله استشفاف التاريخ التقريبي لولادته أو تحديدها، فإنّنا نجد تضارباً وخلافاً وتباعداً في التاريخ المعطى لوفاته بين الباحثين المعاصرين.

والباحثون منقسمون في تاريخ وفاته إلى **أربعة أقسام:**

الأول: يجعل تاريخ وفاته في أربعينيات القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والقائل بذلك هو إسماعيل باشا البغدادي المتوفى في مطلع القرن العشرين.

---

(١) سانشيز، **الزراعة في إسبانيا المسلمة**، ضمن كتاب "**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**: ٢/١٣٧١.

فقد ذكر البغدادي في "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون"، ما نصه:

"كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوّام الإشبيلي في حدود سنة (٥٤٠) أربعين وخمسمائة"[1]، وقد تابعه على ذلك أحمد الطاهري[2].

وذكر البغدادي نفسه في كتابه "هدية العارفين" أنّ ابن العوّام "كان في أواسط القرن السادس ولعله توفي في حدود سنة (٥٤٥) خمس وأربعين وخمسمائة"[3].

ولم يشر البغدادي إلى مصدره في هذين التاريخين اللذين يجعلان وفاة ابن العوّام في منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

والثاني: يحدد تاريخ وفاة ابن العوّام بسنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٥م) تقريباً، ويمثل ذلك خير الدين الزركلي الذي جاء في قاموس أعلامه: "ابن العوّام... نحو (٥٨٠هـ/ نحو ١١٨٥م)"[4].

---

(١) البغدادي، **إيضاح المكنون**: ٤/٣٢٠.

(٢) الطاهري، **الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد**، ص١٦٧.

(٣) البغدادي، **هدية العارفين**: ٦/٥٢٠.

(٤) الزركلي، **الأعلام**: ٨/١٦٥.

ويمثله أيضاً مصطفى الشهابي الذي يقول: "فأبو زكريا، يحيى بن محمد المعروف بابن العوّام الإشبيلي (توفي في نحو سنة ٥٨٠هـ)، صاحب كتاب "الفلاحة الأندلسية" المشهور"[1].

ولم يذكر لنا كل من الزركلي والشهابي مصدرهما في تحديد هذا التاريخ التقريبي لوفاة ابن العوّام، وهو سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٥م).

والثالث: يرى أن وفاة ابن العوّام كانت في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد نقل محمد زهير البابا عن الموسوعة الإسلامية، ما نصه: "لقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية لمحة مختصرة عن ابن العوّام، جاء فيها ما يلي: هو أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، صنف كتاباً كبيراً في الفلاحة عنوانه "كتاب الفلاحة"، ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياة هذا المؤلف، وكل ما نعرفه أنّه كان يعيش حوالي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وأنّ أصله من إشبيلية"[2].

ويشير توفيق فهد إلى أنّ عهد ازدهار الفلاحة العربية ينتهي مع ابن العوّام الذي كتب مؤلفه في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، أي السادس الهجري، قال: "وينتهي مع ابن العوّام، الذي كتب في نهاية القرن الثاني

(١) الشهابي: **تأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوروبية**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، مجلد ٣٦، ج٢، ص١٨٣.

(٢) البابا، **المؤلفات العربية في علمي الفلاحة والنبات**، ص٢٣، انظر: *Ibn al – Awwām* في (EI).

عشر تقريباً، عهد الازدهار الذي عرفته الزراعة عند العرب في الأندلس"[1].

وتابعه على ذلك عز الدين فراج[2]، وحكمت نجيب عبد الرحمن[3].

وهناك بعض الإشارات التي تدل على أنّه كان موجوداً في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، فقد ذكر أحمد عيسى أن ابن العوّام نقل عن الحاج الغرناطي الذي كان حياً سنة (٥٥٣هـ)[4].

وأشار المستشرق خوان فيرنت إلى أنّ ابن العوّام كان حياً في سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)[5].

وينقل الطغنري أو الحاج الغرناطي في كتابه "زهر البستان ونزهة الأذهان، عن ابن رشد[6]، ولعله محمد بن أحمد بن رشد قاضي الجماعة

(١) فهد، "**علم النبات والزراعة**"، ضمن: **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، ج٣، انظر ص١٠٨٤.

(٢) فراج، **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية**، ص٦٥.

(٣) انظر: عبد الرحمن، **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، ص٣٣٥.

(٤) عيسى، **تاريخ النبات عند العرب**، ص١٠٥.

(٥) فيرنت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص٦٩.

(٦) الطغنري، **زهر البستان ونزهة الأذهان**، ورقة: ١٠.

بقرطبة (ت: ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)[١] أي إنَّ الحاج الغرناطي كان حياً بعد هذا التاريخ وهو من مصادر ابن العوَّام.

الرابع: يرى أنَّ حياة ابن العوَّام قد امتدت حتى بداية القرن السابع الهجري، تقول سانشيز:

"ويمكن الاستنباط أيضاً بأنَّ ابن العوَّام كان ملاكاً ميسور الحال، توزعت حياته بين القرنين السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والسابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، على الرغم من أنّنا نجهل تاريخ ولادته ووفاته"[٢].

---

(١) انظر: الزركلي، **الأعلام**: ٢/٧.

(٢) سانشيز: **الزراعة في إسبانيا المسلمة**، ضمن كتاب **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج٢، ص١٣٧٤.

موطن ابن العوَّام:

تجمع المصادر على نسبة ابن العوَّام إلى مدينة إشبيلية في الأندلس، وهناك إشارات وأخبار متعددة في كتابه "الفلاحة الأندلسية" تعزز ذلك وتدل عليه.

ومعروف أنَّ إشبيلية من أهم المدن الأندلسية، وقد وصفها الحميري بأنّها:

"مدينة بالأندلس جليلة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام"، وهي كبيرة عامرة، لها أسوار حصينة، وأسواقها عامرة، وخلقها كثير، وأهلها مياسير، وجُلّ تجارتهم الزيت، يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً، فيجتمع هذا الزيت من الشّرف، وهو مسافة أربعين ميلاً كلها في ظل شجر الزيتون والتين، أوّله مدينة إشبيلية، وآخره مدينة لَبْلة، وسعتُه اثنا عشر مِيلاً، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة بالحمامات والديار الحسنة، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال. ومدينة إشبيلية موفية على النهر الكبير، وهو في غربيها..."[١].

وما ذكره الحميري عن إشبيلية، وجبل الشَّرف، يعطي صورة باهرة

---

(١) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٨-١٩؛ وانظر: بالباس، **المدن الأسبانية الإسلامية**، ص٢٢٦-٢٢٨؛ حتاملة، **موسوعة الديار الأندلسية**: ١/٧٠-٨٧.

عن الازدهار الزراعي والاقتصادي لهذه القاعدة المهمة من قواعد الأندلس التي كانت من أركانه الرئيسة قبل تداعي هذه المدينة، وسقوطها بيد الغزاة الأسبان سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).

ويستدل مِمَّا ذكره الحميري -وهو الأندلسي العارف ببلاده- أنَّ إشبيلية كان يسودها الرخاء، وتصل تجارتها إلى الآفاق البعيدة، وفيها مئات القرى والتجمعات الزراعية والضياع، علماً بأنَّ كل ضيعة منها تحتوي على "ناعورة ومسجد ومدرسة لتعليم القرآن"[(١)].

وفي كتاب "الفلاحة الأندلسية" إشارات كثيرة إلى قيام ابن العوَّام بتجاربه الزراعية في جبل الشَّرف، ومتابعته لهذه التجارب لسنوات عديدة[(٢)].

يقول ابن العوَّام: "لَمَّا احترقت أغصان الزيتون في جبل الشَّرف، رأيت قوماً قلّموا نباتها الذي قام في مواضعها في العام الأول من نباتها، فبطلت وفسدت تلك المقلّمة، وكذلك ما قلم منها في العام الثاني"[(٣)].

فهو يروي لنا واحدة من مشاهداته الزراعية في جبل الشَّرف، إذ

(١) بولنز، **نباتات الصباغة والنسيج**، ضمن كتاب: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج٢، ص١٣٩٧.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١٩٧/٣؛ وانظر: الطاهري، **الفلاحة والعمران القروي بالأندلس**، ص١٣٤-١٣٦.

(٣) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١٩٧/٣.

يبدو أن حريقاً هائلاً قد قضى على مساحات واسعة من شجر الزيتون التي عادت ونبتت في عامٍ تالٍ، كما يذكر ابن العوَّام، ثم قلّمها الفلاحون إلاَّ أنَّها لم تنجح.

ومِمَّا يؤسَف عليه أنَّ ابن العوَّام لم يحدد لنا تاريخ هذه الحادثة، وليته ذكر لنا تاريخاً محدداً لمثل هذه المشاهدات والحوادث التي قد تمكن الباحثين من حلّ كثيرٍ من الجوانب الخفية في سيرة هذا الرجل، وسير غيره من علماء الفلاحة الأندلسيين.

ويقص لنا ابن العوَّام مشاهدة أخرى وقعت له في جبل الشَّرف، فيقول: "رأيت جملة من الأشياخ بالشرف، يفعلون بِذَرْق الحمام مثل هذا، ورأيت أصل زيتون قد طرح عند أصله وقِر دابة من ذَرق الحمام، في يوم كثير المطر، فلم يضره ذلك، وأعلمني ثقة أنَّ رجلاً طرح ذرق الحمام في أصول زيتون قبل شهر (يناير) وذلك في الخريف، فلم يضرّها ذلك"[(١)].

والمتتبع لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام، يقف على عشرات الأخبار التي كان جبل الشَّرف مسرحاً لها، وهي تدور حول مشاهداته الزراعية، وتجاربه على النبات والأشجار، واستصلاح الأراضي الزراعية، والقضاء على الحشرات، ودفع القوارض والآفات النباتية إلى غير ذلك مِمَّا يتصل بأعمال الفلاحة.

(١) **المصدر السابق**: ٢٧٣/٣.

مؤلفات ابن العوّام:

١. **الفلاحة الأندلسية:** وهو موضوعنا في هذا العمل وسيأتي الحديث عن تحقيق نسبته لابن العوّام في فصل قادم.

٢. **رسالة في تربية الكروم:** وهي رسالة نشرها المستشرق منكادا في استوكلهم في سنة (١٨٨٩م)، ولم نقف عليها[1].

٣. **عيون الحقائق وإيضاح الطرائق:** وهي رسالة مخطوطة توجد في تشستربيتي برقم (٤٠١٩)[2]، ولكن عند مراجعة المخطوط الموسوم بـ"عيون الحقائق وإيضاح الطرائق" تبين أنّه من تأليف أبي القاسم محمد بن محمد المعروف بالعراقي، وأنّ موضوع الكتاب يدور حول السحر والعزائم والشعوذات، وهو أمر لا يستقيم مع فكر ابن العوّام ومنهجه التجريبي العلمي الذي اطرّح كل أنواع السحر والعزائم والطلسمات المتصلة بالفلاحة النبطية.

٤. **المترل الريفي:** ذكره ناصر حسين صفر، فقال: "من الكتب الزراعية التي لها علاقة بهذا الخصوص كتاب "المنْزل الريفي" الذي ألفه ابن العوّام، وهو يعتبر خلاصة أحسن الوسائل الزراعية في ذلك العهد،

(١) سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة:** ١/١٩٤؛ الزركلي، **الأعلام:** ٨/١٦٥.

(٢) الزركلي، **الأعلام:** ٨/١٦٥.

وفيه يشرح بالتفصيل لأهم صفات وأعراض أمراض الحيوانات الداجنة التي تعيش بالمترل الريفي، وكيفية تربية هذه الطيور ورعايتها، والأدوات المستعملة في تربيتها"[1].

قلنا: لعلّ صفراً توهم اسم هذا الكتاب اعتماداً على ما جاء عند ابن العوّام في "الفلاحة الأندلسية" في القسم الأخير منه الذي يُعنى بتربية حيوانات المزرعة، والحيوانات الأليفة: كالدجاج والطواويس وغيرها.

٥. **كتاب العلاجين:** الذي ذكره القلقشندي[2] في موضوع البيزرة والبيطرة، ويبدو أن الأمر لا يعدو أنّ يكون تحريفاً عن لفظة "الفلاحين" وهو ما قصده القلقشندي.

* * * * *

(١) صفر، **دراسة مقارنة في كتب التراث الزراعية**، بحث في **مجلة المورد**، ١٩٨٥، مجلد ١٤، عدد٤، ص١٣٧.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى:** ١/٤٧٤.

الفصل الثالث

مصادر الكتاب

إنَّ الدارس لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام يُدهش من تنوُّع مصادر موسوعته الفلاحية، وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه المستشرقة الإسبانية سانشيز، فقالت:

"إنَّ كتاب الفلاحة مجموعة كبيرة من الإحالات على نصوص أندلسية ومشرقية، بيد أنَّه في هذه الخاصية بالذات تكمن إحدى أكثر ميزاته أهمية، وبعثاً على الاهتمام، إذ لا يشكل العمل موجزاً للنظريات الزراعية السابقة فحسب، بل يمكنه أن يعيننا أيضاً على إعادة صياغة النصوص الأصلية لبعض المؤلفين، خصوصاً للفترة الأندلسية، الذين وصلت أعمالهم بشكل مبتور أو مجزوء.

ويحتوي كتاب الفلاحة، وهو أحد المؤلفات القلائل التي وصلت إلينا كاملة، جميع المعارف الزراعية والحيوانية الشائعة في وقته، كما يستوعب التراث البستني السابق ويختصره، ويمحصه ويحييه في آن واحد، ثم إنَّه يرسي فوق ذلك تقليداً للتأمل المصاحب للتجربة، مثلما يقول المؤلف: "ولم أثبت فيه شيئاً من رأي إلاَّ ما جربته مراراً فصح"[1].

---

(١) سانشيز: **"الزراعة في إسبانيا المسلمة"**، ضمن كتاب **"الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس"**، ج٢، ص١٣٧٥.

قلنا: إنّ رأي سانشيز في مصادر ابن العوّام، وفي القيمة العلمية لكتابه "الفلاحة الأندلسية" مقبول إلى درجة كبيرة، وهو رأي باحثة صدر عنها بعد دراسة وافية لكتاب ابن العوّام، ولكن قولها إنّ كتاب ابن العوّام قد وصل إلينا كاملاً غير صحيح، إذ سقط الباب الأخير من الكتاب والمتعلق بتربية الكلاب.

وأشار محمد زهير البابا إلى استفادة ابن العوّام من "جميع المؤلفات التي ظهرت واشتهرت قبله في علم الفلاحة، وخاصة كتاب "الفلاحة النبطية" لابن وحشية، وكتاب الفلاحة الرومية لقسطوس الرومي، كما استفاد من بعض المؤلفات المشابهة التي ظهرت في بلاد الأندلس..."[1].

وعلى الرغم من أهمية الرأيين المتقدمين لسانشيز والبابا، فإنّهما يبقيان في إطار العموميات فيما يتعلق بمصادر ابن العوّام في فلاحته، ولذا فإنّ التعرف على هذه المصادر وقيمتها العلمية، ومعرفة مدى إفادة ابن العوّام منها، لا يكون إلاّ بعد تقسيمها وتصنيفها على وفق موضوعاتها.

إنّ المتتبع لمصادر ابن العوّام في قسمي كتابه: النباتي والحيواني، يلحظ أنّ مصادر الرجل قد تنوعت وتعددت، ويمكن تقسيمها بعد سبرها إلى الآتي:

---

(١) البابا: **"التركيب والإنشاب في علم الفلاحة عند العرب"**، الموسم الثقافي **لمجمع اللغة العربية الأردني**، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٥٤.

أولاً: المصادر القديمة.

ثانياً: تجاربه الفلاحية.

ثالثاً: مشاهدات ابن العوّام ومعاينته الميدانية لأمور الفلاحة.

رابعاً: رواياته الشفوية عن الفلاحين.

أولاً: المصادر القديمة:

ونبدأ بالمصادر القديمة التي نهل ابن العوّام من معينها العذب وموردها الكثير الزِّحام، حيث تعددت وتفرعت، فمنها ما هو نبطي، ومنها ما هو رومي، ومنها ما هو أندلسي، ومنها ما هو معجمي أو لغوي، ومنها ما هو أدبي إلى غير ذلك، وبناءً على هذا التنوع والتعدد، فإنّنا نحاول حصر مصادر فلاحته القديمة في الآتي:

أ. الفلاحة النبطية:

إنّ كتاب "الفلاحة النبطية" المنسوب لابن وحشية الكلداني من المصادر الأساسية التي اعتمدها ابن العوّام، وقد نص على ذلك صراحة في مقدمته، مبيناً أنّه كان انتقائياً في أخذه من "الفلاحة النبطية"، وأنّ ما أخذه منها كان مبنياً على الاستحسان والاختيار للمادة التي يراها مناسبة لفكره وبيئته، ومنهجه ورؤيته لعلم الفلاحة، يقول: "واعتمدت أيضاً مع ذلك على ما استحسنته، مِمّا تضمَّنته الكتب المذكورة بعد هذا، منها: كتاب الفلاحة النبطية؛ تأليف: قوثامي، وهو مبني على أقوال جِلّة الحكماء وغيرهم، وذكر فيه أسماءهم، وعدد منهم: آدم، وصغريث،

وينبوشاد، وأخنُوخا، وماسي، ودوناي، وطامثرى وغيرهم"[١].

وربما وقع ابن خلدون في وهم، عندما قرأ في مقدمة ابن العوَّام لكتابه "الفلاحة" قوله عند الحديث عن الفلاحة النبطية: "وربّما اختصرت ذكر هذا الكتاب، وأثبت له علامة، وهي (ط)"[٢]، ولو فرضنا أن النسخة التي كانت بين يدي ابن خلدون قد أخلت بلفظة "ذكر"، فإنَّه يفهم من ذلك أن عمل ابن العوَّام كان اختصاراً لفلاحة النبط، وسيأتي ردُّ مقالة ابن خلدون فيما بعد.

لقد رجع ابن العوَّام مئات المرات إلى "الفلاحة النبطية"، والتقط منها ما رآه مناسباً لكتابه، وقد تعددت طرقه في الإشارة إلى هذا الكتاب، وقد جاءت اقتباساته من الفلاحة النبطية على النحو التالي:

- وفي الفلاحة النبطية[٣] في غراسة الكروم المُعرّشة... وفي الفلاحة النبطية[٤] أيضاً... وفي الفلاحة النبطية[٥] أيضاً.
- قال قوثامي في الفلاحة النبطية[٦].

(١) ابن العوَّام، الفلاحة الأندلسية: ١/ ٢٤ (قديم).

(٢) **المصدر السابق**: ١/ ٢٤.

(٣) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/ ٣٨٢.

(٤) **المصدر السابق**: ٢/ ٣٨٨.

(٥) **المصدر السابق**: ٢/ ٣٨٩.

(٦) **المصدر السابق**: ٢/ ١/ ٢٥٧؛ ٢/ ٢٧٥؛ ٣/ ٢٨٦؛ ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٥.

- وفي الفلاحة النبطية قال قوثامي[١].
- قال صغريث[٢].
- قال صغريث في الفلاحة النبطية[٣].
- قال ينبوشاد[٤].
- قال ماسي[٥].
- قال ماسي السُّوراني[٦].
- قال أبو بكر بن وحشية[٧].
- قال طامثرى[٨].
- قال طامثرى الكنعاني[٩].

(١) **المصدر السابق**: ٢/ ٥٣، ٢١٨، ٢٤٤.

(٢) **المصدر السابق**: ٢/ ١٧٩، ٣٢١، ٣٩٩؛ ٣/ ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٨٦، ٣٥٨.

(٣) **المصدر السابق**: ٣/ ٥٢٣.

(٤) **المصدر السابق**: ٢/ ١٥٩، ٢٩٧، ٤٠٥؛ ٣/ ٢٦٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٤٤٥.

(٥) **المصدر السابق**: ٢/ ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٥.

(٦) **المصدر السابق**: ٣/ ٢٤١، ٣٦٤، ٤٨١.

(٧) **المصدر السابق**: ١/ ٢٢٠.

(٨) **المصدر السابق**: ٢/ ٩٠.

(٩) **المصدر السابق**: ٢/ ٤٠٨؛ ٣/ ٣٦٧، ٣٦٨.

- قال آدم[1].

- قال أنوحا[2].

- قال أنوحا وماسي وطامثرى[3].

إنَّ اقتباسات ابن العوَّام من الفلاحة النبطية في معظمها جاءت بالمعنى، وإن جاءت حرفية في بعض الأحيان، ولكن دوره في إعادة صياغة هذه الاقتباسات كان واضحاً.

وفوق ذلك، فإنَّ منهجية ابن العوَّام في الرجوع إلى كتاب "الفلاحة النبطية"، وإشاراته الدقيقة إلى ما أخذه عنه، تنفي بشدة فكرة ابن خلدون القائلة بأنَّ فلاحة ابن العوَّام اختصار لفلاحة النبط، وستأتي مناقشة رأي ابن خلدون في الفصول القادمة كما أسلفنا.

ب. كُتب الفلاحة الرومية:

يبدو أنَّ كِتاب "الفلاحة الرومية" لقسطوس الرومي، هو أهم المصادر الفلاحية اليونانية التي رجع إليها ابن العوَّام مباشرة، وعادة ما يشير إليه ابن العوَّام بقسطوس، وعند الرجوع إلى كتاب "الفلاحة الرومية" المطبوع على أنَّه من تأليف قسطا بن لوقا البعلبكي، نجد أنَّ

(١) **المصدر السابق:** ٣٩٢/٢.

(٢) **المصدر السابق:** ١٣٧/٢، ٣٩١، ٣٩٥؛ ٣٦٤/٣.

(٣) **المصدر السابق:** ٢٨٥/٣.

النصوص التي اقتبسها ابن العوَّام متطابقة إلى درجة كبيرة مع نصوص "الفلاحة الرومية"، علماً بأنَّ أغلب النصوص المأخوذة عن قسطوس كان مرجعه فيها هذا الكتاب[1].

ويبدو أن كتاب "المقنع" لابن حجاج الإشبيلي كان مصدراً مهماً لابن العوَّام في نقل آراء علماء الفلاحة من: اليونان والرومان والبيزنطيين، والأفارقة، والإسبان[2]، والدارس لكتاب ابن العوَّام في الفلاحة يجد جملة وافرة من علماء اليونان والرومان الذين عَوّل على آرائهم، ونقلها في النبات والحيوان، وأمور الفلاحة ومتعلقاتها، منهم:

- أرسطوطاليس[3].
- أبوليوس[4].
- أفليمون حيث اعتمد على كتابه "قود المياه"[5].
- أنطرليوس[6]، ويصفه بالأفريقي أحياناً.
- آنون، وقد وصفه بالماهر في الفلاحة[7].

(١) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية:** ٢٧/٢، ٣٥، ٣٦٢، ٤١٥، ٤٧١.

(٢) انظر: **المصدر السابق:** ٢١/١-٢٣.

(٣) انظر: **المصدر السابق:** ٢٩١/٣، ٤٧٨، ٥٠٧.

(٤) **المصدر السابق:** ٣٥٦/٣.

(٥) **المصدر السابق:** ٢٩٣/١، ٢٩٥.

(٦) **المصدر السابق:** ١٩٤/٢؛ ٢٦١/٣، ٤١٠، ٥١٨.

(٧) **المصدر السابق:** ٧٠/٢، ٢٩٦؛ ٣٥/٣.

- بارون الرومي[١].
- بروانطيوس[٢].
- بريعالوس[٣].
- بولعالوس[٤].
- بيردون[٥].
- جالينوس[٦].
- ديموقراطيس[٧]، وقد ينعته أحياناً باليوناني.
- سادهمس[٨]، وينعته أحياناً بـــ"العالم".

(١) المصدر السابق: ٢/١٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٢/١٧٦؛ ٣/١٩٥.

(٣) المصدر السابق: ١/١٦١، ٦/١٦.

(٤) المصدر السابق: ٢/٦٣، ٧٠، ٧٨، ١٤٣، ١٥١، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٧؛ ٢/٣٤٠؛ ٣/٢٩، ٣٠٣، ٣٥٦.

(٥) المصدر السابق: ٢/٢٦٨؛ ٣/٢٢١، ٣٧٥.

(٦) المصدر السابق: ٣/٢١٩.

(٧) المصدر السابق: ٣/٢١٥.

(٨) انظر: المصدر السابق: ٢/١٩، ١٥٤، ١٦١، ١٧٧/ ٢١٥، ٣٢٧؛ ٣/٣٢، ٣٤.

- سمانوس[١].
- سوديون[٢].
- سولون[٣].
- سيداغوس[٤]، ويصفه بالأسباني أحياناً.
- طاربطيوس[٥].
- قروراطيقوس[٦].
- قسطوس[٧].
- كسينوس[٨].

(١) انظر: المصدر السابق: ٢/٧٠، ١٨٩، ٢٦٧؛ ٣/٣٤.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١/٣٥٨، ٣٦٠؛ ٢/٣٢٧.

(٣) انظر: المصدر السابق: ١/١٨٠، ٣٠٩؛ ٢/١٩٨، ٢٦٩؛ ٣/٢٢٢.

(٤) انظر: المصدر السابق: ١/١٨١؛ ٢/١٧٠، ١٧٦؛ ٣/٢٤، ٣٢٨، ٣٥٣؛ ٦/١٢-١٣، ١٧، ٢٨، ١٠٢، ٢٧٠، ٢٧١.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٢/٢٦٧.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٢/٧١، ٢٠٨، ٢١٧، ٢٧٦.

(٧) انظر: المصدر السابق: ١/١٧٧، ٢٣٨، ٢٤٢-٢٤٣، ٣٠١؛ ٢/٢٧، ٣٥، ٣٦٢، ٤١٥، ٤١٧.

(٨) انظر: المصدر السابق: ٢/٨٧، ٣/٤٩، ٣٤٣، ٣٤٦؛ ٦/١٢، ١٤، ١٨-١٩، ٢٥.

- مرسينال[1]، وأحياناً ينعته بالطنيسي.
- مرغوطيس[2].
- منهاريس[3].
- مهراريس[4]، وأحياناً يصفه باليوناني.
- يونيوس[5].

إنَّ قيام ابن العوَّام بهذا التوثيق الدقيق لأسماء علماء اليونان وآرائهم في الفلاحة، جعل من كتابه مصدراً مهماً في التعرف على أصول هذه النصوص، يقول بوراوي الطرابلسي: "وألف ابن العوَّام موسوعة في الفلاحة، حملت عنوان كتاب الفلاحة، جمع فيها كل ما كتبه القدماء في فن الفلاحة، وقد ساعدتني هذه الموسوعة كثيرا في التعرف على أصل النصوص الرُّومية والنَّبطيَّة"[6].

---

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٢/١٥٥، ١٩٨، ٢١٦، ٣٥٨؛ ٣/٧، ٣٤، ١٩٤.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٨٧، ١٣٦، ١٧٨، ٣١٩، ٣٢٦.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٩.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٣/١٩٠، ٣٢٧، ٤٣٥.

(٥) انظر: **المصدر السابق**: ٢/١٩؛ ٣/٧، ٨، ١٥، ٣٢١-٣٢٩.

(٦) الطرابلسي، **نشأة علم الفلاحة العربي**، ص١٩.

وفوق ذلك، فقد وقر في الحس الثقافي عند خاصة أهل الأندلس، أنَّهم ورثة اليونان حضارياً في موضوع الزراعة على وجه الخصوص، حيث فخروا بأنَّهم: "يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر، وصنوف الزهر"[1].

وينقل المقري عن ابن غالب نصاً آخر يعضد ما ذهبنا إليه، يقول في حديثه عن أهل الأندلس: "فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت؛ ولأنَّ اليونانيين سكنوا الأندلس، فورثوا ذلك عنهم"[2].

وأورد المراكشي خبراً طريفاً في ترجمته لأحد علماء النبات والطب في الأندلس، ويدل خبره على قوة الامتزاج الثقافي بين الأندلس وبلاد اليونان، يقول: "علي بن عبد الله: إشبيلي، أبو الحسن غلام الحُرَّة، كان أديباً... ذا مشاركة في الطب، وتقدم في معرفة النبات، وله "شرح في كتاب دياسقوريدس" أفاد به، وضبط كثيراً من أسماء الأدوية المذكورة فيه، تلقاها عن مملوكته آنه القريقية، وكانت وقعت إليه من سبي سرقوسة صقلية، وكانت أمها قابلة عارفة للحشائش والأدوية..."[3].

---

(١) المقري، **نفح الطيب**: ٣/١٥١.

(٢) **المصدر السابق**: ٣/١٥٢.

(٣) المراكشي، **الذيل والتكملة**: السفر الخامس، القسم الأول، ص٢٣٩.

والمقصود باليونانيين هنا الرومان، ولكن حبذا لو عرف الأندلسيون أن أجدادهم قد جاءوا إلى الأندلس –قبل دخولهم إليها زمن الفتح الإسلامي–، من أرض كنعان وفينيقيا، وأنشأوا فيها حضارة زاهرة قبل غزوها من قِبَل الرومان[1].

ج. كتب الفلاحة الأندلسية:

لا شكّ في أنّ مدرسة الفلاحة العربية في الأندلس قد نمت وتطورت، وأفادت من المعارف النبطية واليونانية، ومن جهود مؤلفي المشرق العربي في الفلاحة.

وقد تراكمت لدى هذه المدارس مواد معرفية كبيرة، إضافة إلى مناسبة البيئة الأندلس للزراعة والنبات، وهي المعروفة بكثرة مياهها وأمطارها، وما تبع ذلك من ظروف اقتصادية وسياسية، واجتماعية وتشريعية، مكنت هذه المدرسة من التطور والازدهار والإبداع، ولذا فإنّ كتاب ابن العوّام في الفلاحة هو خِتَام مِسَكِ هذه المدرسة الفلاحية الأندلسية من جانب، وهو صاحب الفضل في "ذيوع صيت المدرسة الفلاحية الإشبيلية في أوساط الدارسين منذ فترة مبكرة"[2] من جانب آخر.

(١) انظر: غلاب، **الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ**، ص٤٨٤-٤٨٦.

(٢) الطاهري، **الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر ابن عباد**، ص١٦٧.

وقد نصّ ابن العوّام على أبرز أعلام الفلاحة الأندلسية الذين نقل من كتبهم، وأفاد من تجاربهم، وقد عكست لنا مقدمته تقويماً دقيقاً لمصادر الفلاحة الأندلسية، مع بيان لقيمة كل واحدٍ منها وميزته، ومِمَّن ذكره ابن العوّام من علماء الفلاحة في الأندلس.

١. ابن حجاج الإشبيلي:

هو أول الفلاحين الأندلسيين الذين اعتمد ابن العوّام كتبهم، يقول: "واعتمدت على تضمينه كتاب الشيخ الفقيه أبي عمر ابن حَجّاج –رحمه الله– المسمى بـ"المقنع"، وهو الذي ألّفَه سنة ست وستين وأربعمائة، وهو مبني على آراء أجِلّة [كذا في الأصل ولعلها جِلة] الفلاحين، والمتكلمين، نقل فيه نصوصهم، وعزاها إليهم، وعددهم ثلاثون رجلاً. والمقدمون منهم: يُونيُوس، وبارون..."[1].

والملاحظ أنّ ابن العوّام قد قدّم في كتابه ابن حجاج الإشبيلي، وذكر اسم كتابه "المقنع" صراحة، كما أنّه وصفه بالشيخ والفقيه والإمام، وكان غالباً ما يأتي بذكر اسمه مقروناً بالترحم عليه، كما أنّ ابن العوّام قد نهل من معين "المقنع" حتى ارتوى، ولذلك فإنّه يمكن القول بكل اطمئنان: إنّ ما هو مطبوع من "المقنع" لا يمثل ثلثه، وأنّه يمكن من خلال مراجعة فلاحة ابن العوّام، استدراك ثلثي هذا الكتاب المفقود جُلّه.

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٢٣.

أما سرُّ تقديم ابن العوَّام لابن حجاج الإشبيلي على غيره من علماء الفلاحة الأندلسيين، فربما عاد ذلك إلى انتماء الاثنين إلى مدينة إشبيلية، وأمَّا الترحم عليه، فربما كان ابن حجّاج من شيوخه أو شيوخ شيوخه، أو أنَّ بين يديه نسخة من كتاب "المقنع" بخط ابن حجاج نفسه، ولكن إثبات ذلك يحتاج إلى مزيد من الوثائق والمخطوطات، والنصوص الجديدة التي تكشف لنا أسرار هذه المدرسة الفلاحية العظيمة التي يلف الغموض سير أغلب رجالها وأخبارهم.

ولعلَّ من الملائم الإشارة إلى أن اعتماد ابن العوَّام على كتاب ابن حجاج الإشبيلي، جاء في الأعم الأغلب في الجانب النظري، وفي معرفة آراء فلاحي الروم، والإسبان والأفارقة[1] وغيرهم، ودليلنا على ما تقدم ذكره قول ابن العوَّام في كتابه:

"وقدمت في فلاحة الأرضين، ما أثبته الشيخ الخطيب أبو عمر بن حَجّاج –رحمه الله– في كتابه من آراء القدماء المذكورين في ذلك"[2].

٢. ابن بصَّال الطليطلي الأندلسي:

أمَّا المصدر الثاني من مصادر الفلاحة الأندلسية التي اعتمدها ابن العوَّام، فهو كتاب ابن بصَّال الطليطلي في الفلاحة، يقول ابن العوَّام:

(١) انظر: **المصدر السابق:** ٢/١٥٠، ٢٥٤، ٢٩٥، ٣٧٥.

(٢) **المصدر السابق:** ١/٢٧.

"... وعلى كتاب الشيخ أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن البصَّال الأندلسي –رحمه الله– وهو المبني على تجاربه وعلامته على وجه الاختصار (ص)"[1].

ولعلَّ الكتاب المقصود هو "القصد والبيان" الذي لم يصل إلينا كاملاً، وأصله كتاب ضخم عنوانه: "ديوان الفلاحة"، وقد اختصره ابن بصَّال أو أحد تلاميذه وسمّاه "القصد والبيان"[2]، ولابن بصَّال كتاب ثالث بعنوان: "الشجر والنبات"[3].

لقد كان ابن بصَّال من مفاخر الأندلسيين في علم الفلاحة، وبلغ من اعتدادهم بعمله وفضله، وتقدمه على غيره من علماء الفلاحة في الشرق والغرب، أنْ عَدُّوهُ من الفضائل والخصوصيات الأندلسية، فقال أحدهم: "ومنهم ابن بصَّال صاحب "كتاب الفلاحة" الذي شهدت له التجربة بفضله"[4].

ولد ابن بصَّال الأندلسي في طليطلة[5]، ويبدو أنّه قد تتلمذ فيها

(١) **المصدر السابق:** ١/٢٤.

(٢) انظر: G.S. Colin, "**Filaha**" EI².

(٣) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية:** ٣/٤٢٠.

(٤) المقري، **نفح الطيب:** ٣/١٥١.

(٥) انظر: ابن سعيد المغربي، **المُغرب في حُلى المغرب:** ٢/٩.

على يدي أبي المطرف، عبد الرحمن بن محمد اللخمي المعروف بابن وافد (ت: ٤٦٧هـ/١٠٧٤م)[1]، ثم خلفه في الإشراف على حديقة المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، ثم فرّ منها ابن بصّال -بعد سقوطها بين يدي ملك الإسبان ألفونسو السادس سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)- إلى إشبيلية حاضرة المعتمد بن عباد، حيث تولى هناك الإشراف على حديقته المسماة بـ"حائط البستان" أو "جنة السلطان"، فالتف حوله بعض التلاميذ، وكان أبو الخير الإشبيلي واحداً منهم، يقول في حديثه عن نبت اللوبيا: "وقد رأيتها عندنا في جنة السلطان، وكان قد ازدرعها الشيخ الفلاح ابن بصّال"[2].

ولعل هذا الخبر، وغيره من الأخبار النَزرة اليسيرة هو الذي جعل المستشرقة سانشيز تخرج إلى نتيجة مفادها، أنّ وجود ابن بصّال في إشبيلية كان السبب في نشوء مدرسة فلاحية بها، تقول: "لقد أدى وجود ابن بصّال في إشبيلية إلى نشوء مدرسة هناك، يمكن عدها امتداداً لتلك المدرسة الزراعية البدائية التي كانت قد ظهرت إبان فترة الخلافة بقرطبة بتأثير الطبيب الزهراوي، والتي انتقلت فيما بعد ولوقت قصير إلى طليطلة، إذ استطاع ابن بصّال أن يستقطب حوله مجموعة من الشخصيات التي لها اهتمامات علمية متقاربة، دانت له بالمهارة، وعدته أستاذاً لها، اعترافاً منه

(١) انظر: بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ص٥، ج٩، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**: ٤٦٢/١.

بمعارفه الزراعية الجمة"[1].

ويتضح أنّ ابن بصّال قد أدى فريضة الحج ماراً بصقلية، وطاف في بعض بلاد المشرق كمصر وبلاد الشام والحجاز، ويبدو أنه جلب معه ما لدى المشارقة من خبرات معرفية في الفلاحة، أو ما بين أيديهم من المصادر الفلاحية التي لم تصل إلى الأندلس[2].

ويلاحظ أنّ ابن العوّام، قد أفاد في كتابه من التجارب الفلاحية الكثيرة التي دونها ابن بصّال في كتابه، حيث بيّن ابن العوّام ذلك في مقدمته، عندما وصف عمل ابن بصّال قائلاً: "وهو المبني على تجاربه"[3].

أمّا طريقة ابن العوّام في الأخذ من ابن بصّال، فإنّه قد جعل الحرف (ص) اختصاراً لكتاب (ابن بصّال)، وغالباً ما يذكر في كتابه: "قال ابن بصّال[4]، وأحياناً يشير إليه بـ"قال أبو عبد الله"[5]، وقد يقول: قال أبو

(١) سانشيز: "**الزراعة في إسبانيا المسلمة**"، ضمن كتاب: "**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**": ١٣٧٣/٢، وانظر: عادل محمد علي: "**علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصّال**"، **مجلة المورد**، المجلد (٦)، العدد (٤)، سنة ١٩٧٧، ص٢٠٣-٢٠٧.

(٢) انظر: G.S. Colin, "**Filaha**", EI^{2}.

(٣) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٤/١.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٣٠٨/٢، ٣٠٩، ٣٢٢.

(٥) انظر: **المصدر السابق**: ٣٤٩/٢؛ ٤٦/٣، ٤٩، ٦٦.

عبد الله بن البصّال[1]، وقد يقول أيضاً: "ومن كِتَابَيْ الشيخين: أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصّال، والحكيم أبي الخير رحمهما الله"[2]، وقد يقول: "قال ابن بصّال وأبو الخير الإشبيلي"[3]، وقد يقول: "من كتاب الشجر والنبات لابن بصّال"[4].

٣. أبو الخير الإشبيلي:

يقول ابن العوّام عند حديثه عن مصادر الفلاحة الأندلسية التي رجع إليها في كتابه: "وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي –رحمه الله– مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه. وعلامته (خ)"[5].

لقد كان كتاب أبي الخير الإشبيلي في الفلاحة من أهم مصادر ابن العوّام، حيث رجع إليه عشرات المرات، ولكن عند مقابلتنا للنصوص التي اقتبسها ابن العوّام[6] على ما هو مطبوع بعنوان "كتاب في الفلاحة" لأبي

---

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٢٢٥.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ١/١٥٩، ١٨١، ٢٣٣.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ١/١٧٩.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٢٠.

(٥) **المصدر السابق**: ١/٢٥.

(٦) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٤٣٦-٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٥؛ ٣/٥٧.

الخير الإشبيلي، لم نجد هذه النصوص هناك، بل قد نجد أحياناً تشابهاً بينهما في المعنى، مِمَّا يدل بجلاء على أنّ كتاب الفلاحة المطبوع منسوب لأبي الخير وليس له، وقد وجدنا بعض نُقُول ابن العوّام في كتاب "عمدة الطبيب" لأبي الخير الإشبيلي، وخاصة فيما يتعلق بأصناف النباتات والبقول المختلفة.

ومن حسن الحظ أنّ محمد العربي الخطابي قد كشف عن كتاب أبي الخير الموسوم بـ"عمدة الطبيب في معرفة النبات" وأثبت صحة نسبة هذا الكتاب لأبي الخير الإشبيلي.

إنّ أبا الخير المذكور آنفاً، قد أمدنا بشذرات قليلة، ولكنّها كبيرة القدر، جليلة الخطر في الكشف عن المدرسة الفلاحية الإشبيلية التي كان أبو الخير وابن بصّال والطغنري، ثم ابن العوّام من مؤسسيها، وكبار أعلامها.

يقول أبو الخير الإشبيلي في حديثه عن أنواع الياسمين: "وهذه الأنواع كلها بناحية بلنسية وصقلية، والإسكندرية وخراسان، أخبرني به غير واحدٍ منهم ابن بصّال وابن عربي"[1].

ويقول عند الحديث عن أنواع نبات اسمه (يَبْروح): "وأراني هذا النوع ابن بصّال، وأخبرني أنه جَلَب بزره من الشام، وازدرعه بطُليطلة فأنجب"[2].

---

(١) أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**: ٢/٨٣٥.

(٢) **المصدر السابق**: ٢/٨٣٦.

ويتحدث أبو الخير عن النشاط الزراعي لشيخه ابن بصّال في "جنة السلطان"، فيقول:

"ويسمى بالهِلْيَون البستاني، وباللطينية كانتس، ويعرف بخشب الحية، ورأيت هذا النوع، قد ازدرعه ابن بصّال بجنة السلطان، وعرفت صورته"[1].

ويورد أبو الخير خبراً طريفاً عن شيخه ابن اللُّونقُة[2] حول جلب (الهليلج الهندي)، فيقول:

"وأراني منه الحكيم أبو الحسن ابن اللُّونْقُة ثلاث حبّات، وذكر أنها جلبت للمأمون بن ذي النون بطليطلة من الهنديّ [كذا]، وهو عزيز الوجود؛ لأنّه ينبت بالهند الأعلى، وهو أقاصي الهند..."[3].

ويكشف لنا أبو الخير عن بعض المجالس والدروس العلمية المتعلقة بأمور النبات، فيقول: "تذاكرت عند الشيخ أبي الحسن ابن اللُّونْقُة –رحمه

(١) **المصدر السابق**: ٨١٣/٢.

(٢) هو علي بن عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري، من ولد سعد بن عبادة، أبو الحسن الطليطلي، ويُعرف بابن اللُّونْقُة، كان فقيهاً بصيراً بالطب، وله فيه تعاليق، توفي بقرطبة سنة (٤٩٩هـ) تقريبا. انظر: المراكشي، **الذيل والتكملة**: ٥/٢٥٠-٢٥١؛ ابن الزبير، **صلة الصلة**: ٤/الترجمة ١٦٣؛ الذهبي، **المستملح من كتاب التكملة**، ص٣٠٠-٣٠١.

(٣) **المصدر السابق**: ٨٩/١.

الله– ذات يومٍ نبات الفاونيا، وما ذكر فيه، ورأينا كلام (د)، (جـ)، وأن صفة ما ذكر الشيخان مطابق لصفة ورد الحمير فقال الشيخ..."[1].

والمقصود بـ(د) ابن وافد الأندلسي، وبـ(ج) ابن الجبلي وهما من علماء الفلاحة الأندلسية.

ويحدثنا أبو الخير الإشبيلي عن رؤيته للصنف الهندي من نبات (هَليلَج)، فيقول: "ولم أرَ من الهندي إلاّ حَبة واحدةً –على سِنّي– كانت عند شيخي الذي قرأت عليه الصناعة، وهو أبو الحسن ابن اللُّونقة –رحمه الله– وصف لي أنّه أخذها من جملة كانت عند الحكيم ابن وافد –رحمه الله– وكان يفخر بها لغرابتها"[2].

قلنا: إنّ هذه الأخبار الطريفة تدل بوضوح على الآتي:

- **أولاً:** إنّ الفلاحة قد أصبحت علماً وصناعة في الأندلس، لها شيوخها وعلماؤها الذين تؤخذ عنهم.
- **ثانياً:** إنّ بعض علماء هذه المدرسة الذين قصدوا المشرق لأداء فريضة الحج، ولكنّهم وجدوا في هذه الرحلة الدينية المباركة فرصة متاحة للتعرف على جهود المشارقة في علم الفلاحة، وجلب ما لديهم من نباتات لا توجد بأرض الأندلس.

(١) **المصدر السابق**: ٦٢٣/٢.

(٢) **المصدر السابق**: ٨١٣/٢.

- **ثالثاً**: إنَّ بعضاً من ملوك الطوائف قد شجعوا البحث الفلاحي، وأعدوا الحدائق التجريبية لكبار علماء الفلاحة، مع توفير الرعاية والتشجيع التامين لهم.
- **رابعاً**: إن أعلام مدرسة الفلاحة الأندلسية، قد رعوا نجباء تلاميذهم الذين اهتموا بعلم الفلاحة، وأطلعوهم على خبراتهم، ومعارفهم ومصادرهم، مِمَّا جعل هذا العلم راسخاً في الأندلس، يتناقله جيل عن جيل.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّ ابن العوَّام قد أفاد من هذه البيئة العلمية الأندلسية الزاهرة في فن الفلاحة، ولا نستبعد أن يكون ابن العوَّام قد لقي ابن بصَّال وأبا الخير الإشبيلي؛ لأنّه يصف كل واحدٍ منهما بـ"الشيخ"، وقد يقول: "الشيخان" كما مرّ بنا، ودليلنا على ذلك أن أبا الخير الإشبيلي يذكر شيخه ابن اللُّونْقة بلفظة "الشيخ" أو "شيخي"[1] ويترحم عليه، وكذلك فإنَّ ابن العوَّام يذكر ابن حجاج الإشبيلي، وأبا الخير الإشبيلي بلفظة "الشيخ" ويترحم عليهما[2].

وعلاوة على ذلك، فإنّه قد يفهم من كلام أبي الخير الإشبيلي، أنّه عندما ألّف كتابه "عمدة الطبيب" كان مُسناً، حيث يقول: "على

---

(١) انظر: أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**: ٢/٦٢٣، ٨١٣.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٢١، ١٥٠، ٢٩٥.

سنّي"[1] أي إنَّه كان قد عُمّر طويلاً، فلعل ابن العوَّام قد عاصره، وأخذ عنه علم الفلاحة.

وقد أفاد ابن العوَّام من كتاب أبي الخير في الفلاحة -الذي هو في حكم المفقود الآن- في الجانبين النظري والعملي، أي من نقولات أبي الخير عمن تقدمه من علماء الفلاحة.

وأفاد أيضاً من تجاربه الفلاحية، ورمز لكتاب أبي الخير في الفلاحة بالحرف (خ)[2].

٤. الحاج الغرناطي:

أشار ابن العوَّام في مقدمة كتابه "الفلاحة الأندلسية" إلى رجوعه إلى كتاب الحاج الغرناطي، يقول:

"وكتاب الحاجّ الغرناطي، وعلامته (غ)"[3].

والدارس لمصادر التراث الأندلسي، يجد أنَّ الحاج الغرناطي هو الوحيد الذي خصته المصادر الأندلسية بترجمة مفردة، في حين أنَّ غيره من علماء الفلاحة كانت تأتي أخبارهم عرضاً، وقلّما يلتفت إليهم في كتب الأدب والسِّير والتراجم؛ لأنَّ جُلّ التراجم كانت مقصورة على الوزراء

---

(١) أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**: ٢/٨١٣.

(٢) انظر: ابن العوَّام: ١/٢٥.

(٣) ابن العوَّام، **المصدر السابق**: ١/٢٥.

والكتّاب والشعراء[1] عند أغلب كتب التراجم، ولاسيّما بعد القرن السادس الهجري.

لقد حظي الحاج الغرناطي بترجمة قصيرة في كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"، يقول لسان الدين بن الخطيب، "محمد بن مالكِ المُرِّي الطِّغْنري: من أهل غرناطة، من ذوي البيتية والحسب فيها... أديب نبيل، شاعر، على عهد الأمير عبد الله بن بُلقين بن باديس صاحب غرناطة... وكان من أهل الفضل والخير والعلم.

من تواليفه كتابه **الشهير في الفلاحة**، وهو بديع، سمّاه "زهر البستان ونزهة الأذهان"، عبرة في الظَّرف. قال: وجرى له مع سَماحة خليفة عبد الله بن بلقين قصّة... كان حيّاً سنة ثمانين وأربعمائة. وأمر أن يكتب على قبره..."[2].

فنص ابن الخطيب يكشف لنا أن الرجل غرناطي، وأنّه أديب شاعر، وقد اتصل بأمراء غرناطة من الصنهاجيين مادحاً لهم، وكان كتابه في الفلاحة "زهر البستان" مشهوراً في زمن ابن الخطيب، كما أنّه كان حيّاً في سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م).

(١) انظر: ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق١، م١، ص٢٣-٣٢، وكانت عبارته التي يبدأ فيها كل قسم من أقسام كتابه: "وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء، وأعيان الكتاب والشعراء، جملة موفورة".

(٢) لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**: ٢/٢٨٢.

ويبدو لنا أن سرّ وجود هذه الترجمة في مصادر التراجم الأندلسية، أنّ الطغنري كان شاعراً لا فلاحاً، فالشعراء والكتاب الوزراء والفقهاء والقضاة، وممن لفّ لفهم، وكل من كان متصلاً بالسلطان تحفظ سيرته، وتدون أخباره -كما أشرنا من قبل-، أما العلماء في الفلاحة والأطباء والحكماء -بشكلٍ عام- فقلّما يفوز أحدهم بترجمة أو خبر إلاّ ما جاء عرضاً، أو كان أحدهم شاعراً أو كاتباً أو قاضياً.

وتشير بعض الدراسات إلى أن الطغنري قد ترك غرناطة متوجهاً إلى المريّة، وهناك أجرى تجاربه الزراعية في حدائق القصور الملكية في (الصمادحية)، وذلك بعد رحلاته إلى شمال أفريقيا وبلاد المشرق، ثم انضم إلى حلقة ابن بصّال العلمية في الفلاحة في إشبيلية، وقد "أهدى الطغنري مؤلفه الموسوم بـ"زهرة البستان ونزهة الأذهان" إلى حاكم غرناطة المرابطي، أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين.

وعلى الرغم من أنّ هذا العمل وصل إلينا ناقصاً بأكثر من النصف، إلاّ أنّه يُعدُّ واحداً من أفضل الرسائل الزراعية الأندلسية نظاماً وترتيباً، إذ تمتزج فيه المعرفة النظرية بالخبرة والتجربة الحيتين، وتنم قراءته عن معرفة عميقة وواسعة بموضوعات شتى كالطب والبستنة والنحو وغير ذلك"[1].

ويتضح لنا مِمَّا سبق، أن الحاج الغرناطي المعروف بالطغنري، كان

(١) سانشيز، **"الزراعة في إسبانيا المسلمة"**، ضمن كتاب **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**: ٢/١٣٤٧، وانظر: G.S. Colin, “**Filaha**”, EI².

يجمع بين النظرية والتطبيق في الفلاحة، شأنه شأن أبي الخير الإشبيلي، ولذلك، فإنّه قد جاء المصدر الرابع في الأهمية وفقاً لترتيب ابن العوّام لمصادره في الفلاحة الأندلسية، ورجع إليه عشرات المرات في كتابه[1].

٥. ابن أبي الجواد:

لقد عَدّ ابن العوّام "كتاب ابن أبي الجواد"[2] واحداً من مصادره في الفلاحة، على الرغم أنّه لم يرجع إليه إلاّ مرة واحدة في حديثه عن تساقط ثمر شجر التين[3]، ولعلّه كان يعزو إليه في جملة علماء الفلاحة الأندلسيين الذين عزا إليهم دون ذكر أسمائهم.

ولكننا لم نقف على اسم كتاب هذا الرجل كاملاً في المصادر، وتذكر سانشيز معلومة مهمة عن ابن أبي الجواد، قالت:

"ونجد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نصاً آخر في علم الزراعة، تم نشره مؤخراً، من دون تسمية مؤلفه، على الرغم من أن كل البيانات المتوفرة تشير إلى ما يبدو إلى كاتب مغمور هو ابن الجواد، وتنحصر مادة العمل المذكور، الموزعة على عشرة فصول، في ثلاثة من

(١) انظر: ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣٣/٢، ١٤٥، ١٦٤، ٢٥٦، ٢٧٧-٢٧٨، ٣٢٣، ٣٤٦؛ ٥٧/٣، ٢٠٦، ٢٠٧؛ ٤٤٢/٣؛ ٢٨٣/٦.

(٢) **المصدر السابق**: ٢٥/١.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٣٢٨/٣.

ميادين علم الزراعة، هي: زراعة الأشجار، والبستنة، والجنانة"[1].

وللأسف فإنّنا لم نتمكن من الوقوف على هذا الكتاب المنشور حديثاً في إسبانيا على الرغم من جدنا في طلبه.

٦. عَرِيب بن سعد:

لم يحدد لنا ابن العوّام عنوان كتاب عَريب في الفلاحة، ولكن عريباً كان مؤرخاً وكاتباً وطبيباً، فقد اختصر تاريخ الطبري وكتب له صِلةً، وكانت وفاته في سنة (٣٦٩هـ/٩٨٠م)[2].

ويبدو أنّ كتاب عَرِيب الذي رجع إليه ابن العوّام هو "كتاب الأنواء" الذي وصل مخطوطاً بخط عبري، وتَوَلّى نشره دوزي وبيلا مع النص العربي[3].

يقول فؤاد سزكين في حديثه عن كتاب الأنواء لعريب: "وهذا الكتاب من كتب الأنواء الأندلسية القليلة التي وصلت إلينا، وكان على ما يبدو ذائع الصيت في الأندلس، وفي الغرب النصراني من خلال الترجمة

(١) سانشيز: "**الزراعة في إسبانيا المسلمة**"، ضمن كتاب: "**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**": ١٣٦٩/٢.

(٢) انظر: بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) سزكين، **تاريخ التراث العربي**، المجلد السابع، ص٥٠٨-٥٠٩؛ شاخت وبزورث، **تراث الإسلام**، ق١، ص٣٠٥.

اللاتينية له. وعلى الرغم من أنّ الثوابت العددية فيه لا تتفق مع الأحوال الأندلسية؛ لأنّ المؤلف اعتمد -في جمعها- على مصادر تقليدية في الأنواء ألفت في بلدان أخرى وبخاصة مصر، فإنّ المعلومات المتصلة بالفلاحة والإدارة خلال القرن الرابع/ العاشر في هذا الكتاب ذات أهمية عظيمة كما يرى شارل بيلا"[1].

والملاحظ أن ابن العوَّام قد رجع إلى عريب بن سعد في موضوع تغذية النبات وأمراضه[2]، ورجع إليه في موضوع حمل الخيل، وإنزاء الفحول عليها، يقول: "وقال عَرِيب بن سعد الكاتب القرطبي: مدة حمل الرّمكة من يوم علوقها إلى يوم وضعها عشرة أشهر"[3].

وفي الجملة كانت إحالات ابن العوَّام على عَريب بن سعد القرطبي قليلة.

د. كتب البيطرة وعلاج الحيوان:

لقد اعتمد ابن العوَّام على مصدرين أساسيين في البيطرة، حيث ذكر لنا "محمد بن يعقوب بن حِزام" ولم يسمِ مُصنَّفَه، وتبين لنا أنَّه بغدادي عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ألّف كتاباً

---

(١) سزكين، **تاريخ التراث العربي**، المجلد السابع، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٢) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣/٤٧٤.

(٣) **المصدر السابق**: ٦/٥٤، ٥٦.

بعنوان "الفروسية والبيطرة"، للخليفة العباسي المتوكل، وتمام اسمه: أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن غالب بن علي بن أخي حِزام الخُتُّلي، وله أكثر من كتاب في الفروسية وركوب الخيل[1]، ولعله "أبي" بدل: "أخي"؛ لأنّ العرب لا تقول: "أخي فلان".

وقد رجع إليه ابن العوَّام مرات كثيرة، ونقل عنه نقولاً طويلةً قد تزيد عن صفحة أحياناً[2]، ويبدو أنّ هذا الكتاب من الكتب الأمهات والأصول في علم البيطرة عند العرب على قلتها.

ورجع في موضوع حِران الخيل إلى كتاب البغدادي[3]، ولعلّه محمد بن يعقوب بن أخي حزام السالف الذكر.

أما مصدره الثاني في موضوع الخيل والبيطرة، وسياسة الدواب وغيرها، فهو موسى بن نصر الذي لم نقف له على ترجمة أو خبر، وقد أفاد منه ابن العوَّام في رياضة الخيل وركوبها وعلاجها[4]، وربما كان موسى بن نصر أندلسياً.

---

(١) انظر: النديم، **الفهرست**: م٢، ص٣٤٨ (تحقيق: أيمن فؤاد سيد)؛ سزكين، **تاريخ التراث العربي**، المجلد الثالث (طب، صيدلة،علم الحيوان، البيطرة حتى نحو ٤٣٠هـ): ٢/٥٨٩.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٦/٣٨، ٤٠-٤٢، ٥٥، ٦٨، ٧٢، ٨٦، ١٠٩، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٨.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٦/١٢٨.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٦/٤٦، ٦٢، ٨٣، ٨٦، ٩٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٠-١٥٢.

هـ. كتب الأدب واللغة والنبات:

حيث رجع ابن العوّام في فلاحته إلى مصدرين أساسيين في هذا الموضوع، وهما كتاب "الحيوان" للجاحظ[1]، وكتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة[2]، وخاصة فيما يتعلق بأوصاف الحيوان وعيوبها وطبائعها.

ويبدو أن ابن العوّام قد رجع إلى كتب: محمد بن سلام، والأصمعي وأبي عبيدة، وغيرهم من كبار اللغويين، ولكنّنا لم نجد نصّاً محدّداً معزواً لهم في كتبهم المطبوعة في الخيل أو اللغة[3].

وأفاد ابن العوّام من كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدِّينوري، الذي رآه البغدادي في "مجلدات كبار ستة"[4]. وهذا الكتاب وغيره من كتب النبات المؤلفة في المشرق قد حملت الأندلس، ودرس في الحلقات العلمية هناك؛ يقول ابن خير الإشبيلي: "كتاب النبات؛ لأبي حنيفة، وكتاب الأنواء له، وكتاب القبلة له، حدثني بها شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي ﷺ، عن أبي علي الغساني –رحمه الله– قال: حدثني بها إجازة أبو عبد الله محمد بن محمد بن بشير المعافري عن أبي الوليد هشام بن عبد

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٦/٢٤٥، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٨٠.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٦/٤٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٣-٧٥، ٧٧، ٧٩.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٦/٤٦، ٧٢، ٧٧، ١٩٤، ٢٢٠، ٢٣٣.

(٤) البغدادي، **خزانة الأدب**، ص٥١.

الرحمن الصابوني، عن أبي القاسم علي بن إبراهيم بن محمد التميمي الدهكي البغدادي، عن أبي الوداع لبيب بن عبد الله عن أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري مؤلفها رحمه الله"[1].

و. كتب الأدوية والأغذية:

رجع ابن العوّام إلى كتاب "الأغذية" لأبي مروان عبد الملك ابن زُهر الأندلسي، وإلى كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" لأبي بكر الرازي.

ثانياً: التجارب الفلاحية العملية:

لعلّ التجارب الفلاحية العملية من أهم مصادر ابن العوّام في كتابه هذا، فقد قام ابن العوّام في جبل الشَّرف، وفي قرى إشبيلية، وفي قصور أمراء المرابطين، وربما الموحدين، بمجموعة من التجارب الفلاحية الناجحة، التي روى لنا تفصيلاتها وكيفية إجرائها، يقول: "لي: رَكَّبْتُ أقلاماً من كمثرى سُكري في شجرة سفرجل كبيرة، ولم يكن فيها موضع أملس يصحّ للتركيب إلاّ على نصف قامة من وجه الأرض صاعداً؛ فركبتها فيه، وأدخلت عليها ظَرفاً كبيراً مثل خابية، وعملت فيه مثلما تقدم من وضع التراب فيه؛ فَعَلِق ذلك التركيب، وطلع من عامه نحو عشرة أشبار، وجاد وأطعم.

(١) ابن خير الإشبيلي، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، ص٣٧٦-٣٧٧؛ وانظر: ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٤٦٤؛ ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ص١٥٠-١٥٤.

وبعد أعوامٍ انكسر ذلك الظَّرْف، وزال التُّراب عن أصل السَّفرجلة؛ فإذا الأصل قد عَفن كُلُّه، وصارت الأقلام عروقاً نفذت في تُراب ذلك الظرف، إلى أن غابت في الأرض، وصارت أصولاً لتلك الأقلام تغتذي منها؛ إلاّ أنَّ فيها ضعفاً من حمل الأعلى؛ فأعدت لها ظروفاً أُخر، وأدخلت التركيب فيها، وملأتُها بالتراب، وبقيت كذلك أعواماً ثم انكسرت، فألفيت تلك العروق قد تقوّت، فدعمتها بالخشب لتقوى على حمل الأعلى، فكانت كذلك، وغَلُظت وصارت كأنّها شجرة كُمَّثرى نابتة غير مركبة، واستمرت على الإطعام أعواماً كثيرة.

فهذا دليلٌ واضح بأنَّ الظُّروف لجميع الأشجار، متفقها ومختلفها أفضل من الطين والخرق"[1].

فنحن أمام تجربة فلاحية مكتملة العناصر، إذْ حدد هدفه من إجراء التجربة، وهيّأ لها الظروف والأحوال المناسبة، وقام بالملاحظة المباشرة، ورصد تطورات التجربة، وأدخل عليها ما رآه مناسباً لها، هادفاً الوصول إلى النتيجة المرجوة، وأعاد التجربة مرة ثانية حيث حققت الهدف المرجو منها، ثم خلص إلى نتيجة مبنية على الدليل الذي وصفه بالوضوح وتأكد منه من خلال المحاولة والخطأ.

ويبدو أن ابن العوّام كان متصلاً ببعض أمراء المرابطين الذين كانوا يحكمون الأندلس، وكان يجري التجارب الفلاحية في حدائق قصورهم

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣/٧٧-٧٨.

ومُتَنَزهاتها، فقد أجرى تجربة على السَّرجين (السَّماد)، وكرّر هذه التجربة مراراً –وعلى مدار سنوات– حتى تحقق لديه نجاحها وفائدتها العملية[1].

ولسنا بصدد حصر هذه التجارب الكثيرة المتنوعة التي باشرها ابن العوّام بنفسه، وتأكد من صحة نتائجها، ولكن هذا المنهج التجريبي يبقى مصدراً أصيلاً ومهماً من مصادر كتابه الجليل، بل إنَّ هذه التجارب من أسرار عظمة هذا الكتاب، وبواعث الاهتمام به، وترجمته إلى ست لغات عالمية منذ قرنين من الزمان وحتى الآن.

ثالثاً: مشاهدات ابن العوّام ومعايناته الميدانية لأمور الفلاحة:

يقول ابن العوّام واصفاً ما قام به الفلاحون عند غرسهم للأنقال:

"وبعض الفلاحين يرى أن يُقشر من ساق النّقلة إذا كان قِشرُها قد خَشُن، نحو الثُّلثين مما تواريه الأرض منها، حتى يتوصّل إلى القِشرة الرقيقة اللاصقة بعُودها، وحينئذٍ يغرسها، ولاسيما إن كان في قِشر النَّقلة هناك خُشُونة. ولا يتحرك شيء من التراب القريب من أصل الشجرة المغروسة؛ لأنَّ ذلك يؤذي عروقها لضعفها، ولاسيما نُقُل شجر الزيتون، فإنَّ عروقها بمقربة من وجه الأرض إلى أن تسكن وتقوى، وحينئذٍ تُعمّم، ولا بُدَّ من قطع شيء من عروقها عند العمارة، ولا سيما نُقل الزيتون وشبهه، وكذلك لا يُبالغ في المَشق، ولا في الحفر عند عمارة نُقل الزيتون القريبة

(١) انظر: **المصدر السابق**: ١/٢٥٣، وانظر: بدوي، **دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي**، ص٣٩.

العهد بالغراسة لأجل عروقها، حذراً من قطعها. وقد رأيت ذلك عياناً وقد أضرَّ بها"[١].

ويقول أيضاً:

"لي: رأيت ذلك عياناً في شجر الزيتون المجرّم، فيما قُطع منه بالحديد قبل أن يُطعم، فإنَّه فسد وبطل، ولاسيما ما نُقل منه في أول عامٍ من قيامه ونباته"[٢].

رابعاً: الروايات الشفوية عن الفلاحين:

لقد روى ابن العوَّام عن مجموعة من الأشخاص الذين لم نتمكن من تحديد شخصياتهم أو الوصول إلى مؤلفاتهم، يقول: "وأخبرني ابن عرفان أنَّه رَكَّبَ الزيتونَ في التفاحِ، فَعَلِق وغَضُر ونما"[٣].

ويقول: "وأخبرني الفقيه علي بن شهاب، أنَّه رأى الكمثرى قد رُكب في شجر الرُّمان، فعَلِق أحسن عُلُوق"[٤].

ويقول: "لي: رأيت جملة من الأشياخ بالشَّرَف يفعلون بِذَرْق الحمام مثل هذا. ورأيت أصل زيتون قد طُرح عند أصله وِقرْ دابة من ذَرْق

(١) المصدر السابق: ٢/٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٢/٤٧.

(٣) المصدر السابق: ٣/٣٧.

(٤) المصدر السابق: ٣/٣٧.

الحمام في يوم كثير المطر، فلم يضره ذلك. وأعلمني ثقة أن رجلاً طرح ذرق الحمام في أصول زيتون قبل شهر (يناير)، وذلك في الخريف، فلم يضرها ذلك"[١].

وقال في حفظ العنب على شجره في آنية الفخّار: "أخبرني ثقة أنّه رآه قد فَسَدَ بمماسته لآنية الفَخّار"[٢].

ويروي عن بعض الثقات أخباراً تتعلق بالفلاحة في المغرب وخاصة في مدينة سجلماسة[٣]. ويلاحظ أن مشاهدات ابن العوَّام قد تكون معززة بروايته عن الثقات الذين يأنس فيهم الخبرة، ويطمئن إلى صدق أقوالهم.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّنا نلاحظ أن مصادر ابن العوَّام قد تنوعت أشكالها وتعددت ضروبها، إذ رجع إلى عدد كبير من المصادر في: الفلاحة، والبيطرة، وطباع الحيوان، والأدوية، والأغذية، والغراسة، والأدب واللغة.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ تجاربه العلمية في الحقول والجبال، والحدائق السلطانية، ومشاهداته ومباشراته لأمور الزراعة، ورواياته عن الثقات من الفلاحين، تشكل رافداً جديداً، وأصيلاً لمصادره الكثيرة في موسوعته الجليلة في الفلاحة.

(١) المصدر السابق: ٣/٢٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٣/٤٩٣.

(٣) المصدر السابق: ٢/٣٦٥.

وينماز كتاب ابن العوّام "الفلاحة الأندلسية" بثراء مصادره وكثرتها، مقارنة مع غيره مِمَّن كتبوا في الفلاحة من المشارقة، فجمهرتهم يعتمد بضعة مصادر وكفى، ومثال ذلك ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) في كتابه "مسالك الأبصار" القسم الخاص بالحيوان والمعادن والنبات، نجده يرجع إلى "الفلاحة النبطية"، وإلى كتاب أبي حنيفة الدينوري في "النبات"، وإلى كتاب ابن البيطار في "الأدوية والأغذية"، وكتاب ابن زهر في "حفظ الصحة"[١].

وفعل كل: من النويري[٢]، والغزي[٣] والنابلسي ما فعله العمري من حيث الاكتفاء بعدد قليل من المصادر، أو تلخيص أعمال الآخرين، وهو ما فعله النابلسي.

وكان بعض مؤلفي كتب الفلاحة يبهم مصادره وقلما يشير إلى بعضها[٤].

* * * * *

(١) انظر: ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار (في الحيوان والنبات والمعادن)**، ص٢١٥، ٢٢١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٤٠٦، ٤٠٩.

(٢) انظر: النويري، **نهاية الأرب**: ١١/٥، ٧، ١١، ١٤، ٢٦، ٢٨، ٤٣، ١٠٧، ٣١٧، ٣٢٨.

(٣) الغزي، **جوامع فوائد الفلاحة**، ص٦، ٢٠١، ٣٧٣، ٤١٣.

(٤) انظر: أبو الحاج، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي**، ص١٣.

الفصل الرابع

أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام

وقيمته العلمية

الفصل الرابع

أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام وقيمته العلمية

إنّ الدارس لكتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، والناظر في غيره من كتب الفلاحة العربية التي تقدمته أو التي كتبت من بعده، يدرك الأهمية الكبرى لمثل هذه الموسوعة الفلاحية التي نرى أن بعضاً من ملامح أهميتها وقيمتها العلمية يبرز في الآتي:

تخليص علم الفلاحة العربية من الفكر الميثولوجي الأسطوري، والنظر إليها على أنها صناعة لها أصولها ومناهجها وأهدافها.

فالقارئ لأهم مصادر الفلاحة المشرقية —وهو الكتاب الذي ترجمه ابن وحشية الكسداني (الكلداني وتعني النبطي) في نهاية القرن الثالث[١] الهجري —في ضوء الحرية الممنوحة للتراجمة في ذلك العصر[٢]— يدرك مدى تغلغل الفكر الوثني والأسطوري إلى تلك الترجمة، إذ جاء في ذلك الكتاب ما نصه: "احذروا شرّ هذه الإله، إذا كان غايظاً [كذا]، أو مغرباً من الشمس أو مستتراً بشعاعها، أو في وسط رجوعه. فصلوا له

---

(١) انظر: ابن وحشية، **الفلاحة النبطية**: ١/٥.

(٢) انظر: سمير الدروبي، "**منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي**"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، المغرب، مجلد ٨، عدد (١)، ١٩٩٩، ص٥٦-٦١.

هذه الصلاة التي قدّمنا بها له هاهنا، ودخنوا لصنمه، وأنتم تصلون له هذه الصلاة، بالجلود العُتق، والشَّحم، والقُدود، والخشاف الموتى، وأحرقوا له أربعة خشافة موتى... فإذا صليتم وهو ساخط، فأعيدوا له الصلاة والقربان وهو راضٍ... واعلموا أنّه معطي الفلاحة للأرض... وهو أوحى إلى القمر بما أودعته كتابي هذا، وأوحاه القمر إلى صنمه، وعلمنيه الصنم كما علمتكم. فاحتفظوا بذلك؛ فإنَّه معاشكم الذي تسكنون، وزكا زروعكم وثماركم الذي هو مادة حياتكم..."[1].

فالكلدان يعتقدون -حسبما ترجم ابن وحشية- زحلاً والشعرى اليمانية والقمر وغيرهما من الكواكب آلهة، وهذه الآلهة توحي إلى الأصنام التي تعلم البشر فنون الفلاحة.

ونظرة الكلدانيين للفلاحة، أنّها مستمدة من الأجرام السماوية التي تُعد في نظرهم آلهة، لها أبناؤها، ولها أصنامهم، فإنَّ العناية بالرُّقى والسحر، والعزائم والشعوذات، قد تفشت في كتاب الفلاحة البنطية، ولعلَّ الباعث للنديم على درج ابن وحشية الكلداني ضمن أصحاب الحيل والطلسمات، والمشعبذين والمعزسين، والسحرة وأصحاب النِّيرنجيات[2]-

(١) ابن وحشية، **الفلاحة النبطية**: ١/١١، وانظره: ١/١٨، لم نغير لغة ابن وحشية على ما فيها من أخطاء.

(٢) انظر: النديم، **الفهرست**: م٢، ج١، ص٣٣٣-٣٤٢ (بتحقيق: أيمن فؤاد السيد).

هو ما غلب على كتابه الفِلاحة من فكر وثني، يعتقد بتعدد الآلهة، وبتقديم القرابين لهم، وبالعناية بالسحر والطلسمات، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هدف صاحب كتاب "الفلاحة النبطية" هو: خدمة السحر، وإضفاء شيء من الواقعية على الاعتقادات الكلدانية الحرانية (الصابئة) في ألوهية الأجرام السماوية[1].

إن ابن العوَّام الأندلسي وهو المحيط -بلا شك- بمادة "الفلاحة النبطية" قد أخذ منها ما رآه مناسباً لبيئته، وموافقاً لعقيدته، ومتصفاً بالمنهجية العلمية التي تقوم على التجريب، ويثبته العقل.

فالفلاحة عند ابن العوَّام صناعة، يتخذها الإنسان لتأمين قوته ومعاشه، والنبي ﷺ حث المسلمين على عمارة الأرض وإصلاحها وغرسها، وهي طريق مُوصِلَةٌ لصلاح المعاش والمعاد، حيث يقول واصفاً حال الناظر في كتابه بأنَّه "يريد أن يتخذ من هذا الفن صناعة، يصل بها -بحول الله- إلى معاشه، ويستعين بها على قوته، وقوت عياله وأطفاله، وجد فيه خاصته، وبلغ فيه إرادته، واستعان بذلك على منافع دنياه، ومصالح أخراه، بتوفيق الله إياه، إذ بالغراسات والزراعات تكثر -بمشيئة الله تعالى- الأقوات. وقيل: إنَّ إلى ذلك أشار النبي ﷺ فقال: اطلبوا الرِّزق في خبايا الأرض"[2].

(١) انظر: غنيمات، **علم الفلاحة عند الأندلسيين**، ص٣٣.

(٢) ابن العوَّام، **الفلاحة**: ١/٢٦٢.

فأهداف الفلاحة ومراميها عند ابن العوّام، تختلف عن ذلك الفكر الميثولوجي المرتبط بالغيبيات والخرافات، والأساطير والسحرة والشياطين، ولذا فإن كتاب ابن العوّام قد برأ من تلك الأوصاب والأوضار، والعقائد الوثنية التي كشطها الإسلام من عقول إتباعه؛ لأنّها علم زائف لا يستند إلى العقل، ولا يصل إلى الحقيقة، علماً بأنّ بعضاً من دارسي تاريخ تطور الفكر الإنساني والعقل البشري، يسمون السحر بـ"العلم الزائف"[1].

إنّ كتاب "الفلاحة النبطية" من أهم المصادر الكثيرة المتنوعة التي اعتمدها ابن العوّام، ونقل عنها كثيراً من المواد والآراء لصغريث، وينوشاد وقوثامي، وغيرهم من علماء النبط في الفلاحة، ولكن ابن العوّام استبعد عقائدهم وآراءَهم التي لا تتفق مع الرؤية الإسلامية، وتخالف المنهج العلمي التجريبي الذي يستبعد تدخل الأفلاك والأجرام السماوية في الحياة: الإنسانية، والحيوانية، والنباتية، إلا بمقدار ما تؤثره هذه الأجرام في الحرارة واليبوسة، والبرد والمدّ والجزر، واختلاف الفصول وتقلبها، وما يرتبط بذلك من تغيرات مناخية، وأحوال جوية.

وفوق ذلك، فإنّ كتاب "الفلاحة النبطية" قد احتوى مواد مختلفة نسبها المترجم ابن وحشية لماسي السوراني، وللكنعانيين، وللسورانيين وإلى غيرهم[2] من الأقوام والأمم، جاعلاً من إقليم بابل مركزاً لكل

(١) انظر: مالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ص٩٣.

(٢) انظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي في المشرق العربي بين القرن الثالث (٩م) والقرن العاشر (١٦م)، ص٦٤.

الأقاليم، ولكن ابن العوّام لا يروي شيئاً من تلك الرويات التي ربما ترجح لديه أنّها مجرد اختلاق وادعاء من ابن وحشية، وغيره من علماء النبط وسحرتهم ومشعوذيهم.

ولا ريب في أنّ ابن العوّام من العلماء الأندلسيين المبدعين في الفلاحة، وقد استطاع بمنهجيته العلمية الصارمة ذات الأهداف العملية الواضحة، أن يقطع العلاقة، وأن يفك الارتباط، بين ما هو غيبي أسطوري سحري خرافي، وبين ما هو تجريبي علمي واقعي عقلي في علم الفلاحة، مِمَّا يعني ارتقاء في العقل البشري، وتقدماً في تاريخ العلم الإنساني ومناهجه في البحث العلمي.

وفوق ذلك، فإن صناعة الفلاحة وتعلم تجاربها، والإفادة من خبرات السابقين إليها كانت هدفاً مقصوداً عند ابن العوّام، ولم تسخر الفلاحة عنده لخدمة أهداف عقائدية، أو تصورات غيبية، أو مذاهب دينية كما هو الحال عند صاحب "الفلاحة النبطية"، بل أصبحت علماً مبنياً على الأخذ من المصادر الموثقة، ولعلّ هذا ما يفسر لنا قوله: "وكفيتك الاستمداد بآراء أهل الغباوة من أهل البداوة الذين لا علم عندهم، ولا تَلَوُّح (بيان) لديهم، على طول ممارستهم لهذه الصنعة، وارتباطهم بها. وعدلت بك عنهم إلى آراء جِلّة الحكماء، وذوي البصارة النبلاء، فهم القدوة، ومَن سواهم ليس بأسوة، فلا تصغين إلى قول البُله الجفاة، ورأي أهل الغبارة والعتاة..."[1].

(١) ابن العوّام، الفلاحة الأندلسية: ١/٢٧٤.

وكأن ابن العوّام أدرك أن كثيراً مِمَّا يتناقله عوام الفلاحين من أمور الفِلاحة تغلب عليه الخرافة، وهو بعيد عن العلم الحقيقي، بل إن أكثر معارف العامة تقوم على التقليد، ومتابعة الجهل بجهل مثله، وعدم قبول التطور العلمي والآراء الجديدة في الفلاحة.

- الدعوة إلى الاقتصاد في استعمال الماء وترشيد استهلاكه والاكتفاء بما هو ضروري منه، ومواصلة البحث عن مصادر جديدة للري:

مما لا شك فيه أن الماء هو أساس كل حياة إنسانية، أو حيوانية، أو نباتية، ولذلك تضمنت كتب الفلاحة فصولاً طويلة في إنباط المياه، وجرها وتوزيعها على النبات بأنواعه المختلفة، وعرفوا: الماء العذب، والماء المُرّ، والماء الزعاق، وانتفعوا بالعيون والأنهار، وأحسنوا الإفادة من مياه الأمطار في الزراعة والرّي، واستغلوا جميع أنواع المياه في الرّي حتى الماء المرّ، والماء الزعاق تمت الإفادة منه في ري الخَس والهِندباء، والملوخية والكتّان، والقرع، والباذنجان، والحِناء وغيرها من النباتات التي تنمو باستخدام المياه غير العذبة[١].

ويبدو أن ابن العوّام كان مهتماً بالبحث عن مصادر جديدة للمياه، وهو لم يكتفِ بما عرفه القدماء من أنواع المياه: الحلوة، والمرة، والمالحة، بل قام بالتجريب، واستخدم مصادر المياه الموجودة في بيئته الأندلسية، وقام بفحص إمكانية سقي بعض المزروعات بالمياه المعدنية، ولكنَّه وجدها

(١) انظر: ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٥٢٢.

غير صالحة، يقول مسجلاً إحدى نتائج أبحاثه الفِلاحية: "لي: وأما المياه الحديدية، والكبريتية، والنحاسية، وشبهها فغير موافقة للنبات. وأفضل المياه (العذب) كما تقدم القول فيه"[١].

أما ماء المطر العذب الذي هو هبة السماء إلى الأرض، وبه تتفجر العيون، وتجري الأنهار، ويعم خيره الإنسان والحيوان والنبات، فإنَّ ابن العوّام يسميه الماء المبارك، وهو أقل أنواع المياه المستخدمة في الشرب والرّي تكلفة، ولذلك، فإنَّ ابن العوّام حريص أشد الحرص على الإفادة منه في سقي المغروسات، وذلك باستخدام الأسلوب المناسب، وهو أن تكون حفرة الشجرة واسعة ذات عمق معين، ثم يهال عليها التراب ليصل إلى نصف الحفيرة، ثم تترك حتى يصيبها ماء السماء مرات فتروى، ثم تسوى بالتراب البري بعد غراستها بأشهر.

يقول ابن العوّام واصفاً نتيجة طريقته السابقة في الغرس: "ولي: عملت بهذا؛ فرأيت بركةً، ولم أحتَج إلى سقيها في فصل الحرّ. وإن احتاجت إلى سقي في فصل الحرِّ، فلا يُصَبُّ الماء عند أصلها، لكن يُصب على بُعدٍ منها؛ لكي يصل إلى أصلها من تحت التراب، فإنَّها إن جُعل الماء عند أصلها، وغار فيما بينها وبين ساقها دخلَ حَرُّ الشمس من ذلك الخلل فأضرَّ بها".

فقول ابن العوّام السابق يكشف لنا -بما لا يدع مجالاً للشك- عن

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٥٢٤.

حرصه الشديد على توفير الماء، والاقتصاد به في فصل الصيف الحار، عندما ينقطع القطر، ويزحف الجفاف، وتلهب حرارة الصيف الأراضي الجافة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط التي تُعد الأندلس جزءاً منها.

وعلاوة على ذلك، فإنّ طريقة الرّي القائمة على تسريب الماء إلى أصل الشجرة من الجوانب، وعدم إراقته على أصلها مباشرة، تمنع حَرَّ الشمس عن الساق من جانب، وتؤدي إلى توزيع الماء في التربة بحيث يصل إلى أصلها دون تعرض ذلك الساق إلى الشمس الساقطة عليه والمضرة به.

– إضاءة جوانب من الحياة الاقتصادية في الأندلس:

يقوم الاقتصاد على: الزراعة، والتجارة، والصناعة، وتبقى الزراعة أهم دعائم الاقتصاد في بلاد الأندلس ولاسيّما في تلك العصور التي لم تبدأ بها الثورة الصناعية التي أحدثت -فيما بعد- انقلاباً واسعاً في التاريخ الإنساني، يقول صلاح خالص: "كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً زراعياً قبل كلّ شيء، يعتمد في حياته على الزراعة والأرض، ومن ثم تأتي التجارة والصناعة لتكملا ما تعجز الزراعة عن سده من حاجات السكان"[1].

لقد ازدهرت الفلاحة في الأندلس، ورفدت الاقتصاد الأندلسي بإنتاج زراعي وفير، وذلك لما تحققه للفلاح من عيش كريم، ولما تمدُّ به

(١) خالص، **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، ص٣٧.

أسواق المدن من منتوجاتها الوفيرة التي تؤدي إلى رخص الأسعار، وجعل الغذاء في متناول غالبية الناس، وما قد يتبع ذلك من قيام الصناعات المعتمدة على زراعة القطن والكتان وغيرهما من النباتات -إلى حدٍ ما-.

والملاحظ أن النظرة الاجتماعية للفلاح الأندلسي كانت تقوم على احترام مهنة الفلاحة، وعدم ازدراء الفلاحين، أو التسلط عليهم وإذلالهم، أو استبعادهم وهدر كرامتهم الإنسانية، كما هو الحال في مشرق العالم الإسلامي[1].

ويرى ابن العوَّام مؤلف "الفلاحة الأندلسية" أن: "فلاحة الأرض هي أهنأ المكاسب جملة، وأربحها، وأقربها إلى النجدة والسلامة، واكتساب الأجر"[2].

فالفلاحة عند ابن العوَّام تدرُّ على الفلاح الدخل المادي المناسب، كما أنَّ من يحترفها أو يتخذها صناعة له، يكتسب الأجر عند الله، فالفلاح إذن قائم بتوفير قوته، وقوت الناس، ومأجور عند الله -عز وجل- فهي كالعبادة والطاعات التي يؤجر عليها الإنسان؛ لأنَّها سبب الكسب الحلال، والبُعد عن المال المشبوه الذي يتحصل من الإتاوات

(١) انظر: السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص٥٤-٥٥؛ الأسدي، **التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار**، ص٧٢-٩٦؛ ابن الأزرق، **بدائع السلك في طبائع الملك**: ٣١٣/٢-٣١٤؛ ابن الحاج، **المدخل**: ٣/٤-٦.

(٢) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٧١/١.

والمكوس والمظالم، والاحتكارات التجارية.

وينقل ابن العوَّام قولاً لابن حزم الأندلسي، وهو الوزير الخطير والكاتب الكبير، والفقيه النحرير، بخصوص الفلاحين، يقول: "اعلموا أن الراحة، واللذة، والسلامة، والعِزَّ، والأجر في **أصحاب فلاحة الأرض** إذ كانت الأرض عشرية فقط"[1].

ولَمَّا كان ابن حزم وهو الفقيه المجتهد، ورجل الدولة القدير، عارفاً بأحوال الأراضي، وتوزيعها، وملكياتها في الأندلس، فإنَّه يوضح لنا حال المزارعين الأندلسيين الذين يعملون في الأرض المملوكة للدولة، ويؤدون لها عشر الإنتاج، فهم في راحة من مطالبات ملاك الأراضي بالأجور، أو نسبة ما من ريع الأرض ومحصولها، وهو مِمَّا قد يكون باهظاً أو مجحفاً في حق الفلاح، الأمر يجعله تحت رحمة المالك أو الإقطاعي، أو الظروف الجوية المتقلبة والمضطربة، وما قد يتبعها من الخصب أو القحط، وقد يضطر المزارع إلى الدين لأداء ما يطلبه صاحب الأرض مِمَّا يجعل مثل هذا الفلاح في أسوأ الأحوال، ويضطره للمَدِينين والإقطاعيين الذين يتسلطون عليه، وينهبون ما تحصل لديه.

ويشير ابن العوَّام إشارة خفية إلى تفتت الملكيات الزراعية في الأندلس، وتوزعها على أماكن متباعدة، مِمَّا يعيق استثمارها على الوجه الأمثل؛ لأنَّها تحتاج إلى كثير من أصحاب الأيدي العاملة، وكأنَّ ابن

(١) **المصدر السابق**: ٢٧١/١.

العوَّام يدعو إلى تجميع الملكية الزراعية لصغار المزارعين، وحصرها في مكانٍ واحدٍ -إن أمكن- لما في ذلك من توفير في النفقات، وترشيد في استخدام الأيدي العاملة، يقول: "واعلموا أن القليل المجتمع من المال خيرٌ وأسلم، وأعلى وأنفع من الكثير المتفرق؛ لأنَّ المُجتَمِعُ يقوم به الواحدُ، والمتفرق يحتاج إلى ناظر في كل قطعة"[1].

- دراسة الحياة الاقتصادية في الأندلس:

ويتحدث ابن العوَّام عن أساليب ريّ المزروعات، فمنها ما يسقى بماء المطر، ومنها ما يسقى من العيون والأنهار دون الحاجة إلى وسائل أو أدوات وآلات معينة.

أما الأراضي التي تسقى بالآلات كالنواعير[2] والسواقي، والخَطارات، أو تسقى بالدلاء التي ترفعها السواقي باستخدام الإبل والحمير والبغال؛ فإنَّ تكلفة الإنتاج الزراعي فيها عالية، مِمَّا يؤثر سلبياً على تسويق المحصول، فتكون تكلفة الإنتاج ونفقاته عالية على الفلاح، وتصبح الأسعار مرتفعة على المستهلك معاً، الأمر الذي يؤدي إلى خسارة المنتج والمستهلك، وقد يؤدي إلى كساد الإنتاج الزراعي الذي لا يمكن تخزين أكثره إلى فترات طويلة، كالخُضَر والبقوليات والفواكه.

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٧٢/١.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٧١/١.

ومِمَّا لا ريب فيه أنَّ ابن العوَّام وهو العالم الفلاحي الذي أحب الفلاحة، وأخلص لها علماً وعملاً، وعاشها نعيماً وبؤساً، أدرك أن النفقات المالية التي تحتاجها الأرض الزراعية، هي من أهم الأخطار والكوارث التي تهدد الفلاح، وتجعل مصيره ومصير أسرته رهينة بيد الدائنين أو الإقطاعيين وأصحاب النفوذ، بل قد يصبح الأمن الغذائي للمجتمع بأسره معرضاً لخطر محقق، وفي مهب رياح الوباء والغلاء.

وربما أدى ذلك إلى فناء الأقوات وانعدام موارد البقاء، لذلك فإنَّ ابن العوَّام يوجه إرشاده إلى الفلاح عند سقي الأرض: "لا ينبغي أن يستعمل فيه ماء النّواعير، إلاَّ أن يُضطّر إليها، ولا معاش له من سواها، ويتولاّها بنفسه، فإنَّه إن لا يتولاها بنفسه عظمت مؤونتها عليه، وقلت معونتها له، وربما اقتضته مؤونة الدَّابَّة والآلة على جميع الحاصل، وربّما اقتضتُه زيادة عليه"[1].

إنَّ من يُنْعم النظر في النص السابق، يدرك أن ابن العوَّام بحكم مهنته وممارسته للفلاحة، وعيشه بين الفلاحين، ومعرفته بأحوال التسويق في إشبيلية خاصة، وفي الأندلس عامة قد يخلص إلى الآتي:

- **أولاً:** تحريض المزارعين على العمل بأنفسهم، دون الاستعانة بالأيدي الزراعية المأجورة، إلاَّ في حالة الحاجة الماسة، لما يترتب على ذلك من نفقات تضاف على تكاليف الإنتاج الزراعي.

(١) **المصدر السابق**: ١/٢٧١-٢٧٢.

- **ثانياً:** إنَّ إدارة النواعير وصيانتها والإشراف عليها، يتطلب نفقات عالية، ولذلك فإنَّه يجب على المزارع ألا يستخدمها في السري إلاَّ مضطراً، والمعروف أن العرب في الأندلس قد وضعوا ضوابط لعملية الري وتوزيع المياه على الفلاحين، وأنشأوا محكمة مختصة بذلك، وهي المعروفة باسم محكمة بلنسية، التي تتولى إصدار الغرامات على المخالفات المرتكبة في أعمال الرَّي، وكان لها قضاة وجباة، ونواطير وأمانة سر يتولون النظر في قضايا المزارعين، وتوزيع الري، وجباية الأموال من المخالفين[1].

ويبدو أنَّه قد أقيمت على غرار هذه المحكمة محاكم أخرى ترعى شؤون المياه والري في الأقاليم الأندلسية.

- **ثالثاً:** دعوة المزارعين إلى الاقتصاد في النفقات الزراعية، وأن يتدبروا أمر تكاليف الإنتاج التي ربما كانت عالية، مِمَّا يؤدي إلى تساوي كفتي التكلفة الزراعية، وقيمة المنتج الزراعي، الأمر الذي يؤدي إلى خروج المزارع بلا ربح، وما يتبعه من نتائج خطيرة تؤدي إلى انهيار الزراعية وتردي أحوال المعيشه؛ لأنَّ الفلاح يضيع جهده ووقته، وماله بلا فائدة. وإذا لم يراعِ المزارع قضية الترشيد في تكاليف

(١) انظر: الحايك: "**محكمة المياه في بلنسية**"، ضمن الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب: إسهامات العرب في علم المياه، الكويت، ١٩٨٨، ص١٩٣-٢١٥.

الإنتاج، فإنّه قد يخرج من موسمه الزراعي مديناً، وتلك هي الكارثة التي تؤدي إلى اعتزال المزارع صناعة الفلاحة، وهجره لأرضه، والتخلي عنها لمن هم أقوى منه مالياً على استثمارها وإعمارها؛ فيصبح تابعاً يدور في فلكهم، بعد أن كان سيداً حراً في أرضه ومزرعته.

إن ما طرحه ابن العوّام في هذه المسألة في غاية الأهمية والخطورة بالنسبة للفلاح العربي في هذه الأيام، إذ أصبحت زراعة الأرض مكلفة في الرّي والبذور، والآلات الزراعية، والأيدي العاملة المرتفعة الأجر، وغدا الإنتاج من الأرض غير قادر على تسديد تكاليف فلاحتها، فيقع الفلاّح -نتيجة لهذا الخلل الكبير، والفساد الخطير، والتفاوت المثير، بين تكاليف الإنتاج وأثمان المحصولات الزراعية- في براثن الدائنين والبنوك، والشركات الزراعية التي لا ترحم فقره وعجزه، فيهجر أرضه ويتخلى عنها؛ لأنّ العمل فيها لا يهيئ له العيش الكريم، وقد يفرُّ من الأرض المنتجة إلى المدينة التي غالباً ما يعيش فيها عيش الذلة والمسكنة، حيث لا يجد عملاً إلاّ في المهن المذلّة أو الأعمال ذات الأجر المتدني، ويكتوي بغلاء أسعار المدينة بعد أن كان في أرضه موفور العيش الكريم.

إن نجاح الزراعة وتحقيق الربح منها، هدف في حد ذاته عند ابن العوّام، ولكن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق المعرفة الصحيحة بفن الفلاحة، فالغاية النفعية، والجدوى الاقتصادية، يمكن أن يصل إليها الفلاح إذا تمكن من مُراعاة ظروف بيئته، وعرف الأنواع

الملائمة من النبات، والبذور المحسنة، والغراس الجيدة المناسبة لتلك البيئة، وتوفرت له المياه الصالحة للري، وعرف: "كيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها، وبعد غراستها، وتزبيلها وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير [التلقيح]، وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه حتى يدرك فائدَتُهُ، ويكثر -بمشيئة الله- عائده، وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار"(١).

فالعمل الفلاحي، لغايات الإنتاج الزراعي التي تعود على الفلاح بالخيرات، وتدر له الإدرارات، وتحقق له الأرباح الوفيرة، والخيرات الكثيرة، لا بد له -في نظر ابن العوّام- من العلم والمعرفة التامّين بالأنواع والأصناف المناسبة من: البذار، والغراس، والسماد، والعلم الحقيقي بطريقة الريّ، وتلقيح النباتات، ومقاومة الآفات والحشرات، وجني المحصول وتخزينه، أي إن الفعل الفلاحي ليس عملاً عشوائياً، ولا تقليداً أعمى لمن تقدم من المزارعين، وأهل البادية الذين يتعاطون الزراعة، بل هو عملية منظمة لها أصولها، وأُسسها التي يجب على الفلاح معرفتها والعمل بمقتضاها، إذا ما أراد جلب المنافع المادية لنفسه، ولأسرته، ولمجتمعه.

إن الدارس لكتاب ابن العوّام، يجد تنوعاً واسعاً في زراعة الأشجار

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٧٤/١.

بأصنافها، والحبوب بأنواعها: كالقمح، والشعير، والأرز، والذرة، والقطاني: كالحِمص والتُرمس والكِرسنة، والبقول، والقطن، والكتان، وغيرها من النباتات والأنواع التي تستخدم غذاء ودواء، وصناعة وزينة. ولم ينسَ ابن العوَّام الثروة الحيوانية التي تُعدُّ أساسية في خدمة العمل الزراعي والقيام بأعمال حرثه ونقله، وجنيه ودرسه، وتسويقه وخزنه، وتسهم في توفير الغذاء الحيواني للإنسان[1].

ويبدو أن الإنتاج الزراعي للمحاصيل الزراعية في الأندلس كان وفيراً، مِمَّا أدى إلى تصدير فائضه إلى الأقطار المجاورة والبعيدة، وحمله شرقاً وغرباً، فقد حدثنا الحميري عن محصول الزيتون الوفير الذي كان يكثر إنتاجه في جبل الشَّرف، حيث كان ابن العوَّام يجري فيه تجاربه الفلاحية على أشجار الزيتون وغيرها من النباتات كما ذكرنا من قبل، يقول الحميري: "الشَّرَف: من سواد إشبيلية بالأندلس، وهو جبل شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولاً وعَرضاً، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه، واشتباك غصونه، وزيته من أطيب الزيوت، كثير الريع عند العَصر، لا يتغيَّر على طول الدّهر، ومن هناك يتجهز به إلى الآفاق بَرّاً وبحراً... ويقال: إنّ في الشّرف ثمانية آلاف قرية عامرة، وديارها حسنة..."[2].

(١) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٣١٤.

(٢) الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠١؛ **الروض المعطار**، ص٣٣٩-٣٤٠.

فنص الحميري السابق إشارة صريحة إلى جودة الإنتاج الإشبيلي لمحصول الزيت، وإلى تصديره إلى مختلف البلدان براً وبحراً، وذلك لوفرة محصوله، وكثرة إنتاجه. ويدل على وجود كثافة بشرية تتكون من بضعة آلاف من القرى تعتمد في اقتصادها وعيشها على هذه الشجرة المباركة المعطاء، في تلك التربة الطيبة التي تستغلها السواعد الأندلسية الجادة العاملة.

ويخبرنا ابن العوَّام بأن: "الزيتون نُقل من أفريقية إلى الأندلس بعد القحط الكبير الذي جفت فيه غروسها وأشجارها"[1]. والخبر له دلالاته في حرص الأندلسيين على ديمومة ثورتهم الزراعية التي كانت العمود الفقري لحياتهم الاقتصادية التي يعني ازدهارها حفظ دينهم ودنياهم، ومعادهم ومعاشهم، وتمكينهم من الصمود في وجه أعدائهم من الفرنج الذين يريدون اقتلاعهم من جزيرتهم، التي تحولت بدأبهم وعملهم وعلمهم إلى جنات وارفة.

ولم يفتِ ابن العوَّام الإشارة إلى رأي ابن حزم في الزيتون، الذي يرى فيه سلعة إستراتيجية كالقمح والأَرُز والذرة وغيرها من المنتجات الأساسية، يقول ابن حزم: "الزيتون قُوت عند الضرورة لا عند الرخاء"[2]. أي أن الزيتون مادة غذائية أساسية لا يستغنى عنها في أوقات

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٩٣.

(٢) **المصدر السابق**: ٢/١٠٤.

المجاعات والأزمات الاقتصادية التي تهدد الوجود المادي للبشر، وتجعل حاجتهم للغذاء ماسة لغاية الحياة والبقاء.

- مواصلة التجارب الزراعية لاستصلاح الأرض الجديدة القابلة للزراعة أو نقل أنواع جديدة من النباتات لم تعهدها من قبل:

لقد أدرك الفلاحون القدماء سطوة البيئة، وقوة تأثيرها على الإنسان والحيوان والنبات، وعرفوا بالتجربة أن لكل شجر ونبات، بيئته المادية المناسبة، وعجزوا عن نقل الشجر النابت في الأرض الخصبة إلى الأرض القاحلة، أو الرملية، أو نقله من الأرض الحلوة إلى الأرض المالحة، أو من السهل إلى الجبل، وكذلك الماء الذي يُسقى به النبات، فلا يسقى النبات بالماء المالح إن كان يسقى بالماء العذب الحلو سابقاً.

ويبدو أن أمر مراعاة الظروف البيئية، قد أصبح أمراً مسلماً به عند الفلاحين، ولكن ابن العوّام لم ييأس من إمكانية الاستصلاح للأراضي، والنقل للنبات من أرض إلى أخرى؛ لأنّه عالم تجريبي يريد أن يصل إلى النتائج عن طريق التجربة العملية، ويبدو أنّه لم يكن مؤمناً بكثير من المُسَلَّمات التي وقرت في الأذهان، وأوصدت أبواب البحث فيها، وتوقف الباحثون عن محاولة طرحها مجدداً.

وقد تمكن ابن العوّام بفضل مثابرته، ومنهجه التجريبي من نقل غراس الزيتون إلى أرض رملية، وذلك بعد أن نقل لتلك الأرض تربة طيبة ساعدت هذه الغراس على أن تضرب بجذورها في هذه البيئة الرملية التي لم

تنجح فيها زراعة هذه الغراس من قبل.

يقول ابن العوّام واصفاً تلك التجربة الناجحة: "لي: غَرَستُ نقلات زيتون بالشَّرَف في موضع كثير الرَّمْل، وفيه نداوة كثيرة من ماء المطر، بتراب آخر طيب منقول إليها، فنجبت، وكان قد غُرس قبل ذلك مرّات في مواضع تلك النُّقل بأرض ذلك الموضع نُقُلُ زيتون فلم تنجب"[1].

- الإفادة من كثير من المُخَلَّفَات والبقايا الطبيعية، والبشرية، والنباتية والصناعية، في الفلاحة زراعة وإخصاباً، وعلاجاً وسماداً:

فقد ذكر لنا ابن العوّام أن شجرة النارنج (البرتقال) إذا أصابتها علّة، فإنّه يُصب في أصولها دمُ الماعز الحار الذي يجودها، وكذلك يوافق النارنج دمُ الإنسان المستخرج من الحِجَامة[2].

أمَّا علاجُ مرض اليرقان الذي يصيب أشجار الأُترج والنارنج والليمون، ويؤدي إلى صفرة أوراقها، فإنّه يكون بكشف التراب عن أصولها، وجعل رماد الحمامات في تلك الأصول، ثم يرد عليها التراب، فتعود إلى نضارتها السابقة، وينقل ابن العوّام عن ابن البصّال أن ذلك العلاج صحيح مجرب، أمَّا إذا لم ينجح هذا العلاج فالحل أن: "يجعل في أصلها دَمُ المعز، فإن عُدِمَ فدمُ الإنسان المخرج بالفَصد والحجامة، فتبرأ إن شاء الله تعالى"[3].

---

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٣٨-٣٩.

(٢) **المصدر السابق**: ٣/٤١٨.

(٣) **المصدر السابق**: ٣/٤١٩.

ويذكر ابن العوّام أن الصفرة الحادثة في شجرة الجوز، والظاهرة في أوراقها وثمارها، تكون بصب الدّم في أصلها: "أيُّ دمٍ كان، وأوفقه لها دَمَ الجمال، وإن خلط بالدّم الماء الحارّ"[1].

أما اليرقان الذي يعرض للزروع والأشجار، فإنّه يعالج بأخذ قرنِ ثورٍ "ويجعل في نار بعر غنم، ويدخن به الزرع من جهة تهب فيها ريح الشمال عليه، فإنّ ذلك الدُّخان إذا مرَّ على الزرع أذهب عنه اليرقان"[2].

أمّا مقاومة الدود الذي يعتري أصول شجر الفاكهة، فإنّه يؤخذ رماد الحمامات، ويضاف إليه الملح والزبل بمقادير معينة، ويلقى على أصول الشجر المصاب، يقول: "يؤخذ رماد الحمّام، ونحو سُدُسه من الملح، وجزءان من الزبل، وجزءان من التراب الطيب، تراب وجه الأرض الطيبة، ويخلط نَعَماً في أصلها على قدرِ كِبرها وصغرها، من قفتين إلى أربع قفف، فإن كان في زمن الحرّ فتسقى بالماء العَذب"[3].

- **مكافحة الأمراض النباتية وما يعرض للنباتات والأشجار من الحشرات والديدان والقوارض والزواحف بالمواد الكيماوية والعضوية المركبة:**

يذكر ابن العوّام نقلاً عن الحاج الغرناطي صاحب "زهر البستان

(١) **المصدر السابق:** ٤٢٨/٣.

(٢) **المصدر السابق:** ٤٣٣/٣.

(٣) **المصدر السابق:** ٤٣٥/٣.

ونزهة الأذهان" أن علاج الثآليل الحادثة في شجر الإجّاص، يكون بإضافة زبل الإنسان إلى أصلها، أمّا إذا تدودت ثمرها، فإنّه يُصب في أصلها عكر النبيذ وعكر الخلّ"[1].

أمّا علاج الدود الذي يطرأ على شجر الفاكهة، في خارجها وفي داخلها، فإنّ الفلاح يعالجه بخلط مقدارين متساويين من القِير والكبريت، ويدخن به الشجر، مِمّا يؤدي إلى موت الدود العالق بالشجر ظاهراً وباطناً"[2].

وكذلك يمكن معالجة الدود الحادث في الشجر، بخلطة تتكون من رماد الحمامات الأسود، والملح والرمل والتراب، ثم يجعل ذلك الخليط حول أصول النبات[3].

ويقاوم البق والقمل المتولد في نبات القُنّبيط بأن "يُدَخَّنَ بالخَمْر والكبريت، تُجْعَلُ المِجْمَرة في وسط منبت القُنّبيط، والدُّخان يرتفع منها حتى يختنق الموضع بالدُّخان"[4].

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية:** ٤٢٦/٣.

(٢) **المصدر السابق:** ٤٣٦/٣.

(٣) **المصدر السابق:** ٤٣٦/٣.

(٤) **المصدر السابق:** ٤٣٨/٣.

وهناك علاج آخر لطرد البق والقمل، والبراغيث المتطفلة على النبات المذكور آنفاً، ويكون هذا العلاج بإحضار الخلّ الجيد، ويُحل فيه الكبريت والأنزدروت، ثم يرش هذا المحلول على أصول نبات القُنَّبيط مِمَّا يؤدي إلى فرار تلك الهوام[1].

وتقتل الحيات والدواد الكبار المهاجمة لمنابت القُنَّبيط بمزج مرارة البقر بَدَرْدِي الزيت، أو بأخذ نبات الشُّبرم ذي اللبن، ثم يطبخ طبخاً جيداً بعد تقطيعه، ويصب ماؤه في أصول القُنَّبيط، مِمَّا يؤدي إلى هلاك الوزغ والدود الكبار[2].

ويُعالج البق والبراغيث الكائنة في الثمار بنقع السَّيْكرَان في الماء يوماً وليلة، ثم يخلط بخَلٍّ ثقيف، ثم يُرش به الثمر[3].

وتعالج الأشجار التي يخاف عليها من تسلق النَّمل، بأن يدلك ساقها بحجر أملس، ثم يُطلى فوق الجزء المدلوك، وتحته بمغرة محلولة بالماء، والمغرة هي مسحوق أكسيد الحديد، وربما تم منع صعود النمل إلى الشجر بطلي الساق بالقطران المخلوط بالروث المدقوق[4].

---

(١) **المصدر السابق**: ٣/٤٣٨.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٣٨.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٤٠.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٤١.

وينقل ابن العوَّام عن كتاب "الأكَّارة" وصفة لطرد النمل والزَّنابير والدَّبر والنحل، وذلك بأن يُسحق الفُوْدَنج والكبريت، ويُذر مسحوقهما على جحور هذه الحشرات[1].

أمَّا علاج الأشجار المجروحة، فيكون بخلط الزِّفتِ والنطرون، ثم تلطيخ مواضع الجراح[2].

ولسنا بصدد تتبع الوصفات والأدوية، والمركبات التي تُعالج بها أمراض النبات بها، أو تطرد الحشرات والهوام الغازية للأشجار والنباتات، وهي كثيرة ومبثوثة في ثنايا هذه الموسوعة الفلاحية الضخمة، ولكن من المؤكد أنَّ كثيراً من هذه المركبات والأدوية الكيماوية والعضوية كانت ناجعة، وأنَّ الفلاحين الأندلسيين قد استعملوا ما وصلت إليه أيديهم من زيت وقطران، ومغرة وزفت، وخمر وكبريت ونطرون، وغيرها من المواد الكيماوية، إمَّا مفردة أو مركبة مع غيرها.

- الألفاظ المعربة والدخيلة والعامية:

إنَّ وجود الألفاظ المعربة والدخيلة في لغة العرب من الظواهر اللغوية اللافتة لانتباه عند القدماء والمعاصرين من الباحثين.

وقد ورد اللفظ المعرب في الشعر الجاهلي، وفي القرآن الكريم، بل

---

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٤٢.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٤٤٦.

وضعت معاجم مختصة بالمعرب الوارد في القرآن الكريم، وهو ما قام به الإمام جلال الدين السيوطي في "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" بعد بحث وفحص في المصادر لسنين طويلة[1]، ويرى إبراهيم بن مراد أن ما فعله السيوطي يُعَدُّ "أول معجم تجمع فيه الألفاظ القرآنية الأعجمية"[2].

وعندما ترجمت الكتب العلمية النافعة[3] في العصر العباسي كان من ضمن المترجمات كتب: الفلاحة، والصيدلة، والحشائش والأعشاب، والحيوان والنبات وغيرها من العلوم الطبيعية[4].

وكان كتاب ديسقوريدس اليوناني في الأدوية والحشائش من الكتب التي ترجمها اصطفن بن باسيل في بغداد، كما ترجم هذا الكتاب في الأندلس زمن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (حكم ٣٠٠-

---

(١) انظر: السيوطي، **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب**، ص١٦٨، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: ١/٢٦٨-٢٩٤؛ سمير الدروبي، **الرمز في مقامات السيوطي**، ص١١٦-١١٧.

(٢) مراد، **المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية**: ١/٦٣.

(٣) انظر: سمير الدروبي، **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ص١١-٢٤.

(٤) انظر: الطرابلسي، **نشأة علم الفلاحة العربي**، ص٧٩-٨٨؛ سمير الدروبي، **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ص٣٥-٤١.

٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، عندما أهديت إليه نسخة مصورة من الكتاب من بيزنطة[1].

ولعلَّ كتاب ديسقوريدس في الحشائش من الكتب القليلة بل النادرة التي حظيت بترجمتين، واحدة في مشرق العالم الإسلامي، والثانية في مغربه.

وبناءً على ما تقدَّم ذكره من ترجمة واسعة لكتب الفلاحة والنبات من اللغات: السريانية، واليونانية، والفارسية، وأكثر هذه المترجمات كان من مصادر ابن العوَّام الأساسية، وخاصة "الفلاحة النبطية" لابن وحشية، و"الفلاحة الرومية" لقسطوس، فإنّنا نجد حضوراً واضحاً للألفاظ المعربة والدخيلة في كتابه "الفلاحة الأندلسية".

ولسنا بصدد حصر الألفاظ المعربة الواردة في فلاحة ابن العوَّام ودرسها، ولكنّنا نسرد بعضاً من هذه الألفاظ المعربة والدخيلة، ومن الألفاظ العامية التي أدرجها ابن العوَّام في موسوعته الجليلة، منها: السَّرْمق، الإسفانخ، الشونيز[2]، المرزنجوش، والتُربجان، والباذروج[3]، والقيقب[4]،

---

(١) انظر: أحمد عيسى، **تاريخ النبات**، ص٣٨؛ ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، ص٢١-٢٢.

(٢) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٤/٢٣٥.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٤/٢٣٢-٢٣٣.

(٤) **المصدر السابق**: ٤/٣١١.

والبَادَرُوج[1]، والفُوْدَنْجات، والبَابُونج، والبَرْشاوشـــان[2]، والحَنْـــدَقوقا، والقَنْطُوريــــون[3]، والمَرْجَنْقَـــل[4]، والقَـــسْطَرون[5]، والإسْـــقِيل[6]، والغَرَانيون[7]، والأنزدروت[8]، والفُوْدَنج[9]، ونطـــرون[10]، وأفـــسنتينا، والفُوْدَنج[11]، والرَّازِيَـــانج[12]، والأســـارون[13]، والأزادرَخـــت[14]، والقراصيا[15]، والمازَرَيون، والماهُودانة، والعطنيثا، وبنطانيلون[16]... الخ.

---

(١) المصدر السابق: ١/٣٧٩؛ وانظر: ادّي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص١٤.

(٢) المصدر السابق: ١/٥٣٠؛ وانظر: ادّي شير، **الألفاظ الفارسية المعربة**، ص١٤.

(٣) المصدر السابق: ١/٥٣١؛ وانظر: الجواليقي، **المعرب**، ص٢٦٦؛ المحبي، **قصد السبيل**: ١/٤٤١.

(٤) المصدر السابق: ١/٥٤٧.

(٥) المصدر السابق: ٣/٣٣.

(٦) المصدر السابق: ٣/٥٩.

(٧) المصدر السابق: ٣/٣٠٦.

(٨) المصدر السابق: ٣/٤٣٨.

(٩) المصدر السابق: ٣/٤٢٢.

(١٠) المصدر السابق: ٣/٤٤٦.

(١١) المصدر السابق: ٣/٥١٨؛ وانظر: المحبي، **قصد السبيل**: ٢/٢٤٥؛ داود الأنطاكي، **تذكرة أولي الألباب**: ١/٢٥٢.

(١٢) المصدر السابق: ٣/٥٢٦.

(١٣) المصدر السابق: ٥/٢١٥.

(١٤) المصدر السابق: ٣/٢٩٦.

(١٥) المصدر السابق: ٤/١٦١.

(١٦) المصدر السابق: ٥/٢٣٩.

ومِمَّا هو جدير بالذكر، إنَّ كتب الفلاحة الأندلسية مثل: "زهر البستان ونزهة الأذهان" للطغنري، و"القصد والبيان" لابن بصَّال، و"المقنع في الفلاحة" لابن حجاج الإشبيلي وغيرها، قد استخدمت المعرب والدخيل في علم الفلاحة، ولكن استخدام ابن العوَّام كان أوسع وأكبر.

وعند الرجوع إلى كتب المعرب والدخيل، وجدنا أنَّها قد أخلت بكثير من هذه الألفاظ المعربة التي أوردها ابن العوَّام في فلاحته، مِمَّا يشكل مصدراً جديداً لمادة المعرب والدخيل في لغة العرب.

وربّما امتاز كتاب ابن العوَّام "الفلاحة الأندلسية" عن غيره من كتب الفلاحة بتعدد اللغات التي تسربت ألفاظها إلى كتابه من ناحية، كما أنَّه نصَّ على أصول بعضها من ناحية أخرى[1].

أمَّا أهم اللغات التي استخدم ابن العوَّام ألفاظها المعربة في كتابه الفلاحية، فهي:

- **اليونانية**: القيقب، الجونة، البقطري، والترمدانات[2].
- **الفارسية**: الليموا[3]، السبستان[4]، البَهْرَامج[5].

---

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٥٨، ٢٨٣.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٤/٣١١؛ ٣٦٣-٣٦٥، ٣/١٤١، ٤/١٢.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٨٣.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٨٥.

(٥) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٥٨.

- **أعجمية أهل الأندلس**: فريق أفرند[1]، المَطْرونية[2].
- **البربرية**: التاكوت[3]، الجوذر[4].
- **العبرية**: العُنصرة[5].
- **العامية الأندلسية**: الفختة[6].
- **الهندية**: الكاذي[7].
- **السريانية**: اليبروح[8].

ولا يخفى على الدارسين أن تسرب مثل هذه الألفاظ للغة العرب أمرٌ غير منكور، وهو مصدر ثراء لهذه اللغة العظيمة، التي أصبحت لغة العلم والحضارة والدبلوماسية مدة نيفت على الألف عام، وتم من خلال هذه اللغة، ووفقاً لسياسة التسامح التي تبناها المسلمون، صهر كلّ الثقافات والمعارف الإنسانية في قالب عربي إنساني لا يعرف تعصباً، أو

(١) انظر: **المصدر السابق**: ٢/٢٥٨.

(٢) انظر: **المصدر السابق**: ٢/١٢٥.

(٣) انظر: **المصدر السابق**: ٥/٢٤١.

(٤) انظر: **المصدر السابق**: ٤/٢٨٦.

(٥) انظر: **المصدر السابق**: ١/١٦٧.

(٦) انظر: **المصدر السابق**: ٣/٢١٣، ٢١٤.

(٧) انظر: **المصدر السابق**: ٤/٢٩٣.

(٨) انظر: **المصدر السابق**: ٤/٢٨٨.

اضطهاداً، أو تهميشاً لأصحاب العقائد والديانات أو الملل والنِحل الأخرى.

يقول سمير الدروبي واصفاً موقف التسامح عند المسلمين من الترجمة والتراجمة والمتضمن: "الإباحة الشرعية، والحث على الترجمات النافعة المفيدة للأمة، نجد أنّ منهجهم يقوم على توفير الحرية الفكرية للمترجم والنص في آنٍ واحد، فالمترجمون على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم من اليهود والنصارى: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، والمارونية، وكذلك الصابئة، والزرادشت، تنسموا جواً نقيّاً من المحبة والتقدير والاحترام، وعدم الإكراه على اعتناق دين الدولة الإسلامية"[1].

لقد كان جو التسامح والمحبة من سمات الحضارة الإسلامية أينما حلّت، ولكن التمازج والاختلاط بين كل مكوناتها وعناصرها كان في الأندلس أكبر وضوحاً، وأكثر إشراقاً، ولاسيّما الاختلاط في ميدان اللغات والديانات، وأساليب الأكل واللباس والغناء، كما لاحظت المستشرقة ماريا روزا مينوكال[2].

(١) سمير الدروبي، **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ص٣٧؛ وانظر: غومس، **الشعر الأندلسي**، ص٤٣.

(٢) انظر: مينوكال، **الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح**، ص٣٩-٤٤؛ الجراري: **أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع**، ضمن مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، إبريل، مايو، يونيو، ١٩٨١، ص١٤-١٩.

- **الكشف عن شخصية أبي الخير الإشبيلي، وتحقيق نسبة كتابه "الفلاحة":**

وأبو الخير الإشبيلي من كبار الأطباء وعلماء الفلاحة، الذين عاشوا في الأندلس في نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس الهجريين ويكشف كتابه الموسوم بـــ"عمدة الطبيب في معرفة النبات" عن صلته بابن اللُّونْقُة (ت: ٤٩٨هـــ/ ١١٠٤م)، وعن صلته أيضاً بابن بصَّال صاحب كتاب "الفلاحة"، وكلاهما من أهل طليطلة، وقد فرّا منها عندما اجتاحها الإسبان عام (٤٧٨هـــ/١٠٨٥م)، ثم أقاما في إشبيلية وتنقلا في غيرها من المدن الأندلسية.

والغموض ما زال يلف شخصية أبي الخير الإشبيلي، ولكن كتاب "الفلاحة" لابن العوَّام يقدم للدارسين معلومات ثمينة تساعد في الكشف عن شخصية أبي الخير وكتبه، حيث يقول ابن العوَّام في مقدمته التي سرد فيها كثيراً من مصادره في كتابه "الفلاحة الأندلسية": "وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي (رحمه الله)، وهو مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه، وعلامته (خ)"[(١)].

فنص ابن العوَّام الآنف ذكره، أفاد المحقق الفاضل محمد العربي الخطابي في التعرف على شخصية أبي الخير الإشبيلي التي فقدت من المصادر الأندلسية من ناحية، وزادت من أدلة الخطابي على عزو كتاب

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢٨١/١.

"عمدة الطبيب في معرفة النباتات" لأبي الخير الإشبيلي من ناحية أخرى، يقول الخطابي: "نقل ابن العوَّام عن أبي الخير عدداً كبيراً من المعلومات، وذكره أكثر من مائة وتسعين مرة، وعوّل على آرائه في كثير من أغراض الفلاحة، ولاسيما ما يتصل منها بوصف أعيان النبات وأجناسه وأنواعه.

وهذا ما دفعني إلى إجراء مقارنة بين الأقوال المنسوبة إلى أبي الخير في كتاب ابن العوَّام، وما يناسبها من مواد كتاب "عمدة الطبيب"، فوجدت بينهما تشابهاً في الأسلوب، وطريقة الوصف، وتقارباً في المعنى، مِمَّا يوحي بأن ابن العوَّام لم يقتصر على النقل من كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي..."[(١)].

قلنا: إن المقابلات الدقيقة بين ما اقتبسه ابن العوَّام من كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، وبين الكتاب المطبوع باسم "كتاب في الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، تثبت وتؤكد عدم وجود تطابق بين النص المنقول.

والأصل المنقول عنه، مما يكشف لنا بجلاء أن كتاب "الفلاحة" المطبوع في فاس على نفقة القاضي سيدي التهامي الناصري الجعفري سنة (١٣٥٧هـــ) لا تصح نسبته لأبي الخير الإشبيلي، وأن الكتاب المطبوع فيه نقول كثيرة من كتاب "المقنع في الفلاحة" لابن حجاج، وذلك في الصفحات (١-٨٤)[(٢)].

(١) أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**: ١٨/١ (مقدمة المحقق).

(٢) انظر: أبو الخير الإشبيلي، **الفلاحة**، ص٢-٨٤.

وفيه نصوص منقولة عن كتاب "زهر البستان" للطنغري[1].

وربما اشتمل كتاب أبي الخير في الفلاحة على نقولات أخرى من مصادر فلاحية أندلسية لم تذكر بالاسم، والمطبوع على وجه العموم نسخة ملفقة مجمعة من عدة مصادر، ولكنّه يبقى مهماً في دراسة الفلاحة الأندلسية.

وتأسيساً على ما تقدم ذكره، فإن كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، لم تعرف له نسخة خطية موجودة الآن، وأنّه لا بد من البحث عنه، وفحص المخطوطات الفلاحية الموجودة في المكتبات، ومراكز المخطوطات في أرجاء العالم المختلفة، فلعله مضمن في إحدى هذه المخطوطات، أو لعله نسب لغير أبي الخير، ومن غير المستبعد وجوده كاملاً في إحدى المكتبات العامة أو الخاصة.

ومِمّا هو جدير بالذكر، أن المرحوم محمد عيسى صالحية قد وصل إلى هذه النتيجة من قبل، وذلك في مداخلته لبحث فريد جحا الموسوم بـ"التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات" الذي قدمه في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، والمنعقدة في الكويت سنة (١٩٨٣)، يقول صالحية في المداخلة المذكورة أعلاه أنّه: "قام بجمع النصوص التي وردت في كتاب الفلاحة لابن العوّام، وقابلها بكتاب أبي الخير جملة جملة، وكلمة كلمة، فلم يجد نصاً واحداً من نصوص ابن العوّام

(١) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، ص (د).

في كتاب أبي الخير. واستنبط من ذلك أن يكون أحدهم نسب الكتاب لأبي الخير، وأمر نسبة الكتب إلى غير أصحابها ولاسيما في كتب الفلاحة —كثير شائع"[1].

والخلاصة في هذا الشأن أن كتاب ابن العوّام في الفلاحة قد حفظ لنا شذرات كثيرة من كتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي وكتاب ابن بصّال في الفلاحة، وكتاب ابن حجاج الإشبيلي "المقنع" وغيرها من كتب الفلاحة الأندلسية، وأنّ هذه النصوص تشكل نقطة الانطلاق في البحث عن هذه المصادر الفلاحية الأصيلة التي لا توجد لها نشرات علمية كاملة حتى الآن.

ونأمل أن تحقيق هذا الكتاب ونشره، سيكون مبعثاً للبحث عن مصادره من جديد، ولاسيّما بعد زيادة الاهتمام بالتراث العربي في الفلاحة تحقيقاً ودراسة.

– براعة الأندلسيين في حفظ المحاصيل والثمار أطول فترة ممكنة خوفاً عليها من العوامل والظروف الجوية والعفونة، وغيرها من المهلكات للثمار والمحاصيل:

ويظهر مِمّا أورده ابن العوّام أنّه يراعي أمرين في تخزين المحاصيل والثمار وحفظها:

(١) فريد جحا، **التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات**، ضمن أبحاث "الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، الكويت، ١٩٨٣، ص٣٨٤.

الأول: اختيار الأجواء الباردة والبيئة النظيفة، يقول: "ينبغي أن يختار لاختزان الفواكه وغيرها المواضع الباردة، ذوات الرائحة النظيفة، وذوات الفوائح غير القبيحة، ولا يقرب شيء من الفواكه من حب السَّفَرْجل، ولا يُخزن معها، فَإِنَّه يُضرُّ بالرَّطبة منها"[1].

الثاني: إثبات ما صح بالتجربة في موضوع حفظ الثمار، فمثلاً يقول ابن العوّام: "وإذا أردت أن يبقى العنب في الدّالية، أو في الجَفْنَة، وتقطفه متى شئت، فتعمل خرائط (أكياس) من كتان، ويدخل في كلّ خريطة منها عنقود ناضج سليم، ويربط فمها عليه في عموده، أو في أصل العُنقود، فيبقى غضاً زماناً، صحيح مجرب"[2].

وابن العوّام لا يعول على مصدر من المصادر التي رجع إليها أكثر من تعويله على التجارب الدقيقة، التي تقوم على الملاحظة الدقيقة المستمرة، والرصد الحسي المباشر مِمّا كان يقوم به شخصياً، فهو لا يأخذ أقوال فلاحي النبط، أو الروم، أو الأفارقة، أو غيرهم على أنّها مسلمات صحيحة، ونتائج كلية لا تقبل التعديل.

إنّ ابن العوّام يتابع تجارب المتقدمين، محاولاً الإفادة مِمَّا وصلوا إليه، ولكنَّه يعدل ويطوّر على تلك المحاولات والتجارب، ويضيف إلى ما قالوه ووصفوه رأيه الخاص.

(١) ابن العوّام، **الفلاحة النبطية**: ٣/٤٨٥.

(٢) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣/٤٩١.

وهذا ما فعله في موضوع تخزين الثمار وحفظها، فقد أورد في كتابه ما قاله قسطوس بشأن حفظ الكرمة، يقول: "إذا عُمِد إلى أول ما يطلع من الكرم، فقطع وطرح عنه، ثم يُسقى ذلك الكرم، ويُنقى، فإنَّه يثمر مرةً أخرى عنباً مؤَخَّراً، فإذا نضج فيُجْعَل كل عنقود في بستوقة (آنية من فخار) من حزف، وتُعَلّق بأغصان الكرم؛ لئلا يسقطها الريح، ويُطيَّن فمها بجِصٍّ، ليَحْمِي ما فيها من الرّيح، فإنَّ ذلك العنب يَبْقَى غضاً إلى (ديماه) وهو أول الربيع، ولا يفسد".

والظاهر أن ابن العوّام قد جَرَّب هذه الطريقة التي مصدرها قسطوس في حفظ العنب دون أن يدركه الفساد لفترة زمنية ما، ولكنَّه لم يجد هذه الطريقة مطردة، أو صحيحة في كثير من الأحوال، ولذلك فإنَّ تجربته الخاصة قد هدته إلى تطوير الطريقة القسطوية في حفظ ثمر الكرمة، فقال ابن العوّام –مضيفاً لما عند قسطوس، وصدر رأيه بلفظه: "لي" التي تعني أن الرأي من تجاربه–: "يثقب في الآنية ثقب للهواء– كما ذُكر في الأترج في باب المُلَح– ولا يَمَاسّ شيء من العنب الآنية، فإن ماسَّهُ فسد"[1].

ولم يكتفِ ابن العوّام بتجربته الخاصة في موضوع حفظ العنب وتخزينه، وزيادة في التثبت والتحقق من نجاعة وصحة ما أضافه، فإنَّه يستشهد بقول أحد الثقات الذين يطمئن إلى أقوالهم؛ لأنَّهم من أهل

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣/٤٩٣.

الخبرة والتجاريب في هذا الأمر، يقول: "أخبرني ثقة أنّه رآه قد فَسَد بمماسته لآنية الفخار"(١).

والملاحظ أن مصدره في فساد العنب بمماسة وعاء الفخار، لم يرو قوله عن آخرين، بل كان خبرةً مبنيّةً على الرؤية البصرية والمشاهدة الحقيقية، وليس الخُبر كالخَبر كما يقال.

ويتحدث ابن العوَّام عن الوسائل التي تحفظ ثمر الأترج من الثلج والصقيع، يقول: "وإذا طُلي ثمرُهُ بجصٍ معجون بالماء، بقي الشتاء كله في ثمرته، ولم يَضره الثلج، وتُستر ثمرته عن الثلج بأكنّة من الألواح والقصب، وتغطى بالحُصُر لأنَّ الصِّرَّ يهلكها"(٢).

– تسمية الأدوات الزراعية المستخدمة في الأندلس:

إنَّ كتاب "الفلاحة الأندلسية"، هو أوسع كتب الفلاحة الأندلسية وأشملها، ولذا فإنّنا نجده قد ذكر في جُلّ أبوابه وفصوله كمية وافرة من الأدوات الزراعية المستخدمة في إعداد التربة، وحرث الأرض وتسميدها، وتفتيت الترب وتمهيدها، وتركيب النباتات وتقليمها، وإنباط المياه وتوزيعها، وحصاد النبات ودرسها، وتخزين الحبوب والثمار وحفظها، ومكافحة الحشرات والآفات الزراعية الضارة، وتربية الحيوان والعناية به،

(١) **المصدر السابق:** ٤٩٣/٣.

(٢) **المصدر السابق:** ٢٧٤/٢.

إلى غير ذلك من أعمال الفلاحة المختلفة.

يقول ابن العوَّام في إشارة منه إلى بعض الآلات المستخدمة في الريّ: "والقسم الثاني: شاق مُتعب، وهو السقي بالآلات مثل: النواعير والسواقي، والدلاء التي تدور بها الإبل والحُمُر والبغال، وأقلّها الخَطّارَات..."(١).

والخطّارات كما عرفها صاحب النفح: "صنف من الدواليب الخفاف يستقي به أهل الأندلس من الأودية، وهو كثير على وادي إشبيلية، وأكثر ما يباكرون به العمل في السحر"(٢).

فنص ابن العوَّام السابق يشير إلى تنوع وسائل وأدوات الري التي تُدار بالجهد الإنساني والحيواني، وبقوة الماء وغيرها من ضروب الطاقة المتاحة في ذلك الزمن.

وأشار ابن العوَّام إلى بعض الأدوات المستخدمة في تركيب الأشجار، يقول: "وتوضع الأقلام بظروف من فخّار جُدد وغيرها، مثقوبة إلى أسفل بقدر ما يدخل الفرع من ذلك الثقب. وتملأ تلك الظروف بالتراب الطيب المذكور قبل ذلك، وشبهه من تراب وجه الأرض.

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية:** ٢٧١/١.

(٢) المقري، **نفح الطيب:** ٤٥٤/٣.

ويُتَقَدَّم بإعدادِ هذه الظُّرُوف قبل ابتداء العَمَل. ويكون قَدْر تلك الظُّرُوف في كِبَرها وصِغَرِها على قَدْر السَّاق أو الغُصْن الذي يُستَعْمل في رِقَّته وغِلَظه. ويُقْصَدُ أن يكون موضع التركيب في وسط الظَّرْف. وصفتُهُ أن يكونَ من فَخَّار مثل: المَحَابِس أو القَوَاديس أو القُدُور الكِبَار، وشبه ذلك"[1].

فالقارئ يدرك أن عملية التركيب عملية معقدة، تستخدم فيها عدة أدوات، وتكون ذات أحجام وأشكال ومقادير مختلفة، وهي مصنوعة من الخزف وغيره، حيث ذَكَر: ظروف الفخار المثقوبة، والمحابس، والقواديس والقدور الكبار. كما أنَّ استخدام هذه الأدوات يحتاج إلى معرفة مسبقة، وبراعة فنية في العمل بها في مواضعها الملائمة أثناء عملية التركيب.

وفوق ذلك، فإنَّ كل عمل فلاحي يحتاج إلى تضافر عددٍ من الأدوات الخزفية، والمعدنية والنباتية، والحيوانية، ولذا فإنَّنا لا نستغرب ورود أسماء عشرات الأدوات، والأواني، والمعدات الفلاحية، عند ابن العوَّام: الجونة، الكوز، خابية، إسفنجة بحرية، منشار، منجل، سكين، قادوس قصرية، غربال، الجفت، المنقار، أنابيب النحاس، بستوقة من

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٧٣/٣.

خزف، قدر نحاس، ديس (حصير)، جرة، قواصر، المساحي، السواقي، الهواوين، الأزيار، القفة[1]... الخ.

تقول المستشرقة الإسبانية إكسبيراثيون غارثيا سانشيز الأستاذة في قسم التاريخ في جامعة غرناطة: "الأدوات الزراعية: يظهر أثر التقاليد الرومانية جلياً في هذا الميدان، بيد أن ذلك لا يعني غياب أثر التقاليد المشرقية، وبصورة عامة يمكن القول: إنَّ أدوات الزراعة كانت مصنوعة في أغلبيتها من الحديد، وكانت بسيطة، على الرغم من تنوعها الكبير".

وتستمر سانشيز قائلة: "وهنا تنبغي الإشارة إلى دراسة حديثة أعدت مسحاً شاملاً ودقيقاً لأدوات الزراعة المذكورة في جميع المخطوطات الزراعية الأندلسية، ما حُقق منها، وما لم يحقق وينشر بعد، إذ نجد فيها تنوعاً عظيماً لهذه الأدوات، يربو مجموع المحصي منها على الثمانين، بضمنها ستون أداة مستقلة، والبقية أدوات مكملة لها، أو مضافة إليها"[2].

(١) انظر: ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٧٥/٣، ١٣٨، ١٥٦، ١٥٨، ٤٠٨، ٤٤٠، ٤٥٢-٤٥٣، ٤٦٣، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٩؛ ١٢/٤، ٤٦، ٩٥، ١٠٧، ١١٠، ١٧٢، ٢٧٤، ٣٤٤.

(٢) سانشيز، "**الزراعة في إسبانيا المسلمة**"، ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس": ١٣٧٩/٢-١٣٨٠.

قلنا: إن تقديم المستشرقة سانشيز الأثر الروماني في موضوع الأدوات الزراعية على الآثار الشرقية أمر مجانب للحقيقة، بل خارج عليها في موضوع الفلاحة الأندلسية بخاصة والشرقية عامة؛ لأنَّ علم الفلاحة نشأ في الشرق على ضفاف الرافدين والنيل، وغور الأردن، وأنهار بلاد الشام، وفي أرض بابل وكنعان، والتقاليد الفلاحية في بلاد المشرق موغلة في القدم، وقد جسدتها فلاحة النبط، وهم عرب امتهنوا الزراعة، والفعاليات الزراعية على ضفاف نهر الأردن وفي أرض الشرق العربي تعود إلى آلاف السنين قبل أن يعرف لليونان أو الرومان وجود حضاري.

وفوق ذلك؛ فإنَّ الرومان كانوا مجرد نقلة لتراث الشرق في قرطاج وغيرها، يقول محمد زهير البابا في حديثه عن مرقس فارون الروماني الذي ألّف كتاباً في الفلاحة، وعدد فيه أسماء من سبقه من المؤلفين في علم الفلاحة، ثم قال: "إنَّ جميع هؤلاء يفوقهم شهرة ماجو القرطاجي، الذي جمع في ثمانية وعشرين كتاباً، كتبت باللغة الفينيقية، جميع الموضوعات التي عالجوها مستقلين"(١).

وقد فصّل ذلك الباحث التونسي الطرابلسي في كتابه العميق عن نشأة علم الفلاحة العربي، يقول: "رغم تضارب الآراء حول الفلاحة القرطاجية، فإنَّ روما سعت إلى نقل موسوعة ماجُون، بُعيد تدمير قرطاج

(١) البابا، **المؤلفات العربية في علم الفلاحة والنبات**، ص٥، مقالة على الشبكة العنكبوتية.

سنة (١٤٦) قبل المسيح، عندما أمرت لجنة سناتُوريه تحت إشراف دَقيمانوس وسلاَفُوس بالترجمة، كانت هذه الموسوعة عند ترجمتها تتكون من (٢٨) كتاباً، ترجمها من البُونية [الفينيقية أو الكنعانية] إلى اليُونانية كَسْيُوس دَنيس الأوتيقي بعد أن اختصرها من (٢٨) إلى (٢٠) كتاباً، وكان ذلك سنة (٨٨) قبل المسيح.

لقد قلل وارون من أهمية موسوعة مَاجُون، فاعتبر أنَّ ما فعله هذا العالم القرطاجي لا يتعدى مجرد تجميع نصوص زراعيَّة كثيرة ومتنوعة، كانت من قبل مقاطع متناثرة في عديد من الكتب. لكن قَوْلُومَلا عارض هذا الموقف، عندما وصف ماجُون بأنَّه أب علم الاقتصاد الريفي، الذي نجح في تأليف أول موسوعة في علم الفلاحة"(١).

ففارون الروماني ووفقاً لما يقول البابا يعترف بالعمل الضخم لماجون القرطاجي أو الكنعاني، حيث تُرجمت موسوعته الفلاحية إلى اللغة اليونانية وإلى اللغة اللاتينية، فأخذ اليونان والرومان ما أخذوا من تجارب الشرق الزراعية، وفقدت الأصول الكنعانية لهذه الأعمال الزراعية التي نشأت وترعرعت وتطورت في أرض الشرق العربي أرض كنعان والرافدين، ثم انتحلها اليونان والرومان، وأصبحت علماً رومياً خالصاً، علماً بأنَّ أكثر التراجمة الغربيين عندما نقلوا علوم العرب والمسلمين -فيما بعد- قد

(١) الطرابلسي، **نشأة علم الفلاحة العربي**، ص٤٠؛ وانظر: كونتو، **الحضارة الفينيقية**، ص٣٤٢.

نحلوها لأنفسهم، وأسقطوا أسماء مؤلفيها الحقيقيين.

وفوق ذلك، فإنّ من بدهيات الكثير من الدراسات الاستشراقية التي كتبت في العهود الاستعمارية البالية، والتي ما زال بعضها يسيطر على بعض عقول المستشرقين، سلب كل حضارة عن الشرق، وتجريد الشرقيين من كل إبداع قدموه لخدمة الإنسانية، فقد اعتقدوا نتيجة لدعاية المستشرقين- أن أثينا وروما هما مصدر كل إبداع وفن وعلم ومعرفة في تاريخ البشرية.

ولكن يأتي باحث فرنسي منصف هو بيير روسي، فيقول -رداً على هذه الأوهام بل الأكاذيب والمغالطات التي يدحضها تاريخ العلم-: "إنّ من الأفضل أن نتكلم عن الحضارة الإيجية بدلاً من الكلام من الحضارة اليونانية، فالتأثير الذي مارسه الكنعانيون من صور وصيدا في بحر إيجه، ليس له أهمية لغوية فقط، بل هو يفرض نفسه في جميع المجالات وبخاصة في مجال الدين والأسطورة، والفلسفة، والعلم والفن..."[1].

فنحن أمام اعتراف صريح من مستشرق منصف بدور العلم العربي أو الكنعاني أو الفنيقي أو البوني في تشكيل العلم في أثينا وروما، وأنّ هذا العلم المشرقي هو المصدر الأساس لمعارف اليونان والرومان.

(١) روسي، **التاريخ الحقيقي للعرب**، ص٦٧؛ وانظر: سورينا، **تاريخ الطب**، ص٩٢-٩٦؛ يونغ، **العرب وأوروبا**، ص١٠٥-١٠٦.

ويبدو أنّ نزعة التشكيك في الدور الحضاري العظيم لعرب الأندلس في صناعة الفلاحة، وفي نقل نباتات جديدة لأوروبا، وللعالم بأسره، ما زالت مسيطرة على عقول بعض المستشرقين، يقول كوك: "إنّ قائمة النباتات التي يقال إنّ مسلمي العصور الوسطى الأوائل أدخلوها إلى جنوب أوروبا، هي قائمة طويلة، ونجد على رأسها الأرز والقطن وقصب السكر... والمشكلة الأساسية هي عدم وجود وصف محدد بشكلٍ كافٍ لإدخال هذه النباتات إدخالاً فعلياً في مصادرنا"[1].

قلنا: إنّ قصور باع كوك وغيره من الباحثين الذين يصدرون الأحكام الجزافية المتعجلة يسبب التعلل بقلة المصادر، أو عدم قدرتهم على الوصول إليها، أمر معروف، ونود أن نشير إلى الدراسة المحيطة التي أنجزها أندريو واطسون حول الإبداع الزراعي في العالم الإسلامي، والتي أبرز فيها أن خصائص هذا العالم، قد سهلت انتقال المحاصيل الجديدة على يد المسلمين نتيجة لظهور: "حضارة تحمل طابع الجدة فوق جزء كبير من سطح الأرض، وتتكون من عناصر هي في معظمها عناصر أصيلة..."[2].

* * * * *

(١) انظر: م. كوك: "**التطورات الاقتصادية**"، ضمن كتاب: تراث الإسلام، ق١، ص٣٠٤.

(٢) واطسون، **الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي: انتشار المحاصيل والتقنيات الزراعية ما بين عامي ٧٠٠ و١١٠٠ للميلاد**، ص٥؛ وانظر الصفحات: ١٩٢-١٩٤؛ ٢٠٧-٢٠٨.

الفصل الخامس

ترجمات الكتاب ونشراته

الفصل الخامس

ترجمات الكتاب وتراجمه

قبل الحديث عن ترجمة الكتاب إلى لغتين أوروبيتين معاصرتين في القرن التاسع عشر، وهما الإسبانية والفرنسية، لا بُدَّ من الإشارة إلى أن الأوروبيين قاموا بترجمة بعض كتب الفلاحة الأندلسية في العصور الوسطى.

وعند قيام المستشرق خوسي ماريه مياس بييكروسا بإعداد كتابه عن "الترجمات الشرقية في مخطوطات مكتبة كتدرائية طليطلة"، وجد كتابين بالإسبانية القديمة (القشتالية) ناقصين ومجهولي المؤلف، ومصدرهما طليطلة، وعند دراسته للكتابين، تبين له أن أحد الكتابين لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن وافد اللخمي (ت: ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، والكتاب الثاني هو كتاب "القصد والبيان" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصّال الطليطلي وكان معاصراً لابن وافد، وهو أحد أهم المصادر الأندلسية في فلاحة ابن العوّام.

وتبين للمستشرق الإسباني خوسي مارية أن الكتابين ناقصان، وأنَّ مؤلفيهما مجهولان[1].

(١) انظر: ابن بصّال، **كتاب الفلاحة**، ص١١ (مقدمة خوسي مارية ومحمد عزيمان).

وكَشفُ المستشرق خوسي مارية له أكثرُ من دلالة، فهو من جانب يدلنا على حركة الترجمة النشطة التي كانت طليطلة مركزاً لها، وذلك بعد ضياعها من يد المسلمين عام (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، وأنَّ ترجمة العلماء في مدرسة طليطلة قد شملت مختلف العلوم الطبيعية، والفلسفية، والطبية، والأدبية عند العرب. ويدل من جانب آخر على انتحال المترجمين الأوروبيين لكثير من الكتب العربية المترجمة وسرقتها، ونسبتها لأنفسهم، تقول زيغريد هونكه عن دمتريوس الذي جاء من صقلية ببعض الكتب العربية:

"وكان قد أخذ معه إلى إيطالية ترجماتها العربية بقلم حنين بن إسحق، وابن أخته حبيش بن الحسن، دون أن يغير من أسماء مؤلفيها اليونانيين، بعكس ما فعل تماماً مع المخطوطات العربية، إذ لا يُعرف أسماء مؤلفيها في أوروبة، ولا يعيرهم "الكفار" أي اهتمام؟! فكان أن سحق كل اسم عربي في كل المخطوطات ونسبها إلى نفسه، خوفاً من أن يقطف ثمار عمله سارق آخر غريب على حَدّ قوله، وهو في عمله هذا كاللص الداهية، الذي يتعالى صراخه بأن "أمسكوا السارق"، في الحين الذي هو يملأ خلسة عبه وجيوبه"[١].

قلنا: لو عرفت زغريد هونكه المثل العربي الذي يقول: "تلدغ العقرب وتصيء"، لكفاها مؤونة ضرب المثل لهذا المترجم المنتحل باللص

(١) هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٢٩٨.

الذي يسرق ويصيح، وما أكثرَ السراقَ من المترجمين الأوروبيين في عصر النهضة الأوروبية، عندما سطا كثير منهم على الكتب العربية في العلوم وترجموها ونسبوها لأنفسهم!!، ولعلَّ ما فعله الأوروبيون هو السبب في إفتاء بعض فقهاء الأندلس بتحريم بيع الكتب للفرنج.

يقول ابن عبدون الأندلسي: "يجب أن لا يباع من اليهود، ولا من النصارى كتاب علم، إلاَّ ما كان من شريعتهم، فإنَّهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين"[١].

وعلاوة على ذلك، فإنَّ الدارس يدهش من الأسس المنهجية العلمية الدقيقة التي سلكها العرب في ترجماتهم الرائعة لأعمال اليونان والفرس والهنود.

وكان حرصهم شديداً على التحقق من صحة نسبة أسماء هذه الكتب المعربة إلى مؤلفيها، لما يترتب على ذلك من الوصول إلى النتائج العلمية السليمة، كما أنَّهم نقدوا الترجمات السابقة، واستخدموا النقد الخارجي والداخلي للتحقق من صحة هذه النصوص، اعترافاً بفضل أصحابها، وتقديراً لجهودهم وفضلهم في خدمة العلم الإنساني[٢].

(١) ابن عبدون، **ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة**، ص٥٧.

(٢) انظر: سمير الدروبي، **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ص٤٧-٦٣.

وفوق ذلك، فإنَّ معرفة الأسبان وغيرهم من الأوروبيين بطرائق العرب في الزراعة والري، واستصلاح الأراضي الزراعية وغير ذلك عن طريق ما ترجوه من كتبهم في الفلاحة، قد أحدث تغييراً جوهرياً في بنية المجتمعات الأوروبية على جميع الصعد الإنسانية والاقتصادية والسياسية[1].

ترجمة فلاحة ابن العوَّام إلى الإسبانية:

فقد قام المستشرق الإسباني الأب بانكيري أو بانكويري (J.A. Banqueri) بترجمة "الفلاحة الأندلسية" إلى اللغة الإسبانية، وقد طبع بعد إنجاز ترجمته في مدريد سنة (١٨٠٢)، ويستفاد مِمَّا ذكر نجيب العقيقي أن بانكويري قد أمضى قرابة الخمسين عاماً في تحقيقه وترجمته[2]، وربما كان ذلك غير مستبعد لضخامة العمل في تحقيق متن النص العربي والترجمة الإسبانية له، ولما عُرف عن بعض كبار المستشرقين من تدقيق وتحقيق.

ويبدو أن تلك النشرة العظيمة التي نهض بها بانكوري قد نفدت منذ عهد بعيد، وأصبحت نادرة الوجود، ولذا نجد أن وزارة الزراعة ووزارة الخارجية الإسبانية قد قامتا بإعداد طبعة جديدة للكتاب في سنة (١٩٨٨-١٩٩٢م).

---

(١) انظر: أحمد رضا بك: **الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق**، ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) انظر: العقيقي، **المستشرقون**: ٢/٥٨٠-٥٨١.

ويتضح أنَّ الأب ميخائيل الغزيري يقف وراء الدعوة إلى ترجمة هذا الكتاب ونقله إلى اللغة الإسبانية، والأب الغزيري واحد من الآباء الموارنة، وهو لبناني الأصل، وقد قام بفهرسة مكتبة دير الإسكوريال سنة (١٧٤٩م).

وقام الغزيري بتصنيف مكتبة الإسكوريال وفقاً لموضوعاتها، وأصدر فهرستها في مجلدين بالعربية واللاتينية، ونشر فهرسته في مدريد من سنة (١٧٦٠-١٧٧٠م).

والغزيري واحد من الرهبان الموارنة الذين استقطبهم الملك الإسباني كارلوس الثالث (١٧١٦-١٧٨٨م)، لتعليم اللغة العربية في بلاد الإسبان، ونشر تراثها المتعلق بإسبانيا وترجمته، كما أنَّ هذا الملك عدّ اللغة العربية مبرراً لترقية الموظفين الإسبان في بلاده[1].

أمَّا المبررات لتحويل كتاب "الفلاحة" لابن العوَّام إلى الإسبانية، فإنَّها ترجع —من وجهة نظرنا— إلى الآتي:

أولاً: الإقبال على تعلم العربية، ونشر تراثها المتعلق بالأندلس على يد الملك الإسباني كارلوس الثالث، الذي رأى قلة اهتمام الإسبان بالعربية وبتراثهم المكتوب بها، خلافاً لما كان عليه الحال في القرون السالفة[2].

---

(١) انظر: العقيقي، **المستشرقون**: ٢/٥٧٣-٥٧٤.

(٢) انظر: **المرجع السابق**: ٢/٥٧٣.

ولا شك أن رغبة الإسبان في الاهتمام بجيرانهم المغاربة قد عادت من جديد، وأن حضورهم الاستعماري في سبتة ومليلة كان قائماً –وما زال– حتى عصرنا الحاضر.

ثانياً: يبدو أن الملك الإسباني كان يدرك ما تمتعت به إسبانيا من رخاء وازدهار اقتصادي، حين كان بقايا العرب المعروفين بالمورسكين أو المدجنين موجودين بالأندلس، ولكن عندما ضيق عليهم في دينهم، وصودرت أموالهم وانتهكت أعراضهم، فرَّ كثيراً منهم إلى المغرب العربي بسبب سياسات محاكم التفتيش الجائرة التي كانت تجسّد موقفاً سياسياً ودينياً لدولة الإسبان ضد بقايا الوجود العربي في الأندلس[1].

ولا شك بأنَّ قهر المورسكيين وإجبارهم بالقوة على الهجرة القسرية من الأندلس، كان له أكبر الأضرار والآثار السلبية على الحالة الاقتصادية في إسبانيا، ولاسيَّما في الجانب الزراعي منها، حيث تدهورت حال الأراضي الزراعية التي برع المورسكيون أو المدجنون في ريّها وعمارتها واستغلالها، ونقص، الإنتاج الزراعي نقصاً هائلاً حتى مات بعض الناس جوعاً[2].

---

(١) انظر: أريتال، **شتات أهل الأندلس**، ص٦٩؛ كارداياك، **الموريسكيون الأندلسيين والمسيحيون**، ص٤٣-٤٤.

(٢) انظر: هورتز، بنتنت، **تاريخ مسلمي الأندلس: المورسكيون "حياة ومأساة أقلية"**، ص٢٥٤، ٢٦٨؛ قشتيليو، **المورسكيون في الأندلس وخارجها**، ص٦٦-٦٧.

ويشير غستاف لوبون إلى حالة التدهور والانحطاط التي لحقت بإسبانيا بعد تشريد العرب منها، وإجلائهم عنها، في مجال الزراعة، وغيره من مجالات الحياة والعمران، يقول:

"وكان من سرعة الانحطاط الذي عقب إجلاء العرب وقتلهم ما يمكننا أن نقول معه: إنَّ التاريخ لم يروِ لنا خبرَ أمة كالإسبان هبطت إلى دَرَكة عميقة في وقت قصير جداً، فقد توارت العلوم والفنون والزراعة والصناعة، وكلُّ ما هو ضروري لعظمة الأمم عن بلاد إسبانيا على عجل، فأغلقت أبواب مصانعها الكبرى، وأهملت زراعة أراضيها، وصارت أريافها بلاقع، والمدن إذ كانت لا تزدهر بغير صناعة ولا زراعة خلت المدن الإسبانية من السكان على شكلٍ سريعٍ مخيف..."[1].

ومِمَّا لا شك فيه أن الملك الإسباني الذي يعرف تاريخ بلاده جيداً قد أدرك أن بعث الاهتمام باللغة العربية في بلاده، والاطلاع على مصادرها العلمية، وخاصة في المجال الزراعي سيشكل عاملاً حاسماً من عوامل النهضة التي كان يتطلع إليها في بلده.

ثالثاً: إن بانكويري مترجم كتاب "الفلاحة" لابن العوَّام كان من كبار الشخصيات العلمية في عصره، حيث انتخب عضواً في مجمع التاريخ الإسباني عام (١٧٨٣م)، ويبدو أنه كان متصلاً بالدوائر الملكية الحاكمة

---

(١) لوبون، **حضارة العرب**، ص٦٩٦.

في إسبانيا اتصالاً وثيقاً، عندما عين مترجماً في المكتبة الملكية عام (١٧٩٤م).

ولذا فإنَّه من غير المستبعد أن تكون الرعاية الملكية الإسبانية قد شملته في موضوع ترجمة هذا الكتاب، وخصوصاً إذا علمنا أن الملك كارلوس الثالث الذي أنجز في عهده ترجمة جزء كبير من كتاب "الفلاحة الأندلسية"، كان مشجعاً للأسبان "على التضلع من أسرار العربية ونشر تراثها"[1].

رابعاً: لقي كتاب "الفلاحة الأندلسية" تقديراً عظيماً من المستعربين الإسبان الذين يعدونه دائرة معارف تاريخية في الفلاحة، كما أنَّه كان له كما يقول بالنثيا: "أثر كبير في كتابات ج. أ. دهِرِّيرا G.A. de Herrera"[2]، ولكنَّ المستشرق الإسباني بالنثيا لم يكشف لنا عن هذا الأثر أو الآثار التي تركها كتاب ابن العوَّام في كتابات دهرِّيرا.

ولا شك أن غابرييل ألونسو دي هيريرا وغيره من علماء الفلاحة المهتمين بالزراعة في أوروبا، قد أدركوا القيمة المعرفية لكتب العرب، وإنجازاتهم في ميدان الفلاحة، تقول إكسبيراثيون غارثيا سانشيز: "ينبغي أن نعترف في النهاية بأنَّ الزراعة الأندلسين ما بين القرنين الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والسابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،

---

(١) العقيقي، **المستشرقون**: ٥٧٤/٢.

(٢) بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٤٧٥.

هي بلا ريب الزراعة الأهم، والأكثر تأثيراً في العالم الإسلامي لتلك الفترة، من دون أن يعني ذلك أنَّها كانت الزراعة الوحيدة من نوعها آنذاك.

ويجب علينا، من جانب آخر، ألا نغمط البستنة الأندلسية، التي جمعت المعارف الزراعية السابقة، وأغنتها في نواحٍ عديدة، حقها في التأثير في معارف الغرب النصراني وممارساته الزراعية"[1].

ومِمَّا يجب التأكيد عليه، والاعتداد به، أن كتاب "الفلاحة" لابن العوَّام، كان من "أهم المصادر الزراعية في أوروبا إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وكان الكتاب الوحيد الذي طبقت مناهجه التدريسية في جامعات إسبانيا والبرتغال، وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا، وكان له تأثير واضح على الزراعة الأوروبية بصورة عامة"[2].

خامساً: اتخذ الأب الغزيري كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام، نصاً تعليمياً يُقرأ على المستعربين الإسبان، ولعلَّ مرد ذلك إلى لغته الواضحة السهلة، ولارتباط موضوعاته بالبيئة الأندلسية الفلاحية.

---

(١) سانشيز، **الزراعة في إسبانيا المسلمة**، ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: ١٣٨١/٣؛ وانظر: الشهابي، **تأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوروبية**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج١، مجلد ٣٦، ١٩٦١، ص١٨٢-١٨٥.

(٢) النابلسي، **الملاحة في الفلاحة**، ص١٤ (مقدمة عادل محمد علي الحجاج).

وتدليلاً على قوة الحضور للإرث الزراعي العربي في البيئة الزراعية الأندلسية، فإنّنا نورد ما قاله المستشرق الإسباني الكبير ليفي بروفنسال: "وما زالت العربية باقية حتى الآن في لغة الريف الصميمية في مفردات بعض المصطلحات الزراعية؛ وهي تظهر مرة أخرى أيضاً في مقاييس وموازين كل حقل قروي، سواء أكان ذلك يختص بقياس السطح، أو الوزن أو السعة. وفيما يتعلق بالرّي فإنّ الطرائق المتبعة ترجع بلا ريب إلى العصر الفيزيقوطي، وهي تتكشف عن اختلاف في التفاصيل والطرائق التي يمكن تفحصها في أفريقيا الصغرى وبخاصة في مصر؛ وما زالت أرض الأقاليم الشرقية في أسبانيا تستخدم تلك الطرائق في الري، تحرث كما كان الأمر في زمن المسلمين.

وهذا لا يعني أن اصطلاحات الري ليست عربية، فهي عربية ما عدا بعض الشواذ النادرة... إنّ ما تقره معاجم علم النبات من الألفاظ العربية لا يقل نسبة عن ذلك، فأكثرية أسماء الفاكهة والأزهار المزروعة، تشهد حتى الآن في إسبانيا على استعارة مباشرة من اللغة العربية"[1].

سادساً: إنّ الهدف العملي أو النفعي والتطبيقي، كان من أهم الدوافع وراء ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية"، إذْ يذكر المستشرق الإسباني خوان فيرنيت أن كامـــپـــومانيس قد وجد الكتاب "ذا نفع، فطلب إلى بانكـــيري أن يترجمه إلى الإسبانية، وبذلك تم وضعه في متناول

(١) بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، ص٨٢-٨٣.

مُلاك الأراضي الإسبان؛ لِيُتاح لهم استثمار مزارعهم على نحو أرشد"[1].

ولكن لم نجد ما يعرفنا بشخصية كاميومانيس الذي شجع على ترجمة كتاب ابن العوّام، ولعله الأب كانيس الفرنسياني (١٧٣٠-١٧٨٩م) (P.Canes) الذي انتخب عضواً في مجمع التاريخ بمدريد، وصنّف كتاباً في الإسبانية في قواعد اللغة العربية، وأعدّ معجماً عربياً في ثلاثة أجزاء، طبع في مدريد سنة (١٧٨٧م)[2].

واللافت للنظر، أن ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" من العربية إلى الإسبانية كان لغايات إفادة المزارعين الإسبان بِمَّا تتضمنه هذه الموسوعة من كنوز المعارف الفلاحية العربية، والتجارب الزراعية، التي قام بها كبار علماء الفلاحة العرب في الأندلس في: طليطلة، وإشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، وبلنسية وغيرها من المدن الأندلسية التي قامت بها الفلاحة على أسس علمية، ومناهج صحيحة تعتمد التجربة أساساً في العمل الفلاحي، وتعمل على زراعة كل شبر يمكن أن يزرع من أرض الأندلس.

ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" للفرنسية:

قام المستشرق الفرنسي كليمان موليه (Cl. Mullet) بترجمة فلاحة ابن العوّام إلى اللغة الفرنسية، وكأن الرجل أدرك ما للكتاب من قيمة تطبيقية، يمكن أن ينتفع بها الفلاح الفرنسي من جانب، وعزّ عليه أن تخلو

(١) فيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص٦٩.

(٢) انظر: العقيقي، **المستشرقون**: ٢/٥٨٠.

اللغة الفرنسية من هذا السفر الجليل القدر من جانب آخر، ولاسيّما بعد أن رأى لغة الإسبان زاهية بأثواب الفلاحة الأندلسية، بعد ترجمة بانكويري الذائعة الصيت لكتاب ابن العوّام.

ويدل عمل كليمان موليه دلالة واضحة على الجانب الإيجابي الذي قدمه المستشرقون للتراث العربي تحقيقاً ودراسةً وترجمةً، وحفاظاً عليه في دور مخطوطاتهم ووثائقهم ومكتباتهم الوطنية، مِمَّا جعل منه تراثاً إنسانياً عندما مكّن القارئ الأوروبي الإطلاع عليه بلغته الإسبانية أو الألمانية، أو الفرنسية أو الإيطالية أو اللاتينية أو غيرها من اللغات الأوروبية[1].

أمَّا نَاقِلُ هذا الكتاب من لغة العرب إلى الفرنسية المستشرق كليمان موليه (١٧٩٦-١٨٦٩)، أحد الذين أولوا دراسة العلوم الطبيعية عند العرب اهتماماً كبيراً، وله كتاب في علم الطبيعيات عند العرب، وترجم الثقل النوعي عند البيروني إلى اللغة الفرنسية، ونشره في المجلة الآسيوية سنة (١٨٥٨م)، وله أبحاث كثيرة في علم النبات عند العرب.

ويتضح أن ترجمته لكتاب ابن العوّام كانت في السنوات الأخيرة من حياته، حيث أصدره في ثلاثة أجزاء في باريس (١٨٦٤-١٨٦٧)، علماً

(١) انظر: سمير الدروبي: **من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العشرون، العدد (٥٠)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٦٣-٨٤.

بأن موليه كان مترجماً في وزارة الخارجية الفرنسية، وقام بنقل التوراة من العربية والعبرية إلى اللغة التركية، وأصدرها سنة (١٨٤٨م) بباريس[1].

ومِمَّا لا شك فيه أن ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى الإسبانية والفرنسية، ونشره في هاتين اللغتين غير مرة، قد جعل منه كتاباً عالمياً — كما أشرنا من قبل– وذلك لما لهاتين اللغتين العالميتين من انتشار واسعٍ في البلاد الأوروبية، وفي أمريكا الجنوبية، وكندا، وفي أفريقيا والمغرب العربي نفسه، وبخاصة اللغة الفرنسية.

ومن المفارقات العجيبة، أنَّنا وجدنا هذه الترجمة الفرنسية في مكتبات: الرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس، ولم نجد فيها كتاباً واحداً عن الفلاحة باللغة العربية في العام الجاري (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، أثناء زيارتنا لبلاد المغرب.

ويبدو أن الأوروبيين قد عرفوا شيئاً جيداً عن الإسهامات الكبرى، والإنجازات العظمى التي حققها العرب في ميدان علم الفلاحة، ووصلوا إلى كثيرٍ من النتائج التي لم يعرفها الغرب حتى منتصف القرن الماضي، يقول محمد أبو حسان: "ومِمَّا يجدر ذكره أن ابن العوّام عرف تطور

(١) انظر: العقيقي، **المستشرقون**: ١/١٩٢؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٤٧٥.

الورد الأزرق عن طريق المسلمين، وهذا التطور لم يعرف في إنجلترا إلاّ بعد الحرب العالمية الثانية، وقد ذكر المؤلف هذه التجربة بالتفصيل"[1].

ولا بد من الإشارة إلى أن ترجمة موسوعة ابن العوّام الموسومة بـ"الفلاحة الأندلسية"، قد مكنت علماء تاريخ العلوم من الأوروبيين من تقدير الجهود العلمية للعلماء العرب في ميدان النبات والفلاحة، وما لهم في هذا الميدان من إسهامات علمية جليلة خدموا بها البشرية، يقول ألدوميلي —الذي يُعد من أكثر العلماء إنصافاً وتقديراً للعلم العربي—:

"ومع أن ابن العوّام كان يؤلف كتبه على أساس يجمع بين التبحر العلمي في الكتب الإغريقية والعربية، فإنّه يقدم وصفاً دقيقاً لعدد يبلغ (٥٨٥) نوعاً من النباتات، ذكر من بينها (٥٥) نوعاً من الأشجار المثمرة. ولم يتردد ماكس مايرهوف في التصريح بأنّ هذا الكتاب ينبغي أن يُعد أحسن الكتب العربية في العلوم الطبيعية، وعلى الأخص في علم النباتات"[2].

ويرى المستشرق لاندو أن كتاب "الفلاحة" لابن العوّام من أهم الكتب المؤلفة في الزراعة والبستنة في الغرب الإسلامي، يقول:

---

(١) أبو حسان، **دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية**: ٢١٨.

(٢) ألدوميلي، **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، ص٤٠١.

"... وأشهر هذه الكتب ذلك الذي وضعه في القرن الثاني عشر العالم الزراعي ابن العوّام الإشبيلي "كتاب الفلاحة"، وإنّ ثمة خبيراً غربياً واحداً على الأقل يعتبره أهم مصنف قروسطي في هذا الموضوع (سارطون، المجلد الثاني، ص٤٢٤)، وهذا الكتاب لا يفيد من جُمّاع التراث الزراعي القديم، ومن المعرفة الإغريقية والعربية القائمة على الحقل فحسب، بل يفيد أيضاً على نحو أدعى إلى الإقناع من تجارب المؤلف العلمية الخاصة، وهو يدرس خمسمائة وخمساً وثمانين نبتة مختلفة، وزراعة ما يزيد على خمسين شجرة مثمرة، ومختلف ضروب التربة والسماد، وطرائق التطعيم والتعاطف، والتنافر الروحي بين النباتات (وهو موضوع يُعتبر في العادة، كشفاً من الكشوف العصرية)، وأمراض النبات وعلاجها، وتربية الماشية والنحل والطيور الداجنة"[1].

ترجمة كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى اللغة الأردية:

وترجم كتاب ابن العوّام إلى اللغة الأردية أيضاً، وهي من لغات الشعوب الإسلامية التي يتكلمها مئات الملايين في الهند وباكستان، وسيريلانكا وماليديف وغيرها من أقطار العالم، والمعروف تاريخياً أنّ هذه اللغة قد تولدت في دلهي في الهند، وترقت حتى صارت لغة أدبية، ودخلها كثير من الألفاظ العربية والفارسية والمغولية والهندية.

والمعروف أنّ الهنود والباكتسانيين يهتمون بتطوير اللغة الأردية،

---

(١) لاندو، **الإسلام والعرب**، ص٢٧٩.

وهناك لجنة من مهماتها وضع المصطلحات العلمية لهذه اللغة، ويرى أعضاء هذه اللجنة أن اللغة الأردية: "تحمل صلاحيات كامنة في ميدان العلوم والتكنولوجيا، بالإضافة إلى ميدان الأدب والثقافة، وقد تولى هذا العمل في باكستان هيئات متخصصة داخل الجامعات، كما هو الحال في جامعة البنجاب، وجامعة كراتشي، كما ظهرت معاجم متخصصة في مجال الكيمياء والطبيعة، وعلم النفس، والفلسفة، والقانون وغيرها..."[1].

ومِمَّا لا شك فيه أن ترجمة كتاب "الفلاحة" لابن العوَّام إلى اللغة الأردية[2] يرجع إلى القيمة العلمية الكبرى لهذا الكتاب، كما أنَّ تجاربه الزراعية يمكن أن تفيد الفلاح الهندي والباكستاني.

وأدخلت هذه الترجمة إلى لغة الأردو مزيداً من المصطلحات والألفاظ العربية في ميدان الزراعة، مِمَّا يعمل على إثراء هذه اللغة، وخاصة إذا ما علمنا بأنَّ اللغة العربية ضاربة بجذورها في بلاد الهند، إذْ بقيت فيها لفترة طويلة لغة الدين والثقافة، كما أنَّ "نصيب العربية في عملية نمو الثروة اللفظية في الأردية كبير"[3].

ويشير الندوي إلى عناية ملـوك الهند في بعض عصورها الإسلامية

(١) سمير عبد الحميد إبراهيم، **معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية**، ص٢.

(٢) G.S. Colin, **Filah**, EI^2.

(٣) انظر: سمير عبد الحميد إبراهيم، **معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية**، ص١٧.

بالثقافة العربية، حتى سَلَّ أحدهم النقود فيها باللغة العربية لأول مرة، وألّفت كتب كثيرة في بلاطاتهم باللغة العربية "وتقدمت اللغة العربية تقدماً ملحوظاً في بلاط المماليك..."[1].

ومِمَّا يدل على رسوخ الثقافة العربية في بلاد الهند وباكستان خصوصاً، وفي آسيا الوسطى والشرق عموماً، أن الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَاني (ت: ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، قد ولد في لاهور، وهو مؤلف "العباب الزاخر واللُّباب الفاخر" الذي قد يكون أضخم وأهم معجم عربي ألفه المعجميون العرب القدماء، وكان الصَّغَاني متقناً للغات العربية والفارسية والأوردية وغيرها، وسفر رسولاً بين خليفة بغداد العباسي وبلاد الهند[2].

وفوق ذلك، فإنَّ للغة العربية في باكستان أنصاراً ومؤيدين، وجرت محاولات في باكستان عند استقلالها لجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد وللدولة[3]، ولكن ضعف الوضع العربي، وتقاعس البلاد العربية آنذاك

(١) الندوي، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، ص١٨٦.

(٢) انظر: سمير الدروبي، **المعرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالاته المعجمية واستعماله اللغوي: لفظة "الفهرست" أنموذجاً**، ضمن مقاربات في اللغة والأدب (٤)، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٢٦-٢٧.

(٣) انظر: سمير الدروبي، **اللغة العربية في الدواوين والمخاطبات والمراسلات في المؤسسات العامة والخاصة في الأردن: واقعها وسبل النهوض بها**، الموسم الثقافي السابع والعشرون، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص٧٧٣.

حال دون إتمام هذا المشروع الحضاري العظيم لو قدر له النجاح، علماً بأنَّ العامل الديني في نفوس المسلمين من الهنادك والباكستانيين فاعل ونشط جداً في تعلم اللغة العربية، وفي ترجمة تراثها وعلومها وآدابها التي يعدونها جزءاً من حضارتهم وثقافتهم.

– ترجمة كتاب فلاحة ابن العوّام إلى اللغات: التركية والإنجليزية والإيطالية:

ذكر عماد محمد ذياب الحفيظ عضو اتحاد المؤرخين العرب، أن كتاب "الفلاحة الأندلسية" قد ترجم أيضاً إلى اللغة الإنجليزية، وإلى اللغة التركية[1].

ولكن الحفيظ لا يذكر لنا مصدره في هذا الخبر المهم، ولعلَّ هاتين الترجمتين إلى الإنجليزية والتركية قد أنجزتا بأخرةٍ، ولم نتمكن من اقتفاء خبر هاتين الترجمتين في أي مصدر آخر.

وذكر علي عبد الله الدفاع أنّه قد ترجمت قطعة من كتاب ابن العوّام إلى اللغة الإيطالية[2].

(١) انظر: الحفيظ، **دراسات عن الزراعة والمياه في التراث العربي والإسلامي:** ١٠٩/١.

(٢) الدفاع، **إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات**، ص٢٥١.

ويقول جليل أبو الحب نقلاً عن الدفاع أن كتاب ابن العوّام في الفلاحة قد: "ترجم إلى الإسبانية والفرنسية والإيطالية لأهميته"[1].

ونأمل أن تصح الأخبار بذلك؛ ليصل هذا الأثر العربي الأندلسي إلى جمهرة المهتمين به في كل أرجاء العالم، وليضاف ذلك الإنجاز إلى البراهين الساطعة، على عظمة الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الكبير في تاريخ العلم الإنساني.

* * * * *

(١) أبو الحب، **"علم الحيوان عند العرب"، مجلة المورد العراقية**، بغداد، المجلد الرابع عشر، شتاء ١٩٨٥، العدد الرابع، ص١١٠.

الفصل السادس

نسخ الكتاب الخطية ومنهجية العمل في التحقيق

أولاً: تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام الإشبيلي.

ثانياً: النسخ الخطية للكتاب.

ثالثاً: المنهج المتبع في تحقيق النص.

رابعاً: نماذج مصورة عن الأصول الخطية المعتمدة في تحقيق النص.

أولاً: تحقيق نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام الإشبيلي:

إنّ من أوليات ما يقوم به محققو النصوص وناشروها، تحديد نسبة هذه الكتب والنصوص إلى أصحابها، والتأكد من أنّهم قد قاموا فعلياً بتصنيفها، خوفاً من أن تكونَ مدسوسة عليهم أو منحولة لهم[1].

وقد يقوم بعض المصنفين أو أدعياء التصنيف بالإغارة على كتب الآخرين ونسبتها إلى أنفسهم[2]، وهذه ظاهرة تشيع في بعض الكتب والنصوص القديمة، ولا حاجة لضرب الأمثلة عليها.

وعملنا في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" يحتاج إلى توثيق صحة نسبة هذا العمل إلى مؤلفه، وذلك لكثرة الخلط والاضطراب، والتداخل والغموض، الذي يحيط بغالبية مصادر الفلاحة الأندلسية التي ألفت في زمن التداعي والسقوط لكثير من مدائن الأندلس، وأولها طليطلة التي كان سقوطها بيد الإسبان في سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، وما نجم عن ذلك من فرارٍ لكبار علماء الفلاحة كمحمد بن إبراهيم بن بصّال الطليطلي وغيره من هذه المدينة[3].

---

(١) انظر: سمير الدروبي، **ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي**، ص١١٨.

(٢) انظر: **مقامات جلال الدين السيوطي**: ١/٥٣-٥٨؛ وانظره: ٢/٨١٨-٨٥٥ "**مقامة الفارق بين المصنف والسارق**": ٢/٩٣٣-٩٥٧ "**مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي**"، (بتحقيق وشرح ودراسة: سمير الدروبي).

(٣) انظر: ابن بصّال، **الفلاحة**، ص١٣-١٦، (مقدمة المحققين).

وقد فرّ ابن بصّال وغيره من العلماء إلى حواضر الأندلس كإشبيلية وقرطبة وغرناطة، وكانت إشبيلية عاصمة المعتمد بن عباد مستقراً لغـــيره من علماء الفلاحة أمثال: ابن الحجاج الإشبيلي، وابن أبي الخير الإشبيلي، وابن العوّام الإشبيلي –فيما بعد–، الذين مارسوا تجاربهم الزراعية في جنة السلطان، وغيرها من حقول المختبرات الزراعية.

ولكن من المأسوف عليه أن ما وصل إلينا من كتبهم في الفلاحة –سوى ابن العوّام– ما هو إلاّ مختصرات، تحوم الشكوك المنهجية حولها، فبعد أن أورد أحمد الطاهري جملة من الملاحظات حول كتاب ابن بصّال المطبوع بعنوان "الفلاحة"، قال: "لعلّ في الملاحظات ما يطرح أكثر من علامة استفهام حول صحة انتساب الأصل المنشور فعلاً لابن بصّال؛ ممّا يدعو إلى إخضاعه هو الآخر لمزيد من الضبط والتمحيص"[1].

أمّا كتاب "المقنع في الفلاحة" لأحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي، فليس بأحسن حالاً من كتاب ابن بصّال، فنسخه الخطية التي اعتمدها صلاح جرار وجاسر أبو صفية لا تحمل اسم الكتاب، وإنّما تم التعرف على عنوان الكتاب ممّا كتبه ابن العوّام في "الفلاحة الأندلسية"[2].

---

(١) ابن ليون التجيبي، **اختصارات من كتاب الفلاحة**، ص١٩ (مقدمة أحمد الطاهري).

(٢) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، **المقنع في الفلاحة**: خ (مقدمة المُحَقِّقَين).

وذكر أحمد الطاهري: "المقنع في علم الفلاحة": "وقد حظي بعناية التحقيق من طرف صلاح جرار بالاشتراك مع جاسر أبو صفية، وصدر ضمن منشورات مجمع اللغة العربية الأردني بعمان سنة (١٩٨٢م)، وهي الطبعة التي أثارت تحفظ بعض الدارسين الإسبان الذين لم يترددوا عن إبراز مكامن الخلل والتداخل بين المتن الأصلي المفترض، والنص المحقق المنشور في شكله الحالي"[1].

وعلمنا أنّ إبراهيم حمد مهاوش الدليمي، قد حقق كتاب "المقنع في الفلاحة" ونشره في بغداد سنة (١٩٨١)[2]، ولكنّنا لم نتمكن من الوقوف على هذه النشرة وتقدير قيمتها العلمية.

وأمّا كتاب "الفلاحة" المنسوب لأبي الخير الإشبيلي، فَمَا هو إلاّ مجموعة من الأقوال والآراء في الفلاحة، نقلها جامع الكتاب من كتاب الطِّغنري "زهر البستان"، وغيره من مصادر الفلاحة الأندلسية[3].

ومن خلال العمل الدائب في مصادر الفـــلاحة الأندلسية التي تمكنا

---

(١) التجيبي، **اختصارات من كتاب الفلاحة**، ص١٥-١٦ (مقدمة أحمد الطاهري).

(٢) انظر: التكريتي، "**تقنيات زراعية في مجال التربة والأراضي من كتب الفلاحة العربية**، بحث منشور ضمن كتاب "ندوة التربة والزراعة عند العرب"، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص١٢٦.

(٣) انظر: ابن حجاج الإشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، د مقدمة المحققين.

من الوقوف عليها أثناء تحقيقنا لفلاحة ابن العوّام، فإنّنا نقول بكل اطمئنان: إنّ هذا السفر الجليل قد وصل إلينا كاملاً سوى الباب الأخير منه والمتعلق بالكلاب، إذْ نَصّ ابن العوّام على هذا الباب في مقدمته، وبيّن لنا موضوعاته، يقول: "الباب الخامس والثلاثون: في اقتناء الكلاب المباح اتخاذها للصيد والزرع والماشية. ومعرفة جيدها، وسياستها، وعلاج أدوائها، وذكر ما يصلح أحوالها بمشيئة الله عز وجل"[(١)].

وأول الأدلة الخارجية التي تقوم على صحة نسبة كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام، أنّ النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق النص، قد أثبتت اسم المؤلف، ولم يختلف الأمر في تسمية المؤلف من نسخة إلى أخرى.

وقد جاء اسمه مثبتاً على غلاف هذه النسخ، وأثبتتهُ نسخة باريس في الورقة الأخيرة منها.

أما الدليل الثاني الذي يعزز نسبته لابن العوّام، فهو أن ابن العوّام قد نص صراحة على أنّه مؤلف كتاب الفلاحة، ثم أردف ذلك بذكر كنيته واسمه، واسمي أبيه وجده، وشهرته، يقول: "قال مؤلّفهُ الشيخ الفاضلُ: أبو زكريّا، يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام (عفا الله عنه)"[(٢)].

---

(١) ابن العوّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٣١٧/١.

(٢) **المصدر نفسه**: ٢٦١/١.

فإن قال قائل: إنّ ابن العوّام لا يتحدث عن نفسه بصيغة المتكلم، قيل: إنّ كثيراً من القدماء قد نهجوا هذا النهج، ثم إنّ الرجل عاد وقال: "فإنّي لّما قرأت كتب فلاحة المسلمين، وكتب غيرهم من القدماء المُقدَّمين في صنعة فلاحة الأرضين..."[(١)].

وفوق ذلك، فإنّ مقدمته الطويلة الرائعة، قد تضمنت حثاً على امتهان صناعة الفلاحة، وذكراً لأنواع فلاحة الأرض، وتحديداً لمعنى الفلاحة، وتعديداً لأهم مصادر كتابه، وعدد أبوابه التي بلغت خمسة وثلاثين باباً، مع تحديده لقسمي الكتاب، وما تضمنه كل منهما من موضوعات وفصول بشكل واضح ودقيق لا غموض فيه.

وقد جاء الكتاب منسجماً مع هذا التقسيم، ومتفقاً مع الخُطّة التي حددها ابن العوّام في مقدمته، بحيث تنتظم الكتاب خُطة منهجية واضحة ودقيقة محكمة من بدايته وحتى نهاية فصوله، مِمَّا يدل على التزام مؤلفه بخطته التي لم نجد عنده انحرافاً عنها، أو خروجاً عليها.

وفوق ذلك، فإنّ الكتاب جاء ممثلاً للبيئة الأندلسية، وخاصة منطقة إشبيلية وقراها وجبالها، وهي الأماكن التي كثف فيها ابن العوّام نشاطه الفلاحي، وأدامه لسنوات طويلة، أمّا النصوص التي تدل على التجارب الزراعية في بلاد الرافدين والشام ومصر، فقد حدد مصادرها بدقة، وربط كثيراً منها ببيئتها.

---

(١) **المصدر السابق**: ٢٦١/١.

والقارئ للكتاب، يدرك أن وراءه عقلية علمية منظمة، تقدم التجربة على الروايات والأقوال، ولا تقبل رأياً لم يثبته الدليل من ناحية، ويدرك أيضاً أن أسلوب الرجل وطريقته في الكتابة مطردة في الكتاب كله من ناحية أخرى.

وربما كان مصنف ابن العوّام "الفلاحة الأندلسية"، هو آخر الأعمال الفلاحية الكبرى في الأندلس، بل في تاريخ التراث الفلاحي عند العرب.

أمَّا أوّل من ذكر مصنف ابن العوّام في الفلاحة -فيما وقفنا عليه- من المصادر القديمة، فهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) الذي ذكر: "وفي كتاب الفلاحة لابن العوّام من البيطرة والبيزرة جملة كافية"[١].

وجاء بعد ابن الأكفاني عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المؤرخ المشهور فعرف كتاب "الفلاحة الأندلسية"، وقال في مقدمته: "الفلاحة، هذه الصناعة من فروع الطبيعيات، وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشؤه بالسقي والصلاح، وتعهده بمثل ذلك.

وكان للمتقدمين بها عناية كبيرة، وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانيته، ومشاكلتها

(١) ابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، ص١٧٥.

لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، فعظمت عنايتهم به لأجل ذلك.

وتُرجم من كتب اليونانيين كتاب "الفلاحة النبطية" منسوبة لعلماء النبط، مشتملة من ذلك على علم كبير.

ولَمَّا نظر أهل المِلّة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه عن [كذا] الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه، وما يعرض له ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة.

واختصر ابن العوّام كتاب "الفلاحة النبطية" على هذا المنهاج، وبقي الفن الآخر منه مغفلاً، نقل منه مسلمة في كتبه السحرية أمهات من مسائله، كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى.

وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة، ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج، وحفظ النبات من جوائحه وعوائقه، وما يعرض في ذلك كله، وهي موجودة"[١].

قلنا: إنَّ مقالة ابن خلدون السابقة على درجة كبيرة من الأهمية، لِمَا لها من دلالات معرفية ومنهجية وتوثيقية، ولكن منها ما هو مقبول وصحيح، ومنها ما لا يقبل ويمكن رده، ونود أن نجمل موقفنا منها في الآتي:

(١) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**: ١٠٢٨/٣.

أولاً: إنَّ التعالق بين الفلاحة والسحر والطلسمات، والأفلاك والروحانيات مِمَّا يشتمل عليه كتاب "الفلاحة النبطية"، ويمثل ذلك مرحلة من مراحل التفكير الإنساني، الذي تدرج من الغيبيات والخرافات، إلى المحسوسات والمعقولات، ثم أصبحت معرفته مبنية على البرهان والدليل والتجربة العلمية.

ثانياً: إنَّ علماء الفلاحة، قد تخلوا في كتبهم عن الجانب السحري والروحاني، واقتصروا على بحث المزروعات من حيث هي علم طبيعي قابل للتجريب والرصد والملاحظة، وقد تمت مراعاة المنهج الإسلامي الذي يرى أنَّ الشمس والقمر والكواكب، من صنع الله وخلقه، ومن علامات عظمته، وليست كائنات علوية فاعلة، تمتلك أزمة التصرف في حياة البشر والنباتات والحيوان.

ثالثاً: إنَّ ما ذهب إليه ابن خلدون من أنَّ كتاب "الفلاحة النبطية" معرب عن الكتب اليونانية غير صحيح؛ لأنَّ القارئ لهذا الكتاب يجده يمثل الحياة الزراعية في بلاد الرافدين على وجه الخصوص، وأنَّه امتداد للثقافة البابلية والنبطية، والكلدانية والكنعانية، السائدة في منطقة الرافدين وبلاد الشام لا في بلاد اليونان.

رابعاً: إنَّ مترجمي العصر العباسي كان لديهم ضوابط منهجية دقيقة في تحقيق صحة نسبة الكتب المترجمة إلى أصحابها، وكما يقول **سمير الدروبي:** "ولم يقف التراجمة عند النقد الظاهري للنصوص التي تعاطوا ترجمتها، بل تجاوزوا ذلك إلى نقدها نقداً باطنياً، فَشكُّوا في صحة بعض النصوص، وكذبوا أن تكون صحيحة النسبة لمن ألحقت بهم، وقد تهيأ لهم ذلك من خلال بصر الناقدين المميزين لها من حيث مناهجها التأليفية، وأساليبها التعبيرية، ومدى اتساق ذلك وانتظامه مع الموروث العلمي لمؤلفيها"[1].

وبناءً على ما ثبت لدينا من رسوخ الأسس المنهجية عند المسلمين في العصر العباسي في موضوع الترجمة وقضاياها، فإنَّه من المستبعد جداً أن يكون كتاب "الفلاحة النبطية" ذا أصلٍ يوناني.

خامساً: إنَّ قول ابن خلدون باختصار ابن العوَّام الأندلسي لكتاب "الفلاحة النبطية" مغالطة كبرى؛ لأنَّ ابن العوَّام في "الفلاحة الأندلسية" لم يكن مختصراً أو جامعاً لكناش يتداوله الفلاحون وحسب كما توهم ابن خلدون، بل كان مؤلفاً موسوعياً أصيلاً في الفكر الفلاحي العربي بل الإنساني، ويكفيه فخراً ما شهد به أحد كبار مؤرخي العلوم في الحضارة الإنسانية، وهو دانيال لكلير الذي يقول في كتابه "تاريخ طب العرب": "إنَّ ابن العوَّام كان عملاقاً في حقل الفلاحة، فقد قدم للإنسانية من المعارف التطبيقية ما تحتاج إليه. كما أن إنتاجه يتسم بالتوثيق التاريخي الذي يهتم به علماء القرن العشرين، فهو عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، ولكن بعقلية القرن العشرين الميلادي"[2].

(١) سمير الدروبي، **الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي**، ص٦٠.

(٢) الدفاع، **إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات**، ص٢٥١.

سادساً: إنَّ ابن العوَّام في مقدمته لكتابه "الفلاحة الأندلسية" قد حدد أسماء مصادره، وأسماء الحكماء والعلماء الذين اعتمد على أقوالهم وآرائهم، وذكر لنا الآتي:

"وقدَّمتُ في فلاحة الأرضين ما أثبته الشيخ الخطيب؛ أبو عمر بن حجاج (رحمه الله) في كتابه آراء القدماء المذكورين في ذلك. وتابعته بما نقلْته من كتاب "الفلاحة النبطية" من أقوال القدماء المذكورين فيه، وجعلته كالأصل لشهُرتهم في العلوم، ولم أقطع بأنَّ ذلك يصح في بلادنا لبُعد بلادهم عنّا"[1].

ويستفاد من قول ابن العوَّام السابق، أنَّه لم يكن مبتدعاً في نقله عن كتاب "الفلاحة النبطية"، بل كان متبعاً، ولعله كان يخشى من غائلة اتهام بعض عوام الفقهاء الذين لا يخلو منهم زمان، بأنَّه كان مروجاً لكتب السحر والطلسمات، أمَّا إمامه في الأخذ عن كتاب "الفلاحة النبطية" فهو أبو عمر بن حجاج الإشبيلي الذي وصفه بالشيخ والخطيب، ويعضد ذلك أن من قرأ كتب العلوم والحكمة، ومنها كتاب "الفلاحة النبطية" يكون متهماً "بالخروج عن الملة، ومظنوناً به الإلحاد في الشريعة"[2]، فخوف الرجل من الاتهام جعله يبرر رجوعه إلى هذا المصدر بأنَّ ابن الحجاج قد أفاد منه قبله.

---

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٢٨٣.

(٢) صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، ص٨٨.

ومِمَّا يمكن أن يلقي ضوءاً كاشفاً على خلفية مقالة ابن خلدون الجائرة بحق فلاحة ابن العوَّام، أنَّه في زمن الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (حكم ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٦٧م)، ازدهرت العلوم والفنون، واستجلبَ الحكم المستنصر كتب الحكمة والعلوم والفنون من المشرق، ثم تولى الإمارة من بعده ابنه الحدث هشام المؤيد بالله، حيث أمسك المنصور بن أبي عامر بزمام دولته، وقام بإحراق وتدمير كتب العلوم المركوزة في خزائن بني أمية في الأندلس تقرباً للعوام والجهلة.

وقد وصف هذه الكارثة الكبرى صاعد الأندلسي بقوله: "وعمد أول تغلبه عليه على خزائن أبيه (الحكم) الجامعة للكتب المذكورة وغيرها، وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواصٍ من أهل العلم بالدين، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق، وعلم النجوم، وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو الأشعار إلا ما أفلت منها أثناء الكتب، وذلك أقلها، فأمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها، وطرح بعضها في آبار القصر، وهيل عليه التراب والحجارة..."[1].

سابعاً: إنَّ ابن العوَّام يعترف بالقيمة الكبرى لكتاب "الفلاحة

---

(١) **المصدر السابق**، ص٨٨.

النبطية" ويُعده أصلاً مهماً لا يمكن تجاوزه، وذلك لشهرة النبط الذين عرفوا بأن لهم علوماً جليلةً وحكماً تغتبط[1]، إلاَّ أنَّ عقلية ابن العوَّام العلمية الفاحصة جعلته يتحفظ منهجياً على كثيرٍ مِمَّا ورد في كتاب "الفلاحة النبطية"، وذلك أنَّ هذا الكتاب نتاج بيئة مختلفة في مناخها وطبيعة أرضها عن البيئة الأندلسية التي يعيش فيها ويؤلف كتابه لفلاحيها.

وبناءً على ما تقدم؛ فإنَّ مقولة ابن خلدون في كتاب ابن العوَّام لا تثبت أمام النظر العلمي السليم، ولا يمكن أن نُسَلِّم بها أو نقبلها، وهي إجحاف في حق ابن العوَّام الذي خلّد في معلمته أهم التجارب الفلاحية لكبار علماء الفلاحة في الأندلس من ناحية، ودوّن في فلاحته خلاصة تجاربه الزراعية الطويلة التي قصر عليها حياته وجهوده العلمية.

وفوق ذلك، فإنَّ ابن خلدون قد عُرِف بشدة بأسه، وقوة مراسه على بعض معاصريه من العلماء، وقد حدثني علاَّمة المغرب عبد الهادي التازي، مدّ الله في عمره، محقق رحلة ابن بطوطة، أن ابن خلدون قد أوغر صدر السلطان المريني على رحلة ابن بطوطة، مدعياً بأنَّ أكثر أخبارها ملفقة غير محققة، وكادت أن تذهب هذه الرحلة العظيمة طعمة للنيران والإتلاف، لولا أن ثاب هذا السلطان إلى عقله، وأبقى رحلة ابن بطوطة،

(١) انظر: **مقامة وادي كنعان**، أنجز سمير الدروبي دراستها وتحقيقها وشرحها وستصدر بعون الله قريباً.

وقد أفادني الشيخ التازي بذلك في منزله في الرباط في ربيع العام الجاري (١٤٣٢هـ).

وقد ردّ كل من المستشرق خوسى مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان مقولة ابن خلدون السالفة الذكر، وبيّنا أنَّ كثرة ما نسبه ابن العوَّام من أقوال إلى "العلماء الأقدمين من الفينيقيين، والكلدانيين، واليونانيين، والإسبانيين، اللاتينيين... أو من علماء المسلمين من المشارقة والأندلسيين" هو الذي حمل ابن خلدون: "على أن يعتبره، بدون حق، مجموعة من النقول عن الفلاحة النبطية"[1].

وخلص الباحثان إلى نتيجة مهمة تتجلى في: أنَّ ابن بصَّال الطليطلي كان يأخذ من "الفلاحة النبطية" دون العزو إليها، يقول الباحثان: "وقد استطعنا أن نتأكد في بعض الحالات من أنَّ ابن بصَّال يتبع "الفلاحة النبطية" وإن كان لا يشير إليها"[2].

ونحن نقول: إنَّ ابن العوَّام يشير إلى مصادر كتابه بدقة، ولم ينسب لنفسه رأياً أو قولاً أو تجربة من تجارب غيره من علماء الفلاحة، فنحن أمام باحث معاصر، يحدد مصادره المتنوعة، ويشير إليها في مواطن اقتباسه عنها، أو رجوعه إليها.

(١) ابن بصَّال، **الفلاحة**، ص٢٩ (مقدمة خوسى مارية وعزيمان).

(٢) **المصدر السابق**، ص٣٠ (مقدمة خوسى مارية وعزيمان).

وقدَّرنا أن حركة التواصل العلمي النشطة بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، في ميدان علم النبات، ستنقل جهود ابن العوّام في علم الفلاحة إلى مكتبات المشرق، وإلى أيدي علمائه في الفلاحة والنبات، ولكنّنا لم نجد خبراً أو أثراً يدل على نقل كتاب "الفلاحة الأندلسية" إلى المشرق في حياة ابن العوّام.

فقد حدثنا المراكشي عن الشاعر والعالم النباتي والطبيب علي بن عبد الله الإشبيلي الذي حج، وبحث عن النباتات في بلاد المغرب، يقول: "وشرق، وحج، وجال في كثير من بلدان المغرب، ووقف على أعيان الكثير من النبات فيه وفي غيره"[1].

وتذكر المصادر المشرقية والمغربية الصيدلاني الأندلسي أبا العباس النباتي المعروف بابن الرومية، والإشبيلي المولد والوفاة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، الذي رحل من الأندلس لأداء الفريضة وطلباً للعلم، ودخل تونس والإسكندرية، ومصر والقدس، ودمشق ومكة وبغداد وغيرها في العقد الثاني من القرن السابع الهجري، وألف كتاباً وسمه بـ"الرحلة النباتية"[2].

(١) المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: القسم الأول من السفر الخامس**، ص٢٣٩.

(٢) انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص٥٤٨؛ لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**: ١/٢٠٨-٢١٣.

ويبدو أن كتاب ابن بصّال الطليطلي، قد حمل إلى المشرق على أيدي علماء النبات والفلاحة من أهل الأندلس، أو غيرهم من الأندلسيين الذين قصدوا المشرق، ولذلك نجد لهذا الكتاب حضوراً بارزاً في مصادر الفلاحة الشامية والمصرية واليمنية في القرن الثامن الهجري، حيث رجع إليه المصنف المجهول لكتاب "مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"، واقتبس منه ثلاثين مرة في الأقل[1]، مِمَّا يعني أنَّ المصادر الأندلسية في الفلاحة قد أصبحت تزحم بمناكب قوية كتاب "الفلاحة النبطية"، الذي كسفت شمسه كل ما سواه من كتب الفلاحة عند المشارقة، وكانت له السيادة شبه المطلقة، والهيمنة الفعلية على الفكر الفلاحي في المشرق والمغرب، إلى أن تمكن ابن العوّام، ومن تقدمه من كبار علماء الفلاحة في الأندلس من خلخلة قواعده، وإبقاء الصالح منها، وخضد أشواكه الوثنية، وذلك بعد تطويعه للفكرة الإسلامية، نتيجة لنشاطهم المكثف، وتجاربهم العملية، وارتيادهم آفاق المعرفة الفلاحية عند كل أمة لديها علم أو معرفة بذلك.

واعتمد الوطواط الكتبي (ت: ٧١٨هـ/١٣١٨م) كتاب ابن بصّال الأندلسي في الفلاحة واحداً من مصادره في موسوعته المسماة، بـ"مناهج الفكر ومباهج العِبَر"[2].

(١) انظر: مؤلف مجهول، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة**، ص١٠٠، ١٠٧، ١١٢، ١٢٠، ١٩٤، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣-١٦٧، ١٧٤، ٢٠٧-٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٦.

(٢) انظر: الوطواط الكتبي، **مناهج الفكر ومباهم العِبَر**: ٢/٢٧٧، ٢٩٢، ٣٣٦-٣٣٧.

وإذا علمنا أن الوطواط الكتبي كان وراقاً مشهوراً في سوق الكتب القاهرية التي كانت أعظم سوق لها في العالم آنذك، وكان تُجَّار الكتب يقصدونها من كل فج عميق"[١]، أدركنا مدى رواج كتاب ابن بصَّال في الديار المصرية والبلاد الشامية واليمنية.

وقد استخدم العلماء الموسوعيون في العصر المملوكي المصادر الأندلسية في الأدب والتاريخ، والفلاحة والمسالك والممالك، فالنويري رجع في موسوعته "نهاية الأرب" في القسم المعقود للنباتات إلى "عمدة الطبيب في معرفة النبات" لأبي الخير الإشبيلي، ورجع إلى "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري.

واستشهد النويري بأشعار سليمان بن بطَّال الأندلسي، وأبي الوليد بن زيدون، وصاعد الأندلسي، وابن خفاجة، وأورد بعضاً من رسائل أبي الخصال الأندلسي، وأبي حفص عمر بن برد الأصغر في الورود

(١) العمري، **عرف التعريف في المكاتبات**، ص٧٥ (مقدمة سمير الدروبي)، وانظر: سمير الدروبي، **خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية بدمشق من القرن ٦-١٠ هـ/ ١٢-١٦م**، بحث مقدم للمؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. تحرير: محمد عدنان البخيت، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد الثاني، القسم الأول، ص١٤٣-١٦٢.

والرياحين[١]، لكنَّنا لا نجد النويري يرجع إلى ابن بصَّال أو الحاج الغرناطي أو ابن العوَّام أو غيرهم من كبار علماء الفلاحة في الأندلس.

ورجع ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" إلى كتب أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية الأندلسي[٢]، وإلى كتاب لابن زهر وسمه بـ"حفظ الصحة"، ولكنَّنا لا نجد لديه مصدراً فلاحياً أندلسياً معروفاً[٣].

ويتضح أن كتاب ابن بصَّال -وهو أكثر كتب الأندلسيين تداولاً في المشرق- قد وصل إلى اليمن، إذْ ازدهرت الفلاحة هناك في ظل الدولة الرسولية في القرن الثامن الهجري ازدهاراً عظيماً، وقد رجع السلطان الملك الأفضل عباس بن داود بن المظفر يوسف الرسولي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) إلى كتاب ابن بصَّال في الفلاحة[٤].

وفي مطلع القرن التاسع الهجري ألَّف أبو العباس القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) موسوعته الموسومة بـ"صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، وجاء فيها ذكر كتاب ابن العوَّام في الفلاحة عرضاً، وذلك

(١) النويري، **نهاية الأرب**: ١١/٣٢٦.

(٢) **المصدر السابق**، ص٥، ٩٩، ١٠٧، ١٥٢، ١٥٩، ١٧١، ٢٥٥.

(٣) العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ص٤٠٩.

(٤) الرسولي، **بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين**: ١/١٢.

عندما تحدث القلقشندي عن أقسام العلم الطبيعي، فقال: "الثالث: علم البيزرة؛ من الكتب المصنفة فيه كتاب "القانون" و"الواضح" وفي كتاب "العلاجين"، لابن العوّام جملة كافية من البيطرة والبيزرة"[1].

قلنا: المرجح لدينا إنّ القلقشندي يقصد كتابه "الفلاحين" أي كتاب الفلاحة لابن العوّام، لا كتاب "العلاجين" التي هي من تحريفات النساخ وتصحيفاتهم.

وفي نهاية القرن التاسع الهجري، وبداية القرن العاشر الهجري نجد الغُزّي محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري، المعروف بالرضي الغزي (ت: ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م) أحد علماء الشافعية بدمشق، وكان عالماً موسوعياً إذ ألّف في علم الأصول والبيان والنحو والمنطق، والتصوف وغيرها، وله "ألفية في اللغة نظم فيه فصيح ثعلب، وألفية في علم الهيئة، وألفية في الطب، ومنظومة في علم الخط..."[2]- قد ألّف كتاباً في الفلاحة، وسمّاه بـ"جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة".

إنّ الغزي قد اعتمد على مجموعة من المصادر الفلاحية، وكان كتاب ابن العوّام واحداً منها، وقد ذكر ابن العوّام في عدة مواضع من كتابه.

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: ١/٤٧٤.

(٢) انظر: الغزي، **الكواكب السائرة**: ٢/٣-٦، ابن العماد، **شذرات الذهب**: ٨/٢٠٩-٢١٠.

فقد جاء ذكره في المرة الأولى: "وكذا نقله العلامة أبو زكريا يحيى بن العوام المغربي، وسيأتي في كل باب تحقيق ذلك إن شاء الله"[1].

ويقول الغزي مرة ثانية: "قال ابن العوّام"[2].

ويقول مرة ثالثة: "وقال أبو زكريا يحيى بن العوام"[3].

ويقول الغزي مرة رابعة: "ونقل أبو زكريا يحيى بن العوام في فلاحته"[4].

وقد قمنا بمقابلة ما عزاه الغزي إلى ابن العوّام من نصوص على كتابه "الفلاحة الأندلسية"، فوجدنا أنّ كتاب ابن العوّام هو مصدرها، ومثال ذلك، يقول الغزي: "السفرجل... وقال أبو زكريا يحيى بن العوام: يسمى لوز الهند. منه مدحرج كبير وصغير، ومنه ما هو إلى الطول، ويسمى المهند، ومنه حامض، توافقه الأرض المطمئنّة ذات الرطوبة والنداوة"[5].

ويقول ابن العوّام الأندلسي: "وأما غراسة السَّفَرجل. قيل: إنّه يُسَمّى لوز الهند. منه مدحرج كبير وصغير، ومنه ما هو إلى الطُول،

---

(١) الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**، ص٥٢.

(٢) **المصدر السابق**، ص١١٤.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٣٨.

(٤) **المصدر السابق**، ص٣٦١.

(٥) **المصدر السابق**، ص١٣٨.

ويسمى الـــمُنْهَّد. ومنه حَلوٌ، ومنه حامض. ومن كتاب ابن حجاج (رحمه الله): "السفرجل توافقُه الأرض المطمئنة التي فيها رطوبة ونداوة"[1].

فمقابلة النص الأول —وهو نص الغزي– على النص الثاني وهو نص ابن العوَّام، نجد أن الثاني هو مصدر الأول، مع ملاحظة الحذف والإسقاط والاختصار، والتحريف الذي وقع فيه الغزي أو من نسخ كتابه، وخاصة كلمة "المهند" الواردة عند الغزي، والتي لا معنى لها في سياق النص. وصوابها عند ابن العوَّام "الـــمُنْهَّد".

ومثال آخر على طريقة أخذ الغزي من ابن العوَّام الأندلسي، يقول الغزي في حديثه عن شجر الزعرور: "وإذا تعللت يحفر حولها، وتطم بتراب أحرش، فيه حصى ورمل. **وقد ترش بالماء الحار والدم**"[2].

ويقول ابن العوَّام: "وقد يعرض لها أدْواء؛ منها اصفرار ورقها، إمَّا كُلّه أو بعضه، وتسترخي استرخاءً منكراً، ويتناثر حملها، فدواؤها من هذا إذا كانت في بستان أن يحفر حولها، ويُطمر الحفرُ بتراب أخذ من بعض الجبال، أو من أرض صُلبة فيها حصى ورمل... وإذا كانت زرعت في البستان زرعاً، أو حولت من بُستان إلى مثله، أو من موضع منه إلى موضع آخر، فإنَّها تكون ضعيفة، ودواؤها حتى تقوى أن **تُرش بالماء الحار**

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٢٩٥.

(٢) الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**، ص١١٤.

والدّم، وأن يحمل إليها تربة من موضع كانت زرعت فيه وحولت عنه"[1].

وعند مقابلة النص الأول على النص الثاني، يتبين للقارئ أن نص الغزي المأخوذ عن ابن العوَّام يمتاز بالاختصار الشديد، إذْ أخذ الغزي بعض الكلمات والجمل عن ابن العوَّام، وترك التفصيلات والتوضيحات المفيدة والدالة الواردة في النص الأصلي، وهذا هو الاختصار المخل بجوهر معنى النص.

ولكن مِمَّا يؤخذ على الغزي، أنَّه كان كثيراً ما يأخذ من فلاحة ابن العوَّام دون عزو إليها، ومن الأمثلة على ذلك، **يقول الغزي**: "وماء المطر هو المبارك، يصلح لما لطف من النبات، كالزرع والقطاني والخضر، مِمَّا قربت من وجه الأرض، ولبعل الشجر"[2].

ويقول ابن العوَّام: "وماء المطر؛ وهو الماء المبارك، وهو يصلح لسقي ما لَطُفَ من النبات؛ مثل: الزرع والقطاني، وجميع الخضر التي تقوم

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٤٦٨.

(٢) الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**، ص٤٧؛ وانظره، ص٤٨، ٦٤، ٦٥، ٦٦، وقابله مع ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ٢/٤٩-٥١.

على ساقٍ واحدةٍ، مِمَّا أصله قريب من وجه الأرض، وهو يصلح لسقي أنقال الأشجار وهو يربيها"[١].

ولا بدَّ من ملاحظة آفات الاختصار المخلّ في قول الغزي: "ولبعل الشجر"، فما سمعنا بشيء يقال له بعل الشجر، ولكن في الأصل عند ابن العوَّام: "أنقال الشجر"، وهي الشجيرات الصغيرة المستنبتة والتي تنقل بعد نموها إلى الأرض، وربما كان هذا التحريف من صنيع محققة كتاب الغزي.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّ كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوَّام من المصادر الرئيسة للغزي في كتابه "جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة" في الأبواب المتعلقة بالأشجار والنباتات، أمَّا القسم المتعلق بتربية الحيوان، فإنَّ الغزي قد أضرب عنه صفحاً؛ لأنَّه ليس من خُطة كتابه تناول الحيوانات ذات العلاقة بالزراعة كما هو الحال عند ابن العوَّام.

وفوق ذلك، فإنَّ إشارات الغزي القليلة لابن العوَّام هي انعكاس لمنهجه القائم على تعمية مصادره، أو التقليل من ذكرها، ولكنه –لحسن الحظ– ذكر فلاحة ابن العوَّام صراحة، على الرغم من أن ابن العوَّام لم يسلم من غزوات الشيخ الغزي، يقول زيد صالح أبو الحاج: "وتقل إشارات الغزي إلى مصادره، فلم يشر إليها في المقدمة، واكتفى بالإشارة إلى بعضها عند الاقتباس منها، ولم يصرح بمصادره غالباً، وأشار إليها

(١) ابن العوَّام، **الفلاحة الأندلسية**: ١/٢٦٤.

بقوله: "قال حكماء الفلاحة"، أو "قالوا"، أو "قال بعضهم"، أو "يقال"، أو "قيل"، وتكررت مثل هذه الإشارات في (١٢٨) موضعاً"[١].

وعلى الرغم من تجاهل الغزي لأكثر مصادره، فإنَّه لم يستطع تجاهل مصدر أساسي في الفلاحة مثل كتاب ابن العوَّام، الذي صرّح باسم كتابه ونعته بالعلاَّمة، وذكر اسمه كاملاً، ولكنَّه جعله مغربياً[٢] بدلاً من الأندلسي، وربّما جاء ذلك لأنَّ أهل المشرق العربي يعدون آنذاك كل من جاء من المغرب والأندلس مغربياً.

أَمَّا عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣هــ/ ١١٣٠م) فقال: "لَمَّا وجدت كتاب الفلاحة، المسمى بــ"جامع فوائد الملاحة" للشيخ الإمام العالم العلاَّمة، والعمدة الحجة الفهامة، رضي الدين، أبي الفضل، محمد بن أحمد الغزي العامري الشافعي –تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه–، كتاباً جليل المقدار، عظيم النفع لمن يعاني زراعة الأراضي وتربية الأشجار، ولكنَّه مِمَّا يحسن فيه الاختصار، بذكر ما لا بد منه من الفوائد التي لها الاعتبار، وحذف ما المهم حذفه، والمؤاخذة [كذا] والتكرار، فجمعت الهمة، ولخصت غالب ما فيه من المسائل المهمة، واكتفيت بما هو في الصدد من المراد، وحذفت ما وقع فيه من الزوائد بطريق الاستطراد، وسميته "علم الملاحة في علم الفلاحة"، ومن الله استمد

(١) أبو الحاج، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي**، ص١٣٠.

(٢) انظر: الغزي، **جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة**، ص٥٢.

العناية والتوفيق، وإنّ الله يهديني إلى أقوم طريق، وجعلته على عشرة أبواب وخاتمة"[1].

وتكشف لنا هذه المقدمة بجلاء على أنّ كتاب علم الـــمِلاحة في علم الفلاحة لعبد الغني النابلسي مختصر من كتاب الغزي "جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الملاحة"[2]، علماً بأن كتاب الغزي نفسه مختصر من بضعة مصادر فلاحية لم يسمِ أغلبها —كما بيّنا- والفرق بينهما، أن الغزي رتّب كتابه على ثمانية أبواب، كل باب يندرج تحته بضعة فصول، بينما سلكه النابلسي في عشرة أبواب دون تفريعها إلى فصول.

وعلى الرغم من اختصار النابلسي للغزي، فإنّ الأول لم يذكر اسم ابن العوّام صراحة في مختصره، بينما الغزي قد ذكره صراحة في غير موضع من كتابه، ولكنّنا وجدنا فيه بعضاً من النصوص التي ترجع إلى كتاب ابن العوّام، ولكنّها جاءت مختصرة جداً، وأشرنا إلى ذلك في حواشي النص المحقق.

وبحثنا في كتاب حاجي خليفة الموسوم بـــ"كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، وهو أوسع الكتب العربية اشتمالاً على ذِكر أسماء الكتب، إلاّ أنّنا لم نجد لكتاب ابن العوّام ذكراً، وربّما يعود الأمر

(١) النابلسي، **الملاحة في علم الفلاحة**، ص٢٤ (المقدمة)؛ وانظر: الزركلي: **الأعلام**: ٧/٥٦.

(٢) الغزي،**جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الملاحة**، ص١-٥.

إلى خلو خزائن الكتب في إسطنبول من هذا الكتاب، عندما ألّف حاجي خليفة مصنفه الجليل.

وقد ذكر إسماعيل باشا البغدادي فلاحة ابن العوّام في كتابه "هدية العارفين"، فقال: "ابن العوّام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن العوّام، كان في أواسط القرن السادس، لعلّه توفي في حدود سنة (٥٤٥هـــ) خمس وأربعين وخمسمائة، صنف كتاب "الفلاحة" مطبوع في مجريط"[1].

وذكره البغدادي مرّة ثانية في كتابه "إيضاح المكنون" قائلاً: "كتاب الفلاحة لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد المعروف بابن العوّام الإشبيلي في حدود سنة (٥٤٠) أربعين وخمسمائة"[2].

وذكره سركيس في "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، فقال: "ابن العوّام نبغ في أواخر القرن السادس الهجري، الشيخ، أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد الشهير بابن العوّام الإشبيلي، كتاب الفلاحة الأندلسية، قال في أوله..."[3].

(١) البغدادي، **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: ٦/٥٢٠.

(٢) البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: ٤/٣٢٠.

(٣) سيركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**: ١/١٩٤.

وذكره الزركلي في "الأعلام": ابن العوَّام، يحيى بن محمد بن أحمد الشهير بابن العوَّام الإشبيلي... اشتهر بكتابه الفلاحة الأندلسية – ط"[1].

ويبدو لنا مِمَّا ذكره كل من: البغدادي وسركيس، والزركلي، أنَّهم لم يطلعوا على مصدر من مصادر ترجمة ابن العوَّام، كما أنَّهم لم يقفوا على أيّ من نسخه الخطية، والأرجح أنَّهم عَرّفوا بابن العوَّام، وبكتابه الفلاحة بناءً على طبعة مدريد التي نهض بها المستشرق بانكويري، ونشرها متناً عربياً وترجمة إسبانية في سنة (١٨٠٢م).

* * *

(١) الزركلي، **الأعلام**: ٨/١٦٥.

ثانياً

النسخ الخطيّة للكتاب

ثانياً: النسخ الخطيّة للكتاب:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية، ونسخة مطبوعة في مدريد:

النسخة الأولى: نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم (A٢٨٠٤).

تتكون النسخة الباريسية من مجلّدين، الأول في (٣٣٣) ورقة والثاني في (٥١٨) ورقة بخط نسخ مشرقي واضح يخلو من الإعجام.

ومتوسط عدد السطور في الصفحة الواحدة ثمانية عشر سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة كلمة.

وقد تخلل هذه النسخة كثير من السقط في الجزء الأول منها، وسقط منها أيضاً الباب الخامس والثلاثون والمتعلق بتربية الكلاب، ولعلّ هذا السقط كان مقصوداً من الناسخ.

ويتضح أنّ هذه النسخة قد تمت مقابلتها على نسخة أخرى، وأثبت التصحيحات والإضافات في حواشيها.

وقد استخدم الناسخ الحبر الأحمر، والحروف المكبرة في بدايات الفصول، ومطالع الأبواب، وبدايات الفقر، وأسماء الأعلام مِمَّا يدل على العناية، ومحاولة التجويد في هذه النسخة.

وفي الصفحة الأولى والأخيرة من هذه النسخة تمليكات وصور أختام غير واضحة، ولا يمكن من خلالها الاستدلال على تاريخ تملكها، أو مكان وجودها.

وكتب في نهاية السفر الثاني من هذه النسخة: تم السفر الثاني من كتاب الفلاحة في الأرضين والحيوان، مِمَّا عني بجمعه من كتب الفلاحين والحكماء المتقدمين، **يحيى بن أحمد بن محمد بن العوام الإشبيلي**، عفا الله عنه ورحمه آمين".

وجاءت بعد النص السابق في السفر الثاني من الكتاب طرة مكتوبة بالفارسية، وتتكون من قرابة السطر والنصف.

وفوق ذلك، فإنَّ هذه النسخة جاءت غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه.

والمرجح أنَّ هذه النسخة من خطوط القرن السابع الهجري، وربما الثامن.

وتتفشى في هذه النسخة التصحيفات، والتحريفات، وانتقال النظر، ووقوع السهو، وأحياناً تُرْسَمْ الكلمات دون معرفة معناها، مِمَّا يدل على أنَّ الناسخ، لم يكن من العلماء بالفلاحة، بل كان ناسخاً مأجوراً، أو وراقاً رأى رواج كتاب ابن العوَّام فنسخه.

وعلى الرغم من جمال الخط المنسوخ، إلاَّ أنَّ ناسخه لم يكن ملماً بالنحو واللغة، ولذلك تكثر الأخطاء النحوية واللغوية في هذه النسخة.

ومن هذه النسخة صورة في دار الكتب المصرية برقم ٤٩٤ زراعة.

والنسخة الثانية: هي نسخة مكتبة الأسد الوطنية، وعنوانها: "الجزء الثاني من كتاب الفلاحة الأندلسية، تصنيف الحكيم أبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي الأندلسي".

وتقع هذه النسخة في خمس وسبعين ورقة بخط نسخي مشكول، قد تآكلت بعض أوراقها بتأثير الرطوبة والأرضة.

والنسخة ذات خط متأنق فيه، ونرجح أنَّه من خطوط القرن الثاني عشر الهجري.

ومسطرة هذه النسخة ثلاثة وعشرون سطراً في الصفحة الواحدة، وفي السطر الواحد عشر كلمات، وتتبع هذه النسخة نظام التعقيبة.

وعند المقابلة تبين لنا أنَّ هذه النسخة منقولة عن نسخة باريس؛ ولذلك تكررت فيها أخطاء نسخة باريس وما فيها من عيوب وأخطاء، وسقط وتحريف وتصحيف.

والنسخة الثالثة: هي نسخة المتحف البريطاني في لندن، ورقمها (Arabic Add. ١٠٤٦١)[1].

---

(١) تفضل الأستاذ الدكتور ياسر أبو صفية بتزويدنا بهذه النسخة، فله منّا كل شكر وتقدير.

تقع هذه النسخة في أربعمائة وستَ عشرةَ ورقة، وقد أتت على هذه النسخة عوامل الطبيعة القاسية من أرضة ورطوبة، وسوء حفظ، مِمَّا أفقدها قيمتها العلمية في عملنا، وذلك لصعوبة وعسر القراءة فيها.

وقد سقط غلاف هذه النسخة، ولكن بدايتها ما زالت موجودة بنص "كتاب الفلاحة لابن العوَّام".

وقد خص ناسخ هذه النسخة عناوين أبوابها وفصولها بعنوانات مكبرة ومفردة في سطر واحد.

والنسخة مكتوبة بخط مشرقي دقيق، يقترب أحياناً في رسم حروفه من الخط المغربي.

وصفحات هذه النسخة متفاوتة في عدد سطورها، فأقلها يشتمل على ثلاثين سطراً، وأكثرها في خمسين سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد خمس عشرة كلمة.

وهذه النسخة غفلٌ من اسم ناسخها، ولعلَّ أكثر من ناسخ قد تعاور على نسخها.

ولم تشتمل هذه النسخة على أية إجازات، أو تمليكات، أو إشارات تاريخية، تمكننا من معرفة تاريخ نسخها أو مكان كتابتها.

وقد تبين لنا أنَّ هذه النسخة قد قوبلت على نسخة أخرى، وأدرجت المقابلات في حواشي هذه النسخة.

وقد اطرد استخدام نظام التعقيبية عند ناسخها.

وعند مقابلة هذه النسخة على نسخة باريس تبين لنا ثلاثة أمور:

الأول: إنَّ النسختين متفرعتان عن أصلٍ واحدٍ، وهذا الأصل هو النسخة الأم أو الأقدم التي لم نقف عليها.

والثاني: أنَّ الأخطاء والسقط، والتصحيفات، والتحريفات تكاد تكون واحدة في كلتا النسختين.

الثالث: حوت هذه النسخة بعضاً من الكلمات التي أخلت بها النسخة الباريسية، فمكنتنا من حلِّ غوامضها، وقراءة نصوصها.

ونرجح أن تكون هذه النسخة أقدم تاريخاً من نسخة باريس، ولكنّنا لم نعتمدها أصلاً في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" لعوارها البادي في تآكل كثيرٍ من أوراقها، وما تبع ذلك من طمس سطورها، ومحو كثيرٍ من صفحاتها التي لا يمكن لقارئ أن يقرأها، أو يفك رموزها في ضوء معارفنا الحالية.

النسخة الرابعة: وهي النسخة المطبوعة في مدريد (١٨٠٢م)، والتي نشرها وترجمها إلى الإسبانية المستشرق بانكويري، وقد طُبعت في مجلدين ضخمين من القطع الكبير، مع مقدمة نقدية باللغة الإسبانية، بلغ عدد صفحات المجلد الأول منها (٦٩٨) صفحة، وعدد صفحات المجلد الثاني (٧٥٦) صفحة، وتتكون كل صفحة من عمودين: الأيمن ويشتمل على النص العربي، ويقابله الأيسر ويضم الترجمة الإسبانية.

وقد اعتمد ناشرها على نسخة محفوظة في دير الإسكوريال قرب مدريد، وربما كانت هذه النسخة من أكمل نسخ الكتاب وأهمها.

وتتفق هذه النسخة مع النسخ الخطية التي اعتمدناها في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" في أمر سقوط الباب الخامس والثلاثين وهو الباب المتعلق بسياسة الكلاب وتدبيرها كما مرّ بنا.

وتشترك هذه النسخة مع النسخ الخطية الأخرى التي تم الاعتماد عليها في تحقيقنا لنص فلاحة ابن العوّام في السقط والتصحيف، والتحريف والأخطاء الإملائية، وعيوب النسخ، إضافة إلى ما زاده الناشر من رسم كلمات لا معنى لها في السياق، أدت إلى الإخلال بمعنى العبارات، ونسق الكلام، وكثيراً ما كان ناشرها بانكويري يكتفي برسم الكلمات التي لا يفهمها، ويضع في حواشيها الاحتمالات الممكنة لتوجيه قراءة الكلمات التي لم يفهم معناها، ولكن تبقى جهوده عظيمة وجليلة في هذا الشأن.

وكان هذا المحقق الفاضل موفقاً في بعض توجيهاته، ولكنّه أخطأ في الكثير منها.

ولم تشتمل نشرة بانكويري على أية شروح، أو توثيقات، أو تخريجات للنصوص المثبتة في الكتاب، وتفتقر إلى ضبط النصوص وخاصة أسماء الأعلام والنبات والحيوان، وغيرها من المصطلحات الفنية، كما لم تتضمن كشافات أو فهارس فنية خادمة للنص.

وقد بذل بانكويري جهداً عظيماً في إبراز هذا العمل الضخم، وترجمته إلى اللغة الإسبانية، قبل مائتي عام ونيف، مِمَّا جعل هذا العمل العربي الأصيل في متناول كثيرٍ من الباحثين في تاريخ الفلاحة، وفي التاريخ الأندلسي، وفي تاريخ العلم الإنساني، الأمر الذي أعطى صورة مشرقة عن الجهود العلمية الإسلامية الجبارة في مضمار علم الفلاحة.

وبعد، فإنّ النسخ المذكورة آنفاً هي ما تمكنا من الوصول إليه، والوقوف عليه في تحقيقنا لكتاب "الفلاحة الأندلسية"، وعلمنا بوجود قطعة من هذا الكتاب في مكتبة برلين الأهلية ورقمها (٦٢٠٦)، وبوجود أخرى في مكتبة الأوقاف في طرابلس ورقمها (١٦/١٤)، ولكنّنا لم نتمكن من الإطلاع عليهما، ونأمل أن يتاح لنا اقتفاء ما يمكن أن يكون مخطوطاً من نسخ "الفلاحة الأندلسية"، والإفادة منه في نشرة قادمة، بعون من الله عز وجل، ونأمل من الباحثين الكرام إرشادنا إلى مواطن هذه النسخ المخطوطة مشكورين.

* * *

ثالثاً: المنهج المتبع في تحقيق النص:

منهجنا في إخراج كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوّام:

لقد اتبعنا في تحقيقنا لكتاب ابن العوّام الخطوات المنهجية الآتية:

أولاً: اتخذنا من نسخة باريس أصلاً، وقابلناها بنسخة المتحف البريطاني، ونسخة مكتبة الأسد، ونشرة بانكويري في مدريد.

ثانياً: قمنا بتوثيق المعلومات والنقولات، والإشارات والأخبار والكتب والرسائل، والأعلام والبلدان... إلخ وردها إلى مصادرها الأولى التي أشار إليها ابن العوّام، مثل: الفلاحة النبطية لابن وحشية، والفلاحة الرومية لقسطوس، والمقنع في الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي، والفلاحة لابن بصّال، و"زهر البستان" للحاج الغرناطي، و"الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، و"عمدة الطبيب" لأبي الخير الإشبيلي أيضاً، و"البيطرة" لابن أخي حزام، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"النبات" لأبي حنيفة الدّينوري، و"الحيوان" للجاحظ، وغيرها من كتب التراث العربي في النبات والحيوان والمعاجم اللغوية والنباتية، وكتب السير والتراجم، ومصادر الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً: ضبطنا المصطلحات الفنية، وأسماء النبات، والشجر، والكلأ، والحيوان، والأعشاب، والأدوات الزراعية، والعلل والأدواء والأمراض، والأعوام والشهور، وغيرها اعتماداً على كتب اللغة مثل "لسان العرب"، و"تاج العروس"، و"المعجم الوسيط"، ومعاجم النبات، وكتب الحيوان.

رابعاً: شرحنا غريب اللفظ شرحاً وافياً، وعرفنا بكل ما يحتاج إلى تعريف من مصطلحات وأعلام ونباتات، وحيوان، وبلدان... إلخ.

خامساً: ضبطنا النص بالشكل. وصححنا ما وقع فيه النساخ من أوهام أو سهوٍ أو أخطاءٍ.

سادساً: قُمنا بِعنونة فصول الكتاب، إذْ لم يعن ابن العوَّام بتقسيم أبواب الكتاب إلى فصول، واكتفى بإثبات عنوانات فرعية، واستدركنا عليه ذلك، بأن قسّمنا كل باب إلى فصول أثبتناها في غرة كل فصل منها، وميزت هذه العناوين بوضعها بين قوسين معقوفين.

سابعاً: قمنا بنبذ الاختصارات التي وضعها المؤلف ونَبَّه إليها في مقدمته، وأثبتنا أسماء الأعلام المختصرة عند ابن العوَّام كاملة دون اختصار تسهيلاً على القارئ، ومعرفة الاسم أسهل من معرفة رمزه الذي قد يشكل على القارئ.

ثامناً: وضعنا بين قوسين مركنين النصوص أو الكلمات التي نرجح أنّها قد سقطت من النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق النص.

تاسعاً: زودنا النص بفهارس فنية ضافية وكاشفة لأسماء الأعلام، والأقوام، والأجناس، والجماعات، والنبات والشجر والأعشاب، والحيوانات، والحشرات، والمياه، وأنواع الترب والأراضي. والمعادن والحجارة، والأمراض والأدوية، والزبول، والمصطلحات الزراعية والفلكية، والأدوات الزراعية، والأماكن والبلدان... الخ، وقد وصلت

هذه الفهارس المستوعبة بضعة عشر فهرساً، يجدها القارئ في نهاية الكتاب.

عاشراً: أرفقنا بالنص المحقق نماذج مصورة عن النسخ الخطية التي عدنا إليها، وعن نشرة بانكويري المطبوعة سنة (١٨٠٢م).

حادي عشر: لم نُشِر إلى كثيرٍ من التصحيفات أو التحريفات الطفيفة التي يبدو أنّها سهو من النساخ، أو من بانكويري ناشر الكتاب، ولو فعلنا ذلك لتضخمت حواشي الكتاب، وآثرنا التصحيح دون تحميل الحواشي بهذا الكم الهائل من الفروقات.

ثاني عشر: أضفنا ما رأيناه ضرورياً لتمام معنى النص، وذلك عند رجوعه إلى مصادر الفلاحة الرومية، أو النبطية، أو الأندلسية، أو غيرها، وميزنا الزيادة عن النص الأصلي بقوسين مركنين.

* * *

مفتاح الرموز المستخدمة في الحواشي والتعليقات

- باريس: نسخة المكتبة الوطنية بباريس.
- ابن بصَّال: كتاب "الفلاحة".
- أبو الخير الإشبيلي: كتاب "الفلاحة".
- دمشق: نسخة مكتبة الأسد.
- المتحف: نسخة المتحف البريطاني في لندن.
- مدريد: النسخة المنشورة في مدريد بتحقيق بانكويري.
- المقنع: كتاب "المقنع في الفلاحة" لابن حجاج.
- النابلسي: "الملاحة في علم الفلاحة".

* * *

رابعاً

نماذج مصورة عن الأصول الخطية المعتمدة في تحقيق النص

القسم الثاني من الكتاب

النص المحقق

لكتاب "الفلاحة الأندلسية"

لابن العوّام الإشبيلي الأندلسي

أ.د. أنور أبو سويلم   أ.د. سمير الدروبي   أ.د. علي إرشيد محاسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

[مقدمة المؤلِف]:

قال مؤلِّفُهُ الشيخ الفاضلُ: أبو زكريّا، يحيى بن محمَّد بن أحمد بن العوام (عفا الله عنه): الحمدُ لله، ربِّ العالمين، وصلى الله على النّبيِّ محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الطّيبين، وسلّم تسليماً، وأمّا بعدُ؛

فإنّي لما قرأتُ كتب فلاحة المُسلِمين[1] الأندلُسيِّين، وكُتُب غيرهم[2] من القُدماءِ المُقَدَّمين في صنعةِ فلاحةِ الأَرَضين المضَمَّنة[3] كيفية العَمَل في الزِّراعة والغِرَاسة، ولَوَاحق ذلك، وما يَتَعَلَّقُ به[4] من كُتُبهم في فلاحة الحيوان[5]، وما وَصَلَ إليَّ منها، ووَقَفْتُ على ما نَصُّوه فيها، فنقلتُ من عُيُونِها إلى هذا التَّأليف، ما[6] إنْ نَظَرَ فيه، وحفِظَ أبوابَهُ وفُصُولَهُ

---

(١) المتحف البريطاني وباريس: من كتب الفلاحة المسلمين.

(٢) باريس: ومن غيرهم من القدماء.

المتحف: ومن كُتُبُ غيرهم.

(٣) المتحف: المظمنة.

(٤) المتحف: ويتعلق به.

(٥) الحيوان: ساقطة من نسخة باريس.

(٦) (ما) سقطت من نسخة باريس.

ومعانيه، مَنْ يريدُ أنْ يتخذ هذا الفن صناعة[1] يصل بها –بحول الله– إلى معاشه، ويستعين بها[2] على قوته، وقوت عياله وأطفاله، وجد فيه خاصته، وبلغ فيه إرادته، واستعان بذلك على منافع دنياه، ومصالح أخراه[3] بتوفيق الله إياه؛ إذ بالغراسات والزراعات تكثر –بمشيئة الله تعالى– الأقوات.

وقيل: إنَّ[4] إلى ذلك أشارَ النبيُّ (ﷺ) [فقال[5]]: "اطْلُبُوا الرِّزْقَ في خَبَايا الأرض"[6].

(١) مدريد: صنعة.

(٢) المتحف: بحول الله على قوته.

(٣) باريس: أخرى.

(٤) سقطت من نسخة باريس.

(٥) رواه أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) في غريب الحديث: ٢٠٢/١.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦٣/٤، وجلال الدين السيوطي في الجامع الصغير: ١٦٨/١، والعجلوني في كشف الخفاء: ١٣٨/١، وأبو يعلى في مسنده: ٢٠٧/٢، ورواه البيهقي في شُعَب الإيمان عن عائشة، وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط بلفظ: (اطلبوا الرزق) والبُستي والهيثمي والعجلوني (ابتغوا الرزق).

(٦) باريس: جنايا، ويروى: حنايا.

وإنْ نَظَرَ[1] أَيْضاً في هذا التأليف صاحب صَنْعَةٍ انْتَفَعَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ هذا الكِتَاب من أعمال الفِلاحة وما تَضَمَّنه في صِفَةِ العَمَل في إصْلاح [الأرضين] وإِفْلاحِها والقيام عليها، واسْتَغْنَى بما يَقْتَبِسُهُ منه عن تَقْليد العَوَام في شَأْنها؛ إِذْ لا يجوز تقليدهم، والاسْتِدْلال بآرائهم.

وقد قال الشَّيْخُ الأَجَلُّ الفقيهُ الخَطِيبُ الإمامُ[2] الأَفْضَلُ، أبو عُمَر، أحمد بن محمّد بن حجّاج (رحمه الله) في آخر المُقْنِع –من كتبه في الفِلاحَة– في التَّحْذِيْر من ذلك، وهذا نَصُّهُ[3]:

"قد أَتْمَمْتُ[4] لَكَ أَيُّها الأخُ الشَّقِيقُ كتابي هذا[5]، واسْتَوْفَيْتُ القَوْلَ فيه بحسَب الغَرَض المقصود إليه، وكَفَيْتُكَ الاسْتِمْدَاد بآراء أَهْلِ الغَبَاوَة، من أهل البَوَادِي[6] الذين لا عِلْمَ عِنْدهم، ولا تَلَوُّحَ[7] لديهم

(١) هذه الفقرة كلها سقطت من نسخة المتحف، ومن نشرة مدريد، وأثبتت في نسخة باريس.

(٢) سقطت من نسخة المتحف.

(٣) كتاب المقنع في الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي، حققه: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٢م، ص١٢٢.

(٤) المقنع: قد أكملت.

(٥) المقنع: كتابي هذا في الفلاحة.

(٦) مدريد: البراري.

(٧) المتحف وباريس ومدريد: لا ثلج... لا شَلْخ. والتصويب من المقنع؛ لا تلوّح: لا بيان ولا وضوح فيه.

على[1] طول مُمَارستهم لهذه الصَّنْعَة، وارْتِباطهم بها.

وعَدَلْتُ بكَ عَنْهم[2] إلى آراء جِلَّةٍ[3] الحُكَمَاء، وذوي البَصَارة النُّبلاء[4]، فهم القُدْوَة، ومَنْ سِوَاهم ليس بأُسْوَة، فلا تُصْغِيَنَّ إلى قول البُلْهِ[5] الجُفَاة، ورأي أهل الغَبَاوَة والعُتَاة، ولا تَرْكَنَنْ إلى أقوالهم السَّاقِطة، فَلَنْ تَظْفَر منهم بفائِدَة، إنَّما حَظُّكَ[6] مِنْهم الخِدْمة، فأمَّا العِلْمُ فهم منه بمَعْدِل، وعن الصَّوَاب بِمَعْزِل".

* * *

(١) المتحف وباريس ومدريد: مع طول... والصواب من المقنع.

(٢) المقنع: إلى التعويل.

(٣) المقنع: الجلّة من الحكماء.

(٤) المقنع: والنبل.

(٥) مدريد: العلّة... المتحف: العلد.

(٦) المقنع: حَقُّكَ.

[الـ]... فصل [الأوَّل]

[حض الرسول (ﷺ) على الفلاحة]

ومِمَّا يحرِّضُ على الغِراسة والزراعة[1]، ويرغِّبُ فيهما، ويبعثُ على تَعَلُّم أُصُولهما وفُرُوعهما ما جاء عن النبي (ﷺ) فيما للزَّارعين والغَارسين مِنَ الأَجْر في ذلك: وروي عن النبي (ﷺ) أنَّه قال[2]: مَنْ غَرَس غَرْساً أو زَرَعَ زَرْعاً فأَكَلَ منه إنْسَانٌ[3] أو طائر أو سَبُعٌ كان له صَدَقَة[4].

وروي عنه (عليه السلام) أنه قال[5]: "من غَرَس غَرْساً فَأَثْمَرَ، أعطاه الله من الأَجْرِ[6] بقَدْر ما يخرجُ من الثَّمْر".

(١) يفرق ابن العوّام بين هذين المصطلحين، ويعني بالغراسة: غراسة الأشجار، والزراعة: زراعة البقول.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك. البخاري حرث (١) ومسلم رقم (١٥٥٣)، والترمذي أحكام (٤٠)، وأحمد بن حنبل (١٤٧، ٤٢٠)، والتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر الزبيدي)، ص٣٢٣، حققه: مصطفى ديب، دار اليمامة، بيروت، (١٩٨٤)، والمصطفى من أحاديث المصطفى، ص٧٤٦.

(٣) روايته: إنسان أو دابة أو طير.

ويروى: يأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة.

(٤) ويروى: كان له صدقة إلى يوم القيامة.

(٥) الحديث في أحمد بن حنبل: ٤/٦١، ٥/٢٧٤.

(٦) ويروى: كان له في كل شيء يصاب من ثمرها (ثمرها) صدقة عند الله.

وروى أبو هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنه قال[1]: "مَنْ بَنَى بُنْياناً في[2] غير ظُلْمٍ، ولا اعْتداء، أو غَرَسَ غَرْساً في غير ظُلْمٍ، ولا اعتداء، كان له فيه أَجْرٌ جارٍ ما انتفَعَ به من خَلْق الرَّحمن".

وروي عنه (ﷺ) أنّه قال[3]: "إنَّ الله (تباركَ وتَعالى) إذا أرادَ أنْ يُخْرِجَ الزَّرْعَ جَعَلَ ما بين سُنْبُلِهِ وقَصَبِهِ البَرَكَة، ويُوَكِّلُ بكلِّ حَبَّةٍ مَلَكٌ يَحْفَظُها؛ فإذا ازْرَعتُم شيئاً، فقولوا: اللهُمَّ اجعل البَرَكَة والرَّحمة".

والآثار في هذا كثيرة[4]، وأرجو أن يكونَ فيما أوردْتُهُ منها كفاية.

* * *

(١) الحديث رواه أحمد بن حنبل: ٤٢٨/٣.

(٢) ابن حنبل: من غير ظلم.

(٣) ورد من الأحاديث بمعناه في الموضوعات لابن الجوزي: ٣٤٣/٣، وتاريخ بغداد: ١٣٠/٤.

(٤) من مثل الحديث: احرثوا فإن الحرث مبارك، وأكثروا فيه من الجماجم (الخشب التي يكون في رؤوسها سكك الحرث)، وما من زرع على الأرض أو ثمار على الشجر إلاّ كتب عليه: هذا رزق فلان بن فلان.

والحديث: إن كان لأحدكم أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه (سنن ابن ماجة: ٢٢/٢).

والحديث: أن الرسول كان يرخّص في (السرجين) أي: الأزبال عند الزرع.

[الـ]... فصل [الثاني]

[من الوَصَايا في إِصْلاح المرء ضَيْعَتَهُ]

قيل لأبي هريرة[1]: ما المروءَة؟ فقال: تَقْوَى الله، وإِصْلاحُ الضَّيْعَة.

وقال قَيْس بن عاصم[2] لِبَنِيه[3]: عليكم بإِصْلاح المَال، فإنّه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم.

وقال عُتْبَة بن أبي سفيان لمولاه[4] (إذ ولاّه أمواله)[5]:

(١) قول أبي هريرة ذكره الجاحظ في الحيوان: ١٧٧/٢ (عبد السلام هارون)، وفيه تتمّة... والغداء والعشاء بالأفنية. وروي: إصلاح الضيعة وهي الحِرْفة والصناعة والعيش والمكسب، وروي: الصنيعة (الحيوان: ١٧٧/٢).

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري، سيد بني تميم في الجاهلية والإسلام، صحب النبي (ﷺ) قال الأحنف بن قيس: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم. انظر: الإصابة: ٧١٨٨، الحيوان: ٥٣/١، ٢١٨، ٣٣/٢ و٧٩، والأغاني: ١٤٣/١٢، وعيون الأخبار: ٢٨٦/١.

(٣) قوله في الحيوان للجاحظ (عبد السلام هارون): ٨٠/٢.

وهو من وصيته المشهورة، قال: عليكم باصطناع المال؛ فإنّه مَنْبهة للكريم، ويُستَغْنى به عن اللئيم، وإيّاكم والمسألة فإنّها شرّ ما يكسب الرجل... وإذا متّ فلا تنوحوا فإنّه لم يُنَحْ على رسول الله ﷺ: سنن النسائي: ٦/٤، وصحيح سنن النسائي: ٣٩٩/٢، ومسند الإمام أحمد: ٦١/٥، والبخاري: ٤٥٣/١، والطبراني (الكبير): ٣٣٩/١٨، والبوصيري في مختصر الإتحاف: ٢٢/٢، والمطالب العالية للعسقلاني: ٦٨٧/٢٠.

(٤) مولى عتبة بن أبي سفيان ومعلّم أولاده: عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني. الحيوان: ٢٥٢/١، والطبري: ٢٨٨/٨.

(٥) انظر وصيته الرائعة لمؤدب ولده، في الحيوان: ٧٣/٢.

"تَعَهَّدْ صغيْرَ مالي فيكْبَر، ولا تضيِّعْ كثيره فيَصْغَر"، وشِبْهُ هذا في المعنى كثير.

ومن ذلك: أن يَتَفَقَّدَ صاحِبُ الضَّيْعةِ ضَيْعَتَهُ بنفسه، ولا يغيبُ عنها، ولاسيما في وقت عَمَلها وفلاحتها؛ ليتبيَّن له اجتهاد المجتهدين من عُمَّاله فيكافئه. والمُقَصِّر؛ فيَستَبْدِل به.

ومن الأمثال في هذا: "الضَّيْعَةُ بصاحِبها"[1] "أَرِني ظِلَّكَ أَعْمُر"[2].

* * *

(١) باريس ومدريد: لصاحبها. وهذا مثل أندلسي مولّد، لم نجده في كتب الأمثال المعروفة، ومفاده أن صلاح الضيعة من صلاح صاحبها واهتمامه وعنايته.

(٢) مثل مُوَلّد، لم نجده في كتب الأمثال العربية القديمة، ومعناه أنّ الأكّار يجدّ في عمله إذا رأى ظِل صاحب الضيعة مراقباً ومتابعاً لعمله.

[الـ]... فصل [الثالث]

[أوّل من زرع]

قيل: أولُ مَنْ زَرَعَ وحَرَثَ[1] آدمُ (عليه السلام)[2] بإلْهام الله (تعالى) له ذلك، وتعليمه إيَّاه، ثُمَّ شيْث[3] بن آدم، ثم إدْريس (عليه السلام) ثم كان الطُّوفان، فلّما خرجوا من السَّفينة لم يهتدوا إلى شيء من ذلك، فَدَلَّهم عليه نُوحٌ (عليه السلام).

* * *

(١) المتحف البريطاني: أولّ من حرث وزرع.

(٢) حكى المسعودي في مروج الذهب أنّ آدم (عليه السلام) لما هبط الأرض، خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر، منها عشرة لها قشر (الجوز واللوز..) وعشرة لثمرها نوى (الزيتون والمشمش،...) وعشرة ليس لها قشر ولا نوى (التفاح والسفرجل،...).

انظر: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص٧٩.

وذكر هذا الخبر أبو عبيد البكري في المسالك والممالك: ١/٦٢ (الدار العربي للكتاب، تونس).

(٣) معنى شيث: هبة الله، قيل: إنّه ولد فرداً بغير توأم ولم يولد لآدم فرد سواه، وهو بالعبرانية (شيث) وبالعربية (شث) وبالسريانية (شاة).

المسالك والممالك: ١/٦٨.

[الـ]... فصل [الرابع]

[أنواع فلاحة الأرض]

قال ابن حَزْم الأندلسي (رحمه الله)[1]: اعْلَمُوا أَنَّ الرَّاحَةَ، واللَّذَّةَ، والسَّلامة، والعِزَّ، والأجْرَ في أصحاب فلاحة الأرض إذ كانت الأرض عشرية فقط.

وفلاحةُ الأرض هي أهْنَأ المكاسِب جملةً، وأربحها، وأقربها إلى النَّجْدَة، والسلامة، واكتساب الأجْر[2].

وهي تَنْقَسِمُ قِسْمَيْن: بَعلاً وسقياً، وأَحْمَدُهُما عاقبةً وأَضْمَنُهُما سَلامَةً؛ السَّقْيُ بالعُيُون، ومن الأنهار والسَّوَاقي.

والقسم الثاني: شاقٌ مُتْعِبٌ، وهو السَّقْيُ بالآلات مثل النَّواعير، والسَّوَاقي، والدِّلاء التي تدور بها الإبلُ والحُمُر[3] والبِغال، وأقلّها الخَطَّارات[4]، وهذا القسم لا ينبغي أنْ يُسْتَعمل فِيْه ماءُ النَّواعير إلاّ أنْ يُضْطَرَّ إليها [و] لا معاش لَه من سواها، ويَتَوَلاّها بنفسه؛ فإنه إنْ لا

---

(١) هو الوزير الحافظ، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، صاحب طوق الحمامة والرسائل المشهورة، انظر: نفح الطيب: ١٨٥/٣.

(٢) السطر السابق سقط من نسختي باريس ومدريد.

(٣) مدريد: الحمير.

(٤) الخطارات: صنف من الدواليب الخفاف، يستسقي به أهل الأندلس من الأودية، وهو كثير على وادي إشبيلية. انظر: نفح الطيب: ٤٥٤/٣.

يتولاّها بنفسه عَظُمَتْ مَؤُونتها عليه، وقَلّتْ مَعُونتها له، وربّما أقْتَضَتْهُ مؤونَةُ الدّابَّةِ والآلة على جميع الحاصل، وربّما اقْتَضَتْهُ زِيادَةً عليه.

واعلموا أنَّ القَليلَ المجتمعَ من المال خَيْرٌ وأسلَمُ(1)، وأَغْلَى وأنفعُ من الكثير(2) المتفرّق؛ لأنَّ المُجْتَمِعَ يقومُ به الواحدُ، والمتفرّقُ يحتاجُ إلى (ناظر) في كُلّ قطعة.

* * *

(1) المتحف وباريس ومدريد: خير واسط.

(2) باريس ومدريد: الكبير.

[الـ]... فصل [الخامس]

[معنى فلاحة الأرْض]

ومعنى فلاحة الأرض: إصْلاحُها، وغراسةُ الأَشْجار فيها، وتَرْكيبُ ما يُصْلِحُهُ التركيبُ منها، وزراعةُ الحُبُوب المُعْتادُ زراعتُها فيها، وإصلاح ذلك، وإمْدادُهُ بما يَنْفَعُه ويُجَوّده، وعلاج ذلك بما يـدفَعُ -بمـشيئة الله- الآفات عنه، ومعرفة جيِّد الأرض، ووسطِها، والدُّونِ منها.

وهذا هو الأَصْل الذي لا يُسْتَغْنَى عنه، ومعرِفَةُ ما يصلُحُ أن يزرَعَ أويُغْرَس في كلّ نوع منها، من الشَّجَر والحبوب والخُضَر، واختيار النوع الجيد من ذلك، ومعرفَة الوقت المُخْتَصّ بزراعة كُلّ صِنْفٍ منها، والهـواء الموافق لذلك، وغراسَة ما يُغْرَس فيها، وكيفيَّة العمـل في الزراعـة وفي الغراسةِ أيضاً.

ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسَّقي لكلّ نوعٍ منـها، وقَـدْرِه. ومعرفة الزُّبُول وإصلاحها، وما يصلُحُ منها لكلّ نوعٍ من أنواع الأشجار والخُضَر والزَّرْع، والأرض.

وكيفيَّة العمل في عَمَارة الأرض(1) قبل زراعتها، وبعد غِراسـتها وتزبيلها وتعديلها لجري الماء عليها بعد سَقْيها، وتقدير ما يحتمـل مـن الأرض من أنواع البَذْر، وصفة العمل في التذكير(2)، وعـلاج الخُضَر

(1) عمارة الأرض: حَرْثُها، وإزالة الحجارة منها، وتهيئتها للبذار وغرس الأشجار.

(2) التذكير: التلقيح.

والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كلّه، والقيام عليه بما يصلحه حتى يُدْرَك فائدُهُ، ويكثُر -بمشيئة الله- عائِدُهُ.

وكيفية العمل في اختزان الحبوب، وفواكه الأشجار، وفَوَائد[1] الثِّمار وشِبْه هذا مِمَّا يَلْحق به -إن شاء الله-.

* * *

(١) مدريد: فوائد الإثمار.

[الـ]... فصل [السادس]

[فلاحة الحيوان والطير]

وإنّي لَمّا استَوْفَيتُ -بعون الله- القولَ في ذلك بحسب الغَرَض المَقْصُود إليه، أَضَفْتُ إلى ذلك فلاحَةَ الحيوانات التي لا غِنَى عن استعمالها في فلاحة الأرض، وبعض الأطيار التي تُتَّخَذُ في الضِّيَاع، وفي المنازل للانتفاع بها، ووصف الجيِّد منها، ونُعوته، ووجه العَمَل في إنتاجها وسِيَاسَتها، وعلاج بعض أدوائها، ولواحق ذلك وما يتَعلّق به.

* * *

[الـ]... فَصْل [السابع]

[مصادر الكتاب]

اعْلَمْ –وفَّقنا الله وإياك– أنّي قَسَّمْتُ هذا التأليف على خمسة وثلاثين باباً، وضَمَّنْتُ الأبواب من هذا الفنّ أنواعاً تَقِفُ عليها، إن شاء الله (تعالى) وبه أستعين، وعليه أتوكّلُ، واعتمدتُ على ما تضمّنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبي عمر، ابن حجّاج (رحمه الله) المسمّى بـ"المُقْنِع"[١]، وهو الذي ألّفَهُ سنة ستّ وستِين وأربعمائة؛ وهو مبني على آراء أجلّة الفلاحين، والمتكلّمين، نَقَلَ فيه نُصوص أقوالهم، وعَزَاها إليهم، وعددهم ثلاثون رجلاً.

والمقدَّمون منهم: يُونْيُوس[٢]، وبارون[٣] لاقطيوس، وديوقنطس"[٤]، وكارطيوس[٥]، وبيدون[٦]، وبريعايوسُ، وديمقراطيس

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي، وكتابه المقنع ألفه سنة (٤٦٦هـ)، ونشره مجمع اللغة العربية الأردني، (١٩٨٢)، بتحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية. وانظر ترجمة ابن حجاج في: المغرب: ١/٢٥٦، والحلة السيراء: ١/١٤٧.

(٢) ورد ذكره في المقنع نحو ثلاثين مرة. انظر: المقنع، ص١٦٢.

(٣) بارون: أشير إليه في المقنع، ص١٢٣، وهو هنا بارون لاقطيوس بالإضافة. وفي المقنع أيضاً ورد باسم بارون قطيوس ودير قنطوس.

(٤) جاء اسمه في المقنع: دير قنطوس، ص١٢٣.

(٥) باريس: طارطيوس. المقنع، ص١٢٣: صاربطيوس.

(٦) المقنع، ص١٢٣: بيردون.

الرُّومي، وكَسْيْنُوس[١]، وقرورا طِيْقــوس[٢]، ولاون[٣]، وســـوديوس[٤]، وقَــسْطُوس[٥] عـــالم الـــروم، وسادهـــمس[٦]، وسمـــانوس[٧]، وســـراعوس، وأنتوليوس[٨]، وسولون[٩]، وســيداغُوس[١٠] الإســباني،

---

(١) هو كَسْيْنُوس باسُوس من أشهر المؤلفين في علم الفلاحة.

(٢) ذكره ابن حجاج في المقنع، ص٨٩، ٩٠، ٩٧.

(٣) هو لاون السادس الملقب بالحكيم (ت: ٩١٢م)، انظر: بو راوي الطرابلسي، نشأة علم الفلاحة العربي، ص٧٣.

(٤) ورد اسمه في المقنع سوديوس، ص١٢٣، وسماه الطرابلسي سوطيونس، ص١٨٣، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩.

(٥) هو قَسْطُوس بن لوقا، صاحب كتاب الفلاحة اليونانية، طبع في المطبعة الوطنية، بيروت، ١٩٦٢، وفي القاهرة دون تحقيق، سنة (١٨٧٦)، وتكرر ذكره في متن الفلاحة الرومية، وقيل: كتاب الفلاحة الرومية تأليف الحكيم الفيلسوف قسطوس بن اسْكُو لستيكه عالم الروم، وترجمه إلى العربية، سرجيس بن هلبا، وعرّبه قُسْطا بن لوقا البعلبكي، وأبو زكريا، يحيى بن عدي.

(٦) تكرر ذكره في الفلاحة الرومية، ص٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٥.

(٧) المقنع، ص٩٧، ١٢٣.

(٨) المقنع: أنطرليوس، ص٦، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٩، وذكره الطرابلسي باسم أناطُليس البيروتي وله كتاب باسم الفلاحة في اثني عشر جزءاً.

(٩) هو سولون في المقنع، ص٨٩. وورد كثيراً في فلاحة ابن العوّام (شولون).

(١٠) المقنع: سيدغوس وسيداغوس، ص١١٣، ١٢٣.

ومَنْهاريس[١]، ومرغوطيس[٢]، ومرســينال[٣] الطِّنِيـــسي، وآنـــون[٤]، وبروراقطيوس[٥].

والمتأخِّرون في زمانهم، منهم: الرَّازي[٦]، وإسحق بن سليمان[٧]، وثابت بن قُرَّة[٨]، وأبو حنيفة الدِّيْنُوري[٩]، وغيرهم مِمَّن لم نُسَمِّه.

---

(١) المقنع، ص١٢٣.

(٢) المقنع، ص٩٥.

(٣) المقنع، ص١٢٣ مرسال.

(٤) المقنع، ص٩٧: آنون الماهر في الفلاحة.

(٥) المقنع: قرورا طيقوس، ص٩٧، وذكره مرة أخرى، ص١٢٣ برورا قطوس.

(٦) هو أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا (ت: ٣٢٠هـ)، صاحب كتاب الحاوي في الطب، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٥٥م-١٩٦٥م، وله كتاب (النبات)، عمدة الطبيب، ص٣٥٥.

(٧) هو إسحق بن سليمان الإسرائيلي صاحب كتاب (الأغذية) طبعة فؤاد سزكين، ألمانيا الاتحادية (١٩٨٥م).

(٨) هو ثابت بن قرّة الصابئي (ت: ٢٨٩هـ)، له كتاب النبات وجوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس. انظر: عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي، ص٦٧٦، وله شروح على مقالة أرسطو في النبات.

(٩) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢هـ)، صاحب كتاب النبات، نشر القسم الأول منه برنار لوين (١٩٥٣م)، وحقق القسم الثاني محمد حميد الله، المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٣م.

واعتمدتُ أيضاً مع ذلك على ما استحسنته مِمَّا تَضَمَّنه الكُتُب المذكورة بعد هذا، منها: كتاب الفلاحة النبطية[1]، تأليف: قوثامي، وهو مبني على أقوالِ جلَّة الحكماء وغيرهم، وذكر فيه أسْماءَهم وعَدَّدَ مِنْهم: آدم[2]، وصَغْريث، ويَنْبوشَاد، وأخْنُوخا[3]، وماسي[4]، ودوانَاي[5]، وطامثرى[6]... وغيرهم.

وربَّما اختصَرْتُ ذكر هذا الكتاب، وأثْبَتُّ له علامة وهي (ض).

وعلى كتاب الشيخ أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن البصَّال الأندلسي[7] [ت: ٤٦٧هـ] (رحمه الله) وهو المبني على تَجارِبِه... وعلامته على وجه الاختصار (ص).

(١) ترجمة ابن وحشية، أبي بكر، أحمد بن علي بن قيس الكسداني (القرن الرابع الهجري)، وحققه توفيق فهد، دمشق، ١٩٩٣م.

(٢) ذكر باسم آدمي وآدم النبي، ورسول القمر البابلي.

(٣) ذكر باسم أخنوخا وأنوحا النبي، وأنوحا نبي القمر.

(٤) ذكر أيضاً باسم ماسي السوراني السوفسطائي، وهو من سَدَنَة هيكل المشتري.

(٥) دَوَاناي سيد البشر، وسيد الناس، وقال قوثامي هو أقدم من آدم.

(٦) هو طامثرى الكنعاني الجبثوشي وورد باسم طَمَاثَرَى أيضاً.

(٧) جاء اسمه مصحفاً "الفصال" واسم كتاب ابن بصَّال: القصد والبيان، ونشره (باسم كتاب الفلاحة) خوسي ماريا مياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.

وعلى كتاب الشيخ الحكيم أبي الخير الإشبيلي[1] (رحمه الله) وهو مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاَّحين، وعلى تَجاربه، وعلامته (خ).

وكتاب الحاجّ الغرناطي[2]، وعلامته (غ).

وكتاب ابن أبي الجواد.

وكتاب عَرِيْب بن سعد[3]... وغيرهم.

(١) أبو الخير الإشبيلي له كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات، حققه: محمد الخطابي، الرباط ١٩٩٠م، وكتاب في الفلاحة، حققه: التهامي الناصري الجعفري، فاس ١٣٥٧هـ، وله كتاب النبات والأدوية المفردة. مقدمة عمدة الطبيب.

(٢) الحاج الغرناطي ويدعى بابن حمدون الإشبيلي لإقامته فيها، وهو: أبو عبد الله، محمد بن مالك المعروف بالتغنري نسبة إلى بلد (تغنر) من أعمال غرناطة؛ له كتاب: زهر البستان ونزهة الأذهان، وهو لا يزال مخطوطا (انظر: مقدمة كتاب الفلاحة لابن بصَّال، ص١٦)، ومجلة تمودة (١٤) سنة ١٩٥٣م.

(٣) المتحف وباريس ومدريد (تصحيف) غريب ابن سعد. وهو عريب بن سعد (ت: ٣٦٩هـ) من أهل قرطبة، طبيب مؤرخ، استعمله الناصر سنة (٣٣١هـ) على كورة أشونة، وارتفعت منزلته عند الحاجب المنصور أبي عامر، فسماه: خازن السلاح.

له في الطب كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين وكتاب: تقويم قرطبة. واسمه في الذيل والتكملة والصلة عريب بن سعيد. انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٢٠٦، ٤٨٩، وأعلام الزركلي: ٤/٢٢٧.

وَنَقَلْتُ إلى هذا الكتاب أيضاً ما أَلْفَيْتُهُ مَنْسوباً إلى الحكماء المذكورين بعد هذا، وهم: ديمواط... وعلامته (دّ)، وجالينوس[1]... وعلامته (جّ)، وانطرليوس[2] الإفريقي، وعلامته (ثّ)، والفُرْس... وعلامتهم (بّ)، وعلامة قَسْطُوس (قّ) وكسينوس (ثّ) وعلامة أرسطو طاليس (ط ضّ)، وعلامة مهراريس[3] اليوناني (هّ).

وأخبر بعض العلماء في التاريخ أن مهراريس اليوناني كان من الإسكندرية، وزعموا أنّه كان من المُعَمَّرين، وأنّه عُمِّرَ ثمانمائة سنة. وسُقْتُ نَصَّ أَقْوالهم على حسبما وضعوها في كُتُبهم، ولَمْ أتكلَّفْ إصلاح ألفاظهم.

ونقلْتُ أَيْضاً أَقْوال غير المسلمين في هذه الجملة ولَمْ أَسَمِّهِمْ، وكَنَيْتُ عنهم بأن كتبْتُ: قيل كذا... وقال غيره: كذا... طلباً للاختصار.

ولَمْ أُثْبِتْ فيه شيئاً من رأيٍ إلاّ ما جَرَّبته مراراً فَصَحَّ.

---

(١) له كتاب الأدوية المفردة في إحدى عشرة مقالة. القفطي، ص١٣٠، وابن أبي أصيبعة، ص١٤٥، وقد نقل مؤلفاته اليونانية إلى السريانية، سرجيس (ت: ٥٣٦م)، وهو أحد اليعاقبة.

(٢) المقنع، ص٦، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٥٤.

(٣) المقنع: منهاريس، ص١٢٣.

وقسَّمْتُ هذا التأليف على سِفْرَين:

ضَمَّنْتُ الأول منهما: معرفةَ اختيار الأَرَضين، والزِّبول، والمياه، وصفة العمل في الغِرَاسة والتَّركيب، ومِمّا يتّصل بذلك مِمّا هو في معناه ولاحق به.

وضَمَّنْتُ السِّفْرَ الثاني: الزِّرَاعة وما إليها، وفلاحة الحيوان.

والله المستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقدَّمْتُ في فلاحة الأرضين ما أَثْبته الشيخ الخطيب؛ أبو عمر بن حَجّاج (رحمه الله) في كتابه من آراء القدماء المذكورين في ذلك.

وتَابَعْتُهُ بِما نَقَلْتُهُ من كتابِ "الفلاحة النبطيّة" مِنْ أَقْوال القُدماء المَذكورين فيه، وجعلته كالأَصْل لشُهْرَتِهِم في العلوم، ولم أقطع بأنَّ ذلك يصحُّ في بلادِنا لبُعْدِ بلادهم عنّا.

وتَمَّمْتُ الغَرَضَ المَقْصُود إليه بما نقلتُهُ من كتب الفلاّحين الأندلسيين[1]؛ إذْ ما جَرَّبوه في ذلك، وما وافق أقوالهم فيه آراء القدماء، هو الذي يَصِحُّ عِنْدنا -إن شاء الله، وبه التَّوْفيق.

* * *

---

(١) لم ينقل ابن العوّام من الفلاحين فقط دون غيرهم من الأطباء وأصحاب الأغذية، من مثل: إسحق بن سليمان الإسرائيلي، وابن الجزار، وابن عاصم، وابن البيطار، وابن جلجل، والزهراوي، وابن سمجون، وابن ماسة، وابن وافد، وابن اللونقة، وابن عبدون وغيرهم.

[الـ]... فصل [الثامن]

مُقَدِّمَةٌ [المصطلحات المستخدمة]

قالَ قُوثامي في "الفلاحة النبطيَّة" في شرح ما يأتي ذكره[1]: "**القَدَمُ**" المذكورة فيه، في قَدْر عُمْق الأَرْض، وحَفرها للغِراسات، وشبه ذلك: أنّ كُلَّ قَدَمَيْن ذراعٌ واحِدةٌ وأَزْيد قليلاً من شِبْر، ورُبَّما كان ذراعاً وشِبْراً تاماً.

وأنَّ "**النَّبْش**"[2] المذكور فيه: هو المستعمل في عمارة الأشجار، وهو الكَشْفُ عن أُصولها، على حَسْب المُعْتاد في ذلك.

وأنَّ "الطَّمْرَ"، هو رَدُّ التُّراب فيه، وأنَّ "**المَشْق**"[3]: هو الحَفْرُ الخَفيف، وأنَّ "**التَّرويح**"[4]، نحو "**التَّقْليم**"، وأنَّ "**الكَمْح**"[5] يرادُ به "**الزَّبْر**" وشِبْهُهُ، وأنَّ "**الكَفّ**" إذا لم يُفَسَّر قَدْرُه؛ فالمراد به عَشْرُ حبَّات.

---

(١) لم يفرد قوثامي للمصطلحات باباً في الفلاحة النبطية، وإنّما جاءت متناثرة غير مقصودة.

(٢) النّبش: الفلاحة النبطية: ١/٢٢٧، ٢٣٠، ٦١٤؛ ٢/٨٨٠، ٩٠٢، ٩٥٧، ٩٦٥، ٩٨٠، ٩٩٦، ١٢١١، ١٢١٢.

(٣) اللسان، مادة (مشق) قال قسطا بن لوقا: المشق: الحفر الخفيف. الفلاحة الرومية، ص١٤٤.

(٤) قال آدم: نَفِّسُوا عن الشجرة تقوى وتصحّ، وروّحوها تعظم ثمارها، وتكثر وتجود، وإنما عنى به النبش حول الشجر، ورد التراب المنبوش مخلّط بالزبل. الفلاحة النبطية، ص١٢١٢.

(٥) الكَمْح والزَّبْر: حثو التراب وهيله في الحفرة. احْثُ في فيه الكَوْمَح، والكيح: التراب. الفلاحة النبطية: التزبير: ١/١٩٦، ٣٧٨، ٣٩٩. وفي المقنع، ص٢١: غروس الكروم لا تزبّر إلاّ بعد ساعة من النهار إلى عشر ساعات؛ وكأن معنى التزبير هنا التقليم.

قال أبو عبد الله بن البصَّال في كتابه[1]: إنَّ "القُفَّة" المذكورة فيه تَسَعُ نحو نِصْفَ قَفِيز قُرْطُبي، وإنَّ "الحَوْضَ" المذكور فيه طولُهُ اثْنَتا عَشَرَة ذراعاً، وعَرْضُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ[2]، فما يَرِدُ في هذا التأليف مِمّا ذكرنا فـوق هذا فتفسيره ما تقدَّم، وأغراض أبواب هذا التأليف على ما يتفـسَّرُ -إنْ شاء الله (تعالَى)-.

* * *

(١) انظر كتاب ابن بصَّال؛ الفلاحة (القصد والبيان)، ص٧١ (معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: اثنا عشر ذراعاً وأربعة أذرع.

[الـ]... فصل [التاسع]

[أبواب الكِتَاب]

[أبواب الجزء الأوَّل]

الباب الأول: في مَعْرِفة الطيِّب من أنـواع الأرض، والوَسَـط، والدُّون منها، بدلائل ذلك وشَوَاهده، وذكر طبائعها، وتَسْمية ما يَـصْلُحُ أن يُزْرَعَ أو يَغْرَسَ في كل نوعٍ منها، وما يجوز فيه، وفيه دلائل في معرفة النوع من الأرض التي لا تَصْلُحُ أن يُزْرَعَ أو يُغْرَسَ فيها، وتُسَمَّى الأرض المُهْمَلَة.

الباب الثاني: في ذكر الزُّبول، وأنواعها، وتـدبيرها، ومَنَافِعِهـا للأرض والشَّجَر، وسائر المنابت، ووجه استعمالها، وما يصلُحُ منها بكـل نوع من أنواع الأرض، وبكل نوعٍ من المَغْرُوسات والمَزْرُوعات فيها.

وفيه تسمية الأشجار والخُضَرِ، وأنواع الأرض التي يَصْلُحُ بهـا[1] الزِّبل، وتَسْمِية ما لا يَحْتَملُهُ منها، ولا يَصْلُحْ بها.

الباب الثالث: في ذكر أنواع المِياه المُستَعْملة في سقي الأَشْـجار والخُضَر، وما يوافق من أَنْواعِهِ كُلَّ نوع من ذلك. وفيه صفة العمـل في فتح البِئَار في الجَنَّات لسَقْيها، ووقت ذلك، واسْتنباط المياه، وقَوْدها[2] من

(١) المتحف ومدريد: تصلح بها الزبل.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: فودها. قال ابن حجاج، ص٧، قال فيلون البيزنطي في كتابه في (قود المياه)، وشرح هذا الكتاب وبيَّنه أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي، وهو أحسن كتاب أُلِّف في هذا المعنى، ولعل اسم المؤلف مصحَّف عن (أفْليمون).

كتاب أفلَيْمُون[1]، ومن غيره، وما يلحق به، وصِفَة العمل في تعديل أرض الجنات[2] لجري الماء عليها.

الباب الرابع: في اتِّخاذ البَسَاتين، وترتيب غِرَاسة الأشجار فيها على أحسن وجه[3]، والاختيارات في ذلك.

الباب الخامس: في صفة العمل في اتِّخاذ الأشجار، وأنواع الثِّمَار في البَعْل، وعلى السَّقْي، وفيما لا يَسْتَغْنِي غارِسُهَا عن معرفته، وفيه معرفة أوقات غِرَاسة الأشجار، ووَجْه العَمَل في غراسة نَوَى ثَمَر الأَشْجار، وفي غِرَاسة حُبُوبِ ثِمارها، وفي غِرَاسة المُلُوخ[4] منها، وغَراسة الأَوْتَاد والعُيُون منها، وفي غراسة القُضْبَان النَّابتة في أُصُولها، وتُسَمَّى "النَّوَامي"[5]، وكيفيَّة العمل في تَكْبِيسِهَا[6]، وفي

(١) أفليمون: من علماء اليونان، له كتاب في الفراسة، طبع في حلب سنة (١٣٤٧هـ)، ونقل عنه ابن حجاج في المقنع (ص٧١)، قال: قال أفليمون في كتابه: "في فراسة الحمام وتخيّرها".

(٢) مدريد: تعديل الجنات.

(٣) المتحف وباريس: أحسن الوجه.

(٤) المُلُوخ: القضبات التي تجتذب قَبْضاً بالأيدي، وتُنْتَزَع من أصولها.

(٥) هو ما يسمّى الفسائل في أشجار النخيل.

(٦) التكبيس غير التغطيس؛ لأن التكبيس ما هبط من أعلى الدّالية إلى الأرض في أسفلها ويبقى القضيب يغتذي من الشجرة عامين، وبعد ذلك يكتفي بنفسه ويغتذي بعروقه، عندئذٍ تقطع التكابيس التي تساق من أعلى الدالية. أما التغطيس فيُحْفَر حول الدالية وتغطس

إقلاب[1] جِفَان[2] الأَعْنَاب وتَغْطِيْسها، وكَيْفِيَّة العمل في نوعٍ مِنْ ذلك يُسَمَّى "الاسْتِسْلاف"[3]، وتدبير النَّوَى والحَبّ والملوخ والأَوْتاد والعُيُون المذكور غراسَتُها، وغيرها مِمّا تَقَدَّم ذكره، حتى تَدْرُكَ وتَكْمُلَ بمشيئة الله (تعالى) وتقدير عُمْقِ الحَفْر للغِراسات، وطولها، وعَرْضها، وقدر البُعْد بَيْنَها.

* * *

قضبانها في التراب، وتخرج رؤوسها، ولا تقطع، وتبقى على حالها حتى تنبت جفاناً جديدة بدل القديمة. انظر: ابن بصَّال، ص٧٧-٧٨.

(١) الإقلاب: هو التغطيس الذي مرّ ذكره.

(٢) الجفنة: هي الدالية نفسها أو شجرة العنب.

(٣) الاستسلاف: من سَلَفَ الأرض إذا سوّاها بالمِسْلَفَة للزراعة، وهي آلة تُسَوَّى بها الأرض بأن تكسر مَدَرها وما خشن من ترابها للزراعة.

والاستسلاف عمل تكثّر به الأشجار شبيه بالتكبيس. انظر هذا الكتاب الفصل الحادي عشر من الباب الخامس.

ويريد هنا: زراعة أغصان الأشجار التي ينبت منها عروق تغتذي منها.

[أبواب الجزء الثّاني]

الباب السادس: في صِفَةِ العَمَل في غِرَاسة الأَشْـجَار المُطْعَمـة، والأبقال المُدْرَكة بالقول الجُمْلي في ذلك، وفيه تَجارُبُ في غِراسة بعضها، وتدبير غِرَاسات الأشجار، وفيـه اختيـارات في أوقـات الزِّرَاعـات والغِرَاسات، والكساح[1]، وقطع القُـضْبان للتركيـب والإنـشاب[2]، والقِطَاف، وقطع الخَشَب، وشِبْهَ ذلك.

البابُ السَّابعُ: في تَسْمِيَة الأَشْجَار المُعْتَاد غِرَاستها في أكثر بـلاد الأندلس، وتقدير أنواعها، ووصف بَعْضِها، وصِفَة العَمَلِ في غِرَاسة كـلّ شجرة منها، وذكر ما يَصْلُحُ لكل نوعٍ من أنواع الأرض، ومن الـسَّقْي بالماء، والتَّزْبيل، وسائر التَّدْبير على الانفراد في ذلـك شـجَرَة شَـجَرَة، وهي هذه -وقَدَّمْتُ في تَسْمِيتها الجَبَليَّ منها، ثم الرِّيفيَّ منها، ثم السَّهْليَّ- والأشجار المـذكورة: الزَّيتـونُ، والرَّنـدُ، والبَلُّـوطُ، والكُمَّثْـرَى، والفُستُقُ، وحبُّ الملوك، والخَرُّوب، والرَّيْحَـان، والجَنَـاء الأحمـر[3]،

---

(١) الكَسْح والكُسَاح: التقليم. انظر: المقنع، ٢٣، ٢٨، ٦٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١.

(٢) الإنشاب من أنواع التركيب، ومن أنواعه: الشق والأنبوب والرقعة والرومي. انظر: ابن بصَّال، ص٩٥ وما بعدها.

(٣) زعم قوم أنَّ الجَنَاء الأحمر هو البُقّم، ثمره مدحرج أجعد، عليه خشونة في قدر البُنْدق، ولا نوى له، لونه كلون الياقوت الأحمر، يصنع منه خل ثقيف أحمر ينبت جهة إشبيلية. (عمدة الطبيب، ص١٧٥).

والصِّرْف[1]، والقَسْطَل[2]، والمُشْتَهَى[3]، والمُصَعُ[4]، والرُّمَّان، الجُلَّنار[5]، واللَّوْز، والصَّنَوْبر، وقَضْم قريش[6]، والسَّرْو، والعَرْعَر،

وقيل: هو القُطْلُب أو المشمش البَري، وشجر الدُّبّ، والعَفار والقَيْقَب، ويسمى قاتل أبيه؛ لأنَّ نبته وثمره لا يجفان حتى يطلع آخران. (أحمد عيسى: معجم أسماء النبات، ص١٩، دار الرائد، بيروت).

(١) الصِّرْف: هو العَنْدَم والبَقَّم، وقيل: هو البَقَّم الهندي. (معجم أسماء النبات، ص٣٦).

(٢) هو قَسْطَل وقَصْطَل وقِسْطَلّ: وهو الشاهبلوط (بلوط الملك) أو (أبو فروة). معجم أسماء النبات، ص٤٣، وعمدة الطبيب، ص٦٩٤.

(٣) أهل سرقسطة يسمّون المُشْتَهَى زُعروراً، وقيل: هو الإجّاص الشتوي. والزعرور كثير ببلاد الروم، ويعرف بسرقسطة بالمشتهى. عمدة الطبيب: ٣٦٠-٣٦١.

(٤) المُصَع: ضرب من الزعرور، شجرُهُ كشجر الكُمَّثرى البَري، له حَبٌّ مدوّر قدر حبِّ العُنّاب، ولشجره صمغ. ذكرأبو حنيفة أنَّ المُصَع هو ثمر العَوْسَج. انظر: العمدة، ص٤٩٢، وجامع ابن البيطار: ١٦٠/٤، وملتقطات حميد الله، ص٢٧٤، ومعجم أسماء النبات، ص١١٢.

(٥) الجُلَّنار: هو الرمّان الذّكر. عمدة الطبيب، ص١٦٩.

وقيل: هو رمّان البَرّ ينوّر ولا يعقد، وقيل: هو الإمْليسي الذي لا عجم له، ونوره جُلّنار: وتأوليه زهر الرمان.

(٦) قَضْم قريش هو عود اليُسْر أو عود المُقْلَة. وقيل: هو خَرْنوب الكلب وخروب الخنزير، وهو الينبوت والصلوان والغَاف. وسمّاه الرازي في الحاوي "فم قريش". ابن البيطار: ١٤١/١.

وقيل: هو التَّنُوب وهو أنثى الصنوبر وبالفارسية كِرْكِر، وثمره يسمّى قَضْم قريش والحبّة الخضراء. معجم أسماء النبات، ص١٣٩.

والأَبْهُل[1]، والتِّين، والذُّكَّار[2]، والتُّوت، والجَوْز، والوَرْد، والياسمين، والخَيْزُران، والظَّيَّان[3]، والأُتْرُجّ، والنَّارنج، والزَّنْبوع[4]، واللَّيْمون، وشَجَر الغُبَيْراء[5]، والدَّاذِي[6]، والكاذِي[7]، والسَّفَرْجَل، والتُّفَّاح، والمَيْس[8]، والأَزَادرخْت[9]، والنَّشَم[10] الأسود والأبيض، والحَوْر

---

(١) الأَبْهُل والإبْهَل: صنف من العَرْعَر، وقيل: العَرْعَر الكبير الذّكَر، وهو الضِّبر، ومنه صنف آخر يسمى الأبهل الهندي.

(٢) الذُّكّار: التين البَرِّي؛ لأنه تُذَكَّر به البساتين، وأما النوع الجبلي فهو الجُمَّيز (أو التين الأحمر). عمدة الطبيب، ص١٤٨.

(٣) هو طيّان وطَيُّون. معجم أسماء النبات، ص٩٩. وأظنه مصحّف من الظّيان (بالظاء).

(٤) الزَّنبوع: هو الليمون. وقيل: هو ثمر الليمون الهندي الكبير. معجم أسماء النبات، ص٥١.

أما الزنبوج فهو الزيتون البري، ويسمى العُتْم أيضاً. عمدة الطبيب، ص٣٥٧.

(٥) الغُبَيْراء: هو العُنّاب والطُّمَّخ والزَّيْزَفون وشجرة إبراهيم. معجم أسماء النبات، ص١٥١.

(٦) الدَّاذي هو فاريقون وحشيشة القلب، وأنس النَّفْس. عمدة الطبيب، ص٢٨٥.

(٧) هو كاذي (بالهندية) وكادي وكَدَر، وكيرج (بالفارسية)، وهو شجر يشبه النخل، وله دهن معروف، وقيل هو الكُنْدُر، الأنطاكي، داود بن عمر: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، ص٢٦٥ (المكتبة الثقافية، بيروت).

(٨) المَيْس (عربية) هو اللّوطس والكَرْكاس: شجر ليِّن.

(٩) الأزادرخت: هو العلقم ولثمره حنظل، عظيم الخشب نواه كالنبق وورقه كالدُّفلى قاتل للحيوانات يشبه الصفصاف. تذكرة الأنطاكي: ٤٢/١.

(١٠) باريس: القسم، والمتحف البريطاني: القسم (أيضاً)، والصواب النَّشَم وهو الدَّرْدَار والبَقَّم الأسود وشجرة البق والبعوض وسنْبُل الكلب.

الرُّومي، والصَّفْصَاف، والمُشْمُش، والخَوْخ، والإجَّاص، والنَّخْل، والعِنَب، والبُنْدُق، وقَصَب السُّكَّر، والمَوْز، وقصب النَّشَّاب[1]، والدَّرْدار[2]، والصُّفَيْرَاء[3]، والدُّفْلَى، والعُلَّيْق، والوَرْد الجَبَلِيّ، والعَوْسَج، والأسْفَاراج[4]، والكَبَر[5].

* * *

---

(١) المتحف: الساب، باريس: السان، والصواب: النَّشَّاب. قال الرازي: هو قصب أجوف يسمى زَغَراً. عمدة الطبيب، ص٣٦٣، والقصب أنواع، منه الصيني والفارسي والسياجي وقصب الهند والقصب المصري، وقصب السكّر.

(٢) الدردار: هو النَّشَم والبَقّم (سبق ذكره).

(٣) الصُّفَيْراء: هو عود القيسة، وعود الخير. وقيل: هو نوع من الخلاّف والأرْطَى. وقيل: هو نوع من العَوْسَج والدُّلْب والبَقْس. عمدة الطبيب، ص٥٧، ٦٤، ٦٦، ١٢٦، ٢٩٤، ٢٩٥، ٤٣٦، ٥٣٣، ٥٤١.

(٤) هو أسْفَراج وأسْفَرَاغ وأسْفَرْغس (يونانية) وهو هِلْيُون وأُذُن الحَلُوف. معجم أسماء النبات، ص٢٤.

واسمه بالسريانية ماسونيج، وفي عمدة الطبيب، ٨١٤: إسْفَارج. وانظر: جامع ابن البيطار: ٤/١٩٥.

(٥) الكَبَر: نوع من الجَنْبَة، له زهر أبيض وأغصان رقاق بيض مشوكة: وشوكها مثل شوك العُلّيق، والكبر يعرف بالكرمة السوداء، وثمره الشَّفَلَّح. وقيل هو العكر واللّصَف والقُبّار. عمدة الطبيب، ص٣٩٧.

[أبواب الجزء الثالث]

الباب الثامن: في تركيب[1] الأشجار المُؤْتلفة المُتَّفقة بعضُها في بعض، ومعرفتها، وفيه معرفةُ أوقات التَّرْكيب، وفيه كيفيَّة العَمَل في قطع الأشجار كذلك، وصفة العمل في صيانة التراكيب، وفيه كيفيّة العمل، واختيار الأَقْلام للتَّركيب، وكيفيَّة بَرْي الأَقْلام لذلك، وصِفَة العَمَل في التركيب النَّبَطي، وهو الذي يعمل بالشَّقّ في أعلى الشجرة، وفي أَصْلِها، وفي عُرُوقِها أيضاً، وفيه صِفة العَمَل في التركيب الرُّومي، وهو الذي يعمل بَيْنَ القِشْرَة والعُود في أعلى الشجرة، وفي عروقها، وفي أَصْلها أيضاً.

وصفة العَمَل في التركيب الفارسي؛ وهو الذي بالأُنبوب في أعلى الشَّجرة، وفي عُرُوقها أيضاً، وفي تركيب أشجار الفواكه بالأنبوب.

وصفة العَمَل في التركيب اليوناني؛ وهو الذي يُعْمَلُ بالمرقَّعة[2] المُسْتَطِيلة؛ [التي] تشبه ورقة الرَّيحان، وبالمرقعة المُرَبَّعَة، وبالمرقعة المُسْتَدِيرة أيضاً، وصفة العَمَل بالإنْشَاب بالثُّقْبَة، وفيه العمل في إنْشَابِ شجرةٍ في

---

(١) ذكر ابن بصَّال من أنواع التركيب: التركيب بالقلم الرومي، والتركيب بالشق والأنبوب والرقعة والإنشاب. كتاب الفلاحة، ص٩٥ وما بعدها.

وذكر أبو الخير الإشبيلي (الفلاحة، ص١٣٠-١٣١) من أنواع التركيب: التركيب بالشق والترقيع وبالقنوط، والقشر والشق الرومي وبالفرخنة، وتركيب البرنية أو الثقب وتركيب الضغط.

(٢) ابن بصَّال: تركيب الرُّقْعَة... أبو الخير: تركيب الترقيع.

أخرى، فتُثْمِرُ تلك الشجرة ثَمَرَها المُعْتَاد، وتُثْمِرُ الأُخرى التي تُنْشَبُ فيها؛ فيكون الأَصْلُ واحدٌ، والثَّمرُ مُخْتَلف.

وكيفيَّة العمل في الإنْشاب بالثَّقْب أيضاً في أَصْلِ الشَّجَرة تحت الأرض وفوقه، وفي أَغْصَانها أيضاً.

وفيه كيفية العمل في التركيب الأَعْمَى، وفيه صفاتٌ تُشْبِهُ التركيب، وذلك تَفْلِيْح نوىً وحَبٍّ في بعض أنواع النَّبات؛ منها: القَرْعُ في العُنْصُلِ[1]، والقِثَّاء في لسان الثور[2]، والبطِّيخ في العَوْسَج[3]، وفي عروق السُّوس[4]، وفي التُّوت، وفي شَجَرِ التِّين، وشبه ذلك، وقولٌ جامعٌ في لواحق التركيب، وتَنْبيهاتٌ على ما لا غِنَى عنه فيه، وقولٌ في قَدْر أعْمَار الأَشْجَار.

---

(١) العُنْصُل: من أنواع البصل، يسمَّى: بصل الفأر وبصل الخنزير، ويسمى أشقيل، منابته الرمل، والأرض الرقيقة، ومنه نوعان: أبيض وأحمر، والأبيض في العلاج أجود. انظر: جامع ابن البيطار: ٣/١٣٨، وعمدة الطبيب، ص٥٨٠-٥٨١.

(٢) لسان الثَّوْر: هو الحِمْحِم والكَحْلاء. المقنع، ص٦، ١١١.

(٣) العَوْسج: شجر ينبتُ في السِّباخ، وله أغصان قائمة مشوكة، وثمر أحمر فيه حموضة يقال له الحلهم والفرقد. ابن البيطار: ٣/١٤٢، وعمدة الطبيب، ص٥٩٩-٦٠٠، قال أبو الخير: منه عوسج أبيض وأحمر وأسود.

(٤) شجرة السُّوس، وعرق السُّوس، وعود السُّوس: هي ما يسمى بشجرة الفُرْس وعرق الفرس، وبالفارسية بنج مهك (أي: عرق أو جذر السوس) معجم أسماء النبات، ص٨٨، والمقنع، ص١١، ١٤، ١٦، ٢٢، ٣٣.

البابُ التَّاسِعُ: في صفة العمل في تقليم الأَشْجَار، ووقت ذلك، وذكر ما يَحْتَمِلُ ذلك منها، وما لا يحتمله، وفيه العَمَل في زَبْرِ الكُرُوم[1] والعَرَائش، وفيه تَنْقِيةُ الكُرُوم[2] قبل زَبْرها، وذكر ما يُنْمِي الأشجار، ويزيدُ في أعمارها بمشيئة الله (تعالى).

البابُ العاشر: في كيفيَّة العَمَل في عَمَارَة[3] الأرض المُغْتَرسَة على حَسْب ما يصلح بها وبالأشجار المُغْتَرسَة فيها، ووَقْت ذلك، واختياره، وذكر الصِّفَة التي تَصْلُحُ أنْ تكونَ عليها الأرض في وقت العمارة، وتسمية الأشجار التي توافقها كثرة العمارة والتي لا تُوَافقها كثرة العمارة، والتي لا توافقها أكثر منها، وفيه اختيار الرِّجال لأَعْمَال الفلاحة.

الباب الحادي عشر: في صِفَة العَمَل في تَزْبيل الأشجار والأرض المَغْرُوسة وغير المَغْرُوْسة، وما يُوافِقُ كل نَوْعٍ منها من الزُّبول، وعلاج الأرض المالحة، وقَدْر الزِّبل، ووقته، وكيفيَّة تَزْبيل الأشجار بحسب حالها وحال الأرض التي هي مَغْرُوسَةٌ فيها.

---

(١) زبر الكُرُوم وتزبيرها: تقويم أغصان الجفنة، وتسوية عُمُد الكروم وتنقية الأعشاب والحلفاء منها، والكشف عن الجذور، وهيل التراب المخلوط بالزُّبول مكانه.

(٢) المقصود بالتنقية تشذيب الأغصان المعوجة، وإزالة الأغصان المريضة أو الضعيفة أو اليابسة.

(٣) عمارة الأرض: حرثها وتزبيلها، وتسويتها، وتهيئتها للغرس والزرع.

الباب الثاني عشر: في صفة العَمَل في سَقْي الأشجار والخُضَر بالماء، ووقت ذلك، وقَدْره، وذكر الأشجار التي يُصْلِحُها السَّقْيُ الكثير، والأشجار التي لا تحتمله.

الباب الثالث عشر: في تذكير[1] الأشجار الآتي ذِكْرُها؛ وهي: الذُّكَّار[2]، والبَاكُور[3]، والتِّين، والخَوْخ، والرُّمَّان، وشجر المُشْتَهَى، والكُمَّثرى، وحبّ الملوك؛ وهو القَرَاسيا، واللَّوْز، والجَوْز، والفُستق، والمُشْمُش، والزَّيتون، والتُّفَّاح، والقَسْطل، والوَرْد، والنَّخْل، والأُتْرُجّ، والنَّارنج[4]، وعيون البقر[5]. وكيفية العمل في ذلك، وفي إفلاح الأشجار ليَعْظُمَ ثمرها ويَحْلُوَ مَطْعَمُها، وتكثر المائية الحلوة [فيها] ويزيد بمشيئة الله (تعالى) حَمْلُها، وفيه ذكر الأشجار المتحابَّة والمُتَنافرة، وفائدة ذلك أن يُتَبَاعَدَ بين المتنافرة في الغِرَاسة.

---

(١) تذكير الأشجار: أن تُطَعَّم الأشجار بثمرها، ومنه الفُحَّال للنَّخْل بمنزلة الذُّكَّار لشجر التين.

(٢) الذُّكَّار: التين الذَّكَر البرّي يسمى بالذُّكَّار لأنه يذكَّرُ به البساتين. العمدة، ص١٤٨.

(٣) الباكور: التين الذي ينضج قبل غيره من أنواع التين الريفي والجبلي والسهلي والبرّي، والمُلاحي والوحشي والأَزْغَب والبرجين والفاخر والقرطي والجعفري والملحي والشعري والزِّنقال والعسيلي. عمدة الطبيب، ص١٤٧-١٤٨، ويسمى بكبر التين الفخيث والدَّخيص. العمدة، ص٩٤.

(٤) النَّارَنج: البرتقال. انظر: المقنع، ص١١١.

(٥) عيون البقر: هو البرقوق والشاهلوك. معجم أسماء النبات، ص١٤٩.

الباب الرَّابع عشر: في علاج الأشجار والخُضَر التي [تَمّ] ذِكْرُها من الأَدْوَاء، والأمراض إن نزلت بها، وهي: التُّفَّاح، والإِجَّاص، والنَّارَنْج، والأُتْرُجّ، واللَّيمون، والزَّنْبوع[1]، والعنب، والتين، والتُّوْت، والزَّيْتون، والرُّمَّان، والخَوْخ، والسَّفَرْجل، واللَّوْز، والجَوْز. وفيه علاج البقول والخضر، وذِكر ما يُعَالج به الخَمَج، والتحيُّر[2] والتَّوَقف[3]، والتَّفْريع[4]، وصِفَة الوَرَق، ووصف ما يَطْرُدُ النَّمل، ويَدْفع مَضَرَّته، وما تُعالَجُ به الأشجار من الصِرِّ والجليد والرِّيح السُّوء، وعلاج الوَرْد إذا شَرَفَ[5] وضَعُف.

الباب الخامس عشر: فيه مُلَحٌ مُسْتَطْرَفَة، تُعمل في بعض الأشجار والخُضَر، من ذلك صفاتٌ في دَسِّ الطِّيْب والحَلاوة، والتِّرْياق، وكَبُوب[6] الفاكهة الحلوة، والأدوية المُسْهِلَة في الأشجار المُطَعَّمة، وفي القُضْبان

---

(١) الزَّنبوع: هو الليمون، وقيل: ثمر الليمون الهندي الكبير. معجم أسماء النبات، ص٥١.

(٢) التحيّر: نقصان الثمر وتساقطه من الحَوْر: وهو النقصان بعد الزيادة والهلاك. اللسان، مادة (حور).

(٣) التوقف عن الإثمار أو الإيراق. المتحف وباريس ومدريد: التوفق.

(٤) التفريع: كثرة نبات فروع الكرم. انظر الفلاحة النبطية: ٢/١٠٦٠. المتحف وباريس مصحفة إلى (التقريع).

(٥) شَرَفَ: هرم وأَسَنَّ، والشَّارف: المُسِنّ.

(٦) الكُبَّة والكَبَّة: كُرَة من غزل. والمراد هنا قطع فواكه مدوّرة تلقى في سيقان الأشجار أو جذورها أو أغصانها.

والبُقول[1] المُغتَرسة؛ لِيُؤَدِّي مَطْعَمَ ذلك وفَوْحَهُ وقُوَّته، وصفة عَمَل يَصِيْرُ به لَوْنُ الورد أصْفَرَ ولازَوَرْدِيّاً أيضاً. وتدبيْرٌ في الوَرْد حتى يُورِّدَ في غير إبّانه.

وتدبير التُّفّاح حتى يثمر في غير أيّامه، وكيف يُتَحَيَّل في ثَمَر التُّفّاح حتى تَحْدُثَ فيه كِتابةٌ وتَصْوير.

وصفةِ عَمَل في ثَمَر السَّفَرْجَل، والكُمَّثرى، والتفّاح، والبِطّيخ، والقِثّاء حتى تتشكَّل الحبَّةُ منها بأيِّ شكل أحْبَبْتَ.

وصفات في العِنَب يطول بها حَبُّهُ، ويصيْرُ عنقوده كأنَّهُ حبَّة واحدة، ويكون أيضاً عنقوده فيه حَبٌّ ذو ألوان مختلفة.

وكَيْفِيَّة تَدْبير غرس العِنَب حتى يكون حَبُّهُ دونَ نوىً، وتَدبيْرٌ في شجر التِّين حتّى يكون في الغصن منه حبَّاتُ تينٍ مختلفة الألوان، وحتى تكون التِّيْنة الواحدة فيها ألوانٌ مختلفة. وعَمَلٌ في الخَيْرِيّ[2]، يكون به نَوْرُه أبلقَ.

وكيف تُغْرَسُ أشْجار النّارَنْج[3]، والرَّيْحان، وشبه ذلك في صَهَاريج الماء.

---

(١) المتحف وباريس: البَقْل.

(٢) الخَيْرِيّ: هو ورد النهار والمنثور، منه أصفر، وخيري البَرّ، وشجرة سليمان بن داود. معجم أسماء النبات، ص٤٦، ١١٢.

(٣) النّارَنْج: البرتقال. المقنع، ص١١١.

وكيف ينبت في الخَسِّ وفي السِّلْق أنواعٌ من البقول، تجتمع في أَصْلٍ واحِدٍ منهما.

وكيف يُدَبَّر السَّلْجَم[1] والفِجْل حتى يَعْظُمَا فوق قَدْرهما المعلوم، وكيف يُتَّخَذُ الكُزْبرة[2] والشِّبِث[3] من غير بزْرِها.

الباب السادس عشر: في صفة العَمَل في اختزان الحُبُوب والفَوَاكه الغَضَّة واليابِسَة، واختِزَان التِّين غَضّاً ويابساً، واختزان التُّفّاح، والكُمَّثْرى، والسَّفَرْجل، والأُتْرُج، والرُّمّان، والإجّاص، والقَرَاسيا، والعُنّاب، والبلُّوط والقَسْطَل[4]، والفُستُق، والبُرّ، والشَّعير، والعَدَس، والفُول، والدقيق، وزرائع الخُضَر، والوَرْد المُيَبَّس، وماءِ الوَرْد المُقَطَّر، وتَخْلِيل بعض الخُضَر، واخْتِزانها لتُؤكَلَ في غير إبّانها[5].

* * *

---

(١) السَّلْجَم: هو اللِّفْت. وقد يسمى: الشَّلْجم والشَّلْغَم. معجم أسماء النبات، ص٣٣، والمقنع، ص٣٢، ٥٩، ١١٥.

(٢) هي كُسْبَرة وكُزْبرة وقُوْريون (باليونانية) ومنها أصناف: كزبرة الثعلب وكزبرة البئر، وكزبرة الصخر، وكزبرة الحبشة. معجم أسماء النبات، ص٦، ٧، ٥٨، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٧، والمقنع، ص٥٧، ١١٩.

(٣) الشِّبِث هو سَذَاب البَرّ والخَزَاءة والزُّوفر.

(٤) القَسْطل: هو الشَّاه بلّوط (أبو فروة).

(٥) مدريد: أيّامها.

[أبواب الجزء الرابع]

الباب السابع عشر: وهو أوّل السِّفْر الثاني من هذا التأليف. في كيفيَّة عمل القَلِيب[1]، ووَقْته، ومَنْفَعَته، وإصلاح الأرض بَعْد كَلالِها به.

الباب الثامن عشر: فيما يُريحُ الأرضَ، ويصلحها من الحُبُوب والقَطاني إذا زُرِعت فيها.

وفي اختيار البُزُور والزَّراريع، ومعرفة الجيِّد منها، وتَنْبِيتها؛ ليُعْلَم السَّالم الثابت من الذي أصَابته منها آفة فَفَسَدَ.

واختيار الهواء الموافق للزِّراعة، ومعرفة ما يصلح لكل نوعٍ من الحبوب من أنْواع الأرض التي تُزْرَعُ فيها.

الباب التاسع عشر: في معرفة وقت الزراعة، وكيفيَّة العمل فيها. وصِفَة العمل في زراعة القمح والشعير والسُّلْت[2] (وأظُنُّهُ الحبَّة التي تُسَمَّى

---

(١) القليب: هو البئر (يذكّر ويؤنّث) والجمع قُلُب وأَقْلِبه، والقليب: تعهد الأرض بالحرث أكثر من مرة.

(٢) السُّلْت: هو الشعر الرومي، ينجرد من قشره كله، ويصير كالقمح ويُسَمَّى الخَنْدُروس (باليونانية) والشعير الهندي، والأخضر منه اللّصِب، وأشْقَالته (بالأسبانية) وطراغيس، وهو كثير النخالة، مليّن للبطن، عسير الهضم.

بالنبطيّة "الكَلْبَا")[1]، والأَشْقَالية[2]؛ وهو الخُنْدُرُوس[3] (وأظنُّ أنّها تسَمَّى بالنبطية "حوشاكي")[4].

والطَّرْطير[5] (وأظنُّ أنّه يُسَمَّى بالنبطية "طَرْمَاكي")[6].

وما يُبكِّرُ بزراعته من البُزُور، وما يُؤَخَّرُ منها، وتقدير البَّذْر، واعتباره بحال الأرض التي يُبْذَرُ بها.

---

(١) باريس ومدريد: (الكلى) والصواب من الفلاحة النبطية: ٤٢٤/١، قال: ينبت في إقليم بابل شعير نسمِّيه (كلبا) ويقال: هو شعير رومي: إلاّ أنّه في صورة الحنطة.

وقال: (٤٥٩/١) والشعير المشبه للحنطة الذي يسمّى (كلبا) فهو أكثر غذاءً من الشعير المعروف وأقل قشوراً. وقال: (٤٧٣/١) أول أشباه الحنطة هي (الكلبا) التي يسميها بعض الناس شعيراً رومياً.

(٢) باريس ومدريد: الأشقالية.

النبطية: الأشتالية.

(٣) الخُنْدُروس (باليونانية) هو حوبيتا كوي (بالنبطية) وهو شعير يشبه الكلبا إلا أنه أكبر منه يزرع في إقليم بابل ونينوى، خبزه يعقل البطن ويفسد المعدة. الفلاحة النبطية: ٥١٦/١.

(٤) اسمه بالنبطية حوبيثاكوي، وفي بعض النسخ حوشاكوى وهو حب يزرع وقت الحنطة، يصبر على العطش وهو كثير النخالة، وخبزه عسر الانهضام. الفلاحة النبطية: ٥١٧/١.

(٥) المتحف وباريس: الطَّرْمير. والصواب: الطَّرطير؛ وهو نبت كالغاسول يسمى المُلّيح والقُلاّم والوقيد.

(٦) طَرْماكي: حب يزرع كالحنطة عسر الانهضام، ملين للبطن يزرعه أهل بارما وتكريت، حساؤه ينقي الصدر ويصفي الحلق. الفلاحة النبطية: ٥١٧/١.

الباب العشرون: في صفة العَمَل في زراعة الأرز، والذُّرَة، والدُّخن، والعَدَس، والجُلُبَّان، واللُّوبياء سَقْياً وبَعْلاً.

الباب الحادي والعشرون: في صفة العمل في زراعة القَطَاني سَقْياً وبَعْلاً؛ مثل: الفُول والحِمَّص، والتُّرْمُس، والحُلْبة، والكِرْسَنَّة[1]، والقَرْطَم[2]، ووقت ذلك، ومعرفة أَرْضِهِ التي يَصْلُحُ أنْ يُزْرَعَ فيها.

الباب الثاني والعشرون: في زراعة الكِتَّان، والقِنَّب[3]، والقُطْن، وبَصَل الزّعفران، والحِنَّاء، الفُوَّة[4]، والسَّمَار[5]، والفِصْفِصة[6]، وشوك الدَّراجين[7]، والخَشْخَاش الأبيض[8].

---

(١) عمدة الطبيب، ص٤١٧.

(٢) القَرْطَم: هو العُصْفُر، منه بري وبستاني، زهره كزهر الزّعفران، والقَرْطَم الهندي هو حب النيل. عمدة الطبيب، ص٦٦٦، وجامع ابن البيطار: ١٥/٤-١٦.

(٣) القِنَّب: قيل هو حب الفَقْد أو حب التُّنُوم يصنع من قشره أرشية. معجم النبات والزراعة: ١٠٢/١، وجامع ابن البيطار: ٣٩/٤، وعمدة الطبيب، ص٦٨٣.

(٤) فُوَّة: نبت له عروق حمر تسمى عروق الصبَّاغين، ويسمى النبت فُوَّة الصبَّاغ، ومنه فوة صفراء وفوَّة حلوة. معجم أسماء النبات، ص٨٦.

(٥) السَّمَار: هو الدِّيس والأَسَل يصنع منه الحُصُر. معجم أسماء النبات، ص١٦٤.

(٦) الفِصْفِصَة: هي القَتّ والبَرْسيم والنَّفَل والرَّطبة. معجم أسماء النبات، ص١١٦.

(٧) شوك الدُّرَّاج وشوك الدَّراجين هو ما يسمى بالجَنَاء ومشط الراعي وشوك الدَّريع.

(٨) الخَشْخاش أنواع: الأبيض والسود، والبحري، والبري، والبستاني والمصري والمقرون والمنثور والزبدي.

وصفة العمل في زراعتِها سَقْياً وَبَعْلاً، ومعرفة أرضها التي تَصْلُحُ لها.

الباب الثالث والعشرون: في اتّخَاذ المَبَاقِل، واختيار أَرْضِها، وكيفية العمل في زراعتها، وذكر ما يَصْلُح أن يُنْقَل منها، وذكر قَدر بقائها في أرضها، إلى وقْت إدْرَاكها وقَطْفِها بالقَوْل الجُمْليّ، والقَوْل أيضاً على مفرداتها، من ذلك القول في زراعة الخَسّ، والسَّريس[1] البُسْتانيّ، والرِّجْلَة[2]، واليَرْبوز[3]، والقَطَف[4]، والإسْفَانَاخ[5]، والكُرُنب[6]، والقَرْنبيط[7]، والسِّلْق، ووقت زِراعتها، ومعرفة أرضها التي تصلح لكلِّ بقل منها.

---

(١) السَّريس: هو العَلَث أو الخِنْشَار. وقيل: هو الفُسْتُق الشرقي وصمغه المَصْطِكَى. معجم أسماء النبات، ص٤٨، ١٤١.

(٢) الرِّجْلة: هي البقلة الحمقاء، والبقلة اللَّيِّنة والمباركة أو ذنب الفرس.

(٣) اليَرْبوز: البقلة اليمانية، وقد تسمَّى الجَرْبوز. معجم أسماء النبات، ص١١.

(٤) القَطَف: هي البقلة الذهبيَّة أبو بقلة الرُّوم، ويسمى: الريحان اليماني والإسفاناخ الرومي ورِجْل الجراد.

(٥) الإسفاناخ الرُّومي: نوع من القَطَف.

(٦) هو كُرُنب وكِرَنب وكَرْنب (نبطية وقيل: يونانية): الملفوف.

(٧) هو قِنَّبيط وقَرْنبيط (يونانية): الزَّهرة في بلاد الشام.

الباب الرابع والعشرون: في زراعة البقول ذوات الأُصُول، وشِبْهُهَا، من ذلك:

السَّلْجم[1]، والجَزَر، والفِجْل، والبَصَل، والثُّوْم، والكُرَّاث[2]، والأشقاقُول[3]، والقُرْقَاص[4]، وفُلْفُل السُّودان[5].

---

(١) السَّلْجَم: اللِّفْت.

(٢) الكُرَّاث: القِرْط وهو بصل الذئب وهو أنواع: الكراث الأندلسي وكراث البر والبقل والجبلي والرومي والشامي، وكراث المائدة والكراث النبطي والكراث الثومي والرومي هو الرَّاسن، والأندلسي القلفوط.

انظر: عمدة الطبيب، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣) هو الإشقيل والإسقيل والإسقال: العُنْصُل والعُنْصُلان أو بصل الفأر، وبصل فرعون، وبصل الخنزير.

(٤) هو قلقاس وقلقاص وقُرْقَاص: اللُّوف القبطي أو آذان الفيل والعامة تقول: قرقاص، وهو اللفت الكبير مصمت حار الطعم.

عمدة الطبيب، ص٦٧٨-٦٧٩.

(٥) فُلْفُل السودان: يقع على نوع من الدّيس، وهو نوع من السُّعْدَى، ويقع على حبّ الفَقْد، وليس منه.

وفلفل السودان يشبه حب الجُلْجُلان في داخله حبّ كحبّ الكِرْسِنَّة أسود، حار الطعم، يجلب من الهند.

عمدة الطبيب، ص٦٣٥.

الباب الخامس والعشرون: في زراعة القِثّاء، والبِطّيخ، والدُّلاّع[1]، والنُّفّاح[2]، والخيار، والقَرْع، والباذنجان، والحَنْظَل[3]، وتُسَمَّى هذه النُّوار، ووقت ذلك، ومعرفة أَرْضِهِ.

* * *

---

(١) من أنواع البِطّيخ: الفلسطيني، وهو الدُّلاّع وهو نفسه الهندي والسندي والشامي. ومن الدُّلاّع نوع ينبت بصحراء المرابطين. عمدة الطبيب، ص١٠١.

(٢) مدريد: التفّاح. الحاشية: النُّفّاح–اللُّفّاح.

واللُّفّاح: ثمر اليبروح، أمّا النُّفّاح: ضرب من البطيخ. عمدة الطبيب، ص٥١١.

ويقال أيضاً: النُّفّاح: هو البطيخ المصري أو الأرميني رقيق القشر، كثير اللحم، طيب الرائحة يشبه الدلاع. عمدة الطبيب، ص١٠١-١٠٢.

(٣) الحنظل: نبات يمتد على الأرض حبالاً طوالاً مثل أغصان القرع لا ساق له، وله ورق مشرف يشبه ورق البطيخ الفلسطيني لا يفرق بينهما. قال أبو الخير: هو دلاع بري. عمدة الطبيب، ص٢٣٥.

وهو عند العرب يعرف بالخُطْبان والشَّرْي والصَّرّاء والعلقم.

[أبواب الجزء الخامس]

الباب السادس والعشرون: في زراعة المنابت ذوات البُذُورِ المستعملة في الأطعمة، وفي بعض الأدوية، مثل: الكَمُّون، والكَرَاويا، والشُّونيز[1]، والحُرْف[2]، والأَنِيْسُون، والكُزْبَرَة، والرَازَيانج[3] البُسْتَاني والبَرِّي، والخَرْدَل، والمُقْل[4]، والأَنْدَراسيون[5]، والقَرْدمانا[6]، ووقت ذلك، ومعرفة أرضه، وما يُزْرَع من ذلك سَقْياً، وما يُزْرَع بَعْلاً.

الباب السابع والعشرون: في زراعة الأَحْبَاق والرَّياحين، من ذلك: الخَيْرِيّ، والسَّوْسَن، والنَّيْلُوفَر، والبَهَار، والنَّرْجس الأبيض، والنَّرجس الأَصْفَر، والمَقْدُونس[7]، والأَذَرْيون[8]، والنَّسْرين، والبَنَفْسَج،

---

(١) الشُّونيز: الحبّة السَّوداء. عمدة الطبيب، ص١١٥، ١٧٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٦٢٧، ٧٩٨.

(٢) الحُرْف: حبّ الرَّشاد.

(٣) الرَّازَيانج هو البَسْبَاس والشَّمار أو الفُلْفُل الأَحْمَر.

(٤) المُقْل: صمغ الدَّوم نباته بأرض العرب ناحية عُمان وصمغه أزرق وأحمر. عمدة الطبيب، ص٤٩٤-٤٩٥.

(٥) هو بخور الأكراد، ويسمى: شَمْرَة الخنازير.

(٦) القردمانا: هو حبّ الهال أو حَبّهان والقَاقُلّة.

(٧) هو بَقْدُونس ومَقْدُونس وكَرَفس رومي، وكَرَفس صخري، وكَرَفس الحمار. معجم أسماء النبات، ص٤١.

(٨) الآذَرْيون: ورقه كورق الخيريّ الأبيض، قضبانه مجوَّفة رقيقة، له زهر مشرّف ذهبي اللون إلى الحمرة، وهو الحَنْوَة عند العرب، والعَرَّار وبَهَار البَرّ. عمدة الطبيب، ص٤٠-٤١.

والتُرُنْجان(1)، والنَّعْنع، والمَرْدَدُوش(2)، والمَرْو(3)، والحَبَق(4)، والخِطْمِي(5)، ووَرْد الزِّينة، والخُبَّازَى(6)، و[الحَبَق] القُرْطُبي والصِّقلّي(7)، والبرَم(8)، والخَزَم(9)، ووقت ذلك، ومعرفة أرْضِه.

---

(1) التُرُنْجان: ضرب من الأحباق، والكبير منه هو الجبلي، وتُرُنْجان السَّوَاقِي هو الضَّوْمران، وعديم الرائحة هو الصِّيني. عمدة الطبيب، ص١٤٠.

(2) هو مَرْدَدُوش ومَردَقُوش ومرزجوش ومَرْزَنْجوش ومردكوش: ضرب من الصَّعَاتر، ونوع من الأحباق. عمدة الطبيب، ص٤٧٩، ومعجم النبات والزراعة: ٣٢٨/١.

(3) المَرْو: ريحان معروف يسمى الزَّغْبر، وهو حبق الشيوخ. عمدة الطبيب، ص٤٨٠.

(4) الحَبَق على الإطلاق: (الفوذنج النهري) وهو نوع من الريحان حسن المنظر طيب الرائحة، ومن أنواعه: الحبق المصري والمقلوب والصقلّي والحمامي والصَّعْتري والكرماني، ومنه ريحان الملك وهو الشَّاهُسْفرم أي ملك الأحباق. عمدة الطبيب، ص١٩٨-١٩٩.

(5) الخِطْمَى هو الخُبَّازَى والعَضْرَس والغِسْل والغَسُول.

(6) الخُبَّازَى: البقلة اليهودية والخِطْميّ البستاني، وخيِّرو (بالفارسية).

(7) يريد: الحَبَق القرطبي، والحبق الصِّقلّي (وقد سبق ذكرهما).

(8) البرَم جمع بَرَمة وهي ثمرة الطلح، وهي أم غيلان ثمره عُلَّف وبرَم. معجم أسماء النبات، ص٢.

(9) المتحف وباريس: الخرم، الحزم، الحرم. والصواب الخَزَم وهو نبات يشبه الدَّوم، له أقناء وبُسْر يَسْوَدّ إذا أيْنَعَ، وهو مُرّ عَفص، وهو نبات أرض العرب. عمدة الطبيب، ص٢٦٦.

الباب الثامن والعشرون: في زراعة أنواعٍ من النبات، تُتَّخَذ في الجنَّات، وتَتصرَّف في وُجُوه مختلفاتٍ من ذلك: المَامِيثاء(1)، والقَنارِيَّة(2)، والفَيْجَن(3)، والكَرَفْس، والنِّيْل(4).

والصَّعْتَر، والرَّاسَن(5)، والشَّطْرِيَة(6)، والأَفْسَنْتِين(7)، والحَرْمَل، والهلْيُون، والكَبَر(8)

والسُّمَّاق، والشِّبث(9)، والشَّاهتْرج(10).

---

(1) الماميثاء: هو الخَشخاش المُقرَّن البحري، ينبت قرب السواحل.

(2) القنارِيَّة والقَنَارا (يونانية): الخَرْشوف البستاني أو العَكُّوب والهَيْشر.

(3) الفَيْجَن هو السَّذَاب والذُّفراء.

(4) النِّيل هو القُضَّة والعُبيراء والسَّمَّة، يصلح للصَّبَّاغ وهو النَّيْلَنج (النَّيْلَة).

(5) الرَّاسَن: هو الزَّنجبيل الشامي وبقلة الرُّماة.

(6) الشَّطْرِيَة والشَّاطِرِيَة (يونانية): هو الصَّعْتَر.

(7) الأَفْسَنْتِين هو شيبة العجوز والخُتْرَف والدَّمسيس.

وقد يسمى ذقن الشيخ وهو شجر أبيض.

(8) الكَبَر: والكَبَّار والقَبَر والقَبَّار: اللَّصَف.

وتفاحة الغراب وعنب الحيَّة: ثمرُهُ الشَّفَلَّح.

(9) هو سَذَاب البَرّ.

(10) الشَّاهتْرجّ وشاه تُرُجّ وشَيْطَرْج (بالفارسية؛ أي ملك البقول أو سلطان البقول).

والخُزَامى، ولسَان الحَمَل[1]، والبَنْج[2]، والنَّدْوَة[3]، والنَّبْكة[4]، والإيْرَسا[5]، واللُّوف، وشجرة مريم، والبَابُونَج، وإكْلِيل المَلِك.

الباب التاسع والعشرون: في تقدير الزَّراريع، وفيه صِفَةٌ يُتَعَرَّفُ بها ما يَنْجُبُ من البُذُور في ذلك العام بمشيئة الله (تعالى) وفيه معرفة وقت الحَصَاد، واختيار مواضِع البَيَادر لَمدارِس الزَّرْع، وكيفيَّة العَمَل في اخْتِزَان الفواكه والحُبُوب.

الباب الثلاثون: وهو باب جامع، يَتَضَمَّنُ اختياراتٍ، منها: اختيار مواضع البُنْيَان ووقت قَطْع الخُشُب لذلك، ولمعاصر الزَّيت، وشبه ذلك، وفي تَيْبِيسِ الشجَّر والنّبات المُضِرّ بالأرض، وكيفيَّة تَحْصِين الكُرُوم والجَنَّات بغير حائط، وصِفَة الأعْمَال في انتقال الأعْشَاب والأشجار من

(١) لسان الحَمَل هو ذنب الثعلب وذنب الفار وآذان الجدي ولسان الكلب، وهو ورق الصابون. عمدة الطبيب، ص٤٥٦-٤٥٨.

(٢) البَنْج: الشاهدانج والتَّنوم وهي الحشيشة المعروفة.

(٣) المتحف وباريس: البدرة. والصواب النَّدْوة وهي القَضْقَاض والحَرْمَل.

(٤) النَّبْك والنَّبْق: السِّدر وقيل ثمر العُنَّاب. العمدة، ص٥٠٦.

(٥) الإيْرَسَا: الزَّنبق وجذر السَّوسن الأزرق، وجذر البنفسج والسوسن الأبيض.

البَرِّية إلى البَساتين، وصِفَة المَجْرَد[1] الذي تُعَدَّلُ به الأرض، ووصف أشجار ونبات يصرف ذكرها في هذا الكتاب في باب التركيب.

وفيه وصف خواص نافعةٍ بمشيئة الله (تعالى) للزَّرْع والشجر والخُضَر، ومُصْلحة لها.

وصفات في طَرْد السِّبَاع والحشرات المُضِرَّة، والطَّيْر وصَيْدها.

وما يُسْتَدَلُّ به على كثرة حمل التفّاح والكُرُوم والزَّيتون قبل ظُهُوره.

وصفة العمل في عَجْن الخُبْز من الحِنْطَة، وتخميْرِه بالخمير وبغيره، وطَبْخه على أحسن الأعمال في ذلك، وأوفقها للاغتذاء.

وصفة العمل في إصلاح بعض ثمار الأشجار، والبقول البرِّيَّة، وأصُول بعضها، وتلوين نوى ثمارها، وعَمَل خُبْزٍ[2] من ذلك يغتذى به في المَجَاعَة، وعند عُدْم الأقْوَات إلى أن يأتي الله بالفَرَج والرَّحمة.

وذكر منافع السَّيْل ومَضَارِّه، ومنافع الغَيْث، والشَّمْسِ، والصَّحْوِ، والرِّياح للمنابت، بمشيئة الله (تعالى) وفي الاسْتِدْلال على نزول الغيث في الشِّتَاء، وكون الصَحْو والبَرْد فيه؛ بمشيئة الله (تعالى).

وفي الاسْتِدلال بدلائل تُرَى عَيَاناً حَسْبَما جُرِّب في ذلك.

(١) المَجْرَد: آلة تعدل الأرض بها تشبه مَحْلَج القُطن.

(٢) باريس: خبزة، المتحف البريطاني: خبزه.

وفيه ذكر فصول السَّنَة، وما يَصْلُحُ أن يُعْمَل من أعْمال الفِلاحة في كلِّ شَهْر منها.

وهذا الباب هو جامعٌ لذلك وبما يُشْبِهُهُ، أَكْمَلْتُ به الغَرَضَ المَقْصُودَ إليه في معنى فلاحة الأرض في هذا التأليف، وبالله التوفيق.

* * *

[أبواب الجزء السادس]

الباب الحادي والثلاثون: وهو أوَّلُ القول في فلاحة الحيوان، من ذلك: اتِّخاذ البَقَر، والضَّأن، والمَعَز، ذُكْرَانُها وإناثها، واختيار الجيِّد منها، ومعرفة وقت إنْزَاء فُحُولها عليها، ومُدَّة حَمْلها، وقَدْرِ أعْمَارها، وما يَصْلُحُ لها من العَلَف والماء، وعِلاج بعض أَدْوَائها وعِلَلها، ومَعْرِفة سِيَاسَتها، وغير ذلك من مصالحها.

الباب الثاني والثلاثون: في اتِّخاذ الخَيْل والبِغَال والحمير والإبل، ذُكْرَانُها وإناثها، للقُنْيَة[1] وللرُّكُوب، والاستعمال في أعمال الفلاحة، وفي العُزُوق[2] للحَاجّ[3]، وشِبْه ذلك.

واختيار الجيِّد منها، ووقت إنزاء فحولها على إناثها، وقَدْر أعْمَار ذُكُورها وإناثها على حَسْب المُعْتَاد في ذلك.

وما يصلح لها من العَلَف، وقدره، وسَقْيِها بالماء ووَقْته، وتَسْمِينُها، وتَضْمِير الخيل منها بعد ذلك للسِّبَاق عليها، وصفة العَمَل في رِياضَةِ أَمْهَارها، وإصلاح ما يحدث في أخلاق بعضها من العيوب المُفْسِدة لها؛

---

(١) القِنْيَة والقُنْيَة والقُنْوَة، والقَنِيُّ: المُقْتَنَى من الإبل والغنم لولد أو للبن.

(٢) عَزَق الأرض: شقَّها وكشف تربة الحقل السطحيَّة وأزال أعشابها المُضِرَّة.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: في الحَجّ.

وهو تصحيف: التَّعزيق للحَاجّ؛ وهو العاقول أو شوك الجمال أو الكَبَر.

مثل الجِرَان[1] وشِبْهِهِ، وفيه نُكَتٌ[2] من أصول الركوب، وأعمال الفروسيّة.

الباب الثالث والثلاثون: في علاج بعض عِلَلِ الدَّوَاب وإدوائها بالأدوية السَّهْلَةِ الموجودة.

و[أنْ] تعمل اليَدُ بالحديد هَيْناً، لا كُلْفَةَ فيه، ولا كثير مِهْنَة[3]، مثل: التَّوْديج[4]، والتَّصْدير[5]، والتَّخْنيج[6]، والتَّكْحِيل[7]، والتَّقْحِيد[8]، والتَّعْرِيب[9]، وفتح العروق، ويَسِيْرٍ من الكَيِّ بالنّار، وذكر العلامات الدَّالة على تلك العِلَل والأَدْوَاء التي [جاء] ذكرها، وعلاجاتها بعد المَعْرِفة بها، وهذا هو الفَنُّ المعروف بـــ"البَيْطَرَة".

(١) باريس ومدريد: الجرات.

(٢) النُّكْتة: الفكرة اللطيفة، والمسألة العلمية الدقيقة يُتَوَصَّل إليها بعد إنعام فكر، والجمع: نُكَت.

(٣) المِهْنَة: الجَهْد.

(٤) التَّوديج: علّة في الوِداج وهو عِرْقٌ في العنق.

(٥) التَّصْدير: مَرَضٌ إذا أصاب الحيوان صَدَرَ؛ وهو الانصراف عن الماء دون أن يرتوي. أو عِلّة في الصَّدْر.

(٦) التَّخنيج: الضُّمُور.

(٧) التكحيل: عِلّة في كَاحِل الدَّابَّة.

(٨) التَّقحيد: عِلّة في أصل سَنَام الناقة أو الجَمَل.

(٩) التعريب: هو فساد في المعدة أو من عَرِب الجُرْح: إذا تورَّم وتَقَيَّحَ وبقي أثره بعد البُرْء.

الباب الرابع والثلاثون: في اقتناء الحيوان الطائر المتَّخَذ في البُيُوت، وفي البَساتين والضِّيَاع والجبال، مثل: الحَمَام، والإوَز، والبُرَك[1]، والطَّوَاويس، والدَّجاج، والنَّحْل المُعَسِّل، ومعرفة الجيِّد منها، وسياستها، وتدبيرها، وذكر عَلَفها، وعلاج بعض أدوائها.

الباب الخامس والثلاثون: في اقتناء الكلاب المُبَاحِ اتِّخَاذها للصيد والزَّرْع والماشية.

ومعرفة جيِّدها، وسياستها، وعلاج أدوائها، وذكر ما يُصْلِحُ أحوالها بمشيئة الله (عزّ وجَلَّ).

وهذا حين أبتدِئ –إن شاء الله– بسِيَاقَة الأبواب المذكورة باباً باباً، وتَضْمِينها جميع ما شَرَطْت، وإليه قَصَدْت، ونَحْوَه يَمَّمْت، وبالله التوفيق.

* * *

(١) البُرَك: جمع بُركة؛ وهو طائر مائي من الفصيلة الوَزِّيَّة.

الفصل الأول

[في أنواع الأرضين]

في مَعْرفة الطَّيِّب، والوَسَطِ، والدُّونِ من أَنْوَاعِ الأَرْض التي للزِّراعة والغِرَاسَة بالدَّلائل المُوْضِحة لذلك، وذكر ما لا يَصْلُح لذلك من أَصْنَافِها؛ وتُسَمَّى: الأرض المُهْمَلة، وذِكْر ما يَجُودُ في كُلِّ نَوْعٍ من أنواع الأَرْض من الشجّر، ومن الخُضَر.

من كتاب ابن حجّاج (رحمه الله) في مـــختار الأرض ومَذْمُومها؛ قال (رحمه الله)[1]: أوّلُ مراتب عِلْم الفِلاحَة هو مَعْرِفة الأرضِ، ومَيْزُها، وعِلْمُ جَيِّدها من دَنِيِّها، ومَنْ لا يَعْلَمُ ذلك فقَدْ أَضاع الأَصْل، واسْتحقّ في هذه الصناعة اسم الجهل.

قال الرَّازي في كتاب "سمع الكيان": إنَّ الحَجَر[2] يَسْتَحِيل إلى الطينيَّة على الدَّهْر، بِفِعْل الشَّمْس والمَطَر فيه؛ لأَنَّ الشمس فيها تَخْفيفٌ[3] وتَبْديدُ الأَجْزَاء، كَفِعْلِ النَّار، ثمّ يجيء المَطَر، فَيَحِلُّ منها ما قد لَطُفَ حتى يَتَآكل ويَعْفَنَ على الدَّهْر حتى يصيْرَ طِيْناً.

---

(١) قول ابن حجاج، أحمد بن محمد الإشبيلي أخلّ به كتابه المنشور بعنوان: المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٢م، قال (ص٥): أول ما ينبغي أن ننظر فيه تخيّر الأرض، ثم استنباط المياه؛ لأنهما أسّ العمل.

(٢) (إن الحجر) سقط من نسخة المتحف البريطاني.

(٣) المتحف: التحفيف.

قال ابن حَجَّاج (رحمه الله)[1]:

فهذا دليلٌ واضحٌ من قول "**الوَّازي**" على أنَّ الشمس هي التي تَحِرُّ الأَرْض، وتُبَدِّدُ أَجْزاءَها، ولذلك كان وَجْهُ الأَرْض أطيبَ من سائر أجزائها حَرًّا ولُطْفاً.

وقد نرى ما يَخْرجُ من أعماقِ الأرض من التُّراب؛ كتراب البِئار والمَطَامير[2] لا يُنْبِتُ أوّلُ عام؛ لكن بعد أن تطبخَهُ الشمسُ، وتَلْطُف أجزاؤه وتَسْتَحِرُّ، وإنَّما لم تُنْبت الأرض إلاّ بعد حرّ الشمس؛ لأنَّها في طَبْعها باردة يابسة[3].

فلولا إسْخَان الشَّمس لها، وتَرْطيب المَطَر إيّاها لم يَنْشَأ[4] فيها نباتٌ إلاّ أنَّ الأرضَ —وإن كانت في طَبْعها باردةً يابسة- فإنَّ بعضها أرطبُ من بعضٍ، وبعضُها أَبْرَدُ من بعض.

---

(١) قول ابن حجاج سقط أيضاً من النسخة المطبوعة.

(٢) المطامير: جمع المَطْمُورة؛ وهو مكان تحت الأرض هُيِّئَ ليطمر فيه الزّبل والتراب وغيرهما، والمقصود: التراب الذي يستخرج من حُفَر المطامير.

(٣) هذا قول ابن بصَّال، قال: الأرض بالجملة في طبعها باردة يابسة.

انظر: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص١٠٠، حققه: محمد صالحية، وإحسان العمد، الكويت، ١٩٨٤م.

(٤) مدريد: ينش.

فَأَحَرُّ الأَرْضِ —بإجماعٍ من حُذَّاق أَصْحَاب الفلاحة- الأرضُ السَّوْداء[1]، ثم الحَمْرَاء[2]، وأَبْرَدُ الأَرْضِ البيضاء[3]، ثم الصَّفْرَاء[4]. وكُلُّ أرض في لونها بياضٌ فقد غلَبَ عليها مِنَ البَرْد بمقدار ذلك الجُزْء الذي مازَجَها من البياض، فكذلك يجري الأمر في الصَّفْراء، وفي سائر الألوان على هذا الحَدِّ، إن شاء الله (تعالى).

وأمّا الأرض الرَّطبة[5] التي هي في أعلى مراتب الرُّطوبة؛ فالأرض التي هي في شكلها شَبِيْهَةٌ بالزِّبْل القديم المُتَعَفِّن[6]، تجدُهَا مُنْتَفِشَة، لم

---

(١) قال ابن حجاج: خير الأرض السوداء؛ لأنها تصبر على كثرة المياه والأمطار، والحر، غير أنها لا تصلح للكرم. المقنع، ص٦.

(٢) قال ابن بصَّال: الأرض الحمراء يغلب على طبعها الحرارة واليبوسة، ولا تحتاج إلى الزبل الكثير من أجل حرارتها، والرُّطوبة متمكنة في تربتها. الفلاحة لابن بصَّال، ص٤٦، ومفتاح الراحة، ص١١٠.

(٣) ابن بصَّال، ص٤٥، ومفتاح الراحة، ص١١٠.

(٤) ابن بصَّال، ص٤٦، ومفتاح الراحة، ص١١٠.

(٥) ذكر ابن بصَّال (ص٤١ وما بعدها) أقسام الرضين في عشرة أنواع، هي: اللينة، والغليظة، والجبلية، والرملة، والسوداء، والبيضاء، والصفراء، والحمراء، والحرشاء المضرَّسة، والمكدَّنة المائلة إلى الحمراء.

و لم يذكر ابن بصَّال ولا ابن حجاج ولا غيرهما (الأرض الرطبة).

(٦) باريس: العفن، مدريد: المُعَفَّن.

تَغْلِب عليها الطِّفْلِيَّة[1] ولا الاسْتِحْصَاف[2]، فتكون مَدَرَتُها شدِيْدَةً مجتمعةً يابسةً، شبيهة بأشداد الحَجَر[3]، ولا حسَّمَت[4] وقَحَلَت، وقَلَّت رُطُوبتها، وتَبَدَّدَت أجْزَاؤها، كالرَّمل الشَّبيه بالحجارة أيضاً؛ لقِلَّة رطوبته، فإنَّه عند التَّحقيق حصى صغار؛ فهذه أحْمَدُ الأرَضِين في الرُّطوبة، وقليلاً ما ألْفَيْناها، وعلى حالٍ فقد شاهدناها.

وبَعْدَ هذه الأرض، هي الأرض التي ذكرها **أبو حنيفة الدِّيْنُوري**[5] صاحب النبات، في كتابه، وأثْنى عليها بحقّ، فقال: إذا كان البلد سَهْلاً حُرّاً دميثاً[6]، يُشْبِه ترابه ترابَ الرَّمْل، ولا يُدْعَى رَمْلاً، فذلك

---

(١) الطِّفْل: الطين الأصفر، ولون صُفْرة الشمس واحمرارها عند الغروب.

(٢) استَصْحَفَ وجه الأرض صار كالصَّحْفَة يابساً، والصَّحَاف: مناقع صغيرة للماء. اللسان، مادة (صحف) واستحصف الحبل: اشتدّ.

وقد ذكر ابن وحشية من الأرضين الفاسدة: المفرطة الاسْتِصْحَاف.

(٣) المتحف: أشرار الشجر، باريس: بأشرار الحجر. والمقصود: الحجارة الشديدة.

(٤) لا حَسَّمَت: انقطعَت رطوبتها، مأخوذ من حَسْم المرأة ولدها: إذا منعته من الرِّضاع.

(٥) هو أبو حنيفة، أحمد بن داود الدِّينوري (ت: ٢٨٢هـ) صاحب كتاب (النبات) المشهور، نشرة برهارد لوين (١٩٥٣)، وحقق القسم الثاني منه: محمد حميد الله، المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٣م.

(٦) الدَّمثاء: الأرض السهلة اللَّيِّنة، وهي أرض دَمِيثة، وأرض دَمَث: ليِّنَة.

الذي يُربُّ[1] النَّباتَ، وإنْ نُبش ما حَوَاليه، ورَبَّهُ حفظَهُ إيَّاه، ذلك أنَّه يشربُ الماءَ، ماءَ سَمَاءٍ كان، أو ماءَ أرضٍ؛ لدُمُوثته، ويَرْسَخُ فيه، فَيَسْقِي عروق النبات، وتَتَفَرَّجُ مضَارِبُها[2]؛ فَيَسْمَقُ نَبْتُهُ ويَطُولُ بَقَاؤُه.

قال: وإذا كان البَلَدُ عَزَاراً[3] شَحَاحاً[4] سَالَ الماءُ عليه سيلاً، فلم يَرِزّ[5] منه شيء، فلا يَثْرَى[6]، وإذا لم يَثْرَ لَمْ يَنْبتْ.

والشَّحَاحُ من الأرض:

الصُّلْبَة المُسْتَحْصِفَة[7] التي لا يَقْعُد الماءُ فيها، ولا تَتَفَرَّج مضارب العُرُوق في باطنها.

---

(١) يُربُّ النبات: يتعهَّده ويُغَذِّيه وينمِّيه، ورَبَّ بالمكان وأربَّ به: لزمه ولم يبرحْهُ، والرَّبَب: الماء العذب، والرُّبَّى: النعمة.

(٢) باريس ومدريد: تنفرج لمضاربها، والمراد أن مضارب العروق (حيث تضرب في الأرض) تتفرج (تنفذ وتَنْتَشِر) في باطن الأرض.

(٣) العَزَارُ: الأرض الصُّلْبة السَّريعة السَّيْل. اللسان (عزر).

(٤) أرض شَحَاح: لا تسيل إلاّ من مطر كثير. اللسان (شحح).

(٥) المتحف وباريس (يبرزا) والصواب (يَرِزّ) أي يُثْبُتُ، يريد أن الماء لم يثبت.

(٦) ثَرِيت الأرض تَثْرَى ثَرىً: نديت ولانت، وامتَصَّت الماء، وهي ثرِيَّة وثَرْيَاء. اللسان (ثرا).

(٧) المُسْتَحصفة: الشديدة.

وأمّا غيره فزَعَمَ أنَّ الأَرْضَ اليابسةَ على ضَرْبين:

أحدهما: الرَّمْلُ[1]، وهو في أَعْلى مَرَاتِب اليُبْس؛ لأنَّه حصىً صغار، وكفى بالحَجَرِ يُبْساً، وقِلّة إغْذَاء، والماء يَنِشُّ فيه.

والثانية: هي الأرض الطَّفْلِيَّة[2]؛ فإنها أيضاً يابسة، لكنَّها أَرْطَبُ من الرَّمل كثيراً، وإنَّما قيل فيها إنَّها يابسةٌ؛ لأنَّ مَدَرَتَها مُسْتَحْصِفة شبيهة بانعقاد الحَجَرِ، لا تَنْتَفِش، ولا تَرْخُو كالتّي قَدَّمنا ذِكْرها. فأمّا إذا مازَجَ هذه الأرض ترابٌ دَمَثٌ شبيه بِتُراب الرَّمل الدقيق فقد أَصْلَحَها وخَوَّرَها[3] لمضارب عُرُوقِ النَّبات، ولشُرْب المياه. وكثيراً ما تجدُ هذه الأرض في الجَزَائر[4]، وأرض الجزائر (مِمّا تَقدَّمَ) في الطِّيْب لمكان

(١) يرى ابن بصَّال أن الأرض الرملية يغلب على طبعها البرودة مع اليبس (ابن بصَّال، ص٤٥) ومفتاح الراحة، ص١٠٩.

وقالا: ومما يغلب على طبعها البرودة واليبوسة أيضاً: الجبلية والبيضاء والصفراء والحمراء والحرشاء المضرسة والمكدنة المائلة إلى الحمرة.

(٢) الأرض الطفلية التي فيها طين طَفْل يشبه لون الشمس عند الغروب، ولم يذكر هذا النوع من الأرضين ابن بصَّال وابن حجاج وأبو الخير وأصحاب الفلاحة النبطية، والفلاحة الرومية ومفتاح الراحة.

(٣) مدريد: خرزها، والصواب: خورها: أي لينها، والأرض الخوارة: اللينة السهلة.

(٤) يريد الجزائر التي تتكون من البراكين. انظر حديث قوثامي عن الجزائر، ص٣١٦، ٣١٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥، ٤٠٥.

الحَمْأَة[1] التي فيها، ولما يَسُوقُهُ السَّيْل إليها مِمَّا يَتَقَشَّر من وَجْهِ الأرض، وما يَحْتَمِلُهُ من الغُثَاءِ والزِّبل، فَتَرْخو لذلك، وتَرْطُبُ كثيراً، وربَّما كان مُمَازِجاً لها رملٌ دقيق؛ فيزيدُها رخاوة وخَوَراً.

وقال سولون[2] نحواً من هذا، وهو قَوْلُهُ[3]: الأرضُ الطيِّبَة هي الجامعة للحَرَارة والرُّطُوبة، فالسَّوَادُ في الأرضِ دليلُ الحَرَارة، وكذلك الحُمْرَة أيْضاً؛ إلاّ أنَّ حَرَّ الحُمْرَة دون حرّ السَّوْداء، ثم يتلو الحَمْراء: الصَّفْرَاء، وهي آخرُ مراتب الحَرّ، وأَقْرَب إلى حال البَرْد، والأرض البيضاءُ باردةٌ.

وأمّا اليُبْسُ والرُّطُوبة فَتَعْلَمُها بدلائلَ واضِحةٍ. وذلك أن الأرضَ التي هي شبيهَةٌ بالزِّبل القديم المُتَعَفِّن التي قد حَالَتْ عليه الأعوام، المُنْتَفِشَة الرَّطْبة- في أعلى مراتب الرُّطوبة[4].

ثمَّ الأرضُ التي يَمْتَزِجُ فيها حَمْأَةٌ بِرَمْلٍ دقيق جداً، وهي تُرْبَةُ الجَزائر.

(١) الحمأة: الطين الأسود المنتن، والقطعة منها: حُمَأة.

(٢) مدريد شولون، والصواب: سُولُون وهو من الفلاحين الروم المتكلمين، نقل ابن حجاج في المقنع بعض مقولاته. انظر: المقنع، ص٨٩، ١٢٣.

(٣) الحَمْأة: الطين الأسود المُنْتِن، والقطعة منها: حماة.

(٤) يمتدح علماء الفلاحة دائماً الأرض الندية الرخوة الرطبة، ويذمون الأرض الصماء الممدرة اليابسة. انظر: المقنع، ص١٤، ٦١.

وأعْلَى مَراتب اليُبْس هي الأرض الحَرْشاء[1] التي لا تكاد تَلْتئم، ولا تَجْتمع، وهي الرَّمليَّة التي لم يُخالِطْها حَمْأة[2] تُرَطِّبها، ولا طَفْلٌ[3] تكتسبُ به حَظّاً من الملاينة[4]. وكذلك أيضاً المفرطة البَيَاض[5] الشَّبيهة بالكِلْس، والأرض الطَّفْليَّة[6] يابسَة، وإن كانت أرطَب من الرَّمل كثيراً؛ لأنَّها مُسْتَحْصِفَة المَدَرة[7] إذا يَبِسَت، ويستدَلُّ على يُبْسِها باتّساقها، وصَلابة مَدَرَها، فهي في اجتماعها، وشِدَّة الْتِئامها كالحَجَر؛ فإن مازَجَ هذه الأرض شيءٌ من التُّراب المشاكل للرَّمل جَوَّدها، وأمكن غَوْص[8] عروق النبات في باطنها. فاجْعَلْ ما ذكرتُ لَكَ قِياسَكَ[9] في معرفة الأَرَضين ومَيْزِها، فلن يخطِئك ذلك (إن شاء الله تعالى).

---

(١) هي التي قصدها ابن بصَّال بقوله: الحرشاء التي على وجهها تحبيب كثير، ومتى كشف عن باطنها وجد حجراً متصلاً. فهذه لا تصلح أبداً. القصد والبيان لابن بصَّال، ص٤٨.

(٢) الحَمْأة: الطين الأسود المُنْتِن.

(٣) المتحف البريطاني وباريس ومدريد: طفلاً، وهو خطأ بين.

(٤) باريس ومدريد: الملاسة، وهو تصحيف.

(٥) المتحف وباريس ومدريد: البيات (تصحيف).

(٦) الطَّفْل: الطين الأصفر.

(٧) المستحصفة: الشديدة، والمدرة: الطين اللزج المتماسك، وسكان القرى هم أهل المَدَر؛ لأنهم يبنون بيوتهم منه.

(٨) باريس ومدريد: عوض.

(٩) الجملة التالية سقطت من باريس ومدريد.

وقال **سِيْدَاغوس**[1]: نحن إذا اعْتَبَرْنا الأَرَضين حقَّ الاعتبار، وَجَدْنا الحاجة إلى رُطُوبتها ودَسَمِها، وانْتِفاشِها، أكثر من حاجتنا إلى حَرِّها؛ لأنَّ الشَّمْسِ والهواء يحرَّانها ويُصْلحانها، وإنَّما احْتِياجنا إلى دَسَمٍ ولُطْفٍ تَسْتَمِدُّ مِنه عُرُوق النبات، فَيَنْقَادُ عند الاجْتِذَاب سريعاً؛ فإنْ عَرَضَ أن يكون في الأرضِ الحرارة والرُّطوبة معاً كانَ أَجْوَدَ كثيراً.

قال ابن حجاج (رحمه الله)[2]:

قول **سيداغوس** هو الحَقُّ الذي لا شيء غيره.

ومن كتاب **ابن حَجَّاج** (رحمه الله): في ذِكْر تنويع[3] الأرض على رأي (**يُونيوس**)[4] و(**كَسِّيُنوس**)[5] و(**دِيمُقْرَاطِيس**) و(**قَسْطُوس**) السَّالِفِيْن في عِلْم الفلاحة.

---

(١) ذكره ابن حجاج في المقنع (ص١١٣) سيدغوس، و(ص١٢٣) سيداغوس، وفي الحاشية (سيداعوس الإسباني)، ولم يجر له ذكر في كتب الفلاحة الأخرى.

(٢) قول ابن حجاج أخل به ما نشر من كتاب المقنع.

(٣) المقصود: أنواع الأرض، وما يناسبها من أنواع الأشجار والمزروعات.

(٤) اعتمد ابن حجاج على أراء يونيوس كثيراً وقد ذكر في المقنع في (٢٨) موضعاً. انظر: ص١٦٢.

(٥) جاءت الأسماء مصحفة تصحيفاً عجيباً في المتحف وباريس ومدريد، هكذا نونيوس وكستنوس وقيسطوس.

قال يونيوس[1]: إنّ أجوَد الأرَضين: الأرض السَّوْداء، وقد مَدَحها القُدَماء، وأكثروا في مديحها، وذلك أنّها تحملُ كَثْرَةَ الأمطار.

ويتلو هذه الأرض في الجُودَة الأرض البَنفسجيَّة[2] اللَّوْن.

قال ابن حَجّاج (رحمه الله)[3]: يعني بقوله: "البَنفْسَجيَّة اللَّون": أرضاً حمراء تَجِنُّ[4] إلى الدُّكْنَة[5]، ونحن نُسَمِّيها "الهنديَّة" وهي نهايةٌ في الطِّيْب إذا كانت مُنْتَفِشة، والشَّجَر يجُودُ فيها. قال: ثم نَرْجعُ إلى قول (يونيوس)، والأرض التي يغمرها ماء نَهْرٍ من الأنهار تُسَمّى "حَمَائِيَّة"[6].

---

(١) قول يونيوس في المقنع، ص٦، وفي كتاب أبي الخير، ص٤. قال: لأنها تصبر على كثرة المياه والأمطار والحر.

(٢) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٢٥، قال: أحمد الأرضين التي يضرب لونها إلى لون يشبه لون البنفسج، وهي المسماة البَنَفْسَجيَّة، وصار فيها مع اللون حمأة.

(٣) قول ابن حجاج ساقط من المقنع المنشور. قال ينبوشاد: البَنَفْسَجيَّة تتكون إذا عمَّ الأرض ماء عذب ثم انحسر، فحدث هذا اللون، وطعم تربتها عذب أبداً، يتلوها في الجودة الأرض المتخلخلة ثم الأرض الحارة. الفلاحة النبطية، ص٣٢٥.

(٤) المتحف وباريس ومدريد: تحر، تحر، تكر.

(٥) كذا في المتحف وباريس ومدريد؛ ولعلها "الكُدْنَة" لأن من أنواع الأرض: "المكدَّنة".

(٦) الأرض الحمائية هي التي تكونت من حَمْأة (الطين الأسود المنتن) الناتج من البراكين.

قال "دِيمُقْرَاطيس"[1]:

إذا نَشَّفَتِ الأرضُ المَطَر، ولم تَشَقَّقِ بَعْد المَطَر[2]، أو [إذا] مُطِرَ عليها فلا يكون بها زَلَق[3]؛ فهي أرْضٌ جيدة، وإذا لم تَشقَّق الأرضُ حين يَشْتَدّ الحرُّ فهي أرضٌ صالحة.

قال ابن حَجّاج (رحمه الله)[4]:

يشير في هذا كلّه إلى ألاّ تكونَ الأرضُ طَفْلِيَّةً أو صَلُوداً[5].

وقال لي بعض الناس: كيف ذَمَّ الحكيم "ديمقراطيس" وغيرُهُ الأرضَ المُتَشَقِّقَة، ونحن نرى فَحْصَ[6] مدينة "قَرْمُوْنة"[7] كثيراً [ما]

---

(١) قول ديمقراطيس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص٦، وأبو الخير في الفلاحة، ص٤، وذكر قسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، ص١٣٥.

(٢) ابن حجاج وأبو الخير: ما لا يكثر تشققها إذا اشتد الحر.

(٣) ابن حجاج وأبو الخير: زَلَق وتَمْليس ولا يطول مكث الماء فيها.

(٤) الصَّلُود: وصف من (صَلَد) للمبالغة: الأرض الشديدة الصلابة.

(٥) قوله سقط من المقنع المنشور.

(٦) الفَحْص: الحفيرة، والمراد الأرض المحفورة المحروثة منها.

(٧) قرمونة: من أعمال إشبيلية. انظر: المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (بيت الحكمة، تونس)، المواد: ٤٩٥، ٩٩٠، ١٣٦٧، ١٤٩٣، ١٥١٥.

تَشَقَّقُ، وهو يَصْدُرُ عنه الأَرْفَاع[1] العظيمة من القَمْح مِمَّا لا يوجد في غَيْرِه.

فقلتُ:

لم يَذُمُّهُ إلاَّ بالإضافة إلى غيره مِمَّا هو أفضل منه على حسب الشَّرْط المُقَدَّم، وأيضاً فإن هذه الأرض المُتَشَقِّقة ليس لنَجَابة القَمْحِ فيها خاصَّة تستحقُّ التفضيل جُملةً؛ لأنَّ كثيراً من المَزْروعات والمَغْروسات المُعْتادة لا تَنْجُبُ فيها، فكيف لا يَفْضُلُ غيْرُها عليها.

والأَرْضُ السَّوْداء[2] المُتَنَفِشة[3] التي هي شبيهة بالزِّبل القديم، يَنْجُبُ فيها كل مزروع ومَغْرُوس بإطْلاقٍ.

وهذه الأرضُ في أعلى مَرَاتِب الطِّيب، فكيف يُضَاف إليها غَيْرُها مِمَّا لا يَنْجُبُ فيها إلاَّ بعض المزروعات والمغروسات بعد إجْمامٍ[4] من

(١) الرِّفاع والرَّفاع: رفع الزرع بعد الحصاد. يقال: هذه أيام رِفَاع ورَفَاع. ورفع الزرع رُفعاناً: حمله بعد الحصاد إلى الجرن.

(٢) امتدحها قوثامي في الفلاحة النبطية، وقسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، وامتدحها أيضاً ابن بصَّال وأبو الخير وابن حجاج وغيرهم.

(٣) المتحف: المنتقشة.

(٤) أجم القليب: ترك ماؤه يجتمع، وجمت البئر: تراجع ماؤها بعد الأخذ منها، والبئر الجموم: التي إذا نقصت اجتمع ماؤها.

قَلِيْبٍ، وتَرْك اعْتِمارٍ[1]، والتي قَدَّمتُ أصْبَرُ وأَعْطَى على كَثْرَةِ الازدِراعِ فيها، وتَرْكِ الإجْمامِ[2] لها. وهذا بَيِّنٌ. إن شاء الله (تعالى).

وقال "قَسْطُوس"[3]: الجيِّدُ من الأرض هي [التي] تشرب ماء المطر الكثير، والتي تُنْبِتُ ضُرُوب الأعشاب، فَتَنْعَمُ فيها، وتَجُوُد، وتَطُول، والتي تُنْبِتُ عُشْباً رَقيقاً رديئةٌ.

وقال "يونيوس"[4]: الأَرْضُ المُخْتَارةُ للبَقْل هي التي ليست بيضاء، ولا خَشِنَة جداً، يعني: الخَرْشاء، ولا تَتَشَقَّق في الصيف تَشَقُّقاً كثيراً؛ وذلك أن الأرض البيضاءَ[5] تجْمُدُ في الشتاء سريعاً، وتَجِفُّ في الصيف،

(١) الاعتمار والعمارة: حرث الأرض وتنقيتها من الحجارة والأعشاب.

(٢) المقصود: ترك السقي.

(٣) قول قسطوس ذكره ابن حجاج (ص٦) قال: أجود الأرض ما لا يطول مكث الماء فيها، وإذا كان نباتها غليظاً طويلاً سميناً، غض الورق، حين الخضرة، غليظ العروق. وإذا كان دقيق القضبان والعروق فهي أرض رقيقة. وقول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٥.

ومما يعرف به طيب الأرض أن ينظر إلى العشب قلته وكثرته وغضارته ولونه. مفتاح الراحة، ص١٠٠.

(٤) قول يونيوس ذكره ابن حجاج دون عزو، قال: أوفق الأرض للبقول التي ليست بخشنة ولا خوارة فإن الخشنة لا تصبر على كثرة الماء، والخوارة تسترخي في الشتاء، وتيبس في الصيف، فيهلك بقلها ومن الأرض الرملة ما يجود فيها البقل وذلك لقلة عشبها. المقنع، ص٥٧.

(٥) المقنع، ص٥٧: الأرض الخوارة تسترخي في الشتاء، وتيبس في الصيف.

فَيَهْلِكُ جَميع ما يَكوْنُ فيها، أو يكون ضَعيفاً رقيقاً، ولا تكاد تَصْلُحُ الأرض البيضاء[1] للبساتين إلاّ بعد تَعَبٍ كثير، وبعد أنْ يخلط ترابها بسِرْجين[2] مساوٍ للتُّراب.

وأمّا الأرض التي تَتشَقَّقُ في الصيف؛ فإنّها لا تصلُحُ للبساتين، ولا الأرض الخَشِنَة أيضاً؛ فإنّها لا تَربُ[3] [النَّبْتَ] تربية جيدة، ولا تقوى على أن تَحْبِسَ الماء.

و[قد] تكون أَرَضُون رَقيقة[4] خَشِنة رمليَّة جَيِّدَة للبُقُول، وهي التي تكون الحَمْأَةُ فيها كثِيْرَةً، فتكون غِذَاءً لأصول البُقُول منها.

وبهذا يمكنُكَ أن تَعْلَمَ بأَسْهَل الأمور الأَرَضين الموافقة للبقول؛ وذلك إنْ رَوَّيْتَ التُّراب بالماء، وغَسَلته[5]، فأَصَبْتَ الحَمْأَة فيه أكثر، علمْتَ أنّها ارض جيِّدة للبُقول مُرْبِية لها، وإنْ أَصَبْتَ الرَّمْلَ أكثر، علَمْتَ أنّها غير موافقة للبُقُول، وإن أَنْتَ مَرَسْتَ الطِّيْن بيديك فأَصَبْتَهُ شبيهاً

(١) قال ابن بصَّال، ص٤٦: يحتاج النبات الذي يزرع في الأرض البيضاء إلى الزبل الكثير، وهي محتاجة إلى كثرة الخدمة والتزبيل. مفتاح الراحة، ص١١٠.

(٢) السِّرْجين والسِّرقين: الزِّبْل.

(٣) المتحف وباريس: تربي، والصواب: ترب أي تنعم نعمة جيدة بالغذاء والتنمية. ويجوز أن تكون العبارة (تربي النبت تربية).

(٤) المتحف وباريس: قليلة.

(٥) مضمون هذا القول ذكره ابن حجاج في المقنع، ص٥٨.

بالشَّمْعِ، يَلْصَقُ شديداً، فاعْلم أنها أَرضٌ غَيْرُ مُوافِقَة للبقول، فهذا قَوْلُ[1] "يونيوس".

وقال "كَسِيْنُوس": ينبغي أنْ يُرْتَاد للبُقُول الأرض السَّمينة الدَّسِمة التي ليست بِخَشِنَة، ولا البَيْضَاء، ولا اللَّزِجة، ولا التي تَتَشَقّق في الصَّيْف[2].

قال ابن حَجّاج (رحمه الله):

إنَّما غَرَضُهم في اطِّرَاح الأرض الطَّفْلِيَّة والحَرْشَاء، وذمّها للبُقُول؛ لأنَّ البقل في ذاته رَطْبٌ مائي لطيف العُنْصُر بإضافته إلى الشَّجَرِ الخَشَبي، فلا يصلُحُ إلاّ في الأَرْضِ الدَّسِمَةِ الرَّطْبَة المُنْتَفِشَة، وإذا اجْتُذِب أَصْلُهَا منها سَلِسَ له المُجْتَذَب.

والأرض الطَّفْلِيَّة اللَّزجة لا يَخْلُصُ إليه منها إلاّ القليل، ولا تَغُوصُ عروقُهُ فيها -كما تقدّم- والأرض المُسْتَصحفة[3] للشَّجَرِ أوفق منها للبَقْل.

(١) قول يونيوس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص٥٨، بمعنى مختلف معاكس، قال: وإن عجنت [التراب] بيدك فالتصق طينه بيدك كالشمع فهي تصلح [للبقول].

(٢) قول كسينوس أخل به كتاب المقنع، وفيه ما يناقض قوله. قال، ص٦١: الثوم يزرع في الأرض البيضاء الرخوة. ومعنى قوله في الفلاحة النبطية، ص٣٢٠.

(٣) هي مستحصفة ومستصحفة: شديدة مستحكمة.

وقال بعض الفلاّحين[1]: أمّا الأرض الرَّمْلية فإنَّها تزيد حَرّاً في الصيف، وبَرْداً في الشِتاء، وكذلك الحجارة على وَجْه الأَرْض تَقْبَلُ حَرَّ الصيف وبَرْد الشِتاء فتُؤْذِي الغروس التي تكون فيها زمن الصيف والشتاء؛ لأنَّ الحجارة تَحْمَى عند حَرِّ الشَمس، وتَبْرُدُ عند الهواء البارد.

وهذا قول[2] **"يونيوس"** قال: وهي في أعماق الأرض بخلاف ذلك ومن غيره.

قال "جالينوس"[3] في كتاب: "الأدوية المُفْرَدة":

اليونانيون[4] يُسَمُّون الأرض التي طينتُها **"دَسِمَة"** ليِّنة في ظَاهِرِها، وباطِنُها خَشِنٌ- ويُسَمُّون أُخْرَى ضِدّ هذه التي هي غير دَسِمَة: صَلْدَة؛ ولا تَصْلُحُ إلاّ لعَمَل الفَخّار، ويَفْصِلُون بين المواضع الليِّنة الرَّطبة الطِّيبة، وبين المواضع اليابسة القَحِلة والرَّمليَّة.

---

(١) انظر: ابن بصّال، ص٤٣، والمقنع، ص٧، وأبو الخير، ص٥، والفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

(٢) قول يونيوس ذكره ابن حجاج، ص٧، وأبو الخير، ص٥

(٣) جالينوس: له كتاب الأدوية المفردة في إحدى عشرة مقالة. القفطي؛ ص١٣٠، وعمدة الطبيب لأبي الخير، ص٩، ٨٥٧، وله كتب أخرى نقل منها أبو الخير الإشبيلي في عمدة الطبيب، مثل: أغذية المرضى، ص١١٤، تدبير الأصحاء، ص٣٣، ٤١٣، كتاب العلل والأعراض، ص٢٣١.

(٤) المتحف وباريس: اليونانيين...

وقال أيضاً:

والأَكَّارون[1] يزعمون أنَّ الأرض المُخْصِبة هي البعيدة من طبيعة الصُّخُور، ويَذُمُّون الأرْضَ القَحْلَةَ الرَّمليَّة؛ لأنَّها لا تصلُحُ لشيء.

وقال أيضاً: الأَرْضُ التي يزرعُهَا الناسُ أصنافٌ خاصيَّة؛ وذلك أنَّ منها الدَّسِمَة السَّوْداء اللَّوْن، ومنها المُضَرَّسَة[2] غير الدَّسِمة البيضاء اللَّوْن. وهذان صنفان متضادَّان؛ فأمّا ما بَقِي من أصنافها فهو بين هذين الصِّنْفَين؛ إمَّا أنْ يَقْرُبَ من أحدهما قُرْباً قريباً، أو بعيداً.

وقال أيضاً: فأَمّا الأرض المَحْرُوثَة فأَفْضَلُها الدَّسِمة.

ومن كتاب ابن حجّاج (رحمه الله):

في معرفة طَبَائع ما عَلا من الأرض واسْتَفَل، قال[3]: اعْلَمْ أنَّ الجَبَل أَبْرَدُ من السَّهْلِ وأَيْبَس؛ فأمّا يُبْسُهُ؛ فلأنَّه صَخْرِيّ، أو يكون ترابُهُ مُسْتَحْصِفاً شبيهاً بالصَّخْر. وأمّا بَرْدُه؛ فلأنَّ الرياح تتمكَّنُ منه، والثلج أَوْجَدُ فيه.

---

(١) الأكار: الحراث، والجمع أَكَرة وأَكّارون.

(٢) المتحف: المتشة، باريس: المهسة، والصواب: المُضَرَّسة وهي التي فيها حجارة كأنَّها أضْرَاس. الضريس والمضروس والضِّرْس سواء.

(٣) قوله هذا أخَلَّ به كتابه المنشور، وسقط من كتاب "المقنع" الذي حققه: صلاح جرار وجاسر أبو صفية.

وهذا قول **"ثابت بن قُرّة"**[1]: وأمّا صَفَحَاتُها[2] فتربتُها[3] أقلُّ طيباً كثيراً، وذلك لأنَّ ما أحَرَّت الشمس منها، ولطَّفت من أجزائها حَدَرَته الأمطار[4]؛ فتصَوَّبَ إلى الحَضِيض؛ فهَزلت لذلك.

وأمّا السَّهْلُ فبالضِّدِّ، وأمّا القِيْعَان والمُرُوج التي لا يُطِيْلُ الماءُ المُكْثَ فيها كلَّ الإطالة فمُعْتَدلةٌ طيِّبَةٌ جدّاً؛ لأنَّها سَوْداء التُّربة من تَعْفِين المياه لها، وكلُّ ما يَعْفَنُ فقد استَحَرَّ: لكنّ الماء المُنْجَذِبَ إليها كثيراً يُبرِّدها، ويُرَطِّب تربتَها، فيقاوم بَرْدُ الماءِ حَرَّ التَّعْفين[5].

وقال "سولون"[6]: المُرُوجُ باردةٌ، ولَيْست بالكثيرة البَرْد، وعِلَّة ذلك انْجذابُ المياه إليها، وغُؤُورها كثيراً فيها، وسِنْخُ[7] التُّراب أنَّ البَرْدَ

---

(١) هو ثابت بن قُرّة الصابئ، وقيل: النصراني (ت: ٢٨٩هـ)، له كتاب يشرح فيه كتاب جالينوس المشهور، سماه جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، وكتاب النبات، وشروح على مقالة أرسطو في النبات. انظر: عمدة الطبيب، ص٦٧٦.

(٢) هي صفحة الجبل وسفحه.

(٣) المتحف: أما صفحاتها أقل طيباً.

(٤) باريس: حددته.

(٥) المتحف: المتعفن.

(٦) سولون: جاء ذكره في المقنع، ص٨٩، ص١٢٣، وفي بعض نسخ المقنع ونسخ فلاحة ابن العوّام: شولون.

(٧) المتحف وباريس: سبخ (وهو تصحيف) والصواب سنخ التراب: أصله، أي أصل التراب يغلب عليه البرودة.

غالِبٌ عليه، فاستَوْلى البَرْد عليها من جهتين، وفيها جُزْءٌ من الحَرِّ للتَّعْفين المُتَلاحق لتُربتها من الماء المُنْجَذِب إليها، لكن هي بإضَافتها إلى الجِبال أرْطَبُ كثيراً وأحَرُّ...

(انتهى قول سولون).

وأمّا مَكَامِنُ الأرْضِ الغائِرة المُسْتَتِرة بالأشْراف[1] العالية، والأجْرَاف[2] المُضِلَّة؛ فأَرْضُها باردةٌ جداً؛ لأنَّ الشَّمْسَ لا تَصِلُ إليها، ولا تَغْذُو نَباتَها، فهي في طبيعتها باردةٌ جداً رَطْبَة كثيراً، فإذَنْ أعْدَلُ الأمْكِنَة وأَحْفَظُها ما انْخَفَضَ عن الجبل، وكان مُحِصّاً[3] مُعْتَدلاً مُسْتَوياً، ثُمَّ يَتْلُوه المرُوج، ثم الجَبَل —وأعلاهُ خَيْرٌ من صفحته لِمَا قَدَّمْنا من حَرْد المياه طِيْنَها—[4].

وأدْنى الأرضِ المكامِنُ الغائرةُ المُظَلَّلَةُ، لا تكادُ تَنْفَعُ إلاّ ما لا بَالَ له، مِمّا سنذكُرُه فيها فيما يُسْتَأنَف من هذا التأليف —إن شاء الله **(تعالى)**—.

---

(١) ما شَرُفَ من الأرض: ما ارتفع، والشَّرَف: الموضع العالي. والجمع: أشْرَاف.

(٢) المتحف: الأجْرُف. والصواب: الجُرْفُ وجمعه: أجراف وجِرَفَة، وهو شِقّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

(٣) المُحِصُّ: الظاهر البائن، أما المكان الأحصّ: الذي لا يطول نباته، وقليل النبت متساقطه. حَصَّصَ الشيء: بانَ وظَهَر.

(٤) مدريد: طيبها.

قال "سولون":

فإذا سُئلتَ عن حَقْلٍ من الأرض، بعضه مُتطَامِنٌ، وبعضُهُ مُسْتَعْلٍ، فقِيْلَ لَكَ: أيُّ أجْزَاء الأرض أفْضَلُ؟ فاخْتر المُتطامِنَ على المُشْرِفِ، وذلك لانحدار الماء عليه، وسَوْقه ما قَشَرَ من الأعْلى إليه؛ فهو أرْطَبُ أبداً وألْطَفُ.

والأعْلى أشد مَدَرَة أبداً، وأقْرَبُ إلى مشابهة الجبال (هذا على الأعَمّ).

ورُبَّ أرضٍ أعْلاها أفْضَلُ من أسْفَلها خِلْقَةً، فقد نَجِدُ قِيْعَاناً الغالِبُ عليها الرَّمْل، وما أشْرَفَ عليها أرْضٌ أرطَبُ منها... ولكنَّ الأكثر مِمَّا قَدَّمْتُ.

ومِمَّا يؤكِّدُ أنَّ الأسْفَلَ أفْضَلُ من الأعْلَى أنَّ الأمكنة التي تغلُبُ أعاليها الحُمْرَة، فأسافلها لونُها إلى السَّوَاد، والأرض التي أعلاها أبيضُ، فأسْفَلها أحْمَرُ أو أسْوَدُ (هذا في الأكثر) وأمّا الأرض التي تَسْتنقِعُ فيها المياه، وتثبُتُ كثيراً بها، فهي مَحْطُوطة[1] مَذْمُومة؛ لأنَّ الرُّطوبة تغلب عليها فتُطْفِئُ حَرَّها؛ وهذه الأرْضُ لا تَصلُحُ إلاّ لما يُزْرَعُ في استقبال القَيْظ: كالقِثّاء، والقَرْع والذُّرة وما أشْبَهَ ذلك، فأمّا الشجر فلا يَصْلُحُ

(١) المَحْطُوطة هنا: المذمومة، وفي اللغة: المَحْطُوط: المُرْهَف والمصقول، وجارية محطوطة المتن: ممدودة حسنة مستوية.

فيها. بل يَفْسُدُ، إلاّ أن يُغْرَسَ فيها النَّشَم[1] والدَّرْدار[2]، والغَرَبُ[3]، وما شاكَلَ ذلك من أشجار السِّبَاخ [التي] يُنْتَفَعُ بعيدانها.

ومن كتاب ابن حَجَّاج[4] (رحمه الله): في امتحان الأرَضين لتَعْلَمَ حالها، [قال]: امْتَحَنَ الناس الأرَضَين على وجوهٍ شَتَّى؛ فمنهم من امْتَحَنَها بالرَّائحة والذَّوْق[5]، ومنهم من امْتَحَنَها بالنظر إليها، واللَّمْس لها، ومنهم من امْتَحَنَها بما يَنْبُتُ فيها؛ فأَمَّا امْتحانُها بالنَّظَر إليها، واللَّمْس لها؛ فهو أحْسَنُ ما جُرِّب؛ لأنَّ النبت قد يَخْلُو منها فيذهَبُ الدليلُ عليها؛ فمِمَّن ذكَرَ الامتحان بالمُعايَنَة "يونيوس" فقال[6]: إنَّ الأرضَ الجيِّدة

(١) النَّشَم هو البَقَّم الأسود والعِجْرِم وسنبل الكلب، وشجرة البق لأنها تثمر نفاخات مملوءَة ديدان البعوض أو البق. عمدة الطبيب، ص٧٦١، وجامع ابن البيطار، ص٥٥.

(٢) الدَّرْدار هو النَّشَم الأسود والبَقَّم: وهو من الشجر العُظام والأطباء يسمونه لسان العصفور، وقيل هو نوع من الدَّرْدار. انظر: عمدة الطبيب، ص٢٩٢.

(٣) الغَرَب من الصفصاف، واحدته: غَرْبة، وقيل: هو الصفصاف الرُّومي، أو الحَوْر الرومي. عمدة الطبيب، ص١٥٠، ٤٨٤، ٥٤٠.

(٤) معنى قول ابن حجاج في المقنع، ص٦. قال في المقنع: وعلى قدر الذوق والطعم تعرف الأرض.

(٥) قال في المقنع: وعلى قدر الذوق والطَّعْم تُعْرَف الأرض.

(٦) بعض قول يونيوس في المقنع (ص٦)، قال: أجود الأرض ما لا يكثر تشققها إذا اشتد الحر، ولا يطول مكث الماء فيها؛ لأنها تنشف سريعاً. وفي الفلاحة الرومية (ص١٣٥): قال قسطوس الحكيم: علامة الأرض الطيبة أن لا تتشقق إذا تتابعت عليها الأمطار، ونشف ماؤها. وهذا القول ذكره أبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة، ص٤.

تُمْتَحَنُ بالْمُعاينة إذا لم تَتَشَقَّقْ شُقُوقاً كثيرةً عند يُبْس الهواء، واحْتِباس الأَمْطَار، ولاسيَّما إذا أَمْطَرَت عليها [السماءُ] مَطراً شديداً فتَصيْرُ وَحِلَةً، لكن قد تَشْرَبُ جميع الماء الذي يجيء من المَطَرِ، وإذا لم يَظْهَر وَجْهُ الأرضِ في أوقات البرد يابساً شبيهاً بالخَزَف[١].

ثم قال "يونيوس"[٢]: وقد أَصَابَ القدماءُ -أيضاً- نوعاً آخَرَ من المِحْنَة[٣] يَقَعُ بالمعاينة؛ وذلك أَنَّ الأشجار والنباتَ البَرِّيَّ إذا كانت فيها

(١) ذكر ينبوشاد في فساد الأرضين أرضاً سمّاها الخَزَفِيّة، وهي الأرض التي يعلو ظاهر وجهها في الصيف شبيه بالخَزَف في القوام واللون. الفلاحة النبطية، ص٣٤٧، مفتاح الراحة: شبيه بالخزف. المتحف وباريس: شبيهاً بالجرف (تصحيف).

(٢) قول يونيوس نسبه ابن حجاج في المقنع إلى أنطرليوس (ص٦)، وهذا القول منسوب إلى قسطوس الحكيم في الفلاحة الرومية، ص١٣٥، ومنسوب إلى أنطرليوس (ابن خير الإشبيلي، ص٣).

وفي الفلاحة النبطية (ص٣٢٢): إذا كان النبات قوياً عالياً ملتفاً في صعوده فهي أرض كريمة، وإذا كان صغاراً قميئاً منتفاً فهي أرض غير سليمة من العاهات. وقال ينبوشاد في الفلاحة النبطية (ص٣٢٠): تمتحن الأرض بأن نعرف الطعم الذي يغلب عليها: الملوحة أو المرارة أو الزعارة أو فرط القبض. والأرض تمتحن بالعيان فإذا تشققت شقوقاً كثيرة عند شدة البرد أو الحر؛ فهي فاسدة.

(٣) يقصد بالمحنة: الامتحان.

عظيمةً ملتفةً بعضها ببعض، دلَّتْ على أنَّها كريمة، وإذا كانت الأَشْجَار البرِّيَّة التي تَنْبُتُ فيها متوسِّطة في العِظَم والالتفاف دلَّت على أنَّها متوسِّطة في الجودة، وإذا كانت أَرْضٌ فيها نباتٌ رقيقُ الأَغْصَان، يجفُّ سريعاً، وحَشِيْشٌ قصيرٌ: فتلك أَرْضٌ ضعيفة[١].

وأَمّا من استعْمَلَ ذَوْقَ الأرض، فلم يُرد [إلا] الاختيار [بين] ذات المِلْح من [ذات] العَذْبَة[٢].

قال "يونيوس"[٣]: يُصَيَّرُ الترابُ بَعْدَ أَخْذِهِ من قَعْر الحُفْرَة في إناء زُجَاجٍ، ويُطْرَحُ عليه ماءٌ عَذْبٌ[٤]، ويُمْتَحَنُ بالذَّوْق؛ فأمّا الأرضُ المالحةُ

(١) قال قوثامي: كان بعض الكسدانيين يكتفون في محنة الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها، ولو بحشيشة واحدة، مثل: السوسن والعوسج والعليق والثيل، فيذوقونه ويقيسونه على ما ينبت في أرض سليمة من الآفات، فيستدلون بالوفاق والخلاف على طبع الأرض.

وقال ابن بصّال: مما يعرف به طيب الأرض أن ينظر إلى العشب في قلته وكثرته وغضارته. مفتاح الراحة، ص١٠٠.

(٢) جاءت هذه العبارة مختلفة جداً، والمقصود منها: أن من امتحن الأرض بالذوق يقصد معرفة الأرض ذات الملوحة من الأرض ذات العذوبة.

(٣) قول يونيوس في المقنع، ص٦، وذكره أبو الخير الإشبيلي، ص٤.

وقال قسطوس الحكيم: تعرف الأرض الطيبة بريح طينها، يؤخذ ترابها ويوضع في إناء زجاج ويخلط بماء السماء ويترك ساعة حتى يصفو ماؤه ثم يذاق، فإن كان طيباً فالأرض طيبة، وإن كان مالحاً فهي سبخة. الفلاحة الرومية، ص١٣٥.

(٤) المتحف وباريس: ماء عذباً.

فقد رأى القدماء[1] الهَرَبَ عنها، ولا تصلُحُ عندهم لشيءٍ، ما خلا النَّخْل[2] فإنَّه يجودُ نباته فيها، وتكون كثيرة الثَّمَر.

ومن كتاب ابن حجّاج (رحمه الله)[3]: ذَكَر كثيرٌ من الفلاحين أَنَّ الكُرُنْبَ يَنْجُبُ فيها. **وقيل**: إنَّ القِثّاءَ يطيْبُ فيها وتحلو مذاقَتُهُ.

وأمّا الذين يستعملون شَمَّهَا فإنهم إنَّما رغبوا [في] امتحان ريحها؛ أهي خَبيثَة كريهةٌ، أم ليست كذلك.

وأجمع الفلاّحون على أنَّ الأرض المُنْتِنة[4] لا خير فيها، ومِمَّن

---

(١) قال صغريث: الأرض الحريفة المرة المنتنة شر الأرضين، وغيره من القدماء نراهم يهربون من الأرض المالحة الشديدة الملوحة التي يشوب ملوحتها مرارة. الفلاحة النبطية، ص٣٢٣.

وقال ابن حجاج في المقنع (ص٦): قالوا: اهرب كل الهروب من الأرض المنتنة والمالحة، والماء المالح والرمل المالح.

وهذا القول ذكره أبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة. ص٤.

(٢) قال ابن حجاج (ص٤٥) ينصب النحل في أرض مالحة، فإن لم تكن مالحة فألق في حفره ملحاً وتعاهدها كل سنة بالملح.

(٣) قال ابن حجاج (المقنع، ص٥٩): ينبغي أن يزرع الكرنب في مكان مالح فإنه ينبسط فيه.

وقد يسمى الأكرنب والقنبيط. عمدة الطبيب، ص٤١٠.

وضبطه: كُرُنب وكِرْنب وكَرْنب وكُرْنب، وهو الملفوف في بلاد الشام.

(٤) قال صغريث: الأرض الحريفة المرة المنتنة شر الأرضين. الفلاحة النبطية، ص٣٢٣.

ذَكَرَ ذلك "ديمقراطيس"، فقال (وهذا نَصُّ قوله)[1]: علامةُ الأرض الجيدة للغَرْس أن يُحْفَرَ فيها قَدْر عُمْق الذِّراعين[2]، ثم خُذْ من أسفل الحُفْرَة تُراباً وأَلْقِهِ في زُجَاجة، وصُبَّ عليه ماء المَطَر، أو ماء نَهْرٍ عَذْب طيِّب الرِّيح، وخَوِّض[3] فيه ذلك التراب، وأَقِرَّهُ حتى يصفُو ذلك الماء، ثم ذُقْهُ وشَمّه؛ فإن كان طَيِّباً، فهي أَرْضٌ طَيِّبة، وإن كان مالحاً فهي سَبِخَة[4]، وإنْ كانَ مُنْتِنَ الرِّيح؛ فالأرض رديئة على قَدْر ذَوْق الماءِ ورائِحته.

قالَ "قَسطُوس"[5]: تَجَنَّبِ الأَرْضِ المُنْتِنة والمالحة، غير أنَّ المالحة تَصْلُحُ للنَّخْل.

قال "يونيوس"[6]: وينبغي أنْ تكتفي في مِحْنَة الأَرْض التي ترادُ للزَّرْع عند استعمال الذَّوق والشَّمِّ بِحَفْرِ موضِعٍ يكونُ عُمْقُهُ قَدْر قَدَمٍ،

---

(١) قول ديمقراطيس منسوب لقسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٥، وهو في المقنع، ص٦، وفلاحة أبي الخير، ص٤، والفلاحة النبطية، ص٣٢١.

(٢) الفلاحة الرومية: أو ثلاثة أذرع. المقنع: قدر عمق ذراع.

(٣) الفلاحة النبطية: ثم يخضخض. الفلاحة الرومية: يذيفونه في إناء زجاج.

(٤) الفلاحة الرومية: وإن كان مالحاً فهي سبخة. ابن حجاج وأبو الخير: فالأرض رديئة (ردية).

(٥) قول قسطوس في الفلاحة الرومية (ص١٣٥)، قال: إذا كانت الأرض رائحتها منكرة، وفي طينها ملوحة فلا تصلح إلا لزرع النخل والأثل والطرفاء والقصب، وهي لغرس النخل أمثل منها لغيرها.

(٦) بعض قول يونيوس في المقنع، ص٦، وفي فلاحة أبي الخير، ص٤.

فأَمَّا الأرضُ التي تُراد لغَرْس الكُرُوم فينبغي أن تكونَ الحفيرة قَدْر ثلاثة أَقْدام[1].

وأَمّا الأرض التي ترادُ لغرس الشَّجر فينبغي أَنْ تكونَ الحفيرةُ قَدرَ أربعة أَقْدام. والأَرْضُ الرّديئةُ الرَّائِحة[2]، يَنبغي أَنْ يُهْرَبَ عَنها على كلِّ حالٍ؛ وذلك أَنّها لا تَصْلُحُ لشيءٍ أَلْبَتَّة.

وقال "سيداغوس"[3]: إذا سأَلْتَ عن أَرْضَيْن مُخْتَلفتَيْن، أَيُّهما أرطَبُ بالسِّنْخ[4] وأَفْضَل؟ فاعْمَدْ إلى إناء مُمْتَلِئٍ من إحدى التُّربَتَيْن، وَضَعْهُ في كَفَّة الميزان، ثمَّ املأْهُ من الأُخْرَى [فأَيُّهما أثقل كان أَفْضَل]، ولا يكون التراب إلاّ يابساً غير نديٍّ[5].

قال ابن حجَّاج (رحمه الله)[6]: وقد استَدَلَّ بعضـــهم على طِيْبِ

(١) قال ابن حجاج (ص٢٠) عمق حفرة الكرم في السقوح ستة أشبار؛ وفي وطأة من الأرض ثلاثة أشبار، والأرض السمينة لا يبلغ حدها أكثر من ثلاثة أشبار.

(٢) المقنع، ص٦، والفلاحة النبطية، ص٣٢٣.

(٣) المقنع، ص١٢٣: سيداعوس الإسباني.

(٤) المتحف وباريس: بالسبخ، والصواب: بالسنخ. أي: أرطب بالأصل.

(٥) المتحف وباريس: ولا يكن التراب إلا يابس غير نديين؟؟

(٦) قول ابن حجاج سقط من المقنع، وقال (ص٦) إذا رأيت في الأرض شجراً عظيماً برياً لم يغرسه أحد؛ فهي أرض جيدة. وقال قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٢: تمتحن الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها، مثل: السوسن والعوسج والعليق... فإن كان نباته قوياً عالياً ملتفاً، فهي أرض جيدة. ومثل هذا قول أبي الخير، ص٤. وابن بصَّال. مفتاح الراحة، ١٠٠.

الأَرْضِ أو دَنَاءَتها بأَعْشَابٍ تُنْبتُها لا يَكادُ يُخْطِئ الاستدلالُ بِها، كالمُقَيْشر[1] المُسَمَّى بالعجمية "القَرْدان"[2] والجَزَر البَرِّي المُنْتِن الرَّائحة الذي يُدْعَى "البَسْتناج"[3]، فإنّ هذين النَّبْتين لا يَنْبُتان إلاّ في أَطْيَب تُرْبَة — على الأَعَمّ والأكثر— ولذلك قال بعض علماء الأفَارِقة لَفْظاً هذه تَرْجَمَتُهُ باللُّغة العربية: [ينبت] (حوزو هيس) في التُّراب المتخَيَّر.

والأرض الدّنيَّة ينبتُ فيها صَعْتَر البَرِّ المعروف عندنا بصَعْتَر الحَمِير[4]، ولذلك ينبتُ فيها "أَبْروطُنَن"[5] المسمَّى بالعجميَّة المُشْتان[6]،

(١) عمدة الطبيب، ص٦٧١، القرشوم.

(٢) المتحف وباريس: القردال القرزال، وهو تصحيف صوابه من العمدة، ص٦٧١، ٦٩٢، قال سميت بالقردان لأن القراد يأوي إليها.

(٣) البستيناج هو حمص الأمير وأضراس العجوز والعرمط، والقطب. معجم أسماء النبات، ص١٨٢.

وقيل البستناج المنتن هو القعفوز نبات ورقه كالكزبرة له أغصان دقاق مائلة إلى الحمرة، منتنة الرائحة تنبت بين الزروع وتسمى بِطْرة. عمدة الطبيب، ص١٠٠، ٦٨٧.

(٤) صعتر الحمير هو القيصوم ومسك الجن، وقيل: الجعيدة.

(٥) أبروطونن (باليونانية) هو صعتر الحمير أو القيصوم. عمدة الطبيب، ص٥٣٧.

(٦) المتحف وباريس: المستل، والصواب: المشتان وهو ضرب من القيصوم. عمدة الطبيب، ص٤٩٧.

والحَسَك[1]، والبَقْل الأحْرَش[2] المُضْطَجِع، والقَمْح البَرِّي المدعو عندنا قَمْح الحَجَل[3]، فإنَّ هذا الأعْشاب لا تكون إلاّ في الدنيء من الأرضين.

وليس كذلك سائر الأعشاب، فإنّا نَرَى بعضَ النَّباتِ قد يكون في الأرض المختارة، وفي الأرض المَذْمُوْمة معاً، فلا يكون به استدلالٌ؛ مثل: بَصَل البَرّ، وهو "العُنْصُل"[4] والخَشْنَاء[5] من البَقْل وغيرهما.

وقال بَعْضُهُم: الأرضُ الرَّطْبَةُ الطَّيِّبةُ وإن حالَتْ عليها الأعوامُ دون اعْتمار[6] لا تَتَشَعَّرُ[7]، والأرضُ الدنيئةُ والرَّقيقةُ والغليظة والصَّمَّاء تَتَشَعَّرُ سَرِيعاً.

(١) الحسك: حمص الأمير والبستيناج وأضراس العجوز والعرمط.

(٢) البقل الأحرش: هي حشيشة الغراب. معجم أسماء النبات، ص٩٤. وهناك بقول كثيرة مثل: بقلة الحنش، والبقلة المرة، والبقلة الحمقاء والبقلة الخراسانية.

(٣) قَمْح الحَجَل: نبات ورقه كورق الدَّوسَر، يشبه حب البر. عمدة الطبيب، ص٦٨١.

(٤) العُنْصُل والعُنْصُلاء والعُنْصُلان: بصل الفأر، وبصل الخنزير وبصل فرعون.

(٥) لعلها البقلة الحمقاء، أو بقل الأحرش أو البقلة المرة أو بقلة الحنش.

(٦) الاعتمار: حرث الأرض وتنقيتها من العشب والحجارة.

(٧) تتشعر: الفعل من الشَّعَار هو الشجر الملتف.

فتنبتُ الشَّجَرَ كالسِّنْـــديان والكَتَم[1]، والضِّرْو[2]، وغـــير ذلك مِمّا يكونُ في الشَّعْرَاء[3]، ولا يكونُ إلاّ في الأرض الهزيلة.

قال ابن حجّاج (رحمه الله): قد أَثْبَتْنَا -في الأرض- من القول مِمّا يُرْتَجى أن يكون فيه مَقْنَعٌ -إن شاء الله- ولعلَّ قائلاً يقول: إنَّ هذه الأرض التي ذَمَّ الحُكَماء قد نَجِدُ فيها أنواعاً من النَّبات يهتزُّ فيها ويَجودُ: كالرَّمل فإنّا نَجِدُ الشجرة المسمَّاة "أم غَيْلان"[4] تَنْجُبُ فيها، وكذلك النبات المسمّى "الخاج"[5]، و"الكَتَم"[6] يَنْمَى في الأرض المُسْتَحْصِفَة؟[7].

قيل له: إنّ الّذي ذَكَرْتَ صحيح من أن الأَرَضين قد يَنْجُبُ في كلِّ واحدة منها أنواعٌ من النبات يمكنُ أنْ يُبْطِلَ كثيرٌ منها فيما سواها، ولكنّ الحُكماءِ ذَهَبوا إلى اختيار الأرضِ التي لا تَغْلُبُ عليها الرُّطوبة مع

(١) الكتم: نبات له حمل أسود كالفلفل، حبه يسمى: فلفل القرود.

(٢) الضِّرو: هو البُطْم، وثمره الحبة الخضراء.

(٣) الشعراء: الروضة الكثيرة الشجر. وكذلك الشَّعَار: المكان ذو الشجر. اللسان، مادة (شعر).

(٤) أم غيلان: هي الطلح ثمرها علف وزهرها حنبل وثمرها برمه وشكوها عنم.

(٥) الخاج: هو العاقول والكبر أو شوك الجمال.

(٦) الكتم: نبت له حمل أسود كالفلفل يسمى فلفل القرود. (مكرر)

(٧) أرض مستحصفة ومستصحفة: شديدة مستحكمة.

الحَرَارة، أو ما يَغْلُبُ عليها الرُّطوبة فقط؛ لاحتياج عامَّة النبات إلى هاتين الحالَتَيْن، وذَمُّوا ضِدَّ ذلك. وأيضاً فإنَّهم إنَّما اختاروا ومَدَحوا الأَرَضين المُوافقة للبُرِّ والشَّعير والفُوْلِ، وغير ذلك مِمّا حاجةُ الناس إليه أَوْكَدُ، وكذلك أثنوا على الأرض الموافقة للأشجار البُسْتَانِيَّة؛ مثل: التُّفَاح، والكُمَّثْرى، والإِجَّاص، وفضَّلوا الأرض المُشاكلة للبقول؛ مثل: البَاذِنْجان، والقَطَف[1]، والبَقْلَة اليمانيَّة[2]، والكُزْبُر، وما شاكل ذلك.

وقد قال سُوْلُون[3]: كادت الأرضُ الرَّطْبةُ أنْ يَنْجُبَ فيها كلّ مَزْروعٍ ومَغْروسٍ[4] بإِطْلاق؛ فلذلك حَمَدوها، وأكثروا من تفضيلها، وليس لأن "التُّرْمُس"[5] يَجُودُ في الرَّمْل[6]، يستحقُّ الرَّمْلُ التفضيل؛ لأن

---

(١) القَطف: هي البقلة الذهبية وبقلة الروم والريحان اليماني والأسفاناخ الرومي ورجل الجراد سواء.

(٢) البقلة اليمانية هي اليربوز، وهي من الأحباق وتسمى في الشام اليمور وفي الحجاز البقلة اليمانية. عمدة الطبيب، ص١٢٤-١٢٥.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: شولون.

(٤) يستخدم ابن العوَّام مصطلح الزرع والمزروع والزراعة للنباتات والبقول، ومصطلح الغرس والغراسات والمغترس: للأشجار.

(٥) التُّرْمُس من البقول بعضه له زهر أبيض، وبعضه له زهر مائل إلى الحمرة، منه حلو ومنه مر، ومنه بستاني ومنه بري، ومن أنواعه: ترمس الثعلب، وخانق الكلاب، وترمس الحجل، وكف الضبع، وترمس الخنزير. عمدة الطبيب، ص١٣٩-١٤٠.

(٦) يجود الترمس في الرمل وفي الأرض الرقيقة. المقنع، ص١٥.

هذا كالشَّاذ؛ ولو زُرِعَ التُّرْمُس في الأرض الطيِّبة لَحَسُنَ فيها، ولو أنَّ البُرَّ يُزْرَعُ في الرَّمْل لم يكن له رَيْعٌ، فلا تَزِلَّ، فهذا بَيِّنٌ لك. وليس لأنَّ الصَّنَوْبر أيضاً يوافقه الرَّمْل يوجِبُ مَدْحَهُ؛ لأنَّ الصنوبر ليس له نُظَرَاء.

وقال:

[وقد] نَجِدُ التفّاح والكُمَّثرى والإِجَّاص لا يوافقه ذلك؛ وإنَّما الفَضْلُ للتُّربة التي تَجودُ فيها أكثر المغروسات والمزروعات، والأشياء التي بالناس أَوْكد الحاجة إليها.

قال ابن حجّاج أيضاً:

وقد يَجودُ في الرَّمل نباتات كالمُشْمُش[1]، والرُّمّان، والسَّفَرْجل؛ لكن هذا إنّما يكون في البساتين، بَعْدَ مُعاناته[2] بالزِّبل الكثير، والسَّقْي الدائم، وأمّا على طَبْعه الأوَّلُ فلا يَجُودُ ذلك فيه، ويَحْدُثُ له طبْعٌ آخر من إِحْرارِ[3] الزِّبْلِ له، وترطيب الماء إيّاه، فيكون أشَدَّ إمْساكاً للرَّوَاء[4]

---

(١) هو مُشْمُش ومِشْمِش.

(٢) عُني بالأمر عَنْياً وعِناية: اهتم به، وشغل به. وهم يعانون شجرهم: أحسنوا القيام عليها. والمراد: يحسنون إليها ويهتمون بها، ويدبرونها بالزبل والماء.

(٣) المتحف وباريس: إحدار.

(٤) المتحف: للروايا اللخلخل، مدريد للروي والمقصود (الروى) الرواء من الماء: الكثير العذب، وكذلك الروى، ماء روى: رواء.

بالتَخَلْخُلِ الذي فيه، وأقْبَلَ للماء عند السَّقْي، وأقربَ إلى أن يفرطَ غَوْص عُرُوق النبات فيه.

وأمّا على وَجْهِهِ من غير أنْ يُعَانى بما قَدَّمْتُ ذكره؛ فهـــو ذَمِيْمٌ[1] هزيل، قليل الإنْماء؛ إلاّ أنْ يُمازجَهُ حَمْأةٌ[2] أو ترابٌ رَطْبٌ، كما سَلَف من قولنا، ولا ينبغي أن يفرط في سَقْيه كثيراً؛ لأنّه لا يَلْقَطُ الماءَ، وربّما ظَنَّ مَنْ لا عِلْمَ عنده بالفلاحة[3] أنه لم يأخُذْ ريَّهُ ولا حَقَّهُ من الماء لتَشَرُّبه ذلك، وهو قد يُوْلَعُ[4] في سَقْيه؛ فيكون ذلك سَبَباً لإهْلاك ما أوْدَعُه؛ لأنّه قنُوع[5] ليُبْس أجْزائه؛ إذْ هي حصىً صغير[6] لا يَلِجُ الماء إلاّ فيما بَيْنَهُ، دون الولوج في داخِلِه. وهذا واضِحٌ إن شاء الله (تعالى). "انتهى ما في **"المُقْنع" لابن حجّاج** في هذا المعنى".

(١) مدريد: ذميم (مذموم). المتحف وباريس: دميم.

(٢) الحمأة: التراب الأسود، وهو تراب البراكين.

(٣) هذا القول لابن بصّال، الفلاحة، ص٤٤، وانظر: مفتاح الراحة، ص١٠٩.

(٤) المتحف: يولغ.

(٥) مدريد وباريس: فنوع- فنوع (تصحيف).

(٦) الصواب: هي حصى صغار.

ومن كتاب **"الفلاحة النَّبطيّة"** في نحو ما تَقَدَّم وَصْفُهُ. **قال صغريث**[1]: اعلموا أنَّ الأرض تختلفُ اختلافاً كثيراً مُتَفاوتاً[2]، حتى في قبولها البَرْد[3] واليُبْس والرُّطوبة، وقد يَحتاجُ الفلاّحون إلى مَعْرفةِ ذلك؛ إذْ كانت الأرض كالأَصْل[4] بالحقيقة لتربية النَّبات كُلِّه، فإذا عرف الفلاّحُ طبيعةَ الأرض، وأَوْدَعَ كلَّ أَرْضٍ ما هو موافق لها من الشَّجَر والغُرُوس والزَّرْع[5] كان بذلك تمام إفْلاحه، وجُوْدة معرفته.

وقد تَتَغَيَّر الأرض إلى الطُّعُوم المُهْلِكة للنَّبات، مثل المُلوحة وغيرها من سائر الطُّعوم، وسَبَبُ ذلك كثرة إحْرَاق الشمس لها، وأسبابٌ أُخَرُ غير ذلك، والأرضُ الصالحةُ السليمة تصلح لجميع المنابت على العموم.

قال آدمُ (عليه السلام)[6]: أمّا الأرض الجيِّدَةُ الصَّالحة[7] فهي الأرضُ

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص٣٠٧. وهو صغريث المملكاني، كان مغنياً وشاعراً، وله ترتيب للنبات على الكواكب السبعة.

(٢) الفلاحة النبطية: كاختلاف المياه والأهوية في قبولها الحرّ والبرد، واليُبْس والرطوبة.

(٣) الفلاحة النبطية: قبولها الحر والبرد.

(٤) الفلاحة النبطية: إذ كانت الأرض كالأصل والموضوع، بل هي الموضوع بالحقيقة.

(٥) الفلاحة النبطية: ومن النخل والزروع.

(٦) قول آدم (عليه السلام) في الفلاحة النبطية، ص٣٢٥، وفيها (قال آدمي)...

(٧) الفلاحة النبطية: التامة الصلاح.

التي يَضْرِبُ لونُها إلى اسْوِدادٍ[1]، وتكونُ مع ذلك تَشْرَبُ[2] ماءَ الأمطار شُرْباً جَيْداً كثيراً، ولا تَرْتَحِلِ[3] منها، ولا تَتَعَلَّكُ[4] عند اجتماع ترابها مع الماء، ويكون قوامُها بَيْن المتَلَزِّزة والمُتَخَلْخِلَة، فهذه أحْمَدُ الأرَضين وأجودها.

قال "ينبوشاد"[5]: أحْمَدُ الأرضين هي التي تضربُ إلى لونٍ يشبه البَنَفْسَج، وهي المُسَمَّاة "البَنَفْسَجيَّة" وأكثَرُ ما يكونُ هذا اللَّوْن في الأرضين إذا غَمَرَ ماءٌ عَذْبٌ أرضاً فأقام بها مُدَّة، ثم انْحَسَرَ عنها؛ فيحدُثُ فيها هذا اللون، وصَارَ فيها مع هذا اللَّوْن حمائيَّة ماءٍ[6]، ومثل هذه يكونُ طَعْمُ ترابها أبداً عَذْباً.

وفي "الفلاحة النبطية" أيضاً[7]: الأرض إذا استقر في قاعها ماءُ المَطَرِ، فإنَّه يحمِلُ إليها دُسُومَةَ الأرض المرتفعة التي انْحَدَر ذلك الماءُ منها، فيستقرُّ في ذلك القاع، ويَسْوَدُّ وجْهُ الأرضِ اسوداداً يشبه لون البَنَفْسَج،

(١) الفلاحة النبطية: إلى سواد.

(٢) الفلاحة النبطية: تتشرب ماء الأمطار تشرباً.

(٣) الفلاحة النبطية: لا توحل (لعلها تتوحل).

(٤) باريس: تتغلل، النبطية: لا تتغير، والصواب: تتعلك.

(٥) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٢٥.

(٦) الفلاحة النبطية: حمائية ما.

(٧) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٣٢٥، ٣٣١.

ويسمّى ذلك "سواد الدُّسُومة" ومتى ظَهَرَ ما يشْبِهُهُ على وَجْه الأرض دَلَّ ذلكَ على أَنَّ تلك الأرضَ دَسِمَةٌ.

وإفراطُ الدُّسومة غيرُ صالحٍ، وضِدُّ الدُّسُومةِ القَشَفُ[1]، والحُسُومة[2]، وذلك ظاهِرٌ للعيان، ولَيْستا في الأرض التي يُخالِطها رمْلٌ أحْرَش[3] أو حِجَارةٌ صغارٌ أو كِبَارٌ.

قال "ينبوشاد" أيضاً[4]: ويتلو الأرضَ البَنَفْسَجيَّة في الجودةِ الأرضُ التي لونها شديدُ الغُبْرَة[5]، وفيها تَخَلْخُلٌ، وطَعْمُ ترابها عَذْبٌ، لا يشوبُهُ طَعْمٌ من الطُّعُوم ألْبَتَّةَ.

ويتلو هذه في الجودة الأرضُ التي سمّاها آدمُ (عليه السلام) "الحَارَّة"[6] ومن صِفَاتها أنَّها هَشَّةٌ، وهي إذا اشتَدَّ البَرْدُ عليها جداً —إمّا بعَقْبِ سقوط

(١) القشف: خشونة وتغير في سطح الأرض من البرد أو من تلويح الشمس.

(٢) الحسومة: سوء الغذاء ونقصان الماء والمطر.

(٣) الرمل الأحرش: الخشن، وهي تربة حرشاء: خشنة.

(٤) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٥) الفلاحة النبطية: التي يضرب لونها إلى نقصان من الغبرة إلى بياض ليس ببياض نقي.

(٦) قول آدمي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٥-٣٢٦.

ثَلج، أو غير ذلك– لم تَتغَيَّر صَفْحَةُ وَجْهِهَا تغيراً ألْبَتّةَ، وتكونُ مع ذلك إذا فَتَّتَ[1] إنسانٌ مَدَرَهَا تَفَتَّتَ بسرعة.

قال[2]: ويتلو هذه في الجودةِ أرضٌ تُسَمَّى "الشَّدِيْدَة" يضرب لونها إلى نقصان من الغُبْرَة، وإلى بياضٍ ليس بِبَياضٍ بَيِّنٍ نَقِيٍّ، بل بين البياض والغُبْرَة، وتكون هذه دون الصُّلْبة قليلاً، وهي سَهْلَة الحَرْث والقَلْب بالبالات[3].

وهذه الأرضُ غير موافِقَة لغرس الأشجار، أمّا الزَّرْع فيكون فيها جيِّداً.

وقد خالفه "**صغريث**"[4] في أمر هذه الأرض، وقال: إنّ الشَّجَرَ يكون في هذه الأرض أجْوَدَ وأنْمَى وأكْثَرَ حَمْلاً.

[وقال ينبوشاد][5]: وأمّا الأرضُ الحَمْرَاء العَلِكَة فإنّها جيدة لكُلّ زَرْعٍ وشَجَرٍ إلاّ النَّخْل، والشجرةُ المُثْمِرَةُ ثَمَرةً حُلوة فإنّها غيرُ موافقة لها.

(١) الفلاحة النبطية: إذا تفدّر منها فدر من طينها ففتها إنسان أسرعت التفتت.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٣) المتحف بالها ثمار، باريس: بالهامار، والصواب من النبطية والبالة: من أنواع المحاريث.

(٤) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٥) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

وسائرُ الأَرَضين الجياد التي قَدَّمْنَا وَصْفَهَا صالحةٌ لكلِّ نوعٍ من الشَّجر والمنابت كلها؛ وأمّا الأرض التي يُسَمِّيها القُدَماء[1] "العَمِيقة" فهي جيدةٌ أيضاً، وصالحة لكلّ ضَرْبٍ من النّبات إلا البُقُول: فإنها لا تكون فيها جيدة.

وفي "**الفلاحة النبطية**" أيْضاً[2]: الأرضُ العميقة هي التي بين الدَّسِمة والقَشْفَة[3]. قال: وهي التي سَمَّيْنَاها نحن "السَّهْلَة"[4].

قال[5]: وأمّا الأرضُ التي يَظْهَرُ[6] على وَجْهِهَا في الشّتاءِ شِبْهَ البَيَاض مُنْبَسطاً عليها، وذلك يَدُلُّ على أنَّ فيها مُلُوحة، فإنّها رديئة لا تَصْلُحُ إلاّ للنَّخْل والشَّعِيْر، والباقِلاّء، والسِّلْق، وما أشبه ذلك.

وأمّا الأرضُ المُتَغَيِّرة الطَّعم –إلاّ أنّها بصفة الأرض التي سمّاها **آدَمُ** "الحارّة"[7]؛ فهي صالِحَةٌ لغَرْسِ الكُرُوم، والقَرْع، والبِطِّيخ، وما انْبَسَطَ

(١) المتحف وباريس ومدريد: الأطباء. والصواب من كتاب الفلاحة النبطية.

(٢) الفلاحة النبطية، ص٤٠٧، ومفتاح الراحة، ص١٢٥.

(٣) الفلاحة النبطية: والتفهة.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٤٠٧.

(٥) هذا قول ينبوشاد: الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٦) الفلاحة النبطية: يركب وجهها في الشتاء.

(٧) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

على الأرضِ، و لم يقُمْ على ساق، وهي صالحةٌ للأشجار المثمرة، وتُوافقُ الحبوب المقتاتة، ولا توافقُ الرَّياحين.

قال "**قوثامي**"[(١)]: فهذا طَرَفٌ من علامات صلاح الأرَضين، وما خالف منها هذه الأوْصَاف فهو فاسدٌ محتاج إلى العِلاج ليرجع إلى الصَّلاح[(٢)].

* * *

(١) قوله في الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٢) الفلاحة النبطية: إلى حال الصلاح.

[الـ]... فَصْلُ [الثاني]

[في أحوال الأرض: فسادها وصلاحها]

"ومِمَّا يدلُّ على أَحْوال الأرض، وفَسَادها، وصلاحها، من كتاب الفلاحة النبطيَّة"

قال[(١)]: الأرضُ الصالحةُ السليمةُ يُدْرَكُ ذلك منها بالعَيَان؛ وهي التي لا تتشقّقُ[(٢)] شُقُوقاً كثيرة عند شدّة الحَرِّ، وشِدَّة البَرْد، ولا عند غَلَبة اليُبْس الشديد عليها، من احتباس[(٣)] الأمْطار في الخريف، وفي أوائل الشِّتاء. ولا التي إذا جاءت عليها الأمطارُ كثيرةً متتابعةً حَدَث فيها وَحْلٌ فتَتَعَلَّكُ[(٤)] تَعَلُّكاً شديداً، وتَلْصَقُ بالأَرْجُل إذا وُطِئ عليها، وبالأيدي إذا مَسَّهَا ماسٌ، لكن تَتَشَرَّب الأمطار تَشَرُّباً دائماً. وإذا سكَنَ المطَرُ لم يَظْهَر على وَجْهِهَا بياضٌ[(٥)]؛ وذلك أنَّ بعض الأرضين التي ليست بتَامَّة الصَّلاح يظهر عليها من غَدِ يوم المطر، أو بعد ذلك بيومين شيء شبيهٌ بالدَّقيق أبيض مُتَفَرِّقٌ أو مُجْتَمعٌ في بِقاعٍ دونَ بِقاعٍ، فهذه لَيْسَتْ بمحمودة.

(١) القائل قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٠.

(٢) النبطية: التي تتشقق شقوقاً كثيرة (بإسقاط (لا) وهو خطأ من المحقق).

(٣) الفلاحة النبطية: من أجناس الأمطار (وهذا تصحيف).

(٤) الفلاحة النبطية: حدث فيها وحل يتعلك شديداً ويلتصق بالأرجل...

(٥) الفلاحة النبطية: يظهر على وجهها لون شيء غير لون الأرض.

ومِمّا يدلُّ على أن الأرضَ جيدةٌ محمودةٌ أيضاً أنَّ البَرْدَ إذا اشتَدَّ لم يظهر على وَجْهها شبيهٌ بالخَزَفِ الذي هو غير أبيضَ، خالص البياض[1].

ومِمَّا تُمتَحَنُ به الأرض؛ لتَعْرِفَ الجيدة منها، وغير الجيدة أيضاً[2]: أن يُؤْخَذَ من تُرابها كَفٌّ يكونُ وزنه من رطلين إلى ثلاثة، ويُجْعَلَ في دَوْرَقٍ خزَفٍ[3]، ويُدْفَن مَضْمُوم الرَّأسِ ضَمّاً جيِّداً، في حَفيْرَةٍ في تلك الأرض، يكونُ عمقها أربعة أذرُعٍ أو ثلاثة (أَقَلُّه) ويُتْرَك أربعةَ عَشَر يوماً، وذلك مدة نصْف دَوْر القَمَر، ثم يُخْرَجُ ويُنْظَرُ، فإن كان ظاهر الإناء الخَزَف قد تَبيَّن عليه أنَّه قد عَرِقَ فلْيُفتَح، وإن كان لم يَعْرَق في الحفيرة، فليُرَدّ، وليُطْمَر شديداً بالتُّراب جداً، ثم يُتْرَك سبعة أيام، ثم يُخْرَج، ويُفتَح، فقد يكُونُ تَكَوَّنَ فيه دُوْدٌ أو غيره من الحيوان الكائن كثيراً من العَفَن في موضع لا يناله فيه نسيم الهواء، ثم يتفَقَّد لون تلك الحيوانات، فإن كانت سُوداً أو زُرْقاً أو خضراً؛ فتلك الأرض غير صالحة محمودةٍ، وإن كانت حُمْراً أو صُفْراً أو غُبْراً أو دُكْناً[4]، أو خفيفة[5] الخُضْرَة أو بيضاً فتلك الأرضُ صالحة محمودةُ الطَّبْع.

---

(١) هذا القول أيضاً في الفلاحة النبطية، ص٣٢٠.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٢٣٠-٢٣١.

(٣) الفلاحة النبطية: دورق خزف أو ثلجية؟؟

(٤) المتحف وباريس ومدريد: دكماً.

(٥) الفلاحة النبطية: خفية الخضرة.

ويُشَمُّ ريحُ ذلك التُّراب الذي دُفن في الإناء؛ إن كان ريحُهُ بعد الدَّفْن مثل ريحه قبل أن يُدْفَنَ، أو يقرب منه، فالأرض صالحة في الغاية من الصَّلاح، وإن وُجد له ريحٌ متغيِّرٌ، فينْظُرُ إلى أيِّ شيءٍ تغيَّر ذلك الرِّيح؛ فإن تَغَيَّرَ إلى حُمُوضَةٍ أو مَرَارةٍ أو زَعَارَة[1]، وما أشبه ذلك، فلينظُر في ذلك، ويحكُم عليه، وإن كان سليماً من هذه الرَّوائح حُكِمَ عليه بالصَّلاح، وإنْ تَبيَّنَ فيه بعضُ هذه الرَّوائح فَلْيُحْكم عليه بما يوافِقُ تلك الرَّائحة، من المَيْل إلى الحُمُوضة وغيرها مِمّا يَظْهر في الرائحة[2].

وتُذَاقُ تلك التربة بعد نصف ساعةٍ من إخراجها من الدَّفْن، فإنْ كانَ طعمها مثل طَعْم الطِّين الحُرّ الأَحْمر المُحْتَفَر من الآبار بعد جَفَافه، فهي أَرْضٌ محمودةٌ صالحةٌ.

وإن تَغَيَّر طَعْمُها إلى طَعْم ملوحَةٍ أو مَرَارةٍ أو زَعَارةٍ، أو إفراط قَبْضٍ[3]، أو غير ذلك من التّغيير، فليحكم عليها بما يظهر من ذلك[4].

---

(١) الزُّعاق من الماء: المر الغليظ الذي لا يطاق شربه. والمكان الزعر: الذي قل نبته وتفرق. الفلاحة النبطية: زعارة.

(٢) النص السابق كله واللاحق من الفلاحة النبطية، ص٢٣٠-٢٣١.

(٣) الفلاحة النبطية: فرط قبض.

(٤) هذه الطريقة في امتحان الأرض للزراعة ذكرها قسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، ص١٣٥، وابن حجاج في المقنع، ص٦، وأبو الخير الإشبيلي في الفلاحة، ص٤، وصاحب مفتاح الراحة، ص٩٩، والنابلسي في علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٧.

"صِفَةٌ أُخرى"[١] في ذلك [امتحان الأرض] هي أَقْصَرُ[٢] زماناً من هذه الأولى وإن [كانت] الأولى أَبْيَن وأحكم":

وهو أنْ يُؤْخَذَ من تُرَابِها كَفٌّ فيُخْلَط بالماء العَذْب، ويُتْرك فيه ثم يُخَضْخَض مِرَاراً كثيرةً، ويُتْرَك ثم يُخَضْخَض، ثم يُذَاق، ويُنْظَر في طَعْمه: أَصَالِحٌ هو أم على فَساد؟

وأَجْوَدُ[٣] من هذا أن يُخْلَطَ ذلك التُّرَاب بماءٍ عَذبٍ حارٍّ شديد الحَرَارة، ويُخَضْخَض مِرَاراً ويُتْرَك بين كلّ خَضْخَضَتين هُنَيْهَة؛ فإذا برد بَرْداً كُلّياً، يُشْرَبُ منه جُرْعة بعد جُرْعة، فإنَّ طَعْمَهُ يُنْبِئُ عن تلك الأرض: أفاسدة أم صالحة[٤].

"صِفَةٌ أخرى"[٥]:

يُؤْخَذُ من قَعْر تلك الحُفْرَة من ترابها مِقْدارٌ كافٍ، ويُشَمُّ ذلك التُّراب؛ فإن كانت رائحته طيِّبة كرائحة التُّراب الطَّيِّب السليم من كلّ طَعْم يُغَيِّره؛ فتلك أرضٌ محمودة، ثم تذاق تلك التُّرْبة بعد شَمِّها، فيُنْظَر في

(١) هذه الصفة في الفلاحة النبطية، ص٣٢١، والمقنع، ص٦، وفلاحة أبي الخير، ص٤، والفلاحة الرومية، ص١٣٥.

(٢) الفلاحة النبطية: أقرب زماناً.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٢١.

(٤) الفلاحة النبطية: فإن طعمه يبين هل تلك الأرض مالحة أم فاسدة؟

(٥) هذه الصفة في الفلاحة النبطية، ص٣٢١.

طَعْمها، كما نُظِرَ في شَمِّها، وذلك أنْ يُلْقَى في إناءٍ، ويُصَبَّ عليه الماء العَذْب، من ماء دَجْلَة خاصَّة، أو ما يُشْبِهُهُ، ويُخَضْخَضُ ثم يُذَاقُ ذلك الماء، فيُعْرَفُ منه طَعْم تلكَ التُّرْبَة، فيحكم على ذلك بما يَظْهَرُ في هذه المحن[١].

قال: فإنَّ طَعْم التُّراب لا يَظْهَرُ للمُتَطَعِّم له إلاَّ بَعْدَ اخْتلاطه بالماء العَذْب الخفيف.

"صفة أخرى":

قال[٢]: وها هنا مَعْرفةٌ مُبَيِّنَةٌ[٣] للأرضَ الجيِّدة الصَّالحة المَحْمُودة[٤] التي قد خَلَت من الزَّرْع، وذلك أنْ يُنْظَرَ إلى ما قد يَنْبُتُ فيها من الحَشِيْش والشَّوْك أو غيرهما، فإن كان نَباتُه قويّاً عَالِياً مُلْتَفّاً في صُعُوده من الأرض، فهي أرض سليمةٌ كريمةٌ، وإن كان صغاراً قَمِيئاً مائلاً[٥] (هكذا وهكذا) فهي أرضٌ غير سليمة من العَاهَات[٦].

(١) المحنة: امتحان الأرض.

(٢) القول لقوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٢.

(٣) الفلاحة النبطية: بيِّنة.

(٤) الفلاحة النبطية: المجهولة (تصحيف).

(٥) المتحف وباريس: سائلاً.

(٦) الفلاحة النبطية: بل بها بعضها.

قال "**قُوثَامي**"[1]: قد كانَ بعضُ النّاس[2] يَكْتَفُونَ في مِحْنَة الأرض بالنَّظَر إلى ما يَنْبُتُ فيها ولو بحشِيْشَة واحدة؛ مثل: السَّوْسَن، والعَوْسَجِ، والشَّوْك، والعُلَّيْق[3]، وغيرها، فيأخُذُون من أغْصَانِها أو أوراقها المتوسِّطة فيها، فيذُوقُونَهُ ويقيسُون طَعْمَه إلى طَعْم مِثْله مِمّا يَنْبُتُ في أرضٍ سليمةٍ من الآفات فَيَسْتَدِلُّون بالخِلاف والوِفَاق [على طَبْعِ الأرض][4].

وفي "الفلاحة النبطيَّة" قال: وقد يُسْتَدَلُّ على معرفةَ الأرضِ الصالحة والمُخالِفَة للصَّلاح بما ينبُتُ فيها من المَنَابِتِ من تَلْقاء نَفْسِهِ[5].

قال "قوثامي"[6]: قد تَفْلُحُ في الأرضِ المالحةُ، والنَّزَّة، والعَرِقة والرّخوة، والدَّسِمَة المُفْرطَة في ذلك، والقابِضة والحامِضَة، والحَارَّة[7]، والمُفْرِطة التَّخَلْخُلِ، والمفرطة الاسْتِحْصَاف، والمفرطة التَّلَزُّز، وغيرها من

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٢.

(٢) الفلاحة النبطية: بعض الكسدانيين.

(٣) الفلاحة النبطية: العليق والثيل.

(٤) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) امتحان الأرض بما ينبت فيها من نبات من حيث قلته وكثرته وغضارته ولونه، ونوعه وعظمه وصغره. انظر: المقنع، ص٦، والفلاحة الرومية، ص١٣٥، ومفتاح الراحة، ص١٠٠.

(٦) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٤٣.

(٧) الفلاحة النبطية: الحادّة.

الأرضين المخالفة للصَّلاح، [فإنّ فيها] منابتَ تَنْبُتُ لنفسها، ولا يصلحها أحدٌ ولا يَفْلَحُها الناس، وذلك مثل: الجَعْدَة[1] والأَفْسَنْتين[2]، والزُّوفا[3]، والقَيْصُوم، والهِنْدَباء[4] البَرِّي، والخِرْبَق[5] الأسْوَد، وهو عند النَّبط من أَحَدِّ السُّمُوم[6]، والكَبَر[7]، والعَوْسج الأحمر، فهذه وشِبْهُهَا تُنْبِتُها الأرضُ الفاسِدَة وأمّا الأَرْضُ الحارّة المُنْتِنَة فلا تُنْبِتُ شيئاً. والسِّبَاخُ المالحةُ ينبتُ فيها العِكْرِش[8]، وهو المُشْك[9]. والأرضُ السَّلِسَة، القليلة الصَّلابة يَنْبُتُ فيها الشِّيحُ، ونباتٌ تسمِّيه العَرَبُ "القَيْصُوم".

(١) الفلاحة النبطية: الحُوْحَى. قال أبو بكر، أحمد بن وحشية: الحوحى هي الجعدة.

(٢) قال ابن وحشية: الطسمي هو الأفسنتين. وهو شيبة العجوز أو الخترف أو الدمسيس.

(٣) قال ابن وحشية: الزوفا هي الكوبريا، وهو المسمى أشنان داود والحسل والجسمى.

(٤) الهِنْدباء البرِّي هو الطرشقون أو المرير، وهو الخس البري، واليعضيض. وهو المهزد والطرشكوك والماري.

(٥) الخِرْبَقُ الأسود: الشيرنج (هندية) والأبيض هو قاتل الذئب.

(٦) قال ابن وحشية: هو أحد السموم ولا يذكره النبط في الأدوية.

قال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص٣٤٤): هذه النباتات وما أشبهها هي أدوية مع أني تركت ذكر الكبر والعوسج الأحمر...

(٧) الكبر هو العاقول أو الحاج. انظر: عمدة الطبيب، ص٣٩٧.

(٨) العكرش: من نبات البر، ينبت في السباخ، وله أخ يسمى الحرشف البري لا يهرم كما يهرم النبات. الفلاحة النبطية، ١١٥٦.

(٩) المشك هو السعدى أو السعد وهي أرومة متدحرجة سوداء كأنها عقدة، لها ورق كورق الزرع طيب الرائحة تدخل في العطر والأدوية. انظر: معجم أسماء النبات، ص٦٦.

وقال "**ينبوشاد**"(١): إنّ الأَرْضَ الدّسِمة والمُتَلَزِّزة(٢) الصُّلْبة رُبَّما أَنْبَتت السَّوْسَن الأبيض، والنَّرْجِس، والبَصَل(٣) المُسَمَّى "بلبلوس"(٤) وما أشبهها مِمّا يَعْمَلُ في الأرض أصُولاً ثم يُورِقُ، فمتى ظَهَرَتْ هذه الأرض الرّخوة، والنَّزّة، والعَرِقة فاعْلَمْ أنها أرضٌ جيدة، وأنها إلى الصَّلاح أقربُ.

والأرضُ الشديدةُ الصَّلابة قد يَنْبُتُ فيها نَوْعٌ من الكَبَر(٥)، صغير الورق، وربّما أخرجت البَصَل الكُبَار المُسَمَّى بالرُّومية [أشقيل](٦) وهو الذي يقتُلُ الفَأرَ قَتْلاً وَحِيّاً(٧)، ويُسَمَّى "بَصَل الفأر" وهو العُنْصُل(٨).

(١) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الفلاحة النبطية: الملززة.

(٣) الفلاحة النبطية: والبصل المسمى قعبل، والمسمى بلبلوس.

(٤) البَلْبُلوس: هو قسطل الأرض ورقه كورق البصل وزهره أزرق. عمدة الطبيب، ص٦٩٤.

(٥) الكبر: العاقول.

(٦) في الفلاحة النبطية (أشكلة) وهو تصحيف، والصواب (أشقيل). عمدة الطبيب، ص٧٥، ٨٧، ١١٩، ٥٨٠؛ والفلاحة الرومية، ص١٨٥، ٢٤٨، ٢٦٨.

(٧) القتل الوَحِيُّ: السريع العاجل، يقال: ذبحه ذبحاً وَحِيّاً: سريعاً.

(٨) هو عُنْصُل وعُنْصُلاء وعُنْصُلان، ويسمى بصل الفأر وإشقيل وإسقيل وإسقال، وبصل الخنسزير، وبصل فرعون.

وربّما يكون بَصَل الفأر وشِبْهُهُ في باطن الأرض الصُّلْبة الشديدة التَلَزُّز والصَّلابة التي هي مائلةٌ إلى الجُصيَّة(١)، وهي إلى الحَصْبَاء أقربُ منها إلى التُّرابية في الجبال اليابسة وفي التُّلول العِظَام، وتُنبت الأشجار ذواتُ الشَّوك في الأراضي الصُّلبة من أراضي السَّهل والجبال والحجارة والشوك، وأكثرها يَنْبُتُ في المواضع القَشْفَة البعيدة من الرُّطوبة.

وبالجُملة فإن النَّبات جُمْهُوره ينبُتُ على النَّداوة ويحيا مَحْيًا(٢) جيداً، واليسير القليل منه يَجُودُ في اليُبس والجُفُوف، مثل:

بَصَل الفأر المذكور، وكذلك البُقُول البَرِّيَّة التي لا تكاد تَنْبُتُ إلاّ في أَرْضٍ طَيِّبة، وفي تُرْبةٍ سليمة من الأعراض المُفْسِدة؛ إلاّ المُلوحة فإنّها في البَرَاري كثيرة، وكثيرٌ من البُقُولِ توافقه المُلُوحة، فينبُتُ في الأرض المالحة، إلاّ أنّه يكونُ ضعيفاً رَدِيء الطَّعْم.

وقد يُستَدَلُّ أيْضاً على حال الأرض بالنَّبات النَّابت فيها، فإنّ النَّبات الذي يَنْبُتُ في السِّباخ مَتَى نَبَتَ في موضعٍ غيره دَلَّ على أنّ تلك الأرض قد غلبَتْ عليها المُلوحة.

(١) الفلاحة النبطية: إلى الصخرية والجصية...

(٢) مدريد: يجي مجيئاً.

وكذلك الشَّوْك اللطيف، مثل الحَسَكَة[1]؛ وهي شوكةُ الحَمِير[2]، إذا نبتت في أرضٍ طيِّبة دلَّ ذلك على كَلاها[3]، وأنَّها قد ضَعُفت لكثرة تكرار الزراعة عليها، وشبه ذلك.

* * *

(١) المتحف وباريس ومدريد: الحَسَّة (تصحيف).

(٢) المتحف وباريس ومدريد: العصير (تصحيف) والصواب: الحَسَكة وهي شوكة الحمير، وهو الخرشوف أو العكوب، وقد يسمى الخرشف والميشر.

(٣) وجود العكوب في الأرض دليل على كلاها؛ لأنه ينبت في القيعان الجافة.

[الـ]... فصل [الثالث]

[الأرض التي تحتاج إلى إفلاح وعلاج مختص]

"ومن أنواع الأَرَضين ما يحتاجُ إلى إفْلاحٍ وعلاجٍ مُخْتَصٍّ به"

في الفلاحة النبطية[1]: من ذلك **الأرضُ الدَّسِمة والثَّقيلة**؛

وهُما نوعان متقاربان: أمّا الدَّسِمة المُفْرِطة الدُّسُومة فهي رخوة يعلوها نَزٌّ ورطوبة بالطَّبْع، وهي في الأكثر يكونُ لونُها إلى السَّوَاد، وقد تكونُ مُتَخَلْخِلة، وقد تَقَدَّم بعضُ أوصافها مع ذكر الأرض البَنَفْسَجِيَّة وعلاجهما وإفلاحهما جميعاً أن تُقْلَبَا في شِدَّة الحَرِّ بمَعَاوِلَ وما أشْبَهها في كلِّ شَهْرٍ مَرَّتين، ليكون إقلابهما[2] في كلِّ ثلاثة أشهر ستّاً أو سَبْعَ مِرَار[3]، وذلك أَجْوَد لها، ويُدَقُّ ترابها بأقْفِيَة الآلات[4] التي تقلّب بها [وإنْ دُقت[5] بمداق من مِرْزَبَّات[6] خَشَب كان ذلك موافقاً جداً، يدق دقاً

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٣١.

(٢) الفلاحة النبطية: ليكون قلبها.

(٣) المتحف وباريس: سبعة مرار.

(٤) أي يدق المدر بالمعول من الخلف.

(٥) هذا النص سقط من النسخ المطبوعة، وجاء مكانه كلمة واحد هي (المرزبات) ولا معنى لها في هذا السياق.

(٦) الإِرْزَبَّة: المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة وقد تكون من خشب، والجمع أرازب. وجاء اسمها في الفلاحة النبطية، ص٣٣١: مِرْزَبَّة والجمع مرزبات.

متتابعاً]، فإنّ هذا الدّقّ يُسَخِّنُ ترابَهَا إسْخَاناً كثيراً رقيقاً، ويلتقط[1] دَسَمَها ويَأكُلُ حرُّ الشمس أيضاً دَسَمها، فيزول عنها الثِّقل والدَّسَم المُفْرِط أيضاً بعضَ الزَّوَال، وليس القَصْد في "الدَّسَم"[2] أن يذهَبَ دَسَمُها كله، بل القَصْد في إفلاحها أن يذهب بعضه ليزولَ عنها إفراطه، ويجفّ دَسَمُها، وينقص، ولا يَزُولُ كلّه؛ لأنّه إن زالَ، واحْتَجْنا أنْ نَرُدَّها إلى بعض ذلك، وليس لها علاجٌ أكثر مِمّا ذَكَرنا من قَبْلها في شدّة الحرّ ودقّها[3]. والأرض الرَّقيقة تحتاج إلى علاجٍ تزول بها رقّتُها.

قال **ينبوشاد**[4]: الأرض الرقيقة مشابهة للأرض الدَّسِمة، وتُشبهها الأرض العَرِقة؛ وهي الأرض التي تَعْرَقُ دائماً، فهذه الثلاثة متشابهة، وبعضُ الفلاّحين يقول[5]: إنّ الرَّقيقة هي النَّزَّة، وبعضهم يجعلها العَرِقَة، ويُخْطِئون في ذلك[6]. والعَرِقَة هي بين النَّزَّة والرَّقيقة.

---

(١) الفلاحة النبطية: ويلقط.

(٢) المتحف وباريس: الدسمة.

(٣) الفلاحة النبطية: ودقّها بالكَوْدنيّات.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٣٣٨.

(٥) قال ينبوشاد: الأرض الرقيقة هي النزة في الأكثر، وقال: فلاحونا مجمعون على أن الرقيقة هي النزة، وبعضهم يجعلها العرقة.

ويخطئون في ذلك، وأنا أرحمهم لجهلهم. (ص٣٣٨).

(٦) قال ابن وحشية (ص٣٣٢) يسمي ينبوشاد الأرض الدسمة رقيقة. وهذا شيء طريف، لأن عندنا نحن الرقيقة ضد الدسمة.

وأمّا **الرَّقيقة**، الشَّديدة الرِّقّة، فإنّها فاسِدةٌ[1]، وهي ضِدّ الدَّسِمة، وهي الأرضُ التي طَعْمها بين الحُمُوضة والتَّفاهة، وهي لِرقّتها ضعيفة عن احتمال العلاج[2]، وعلاجُها أن تُقلَّبَ في حرّ الشَّمْس لتَحرقها بعض الإحْرَاق، لا إحْرَاقاً مُفْرِطاً، فإنها إن أفرط عليها الإحْراق صارتْ رَمادِيَّة فلم تنبتْ شيئاً إلاّ نباتاً ضعيفاً[3].

قال[4]: وقد سَمّى "**ينبوشاد**" **الأرض الدَّسِمة** "رقيقة". وهذا شيء طريف؛ لأنّ عندنا نحن الرَّقيقةُ ضِدُّ الدَّسِمة. وأشار إلى أنْ تُقْلَب هذه الأرض الرقيقة في الاعتدال الرَّبيعي[5] مرّات بالسِّكَك، وتُسَرْجَنَ سِرْجيناً[6] كثيراً بأيِّ سِرْجين حَضَرَ إلاّ سِرْجين البِغَال؛ فإنّ السِّرْجين به يكون صَلاحُها، وهو معينٌ لها على إفلاحِ ما يُزْرَعُ فيها.

---

(١) الفلاحة النبطية (ص٣٣١) فاسدة ومعذبة للفلاحين.

(٢) قال ابن وحشية: ويسمى بعض طائفتنا من الكسدانيين الأرض المالحة، القليلة الملوحة: رقيقة، وهذا أشبه بالحق (ص٣٣٣).

(٣) الفقرة السابقة حرفاً فحرفاً من الفلاحة النبطية: ص٣٣١-٣٣٢.

(٤) هذا قول ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني القيسي الذي نقل الفلاحة النبطية من لسان الكسدانيين إلى العربية سنة (٢٩١هـ). انظر: ص٣٣٢.

(٥) الفلاحة النبطية: الاعتدال الخريفي.

(٦) السِّرجين والسِّرقين: الزِّبل.

وأجودُ ما تصلحُ له هذه الأرض الدَّسمة الكُرُوم، فإنَّها تَنْشأ فيها نُشوءاً حسناً؛ تَغْلظُ فيها أغصانُها، وتَكْبُرُ أُصُولها، ويَنْبُلُ[1] عِنَبُها، ويَصْلُحُ شَرابُها[2].

وقد توافقُ هذه الأرض كلَّ شيء من المَنابت، مما هو مُشاكل للكُرُوم في الطَّبْع من الشجر والنبات الصغير.

قال "**ينبوشاد**"[3]: عند ذكره الأرض التي سمّاها "رقيقة" إنّها ضعيفة، قليلة القوَّة، فينبغي أن يُقَلَّل من كِرَاها؛ فإنَّها إذا كُرِبت كِرَاباً متتابعاً، مرة بعد أُخرى تَخَلْخَلَتْ، فزادَ ضَعْفُها، ويُزْرَعُ فيها الشعير خاصَّة، بعد أنْ يُفْرَغَ من تَمام كِرَاها، ثم تُسْقَى سَقْياً كافياً إلى النُّقصان، فإنَّ الشعير فيها يُخْصِبُ ويَفْلَحُ جدّاً، وإنْ مُطِرَتْ[4] قبل نبات الشعير، فقد أفلَحَتْ، ويفلَحُ الشعير فيها حسناً.

قال[5]: وقد تُسَمَّى[6] **الأرضُ المالحةُ**، القليلةُ الملوحة "رقيقة" وهذا لَعَمْري أشْبَهُ بالحَقِّ[1]، وهذه تُسَمَّى أيضاً ضعيفة، وهي التي هذا نَعْتُها خاصَّةً تُعالَجُ بما يُصْلِحُها؛ وذلك سِرْجِين البَقَر مختلطٌ بتراب غريب من أرضٍ طَيِّبة، وأن يُحْرَق لها من وَرَق السِّبِسْتان[2] وأغصانه وثَمَره، ومن القَرْعِ، ويُخْلَط رماد ذلك بالتُّراب أو بسِرْجين البَقَر، وتُزَبَّل مرّات في أوقاتٍ مختلفة؛ فإنَّها تَصْلُحُ بذلك.

ومن إفلاح هذه الأرض الرقيقة أن يزرعَ فيها من الحبوب وغيرها ما لا يُعَرِّقُ في الأرض عُرُوقاً[3]؛ مثل: البَقْلَة الباردة[4]، والجَرْجِيْر، والحُرْف[5]، وما أشْبَهَهُ.

والأرضُ الرَّمْلِيَّة:

مختلفةُ الألوان[6]، بحسب ما يُخالِطُ رَمْلَهَا، فينبغي أن ينظَرَ إليها بتَفقُّدٍ شديد؛ ليُعْلَمَ أيُّ شيء هو الذي يخالط رَمْلَهَا، وهذا بَيِّنٌ سَهْلٌ.

---

(١) المتحف وباريس ومدريد: يبتل عنبها. الفلاحة النبطية: وتنبل عينها.

(٢) الفلاحة النبطية: ويصلح شرابها صلاحاً في الغاية، حتى إنه يبطئ سكر شاربه.

(٣) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

(٤) المتحف وباريس: أمطرت.

(٥) القائل ينبوشاد، الفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

(٦) الفلاحة النبطية: قد يسمي بعض طائفتنا من الكسدانيين الأرض المالحة....

---

(١) الفلاحة النبطية: وأقرب إلى المشاهدة.

(٢) هو سِبِسْتَان وسِفِسْتان (بالفارسية): أطباء الكلبة أو عيون السرطان أو زيتون الكلب أو حب العروس، واسمه قديماً: الإسحل والطنب. عمدة الطبيب، ص٧١٠.

(٣) المتحف وباريس: تعرق غروقاً. الفلاحة النبطية: تعرق تعريقاً.

(٤) البقلة الباردة: اللبلاب والمداد والعليق.

(٥) الحرف: هو حب الرشاد وأقرنون (باليونانية).

(٦) الفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

والأرضُ الرَّمْليَّة رخوة أبداً؛ لأنَّ الرَّملَ يَجْعلُ الأرض مُنْتَفِشَةً[١]، وكلُّ نَباتٍ يَنبُتُ فيه يكون قليل العُرُوق رقيقاً ضعيفاً.

والأرضُ الرَّمليّة الموافقة لأكثر أنواع الكُرُوم هي الأرضُ التي يشوبُ تراها رَمْلٌ مع سلامتها من الأعراض المؤذية، وعلاجُها أن يُعْمَلَ في إصْلاحها للزَّرْع بحسب ما ذكرنا في إصلاحِ ذلك المخالط لهما مِمّا يُشْرَح في أمر الأَرَضين. وينبغي إذا قَلَّبْت هذه الأرض لتُفْلَحَ للزّرع والغَرْس أن يُخْلَطَ بها شيء صالحٌ من سِرْجين الحمير[٢]، مختلط بمثله من تِبْن الباقِلّى، وتبن الشعير والحِنْطَة، وأن يتقدّم للإفلاح لها بذلك في الخريف فإِنَّهُ أَجْوَدُ.

والأرضُ الصُّلْبَة أصنافٌ[٣]: منها ما لونُ تراها يضربُ إلى البياض، وهو أَصْلَبُها، ومنها غبراء[٤] يشُوبُ لونها بياضٌ يسيْرٌ. والتي يغْلُبُ عليها البياض تُسَمَّى "جُصِّية"، والتي دُونها تُسَمَّى الصُّلبة، وهي لا يُفْلَحُ فيها ألبتَّة النَّخْلُ والرَّياحينُ[٥]، وبعض الحُبُوب المُقْتَاتَة[٦].

---

(١) المتحف وباريس: منتفشاً.

(٢) الفلاحة النبطية: أو سِرْجين البقر.

(٣) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٣٣١.

(٤) المتحف وباريس: غيرها (تصحيف). والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٥) الفلاحة النبطية: والبقول.

(٦) الفلاحة النبطية: وتوافق الذرة والدخن والعدس والشجر العظام والبندق والخروب الشامي.

وفي موضع آخر من "**الفلاحة النبطية**"[١]: ومن الأرض الصُّلْبة ما يضربُ لونها مع غُبْرَةٍ إلى قليل بياضٍ.

قال[٢]: وهذه نُسَمِّيها نحن "**الشّديدة**" وهي دون الصُّلْبة قليلاً، وتوافق الأرض الصلبة الحنطة خاصة، والذُّرة، والدُّخْن، والعَدَس، والشجَر العُظَام، مثل: الجَوْز والبُنْدُق والزّيتون وما أشْبَهها.

وأَكْثَرُ علاج هذه[٣] أَنْ تُزالَ صلابتُها بكثرة تَقْليبها بالحَرْث، ويُبْدأ بذلك من أوّل تشرين الثاني وهو نوفمبر، وتقلب [مَرَّةً] في كل عَشْرَة أيّام، ويُدَقُّ مَدَرُها دَقّاً شديداً بعنايةٍ وتَفَقُّدٍ شديدٍ، حتى يصيْرَ تراباً، ويُدْخِلُ الفلاّحون إليها البَقَر والغَنَم [حتّى] تَرُوث البقر فيها، ولا يزالون يُرَدّدون البَقَر فيها جائية وذَاهِبة حتى يَنْدَى[٤] موضع تراها، ويَلِيْنُ لِيْنا كثيراً، ويُمَشُّون أيضاً فيها الرِّجال مع البقر، وإن أمكن أن يُدَوِّسُوها، [الغَنَم] فهو أَجْوَدُ لها من دَوْس البَقَر والناس جميعاً. ويُرْمى فيها البَعَر مع تراها، فهو أصلحُ لها[٥].

---

(١) ص٣٣٤.

(٢) قول ينبوشاد هذا في الفلاحة النبطية، ص٣٣١، وقال قوثامي: هذه الأرض تشبه أرض بارما وشرقي تكريت، ولا يفلح فيها إلا الشجر العظام والحنطة. الفلاحة النبطية، ص٣٢٦.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٣١.

(٤) المتحف وباريس: حتى يتدمع تراها.

(٥) النص السابق كله حرفاً فحرفاً في الفلاحة النبطية، ص٣٣١.

والأرض الحَجَرِيَّة[1]، وتُسَمَّى أيضاً الجَبَلِيَّة، وهي تكون في النّواحي الشديدة البَرْد من إقليم بابل[2].

وفي "**الفلاحة النبطية**" أيضاً: **الأرض الجَبَلِيَّة**[3] هي التي لأرضها وتُرْبتها حالٌ بين صلابة الحَجَر، ورَخاوة التراب.

والحَجَرِيَّة[4] هي أَصْلَبُ من هذه، وعلاجها أنْ تُعْتَمَد[5] في الحَرِّ بالمَعَاوِل الوثيقة الكِبار، فيُقْلَبَ منها ما ينبغي أن يُقْلَب، ويُعْمَل فيها ما ينبغي أن يُعْمَل حسبما نَرْسُمُهُ على قول مَنْ تَقَدَّمَنا، ثم تُتَعاهَد بالدَّقّ بالمِرْزَبَّات[6]؛ فإنه لا يَجيءُ منها شيءٌ إلا بهذا العَمَل. وينبغي أن تُفْلَحَ هذه باللّيل من أوّله إلى آخره، أو من نِصْفِه إلى آخره، أو إلى أن يَمْضِي من النَّهار قَدْر ساعتين، فذلك أجْوَد؛ لأَنَّ الأَرَضِين كلّها تَبْرُدُ، وتَنْدَى[7] بالليل، فهذه الأرض، والأرض الصُّلْبة ينفَعُ فيهما أن يُعْمَلَ بهما ما ينبغي

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٣٤.

(٢) الفلاحة النبطية: من ناحية بارما وتكريت وما والى حلوان.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٣٤، سماها بعض الناس الجبلية لصلابتها وشدها وامتناعها، وإتعابها لفلاحيها.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٣٣٤.

(٥) المتحف وباريس: تعمل، والصواب من الفلاحة النبطية.

(٦) الإرزبة: المطرقة الكبيرة من خشب أو حديد.

(٧) المتحف وباريس: وتبتدئ.

أن يُعْمَل باللّيل، وما احتاجَ منها إلى الحَرْث بعد ذلك، فليُحْرَث بالليل بما ذَكرنا من نداوة الأرض[1] لَيْلاً، ولا يعمل البَقَر فيها بالشمس فيُسْخِنُها حرّ الشمس، فتمرض البقر، ولتُقْرَن البَقَرُ في عملها أربعة أربعة في محراثٍ واحدٍ[2]، ولا يُقْرَنُ فيها زوجٌ واحدٌ لصلابة الأرض وشدّها.

وتُثَنَّى وتُقْلَب أيضاً بالسِّكَك الوِثاق الطَّويلة[3]، وليترل في العَمَل فيها إلى عُمْق كثير منها، فهو أَجْوَدُ لها، ويُدَقُّ مَدَرُها دقّاً كثيراً حتى لا يبقى فيه مَدَره، وهذه الأرضُ تُتْعِبُ البَقَر في حَرْثها فينبغي أن يكون مع الفلاحين كيزان[4] فيها ماءٌ باردٌ ليمْسَحُوا وُجُوه البَقَر وأعناقها بالماء، ويَرُشُّوا منه على رؤوسها؛ فتَترَوَّح بذلك، ويخفُّ عليها ثِقَل التَّعَب.

وأمّا **الأرضُ الحَمْرَاءُ**[5] فهي لا تحتاجُ إلى علاجٍ لزَوَال الآفة عنها. وأمّا إفلاحُها فينبغي أن تُعْتَمر[6] في وسط الخريف بسِكَكٍ صِغَارٍ، ولا يُعَمَّق عملها[7]؛ لأنها ليس تحتاج إلى ذلك.

(١) المتحف وباريس ومدريد: نداوة البقرة.

(٢) الفلاحة النبطية: في نير واحد.

(٣) الفلاحة النبطية: الثقيلة.

(٤) الكوز: إناء بعروة، يشرب فيه الماء، والجمع: كيزان.

(٥) الفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

(٦) الفلاحة النبطية: ينبغي أن تقلب.

(٧) الفلاحة النبطية: لا يعمّق قلبها.

والأرضُ الرَّمادِيَّةُ[١]، وهي التي تضربُ إلى أدْنى بياضٍ مع غُبْرةٍ شديدة، وهذه ليس يُقالُ عنها فاسِدة؛ لأنَّها قد تُنْبتُ أشياءَ[٢]، ويُفْلَحُ فيها كثير من الشَّجَرِ، والنَّخْل، والكُرُوم، وتَصْلُحُ فيها هذه لشِدَّة يُبْس هذه الأرض، وبُعْدِها من قَبُول النَّدَى.

ومتى غُرِس في هذه الأرض نَخْلٌ أو شَجَرٌ أو كُرُوم فإنَّها تحتاج إلى مُداوَمَة السَّقْي بالماء، وذلك لشِدَّة نَشْفِها ويُبْسها. وأمَّا البُقُول فلا تُزْرَع في هذه الأرض ألْبَتَّة، ويُزْرَعُ فيها من الحبوب المألوفة الأُرُزّ.

وإنَّما قلنا:

إنَّ الأُرُزَّ موافقٌ لها، وهي موافقة له؛ لوقوف الماء في أُصُوله، فهي أوفق الأَرَضِين للأرز والحِنْطَة والشعير والجُلُبَّان[٣]. ولا ينبغي أن يزرَعَ فيها الدُّخْن[٤]، ولا العَدَس، ولا اللوبياء، ولا الحِمَّص، ولا الماش[٥].

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٤٥، قال: هي الأرض التي أحرقتها الشمس مرارا إلى أن صارت رمادية.

(٢) الفلاحة النبطية: لأنها إنما فقدت الماء والزرع والإفلاح زماناً فعطلت.

(٣) هو جُلْبان وجُلُبَّان ومُلْك كُلُبَّان (بالفارسية) والقريناء عند العرب.

(٤) الدُّخْن هو الشَّيلم يشبه نبات الحنطة، لكنه أطول وأعرض وقد يسمونه الخافور. عمدة الطبيب، ص٢٩٠-٢٩١.

(٥) الماش: أخو الباقلاء، له وصف مفصل في الفلاحة النبطية، ص٥٠١-٥٠٢.

والأرض الفحميَّة[١] لونُها أسودُ شديدُ السَّوَاد، وربَّما خَفَّ سوادُها قليلاً، وليس فيها من البياضِ شيءٌ ألبَتَّة.

ويَظْهَرُ نَزُّها على وَجْهِها. وحُكْمُها حُكْمُ الأرض "الرَّمَادِيَّة" في الإفلاح، ويَنْجُبُ فيها ما يَنْجُبُ في تلك، ويوافِقُها ما يوافقُ تلك.

وهذه أَصْلَحُ للنَّخْل من تلك. فإذا تَواتَر سَقْيُها بالماء صَلُحَت صَلاحاً أكثر، وأَقْرَب من صلاح "الرَّماديَّة".

وهي توافقُ الكُرُوم، وكلَّ منبسطٍ على الأرض، مثل: الكروم. وتُوَافقُ كُلَّ صِنْفٍ رخوٍ منَ النبات والشَّجَر، وهذه خاصَّةٌ توافقُ جميع البُقُول[٢] الكُبار، مثل: الكُرُنْب[٣]، والإسْفَانَاخ[٤]، والسِّلْق، والخَسّ، والقِنَّبيط[٥]، والحُرْف[٦]، وما أشبهها من البُقُول الصِّغَار، مثل: النَّعْنَع والبَاذَرُوج[٧]، والكَرَفْس[٨] وشبهها.

(١) المتحف وباريس: العجمية (تصحيف). انظر وصفها في الفلاحة النبطية، ص٣٤٦.

(٢) الفلاحة النبطية: توافق جميع أصناف البقول كبارها وصغارها.

(٣) هو كُرُنب وكَرِنْب وكَرْنَب: الملفوف.

(٤) هو: إسْفناخ وإسْفاناخ وإسفانخ: الرحا (عند العرب) أو رئيس البقول أو القطب.

(٥) هو القنبيط والقرنبيط: الزهرة (بلاد الشام).

(٦) الحرف: حب الرشاد.

(٧) البادروج (فارسية): الشاهسفرم؛ ريحان الملوك أو الحبق النبطي، أو الريحان الكبير.

(٨) هو كَرَفس وكُرُفس (سنسكريتية) وعند العرب: القطن والبرس والطوط والكرسف.

وينبغي أن يُسْقَى جميع ما يُغْرَس في هذه الأرض أو يُزْرَع فيها فَضْلَ سَقْيٍ. ولا تُتْرَكْ فيَعْطَش شيءٍ مِمّا يُزْرَع فيها ألبتَّة.

فإن كانت هذه **"الفحميَّة"** و**"الرَّمادية"** بموضع يمكِنُ أن يدخُلَ الماء إليها، ويبقى فيها زَماناً طويلاً، فهو جَيِّدٌ، ثم يُزْرَعُ فيها على تلك النَّداوة القِثّاء، والخيار، والبطِّيخ، والكُرُوم، ويُسْتَأنَفُ زرعُها فيها زَرْعاً، وتُتْرَك بَعْدُ[1] للتَّحْويل، فذلك جيد.

والخَزَفيَّة[2]: وهي التي يعلو ظاهرَ وَجْهِها في الصيف شبيهٌ بالخَزَف في القَوَام واللَّوْن، وربَّما ضَرَب لونُها مع ذلك إلى حُمْرَة يسيرةٍ، مثل حُمْرَة الفَخّار[3].

وإصلاحُ هذه أن تُقْلَبَ قَلْباً عميقاً، وتُدَقّ بالمَدَاقّ حتّى تختلطَ تلك الأَجْزَاء[4] التي قد تَخَزَّفَتْ بما ليس بِمُتَخَزِّفٍ[5] منها، ويُعادُ دَقُّها[6] ثانية وثالثة، وتُدَقُّ ويُنْثَرُ عليها تبن الباقلاء والشَّعير مُخْتَلِطَين برَوْث البَقَر.

(١) الفلاحة النبطية: مُعَدَّة.

(٢) ذكرها ينبوشاد في فساد الأرضين، الفلاحة النبطية، ص٣٤٧.

(٣) قال ابن وحشية: وقد صدق ينبوشاد في ذلك ورأينا هذا عياناً. وانظر وصف الخزفية في مفتاح الراحة، ص١٠٦.

(٤) الفلاحة النبطية: تلك الآجر (تصحيف).

(٥) الفلاحة النبطية: بما ليس بمحترق منها.

(٦) الفلاحة النبطية: يعاد قلبها.

والخَرْبَقِيَّة[1]: وهي التي رائحتها كريح الخَرْبَق[2]، وأشبه به، وهي مُنْتِنَة، وهي أَفْسَدُ الثلاثة المَذْكُورات[3]، وهي تُفْسِدُ بحرارتها كلَّ ما يُزْرَعُ فيها. وتَصْلُحُ للباقلاء خاصَّة.

والأرض النَّزَّة[4] والعَرِقة[5] والرَّخوة: وهي فيما بَيْنَ هاتَيْن؛ إلاّ أنَّ بَيْنَهُما فَرْقاً في العِلاج.

وعلاجُ الأرض النَّزَّة والعَرِقة أنْ يُوْقَدَ في وسطها النَّار بأيِّ حَطَبٍ كان وقوداً دائماً؛ يوقَدُ في وَسَطها، وفي جَوَانبها، وفي مواضع كثيرة منها مُخْتَلِفَة، فإنَّ ذلك يُزِيْلُ نَزَّهَا وعَرَقها[6]؛ إلاَّ أنَّ فيه خطراً بالأرض؛ وذلك

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٤٦: الحريفة أو الحريفية.

(٢) الخربق من جنس الجنبة، له ورق أخضر كالدلب، وثمره يشبه حب القرطم، ويسمى الخربق: السميراء والحرشا، يكثر في الأندلس وإشبيلية. عمدة الطبيب، ص٢٥٩.

(٣) ذكر ينبوشاد الأراضي الفاسدة التي تحتاج إلى عمارة وإصلاح: الرمادية والفحمية والحريفية. الفلاحة النبطية، ص٣٤٥.

(٤) الأرض الرقيقة: هي النَّزَّة في الأكثر، غير أن بعض الأرضين النزة تزول عن طبيعة الرقيقة في أشياء، وفلاحونا مجمعون على أن الرقيقة هي النزة، وبعضهم يجعلها العرقة، وأنا أرحمهم لجهلهم. الفلاحة النبطية، ص٣٣٨.

(٥) العَرِقَة: التي تعرق دائماً.

(٦) ذكر قوثامي طرقاً أخرى، والطريقة المثلى ليذهب من الأرض نزها وعرقها أن يحرق في الأرض قشر الرمان مخلوطاً بورق السرو وأغصانه، وورق الدلب والطرفاء، ويخلط الرماد بأحثاء البقر والطين الأحمر حتى يسودّ ويصير له رائحة كريهة ثم يترك

أنَّها ربَّما انقلَبَتْ بهذا العِلاج من النَزّة والعَرِقة إلى "الحَرَافة" فيكون الذي جاءها أشَرُّ من الذي ذهب عنها، وقد ذُكر لها عِلاجٌ غير هذا فيما تَقَدَّمَ.

والأرضُ النَزَّة والعَرِقة قد تَصلُحان لأشياء من المَنابت؛ مثل: الكُرُنْب، والآس، والقِنَّبيط، وما كان في طبع هذه، جرى مُجْراها.

والأرضُ المالِحةُ[١] أنواعٌ؛

منها مالحةٌ، ومنها ما يَشُوبُ طَعْمَهَا مع المُلُوحة حُمُوضة[٢]، ومنها ما يَشُوبُه مَعَها قَبْضٌ، ومنها ما فيه مُلُوحة خَفِيْفة[٣].

ومِمَّا يَدُلُّ على المُلُوحة في الأرض أن يَظْهَر على وَجْهها بياض، ويَحْدُثُ من ابتداء المُلُوحَة ما سَمّاه "**صغريث**" المُلُوحة الطافية، وهي ملوحةٌ رقيقة تَطْفُو على ظاهر الأرض، وقد تَحْدُثُ في أرض الكُرُوم، فَتُعالَجُ من ذلك بأَنْ يُزْرَع الشعير حول أصول الكُرُوم، وتُقَرَّب [منها] فإنه يَلْقَطُ المُلُوحة منها.

ثمانين يوماً حتى يجف ثم يخلط بتراب الأرض النزة والعرقة والرخوة فإنها تقوى وتشتد ويزول مرضها. الفلاحة النبطية، ص٣٣٩.

(١) الفلاحة النبطية، ص٣١٥، ومفتاح الراحة، ص١٠٥، والنابلسي، ص٧.

(٢) وقال: ومنها ما يشوب طعمها مع الملوحة مرارة. الفلاحة النبطية، ص٣١٥.

(٣) المتحف وباريس: حقيقة.

وللمُلُوحة علاجٌ عام[١]، وعلاج خاصٌ (للواحدة واحدٌ). والعلاج العام كافٍ، والذي يوافق الأرض المالحة، أيَّ ملوحة كانت، النَّخْل [الذي] يَنْشأُ فيها نُشوءاً حسناً.

وعلاجُها العام أن تُكْرَبَ بعد مجيء المطر الأوّل، فإن تقدَّم [مجيء] المطر قبل[٢] دخول تشرين الأول، فليُؤَخَّر كراها إلى أن يمضي منه ثمانية أيّام، وإن تأخَّر المَطَر إلى آخِرِه، فَتُكْرب في آخر يوم منه الأرضُ المالحة المفردة، والأرض التي هي مالحة مَشُوبة بغيرها من الطُّعُوم، فَتُكْرَب في أول تشرين الثاني بعد مِضي يومين أو ثلاثة منه، ولا يُؤَخَّر بعد هذا، ولتُقْلَب بِسِكَك صِغَار[٣]، وليُؤْخذ من عيدان الباقِلاّء العَتِيقة[٤] مِنَ التي كانت قد زُرِعَتْ في العام الماضي، وهي يابِسَة، فَتُدَقُّ حتى تصيْرَ تِبْناً دقَاقاً، ويُنْثَر على هذه الأرض بعد كِرَاها منه شيء كثيْرٌ، ويُرَشُّ عليه كلّه الماء، أو على بَعْضه إن كانت الأرضُ واسعة كثيرة، فهذا أجْوَدُ علاجٍ لهذه الأرض.

(١) الفلاحة النبطية: علاج عام لجميع الملوحة، وعلاج خاص لواحدة واحدة.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: بعد دخول تشرين، وهذا سهو والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٣) المتحف وباريس: وليقلب بمثل صغير (يريد محراثاً، أو ميلاً) والتصويب من الفلاحة النبطية، ص٣١٥.

(٤) المتحف وباريس: المنقية (تصحيف).

ويتلو [هذا] في الجُودة تِبْنُ الباقِلاّء، ثم تِبْنُ الشعير، ثم تبن الحنطة، ثم خشبُ العُلّيق مدقوقاً[١]، ثم شَجَرِ الخِطْمي"[٢] يابساً مدقوقاً عتيقاً[٣]. [وأيٌّ] هذا يَسْهُلُ فليُستَعْمل، وإن جُمِعَتْ كلّها –إن أمكن ذلك– فهو أَجْوَدُ.

وتُستَعْمَلُ مُفْرَدَةً إلاّ العُلَّيق فإنه لا يستعمل إلاّ مخلوطاً ببعض هذه، وأمّا وَحْدَهُ مُفْرَداً فلا، وأَجْوَدُها كُلُّها تِبْنُ الباقلاء، وتِبْنُ الشعير؛ [وإذا علاها في الربيع الرطوبة... فتصيِّرها مالحة منع من انقلابها إلى الملوحة][٤] فلتُتْرَك تلك الأرض هكذا، لا يُصنَع بها شيءٌ، فإذا جاء الصيف فليُنْثَر عليها شيء[٥] من سِرْجين[٦] البَقَر مُنَدّى بالماء؛ فإنَّهُ يعِيْنُ على صَلاحها، ويُحيِّلُها إلى الطِّيب والعذوبة، فإذا وَرَدَ الخَرِيفُ من السَّنة الثانية، ودَخَلَ تشرين الأول فلتُسَرْجَن بِسِرْجين البَقَر مخلوطاً بسِرْجين الخيل والحمير، ولا يكون فيه شيء من سِرْجين البِغال ألْبَتَّة، ثم يزرعُ فيها الشعير، والباقلاء، والعَدَس، والحِمَّص، ويُنْثَرُ فيها بين ذلك بزر الكِتّان، ويُسْقَى ما زُرِعَ فيها

(١) المتحف وباريس: مدقوقٌ (صفة).

(٢) هو خِطْمِيٌّ وخَطْمِيّ: العَضْرَس والغِسْل والغَسُول. كانوا يغسلون به رؤوسهم فيزيل عنها الدهن.

(٣) المتحف وباريس: مدقوق عتيق.

(٤) هذه الزيادة من النبطية تحتاجها الجملة التالية.

(٥) المتحف وباريس: شيئاً.

(٦) السرجين والسرقين: الزبل.

من الماء فَضْلَ سَقْي، وليكن جميع ما يُزْرَع فيها قد حُصِدَ من زرعٍ زُرِعَ[١] في أرضٍ طيبة صالحة.

وأمّا "**ينبوشاد**"[٢] فإنّه يرى أن يكونَ ما يُسْتَعْمَلُ في إصلاح تلك الأرض وَرَق الكُرُوم وقُضْبانها، وورق جميع الشجر التي حَمْلُها دُهْنِيٌّ[٣]، مثل: الجَوْز، واللَّوْز، والزَّيتون، والفُسْتُق، والبُنْدُق، والخِرْوَع، وما أشبهها، وقُضْبانها؛ فإنّها تُصْلِحُ جميع الأرضين الفاسدة، وتُختَصُّ بإصلاح المالحة خاصّة فَضْلَ خصوص؛ وذلك بأنْ يؤخذ من أوراق هذه، وما لَطُفَ من دقيق عيدانها، فتُضْرَب حتى تَتَفَتَّت، و[تصير] كَألْطف[٤] الأَتْبان وأدَقّها، ويُنْثَر على الأرض المالحة منه شيء كثير، ثم تُكْرَب، ويُرَشُّ عليها يسيرٌ من الماء، ثم تُتْرَك.

قال[٥]: وإنْ عُمِلَ بجميع الأرضين الفاسدة هذا صَلُحَتْ إلاّ الأرض التي طعمها حِرِّيفٌ، فإنّ لها علاجاً غير هذه العلاجات كلّها.

(١) المتحف: ربعي، باريس ومدريد: ربع.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣١٦.

(٣) المتحف وباريس: دهين.

(٤) المتحف: كألطف لطيف الأتبان.

باريس: كألطف دقيق الأتبان.

(٥) القول لينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣١٦.

قال[١]: والذي نرى نحن في علاج الملوحة المُفْرَدة، والمُلوحة التي يشوبها شائب أيضاً من طَعْم آخر، بعد أن يكون الطَّعْم المالح فيها بَيِّناً[٢] أنْ يُرَشَّ على وجهها دُرْدِيٌّ[٣] الزَّيت المأخوذ من عَصِيْر الزَّيتون الذي لم يُصِبْهُ ملح، وليكن هذا الدُّرْديُّ لا طعم فيه من مُلوحةٍ ولا غيرها إلاَّ طَعْم الزَّيتون فقط، ويُرَش على الأرض، وهي غير مَقْلُوبة، ثم تُقْلَبُ، ثم يعاد الرَّشُّ ثانية بعد القَلْب، ثم يعادُ ثالثة بعد القَلْب، ويُنْثَرُ عليها بَعْدُ[٤] من أخثَاء البقرة كثيراً ثم تُتْرَك أيّاماً، ثم تُقْلَب بسِكَكٍ صِغار، ولا يُعَمَّق، بل قريب من وَجْه الأرض، ثم يُزْرَعُ فيها الشَّعير، والحِلْبَة، والحِمَّص، والسِّلْق، والقَرْع، والخِطْميّ.

ويُغْرَسُ فيها النَّخْلُ متفرِّقاً، ويزرَعُ فيها ما ذكرنا فإنَّها تَلْتَقطُ باقي[٥] الملوحة منها.

وتُزَبَّل دائماً خَلَيْطاً[٦] من أَخْثاء [البقر] ودُرْدِيّ الزَّيت.

(١) القول لقوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٢٤.

(٢) الفلاحة النبطية: بيِّنٌ.

(٣) الدردي: ما رسب أسفل الإناء من زيت أو عسل أو بقية شراب، ونحوها من كل شيء مائع كالأشربة والأدهان.

(٤) الفلاحة النبطية: ينثر عليها بعد الثالثة شيء من أخثاء البقر...

(٥) المتحف وباريس: ما في (تصحيف).

(٦) المتحف: وتزبل دائماً تخلط. باريس: وتخلط من أخثاء...

ولتكُن الأَخْثاءُ متوسِّطة بين الحديثة والعتيقة[١]؛ فإنّها تصلُحُ صَلاحاً تامّاً، إن شاء الله (تعالى).

وللمُلُوحة علاجٌ آخَرُ، وهو أن تُقْلَبَ [الأرض] في أول أكتوبر؛ لتَغْسل الأمطارُ المُلُوحة منها، وكذلك الأرضُ التي بها قَبْضٌ أو زَعَارة. أمّا التي غَلَبَ على طَبْعها مَرارَةٌ [ويَشُوبها حَرَافة ونَتْن] فهي شَرُّ الأَرَضين[٢]، وأَبْعَدُها من الصَّالحين[٣]، وهي مُهْلِكةٌ لبزْر كلِّ زَرْع قبل أنْ يَنْبُتَ، لا بَعْدَ نباته، ولها دواءٌ[٤] في رَدِّها إلى الصلاح التّام، أو دون التّام قليلاً.

وعلاجُهَا أن يُسَاق الماءُ العَذْبُ إليها كيفما تيسر[٥]، وليكُنْ أول ذلك في النِّصْف الثاني من نيسان لا قبله، وفي أوّل أيّار، ويقام الماءُ فيها كثيراً ما أَمْكَنَ، وإنْ أقامَ فيها شهور الصَّيْف كُلّها إلى أن يَنْتَصِفَ أيلول فهو الجيِّد، لا بَعْدَه، فإن لم يكن هذا، فلْيُؤْخذ قَرْعٌ مُجَفَّفٌ، ومن البَقْلَة الباردة[٦]، ومن وَرَق الكَرْم، يُجَفَّفُ الجميع، ويُجَفَّفُ القَرْع كما هو

(١) المتحف وباريس: متوسطاً بين الحديث والعتيق، والتصويب من الفلاحة النبطية.

(٢) الفلاحة النبطية، ص٣٠٩-٣١١.

(٣) الفلاحة النبطية: من الصلاح.

(٤) باريس: دوي.

(٥) الفلاحة النبطية: وذلك على حسب تطاول زمان الفساد بها، كيف استوى.

(٦) البقلة الباردة: هي العليق أو المداد.

بلحمه وشحمه بعد أن يُقطَّعَ قِطَعاً ثمّ يُسْحَق الجميع[1]، ويُخْلَط بالماء العذب في قِرَب مَصْنُوعَةٍ من الجُلُودِ، ثم تُرَشُّ [الأرضُ] بتلك المياه، بعد أنْ تُكْرَبَ كَرْباً غير عميق بل خفيفاً[2].

وقد تَكْتَفي العَشْرةُ **الأَجْرِبة**[3] من هذه الأرض الفاسدة أنْ يُرَشَّ عليها عشرون قِرْبَة من هذا الماء المُخْتَلط فيه تلك الأشياء، وليُعْمَل بها هذا في آخر اللَّيل، وأوَّل النهار، إلى ثلاث ساعات تمضي منه، فهو أجْوَدُ. وإنْ رُشَّت بأكثر [منْ] ذلك القَدْر كان أجْوَد، وإن كُرِّر عليها هذا مرات؛ فذلك جيِّد، وذلك بَعْدَ أنْ تُكْرَبَ وهي نديَّةٌ، ثم يُرَشُّ عليها هذا الماء، وليُخْلَط في الماء العذب ترابٌ من أرضٍ طيبةٍ، لا طَعْمَ لها، ولا ريح، وتُرَشُّ به أيضاً، وتُكْرَب في كلّ شهر مرّة أو مرَّتين، ويُكَرَّرُ ذلك عليها سَنَة؛ أعني صَيْفِيَّة أو صَيْفِيَّتين، فإنَّها تَصْلُحُ، وجَرِّبوها بعد ذلك، ولاسيَّما إن كان ذلك الفَسَادُ فيها غير مُتَمكِّن، ولا قديم العَهْد[4].

---

(١) جزء من النص السابق في الفلاحة النبطية، ص٣١٠.

(٢) المتحف وباريس: بعد أن يكون كراباً غير عميق بل خفيف.

(٣) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد وغيره، وجمعه: أجْرِبَة وجُرُبٌ.

والجملة في المتحف وباريس: وقد تكفي لعشرة أحربة (وهي مصحفة) والتصويب من الفلاحة النبطية، ص٣١١.

(٤) في الفلاحة النبطية، ص٣١٢، زيادة تفصيل، قال: يؤخذ من ترابها الجديد، ويعجن بماء البئر، ويحرق بالنار، ثم يلقى في تراب الأرض الفاسدة، ويزرع فيها الباقلى والدخن والترمس، وتسقى الماء العذب، فإن أنبتت نباتاً جيداً فقد صلحت.

وقال أيضاً[1]: إنَّ الأرض المالحة، الشَّديدة المُلُوحة، والقابضة المُفْرطة القَبْض، قبضاً خارجاً عن الحُدُود رُبَّما صَلُحَتْ بأن يُزْرَعَ فيها الأشياء اللعابيَّة[2]، مثل البَزْر قَطُونا[3]، والحُلْبَة، والباقِلِّي، والشَّعير، والماش[4]، وحَبّ الرَّشَاد، والترمُس، وما أشبه ذلك.

وتَصْلُحُ الأرض المذكورة[5]؛ أولاً: بإقامة الماء عليها زَمَاناً طويلاً، أو بالعلاج الذي نُعِدُّه[6]، أو بأن يتَّفق أنْ تَتَغَيَّم السماء في إقليم "بابل" وما أشبهه أربعين يوماً على الأرض المُرَّة والحَرِّيفة والمُنْتِنة وشِبْهها من الفاسدات التي يُرْجى لها الصَّلاح، وتَسْتَتِرُ الشَّمْسُ عن هذه الأرضين هذا المقدار[7]، فلا تطلع عليها ألبَتَّةَ، صَلُحَت صَلاحاً جيِّداً، ولم تحتج إلى علاج، وليُزْرَع في هذه الأرضين بعد صلاحها الحبوب اللَّزِجَة المذكورة قبل هذا، وما أشبهها؛ لأنَّ هذه الأشياء اللَّزجة اللُّعابيَّة تلتقِطُ ما بقي من

---

(١) القائل ينبوشاد، الفلاحة النبطية، ص٣١٣.

(٢) اللعاب: ما سال من الفم. استعير منه: لعاب الحية، ولعاب الشمس، ولعاب البذور، والثمار اللعابية التي يسيل منها ما يشبه لعاب الإنسان.

قال قوثامي: لأن الأشياء اللعابية تلتقط ما بقي من أدران الأرض والمرارة منها.

(٣) بزر قطوناء (يمد ويقصر): حشيشة البراغيث أو الطيون، أو الدوفس.

(٤) الماش: اللوبياء، ويطلق على العليق أيضاً.

(٥) الفلاحة النبطية، ص٣١٣.

(٦) المتحف وباريس: بعده.

(٧) الفلاحة النبطية: هذا المقدار من الأيام.

رداءهما[1]، والمرارة فيها، وربَّما اكتفَتْ بزرع هذه فيها مَرَّة واحدة، وربَّما احتاجت إلى مرارٍ عِدّة. وإنْ زُرِعَ[2] في هذه الأرض حبُّ الأَزَادِرَخْت[3]، واللَّوْز المُرّ، والآس، وشجر الغار لَقَطَت هذه الأشياء المرارة كلّها حتى تَصْلُحَ صلاحاً تامّاً.

قال "قوثامي"[4]: وأنا أقولُ إنَّ الأشياء اللُّعَابيَّة المذكورة إذا زُرِعَت، وغرس معها في تلك الأرض شجر الخِطْمِيّ، وأغصان شجر المُشْمُش[5]، وفي جميع الأرضين الفاسدة أَصْلَحَتْهَا، ولقطت كثيراً من فسادها[6].

قال[7]: واعْلَمُوا أن جميعَ الأَرَضين الفاسِدَة، من أيِّ شيءٍ كان فَسَادُها: من المُلوحة، أو المَرَارة[8] أو الحِدَّة، أو النَّتْن، أو الرِّقّة، أو الثِّقَل،

---

(١) الفلاحة النبطية: من أدرانها والمرارة منها.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٣١٣.

(٣) الأزادرخت: هو اللبخ، وهي كلمة فارسية معناها: حر الشجر، وهو من الشجر العظام والسموم الوحية. عمدة الطبيب، ص٥٥-٥٦.

(٤) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣١٣.

(٥) الفلاحة النبطية: ومن أغصان شجر السفرجل والمشمش.

(٦) ويلقط المرارة من الأرضين: الهندباء والكبر والغار وحب الزبيب.

(٧) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٤١.

(٨) المتحف وباريس: الحرارة.

أو التصاق العَرَق، أو الحُمُوضة، أو إفراط القَبْض؛ فإنَّ الماء الكَدِر من ماء السَّيْلِ إذا أقام فيها زماناً، وخَلَّفَ فيها تراباً[1] كثيراً أَصْلَحها، وكُلَّما كان أكثر كَدَراً كانَ إصْلاحُهُ لها أكثر، وذلك أنَّه يغسل الأرض ويُبَرِّدها إذا احتاجَت إلى تبريد، ويُخَلِّفُ فيها تُراباً غريباً لطيفاً عَذْباً؛ لأنَّ الماء ليس يحملُ من التُّراب إلاَّ لطِيْفَهُ ولُبَّهُ، ويُقَوِّيها إذا كانت ضعيفة أو رقيقة بذلك، ويقُومُ لها مقام الزِّبل المُصْلح.

وإن كانت مالحةً غَسَلَها من المُلوحة برطوبته، وحَلَّلَ ذلك عنها وأزَالَهُ بعذوبته، وطَرَد عنها حَرارة الملوحة بِبَرْدِهِ، وإن كانت حَارَّة، فهو أصلح لها خاصَّة من جميع العلاجات؛ لأنه يُطْفِئ حِدَّتَها بِبَرْدِه، وإن كانت مُنْتِنَة الرِّيح، فالماءُ العَذْبُ والتُّراب الغريب الطيِّب الريح الذي يُخَلِّفُهُ الماء الكَدِر فيها يختلطُ بها فيصْلح ريحها، وإذا تكرَّر ذلك عليها سنة بعد سنة أزال النَّتْنَ عنها.

وينبغي[2] إذا جَفَّتْ أن تُقْلَب، ويُعَمَّق قَلْبُها، وتزبَّل ببعض الأَزْبال العَذْبة والحُلْوَة أيضاً.

---

(١) الفلاحة النبطية: خلّف فيها تِقْناً كثيراً أصلحها.

التقن: الطين الرقيق يخالطه حمأة.

والتقن أيضاً: رُسابة الماء وخثارته، وما يترك من طين وراءه.

(٢) هذا القول في الفلاحة النبطية أيضاً، ص٣٤٢.

وإن كانت نَزَّة أو عَرِقَة فإنَّ التُّراب الذي يُخَلِّفُهُ الماء الكَدِر فيها يُصْلِحُها.

وتقلب في كل شَهْرٍ مرَّة، في أربعة أشهر أربع مرات، منذ أوَّل حُزيران إلى أول أيلول، فتأكُلُ الشَّمْسُ نَزَّهَا وعَرَقها كلّه مع مخالطة التُّراب الغريب لها.

قال[1]: وأمّا الشيء العامّ الصَّلاح لجميع الأرضين الخارجة عن الطِّيْبِ والاعتدال، فهو المَطَرُ الخفيف اللَّيِّنُ الدَّائم أربعاً[2] وعشرين ساعةً.

ويتلوه في الإصلاح المَطَر المُسَمَّى "الغَسَّال"[3] وهو أَزْيَدُ من ذلك بالضَّعْف[4]، وهو يَغْسِلُ الأرضَ المالحةَ والمرَّةَ والحَرِّيفة، ويُصْلحها إذا دامَ عليها.

والصلاحُ الثالثُ: هو الماء الكَدِرُ إذا أقام على الأرض، وخَلَّفَ فيها ترابه الذي حمله من أرضٍ أخرى.

---

(١) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٤٨.

(٢) المتحف وباريس: أربعة.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٤٨.

(٤) الفلاحة النبطية: أزيد من (النخل؟) الدقيق بالضعف ونحوه والعبارة مصحفة. يريد: أزيد من المطر الخفيف بالضعف.

فهذا يصْلحُ جميع الأرضين. والمَطَرَتان[1] المذكورتان ليس يتمّ إصلاحهما لما يُصْلِحان [إلا] بمشيئة الله (تعالى)[2]، أو يتكرَّر نزولهما على الأرض مراراً كثيرةً؛ مثل أن يكون نزولهما نحو أربع وعشرين ساعة ثم يَسْتَكِنُّ[3]، وتضربُ الأرضَ الرياحُ الهابَّة، وتَبْقَى إمّا ثلاثة أيّام أو يومين، ثم يعودُ بعد ذلك مثل ذلك المطر، ثم يَسْتَكِنُّ، ثم يَعُودُ هكذا مِرَاراً بمشيئة الله (تعالى).

* * *

---

(١) المتحف وباريس: المطران المذكوران. وهما: المطر الخفيف اللين، والمطر الغسال.

(٢) هذا التعليق إضافة من ابن العوّام.

(٣) الفلاحة النبطية: ثم تسكن.

[الـ]... فَصْل [الرابع]

[إصلاح الأرض إذا خالط ترابها حجارة]

وفي "الفلاحة النَبَطيّة"[1]: مِمّا يُصْلِحُ الأرضَ إذا خالَطَ تُرَابَهَا الحِجَارة، والآجُرّ[2]، والخَزَف، والجُصّ، والإسْفيدَاج[3]، والكُنَاسات[4] التي فيها خِرَق[5]، وأشياء مختلفة مِمّا يُجْمَع من كُناسَات منازل النّاس، وكُنَاسات الطُّرُق التي فيها حجارة صِغار، وحُصَيّات لِطافٌ، وفيها جواهِرُ مختلفة مُخالِفة لطَعْم التراب، مثل: المِلْح، والزّاج[6]، والنَّوَى المختلف، والتُّرابُ الذي قد حُمِلَ عليه شدّة البرد والحَرّ، فَيَبَس بعضُهُ يُبْساً شديداً، أو رَطُب بَعْضُهُ حتّى عَفِنَ عَفَناً ظاهراً بيِّناً، فإنَّ هذا فاسدٌ ألبَتّة، وكذلك كلّ جَوْهر غريب ليس من جوهر التُّرَاب، مِثل: نِشَارات

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٢٧.

(٢) الفلاحة النبطية: المدر من الآجر.

(٣) هو الإسْفِيداج والإسْبيداج: رماد الرصاص.

الفلاحة النبطية: الإسفيذاج (تصحيف).

(٤) الكناسة: القمامة.

(٥) المتحف: خرء، الفلاحة النبطية: فيها تحرق.

(٦) الزّاج الأبيض: كبريتات الخرصين، والزاج الأزرق: كبريتات النحاس، والزاج الأخضر: كبريتات الحديد.

الخَشَب، ودِقاقات[1] القَصَب، ونحاتات الحِجَارة، وحَصَى الجُصّ، وحِجَارَة النُّوْرَة[2] [وحُتَات الآجُرّ][3] وما أشبه ذلك، إذا غَلَبَ على الأرض حتى يكون جزءاً من الأرض، أَفْسَدَها فساداً عظيماً[4]، ولا يَفْلَحُ فيها شيء إلاّ النَّخْل، وما عَظُم من الشَّجَر.

وعلاجُ هذه الأرض[5] التي أفسدها بعض هذه المخالطة لها، أن ينقل إليها ترابٌ من أرضٍ طَيِّبة، مُجَرَّبة الطِّيْب، وأَفْضَلُ ما ينقل إليها ترابُ الأرض العَلِكة الحَمْراء التي إذا مسَّها الإنسانُ بيده التصقَت كالغَرْي[6]، فيُخْلط هذا بها، ويُجْعَل فوقه سِرْجين[7] الحمير والبَقَر جميعاً، ويُخْلَط هذان بالأرض الفاسدة بتلك الأشياء من ظاهرها، أو من عُمْقٍ منها بحسب ما يَقْدر الفلاَّحون أن يُعَمِّقُوا[8].

---

(١) الفلاحة النبطية: دقاق.

(٢) النُّوْرَة: حجر الكِلْس، وأخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون.

(٣) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٤) في الفلاحة النبطية زيادة، هي: والقير والنفط إذا كثر في أرض أفسدها (ص٣٢٧).

(٥) العلاج في الفلاحة النبطية، ص٣٢٨.

(٦) الفلاحة النبطية: كالغراء.

(٧) السرجين هنا: الرَّوث.

(٨) الفلاحة النبطية: أن يعمقون؟!

وكُلَّما نَزَلَ التُّراب الجيِّد مع السِّرْجين المذكور إلى هذه الأرض، وغاصَ في عُمْقِها كانَ أَصْلَحَ لها، ثم تُسْقَى بعد هذا الخلط ماءً كثيراً حتى يقوم [فيها] نحو ذراعٍ، ويُتْرَك أياماً حتى يَيْبَس، ثم يعاد إليها الخَلْط من ذَيْنِك، وتُسْقَى الماء مراراً، ثم يزرَعُ فيها الباذنجان، والبقول من جميع أَصْنَافها، وإن كان أكثرها النَّعْنع كان جيِّداً صالحاً لها؛ إلا القِنَّبيط، والكُرُنْب، والفِجْل، والسَّلْجم[1]، والجَزَر، والكُرَّاث[2] الشامي وما يُشْبهها.

وهذه الأرضُ تَصْلُحُ للبُقُول والباذنجان. ولا يُزْرَعُ فيها شيء من الرَّياحين، ولا الحُبُوب المُقْتَاتة، ولا شجرٌ مُثْمِرٌ، وما أشبه ذلك.

وأَمَّا الأَرْضُ[3] التي يَكْثُرُ فيها عَفَنُ جُثَث الموتى، فإنه يُفْسِدُها فساداً عظيماً مُفْرِطاً[4].

وعلاجُها مثل علاج الأرض الحَرِّيفة والمُنْتِنَة، وليُفْعَل ذلك الفِعْل بها في الخريف، ووقت استقبال الشِّتاء، ومجيء الأمطار النَّازلة بعَقْب علاجها؛ فإنَّ ذلك معينٌ على تمام صَلاحها.

---

(١) السَّلْجَم: اللِّفْت.

(٢) الكراث الشامي والأندلسي، ويسمى في مصر (أبو شوشة) وهو الذي له رؤوس كبيرة، ويدخل في الطبخ، وهو غير الكراث النبطي الشبيه بالثوم.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٢٩.

(٤) الفلاحة النبطية: جثث الموتى تفسد الأرض وتُصَيِّرها حارة حريفة حادة مرة منتنة.

قال "**قوثامي**": واعلموا –مَعَاشِرَ إخواني وأحِبَّائي– أنَّ الأرضين كُلَّها، على كثرة اختلافها، قد يُصْلَحُ الفاسدُ منها من جميع أنواع الفَسَاد بما وَصَفْنَا من العلاج، إمّا بعض الصَّلاح، فتصْلُحُ لأشياء من الغروس والزُّروع، وإمّا الصَّلاحَ كلَّه، فتَصْلُحُ لكلِّ صنفٍ[١] من أصناف النبات، إلاَّ الأرض الحرِّيفة المُنْتِنَة الرِّيح؛ فإنها لا تَصْلُحُ أبداً بعلاجٍ إلا بالغَيْثِ الكثير، وأن يقفَ ماؤُها أو شِبْهُهُ عليها سنين كثيرة.

* * *

(١) الفلاحة النبطية: فيصلح لكل شيء من أصناف النبات (كذا).

[الـ]... فَصْلُ [الخامس]

[في صفات الأرض]

ومن صفات الأرض: التَّخَلْخُل[١]، والرَّخاوة[٢]، والتَّلَزُّز[٣]، والتَّلْبِيْد[٤]، والاكْتِناز[٥]، وغير ذلك من التي [تَمَّ] ذِكْرُها.

قال في "**الفلاحة النبطيَّة**": أمّا الأرض المكتنزة[٦]؛ لا تَصلُحُ للغروس، ويُعْرَفُ أَمْرُها[٧] إذا أُشْكِلَتْ بأن يُحْفَرَ منها ثلاثُ حُفَرٍ، عُمْقُ كلِّ حفرة ذراعٌ ونصف، في مواضع متفرِّقة من تلك الأرض. ويُحْفَظُ ترابُ كلِّ حُفْرَةٍ منها، بأنْ يُجْمَعَ في آنيةٍ من خَزَفٍ بعناية شديدة، ثم يؤخذ ترابٌ من أرض مُتَخَلْخِلة غير مُكْتَنِزة لا يشكُّون فيها، وليَكُنْ بوَزْن التُّراب الذي أخْرج من تلك الحفائر، يُوزَنُ بالميزان سواءً، ويُجْعَلُ

(١) الأرض المُتَخَلخلة بالطَّبْع أو المتكوّنة من تفل الماء الكدر، أو تخلخلت من الثلج الذي يغطِّيها وينحسر عنها. الفلاحة النبطية، ص٣٣٦.

(٢) الأرض الرَّخوة يمكن أن تقوى بالعلاج.

(٣) الأرض المفرطة الاستحصاف والتلزز سواء، ص٣٣٠.

(٤) مدريد: التنكيد.

(٥) مدريد: الإكسار.

(٦) يقصد بالمكتنزة: الصلبة والمستحصفة والمتلززة والحجرية.

(٧) امتحان الأرض هذا أشار إليه قسطا بن لوقا في الفلاحة الرومية، ص١٣٦، وابن حجاج في المقنع، ص٦، وأبو الخير الإشبيلي في كتاب الفلاحة، ص٤.

ذلك التُّراب المتخلخل في تلك الحَفائر، ويُدْرَسُ بالأَرْجُلِ ليجتمعَ في الحفائر، فإن بقي من التراب الثاني بقيَّة، فاعْلموا أنَّ تلك الأرض التي حُفِر فيها تلك الحفائر مُكْتَنِزة شديدة الصَّلابة، وأنَّها لا تصلُحُ للغَرْس[١]، وتصلُحُ لزراعة البقول والحبوب وغيرها.

وإن دخَل الترابُ الثاني مكان التُّراب الأوَّل، ولم يَبْقَ منه شيء ألبَتَّة، لا قليلٌ ولا كثير، فهذه الأرضُ تصلُحُ للغرس، واغْرِسوا [فيها] لأنَّ الأرضَ المُتخلخلة تصلُحُ للغَرْس، والصُّلْبَة المكتنِزة لا تَصْلُحُ لذلك، وتصلح للزَّرْع.

وأمَّا المُتَلَزِّز[٢] والمُتَلَبِّد من التُّراب والأرض، فقد فَصَلَ القدماء ما بينهما، والأمرُ فيهما قريبٌ إلاَّ أنَّ المُتلزِّزة أشدُّ تداخلاً من المُتَلَبِّدة. والتَّلَزُّز[٣]: هو شدَّة اجتماع الأجزاء، وجودة تداخُل بعضها في بعض.

والمُتَلزِّزة تقرُبُ من الصَّلابة والاسْتِحجار[٤]، وهي أشدُّ من المتلبِّدة.

---

(١) يقصد بالغرس: الشجر.

(٢) قال في الفلاحة النبطية (ص٣٣٠)، ومما هو محتاج من الأرضين للإصلاح: الأرض الشديدة التلزز والانضمام.

(٣) اللسان، مادة (لزز).

(٤) الأرض الحجرية والجبلية والصُّلبة متعبة للفلاَّحين، وتحتاج عمارة كثيرة.

وقد ظنَّ قومٌ أن المُكْتَنِزَة غير هاتين اللتين هنا: المُتَلَبِّدة والمتلزِّزة، وبين هذه الثلاثة فرق يسير، إلاَّ أن المتلبِّدة والمُكْتَنِزة متقاربتان متآخيتان، والمُتَلَزِّزة شيءٌ آخرُ.

وأمَّا الرِّخوة والمُتَخَلْخِلة[١]: فليس الرخاوة هو التَّخَلْخُل، ولا التَّخَلْخُل هو الرَّخَاوة.

والتَّخَلْخُل يقرُبُ من التَّهافُت[٢]، والفرق بينهما أن الأرض المتخلخلة هي التي في أجزائها تَفَرُّقٌ من بعضها لبعض، وهي على انفرادها يابسة الأجزاء؛ إلاَّ أنَّها متفرِّقة في أجزائها، ثم إنَّها كامنة [اليبوسة].

والرِّخوة[٣] هي التي في نفس أجزائها شبيهٌ بالتَّلَزُّز للاسْتِرخاء الذي في طبعها، فهذه تخالفُ تلك خلافاً بيِّناً.

وقد تقدَّم القول أنَّ كلَّ أرضٍ رمليَّة[٤] هي رخوة، وأنَّ الرَّمل يجعل الأرضَ مُنْتَفِشة[٥].

---

(١) انظر: الفلاحة النبطية، ص٣٣٦.

(٢) أي: الهشاشة.

(٣) هي رَخْوَة ورِخْوَة ورُخْوَة.

(٤) الأرض الرملية في الفلاحة النبطية، ص٣٣٣؛ وابن بصَّال، ص٤٤.

(٥) باريس: يجعل للأرض مُتَنَفَّساً.

وأن الأرضَ الدَّسِمة[1]، الشديدة الدُّسُومة هي الأرض الرّخوة التي يعلوها نَزٌّ ورُطُوبة بالطَّبْع.

وأمّا الأرض المتوسطة في كثرة التَلَزُّز والميل إلى التَّخَلْخُل، فتصلح للكُرُوم[2].

ومن عَلاماتها: أنَّ من طبعها أنْ تقبَلَ الماء العَذْب، فتشربُهُ، وتُكِنُّ بعضَهُ في غَوْرِها، ثم إنَّه يَضْمَحِلُّ في مرور الأوقات.

وهذه تصلُحُ للكُرُوم لا مَحالَة.

وأمّا الأرض المتخلخلةُ[3] فهي أوفقُ الأرضين للكُرُوم خاصَّة، وإن كانت مع تخلخلها رقيقةً فهو أجْوَدُ للكروم، وتكون فيها أقْوَى وأنْجَبَ.

وأمّا الأرضُ الشديدةُ التَّلَزُّز[4] التي تضربُ إلى طبع الصلابة والجُصِّية، وعلامتها أن من طبعها أن تحبسَ الماء فوقها، فلا تمتَصُّهُ كثيراً، ولا تجذبُهُ إلى باطنها، فهي تفسدُ فيها الكُرُوم، وإنَّما تصلُحُ للبُقُول وما شاكلها.

(١) الأرض الدسمة: الفلاحة النبطية، ص٣٣١-٣٣٢.

(٢) الفلاحة النبطية، ص٣٣٢.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٣٦.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٣٣٠.

ومن الأرضين ما تَمتَصُّ الماءَ كلَّهُ فَتَخبَأُهُ في باطنها وغَوْرها ويَقْشَفُ وجْهُهَا، ومثل هذه أيضاً وشبهها لا تصلح للكروم، ومنها متوسِّطة العمل في إدْخَال الماء إلى غَوْرها، وفي قيامِهِ على وَجْهها، فيصيْرُ فيها وَحْلٌ.

* * *

[الـ]... فَصْلُ [السادس]

[مشابهة بابل للأرضين في الأندلس]

ومِمّا يدلُّ على رطوبة الأرض ما نذكُرُ -إن شاء الله تعـالى- في صفات الأرضين الدَّالَّة على قُرْب الماء وبُعْدِه، وذلك في (الباب الثالـث) من هذا التأليف، واستُدِلَّ بذلك على رُطُوبة الأرض ويُبْسها.

وفي "**الفلاحة النبطية**"[1]: قال **قوثامي**: قد بيّنّا في هذا الكتاب من وصف أنواع الأرض واختلافها، وموافقة بعضها لبعض المَنابت، ومخالفته، ما فيه كفايةٌ ومُقْنعٌ.

وهذا إذا فَهِمهُ إنسانٌ فقد احتوى على رُكْنٍ عظيمٍ من أركـان علم المَنابت وإفلاحها، وقوام حياتها.

قال "**صغريث**" في **الفلاحة النبطية**[2]: لا يكون إفلاح الـشَّجَر وسائر النبات وغَرْسه، ودَفْعِ ما يَدْفَع عنه من العاهات[3] في كُلِّ البلـدان مُتَسَاوياً، بل يختلِفُ بحسب اختلاف البلدان؛ فقد يَنْجُبُ شيء من ذلـك في بلدٍ، ولا ينجُبُ في آخر.

---

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية، ص٢٣، قال: بعض النبات يفلح في بلدة ولا يفلح في أخرى، بحسب هبوب الرياح، واختلاف الأهوية، واختلاف التربة والمياه. وانظر أيضاً، ص٣٠٧.

(٢) المتحف وباريس: يندفع.

(٣) المتحف وباريس: المعاهات.

قال: والذي أذكُرُ في هذا الكتاب (يعني كتاب: الفلاحة النبطية) ما كان موافقاً لإقليم "بابل" خاصّة، وما شَابَهَ[١] مزاجَهُ من الأقاليم والبلدان.

قال مؤلف هذا الكتاب: نقلتُ من كتاب (**الفلاحة النبطيّة**) إلى هذا التأليف ما أشْبَه عندي أنّه يوافقُ الجزء العَرَبيّ من الأندلس، ومع هذا فإنّ إقليم "بابل" [يدخل] في الإقليم الرَّابع[٢].

وقيل: إنّ بعض [منابت][٣] الأندلس فيه، وأيضاً فإني نظرتُ إلى ما ذُكرَ في الكتاب المذكور من أوْقَات إدْراك [النبات][٤] الغالب في إقليم بابل، ونحو ذلك، فألْفَيْتُ ذلك في بلدنا قريباً من ذلك الوَقْت، فَحَرَّضَني ذلك على نَقْلِ بعضِ ما وَضَعُوه في تلك الفلاحة إلى هذا الكتاب.

* * *

---

(١) المتحف: وما أشبه مزاجه.

(٢) قسم العلماء الأقاليم إلى سبعة، الأول منها: أرض بابل ومنها خراسان وفارس والموصل... والثاني: السند والهند... والرابع: مصر وأفريقية والبربر والأندلس. انظر: كتاب أبي عبيد البكري: المسالك والممالك، ص١٧٨.

(٣) المتحف وباريس: إن بعض الأندلس (العبارة فيها سقط بيّن).

(٤) ساقطة من المتحف وباريس.

[الـ]... فَصْلُ [السابع]

[دلائل طيب الأرض]

"ومن الدَّلائل على أنواعِ الأَرْض في الطِّيْب، وغير ذلك، من الكِتابين المذكورين؛ أَعْنِي كتاب ابن حجّاج، والفلاحة النبطيّة" قال أَنْطُرليوس الإفريقي[١]: إذا كانَ النباتُ في الأرض عظيماً[٢] طويلاً، غَضّ الوَرَق، حَسَن[٣] الخُضْرَة، مُلْتَفّاً بعضُهُ ببعضٍ، غليظ العُرُوق، [فالأرض التي ينبت فيها] هي أرضٌ كريمة[٤].

وكذلك إن رأيْتَ فيها شجراً بريّاً عُظَاماً، لم يَغْرِسْهُ فيها أحد، فهي أرضٌ جيِّدة أيضاً[٥].

وإذا رأيتَ ذلك[٦] [النَّبَات] وَسَطاً، فهي متوسِّطة الطِّيب، وإذا رأيت فيها النَّبات ضعيفاً، قصيراً، دقيقَ الوَرَق والأغْصَان، رقيق العروق،

---

(١) المتحف وباريس: أنطوليوس، واسمه في المقنع: أنطريلوس وله كتاب في (الفلاحة)، وقوله في المقنع، ص٦، وكتاب أبي خير، ص٨٧.

(٢) المقنع: غليظاً طويلاً سميناً.

(٣) باريس: خشن.

(٤) المقنع: جيدة.

(٥) هذا القول في المقنع، ص٦٦، وفلاحة أبي الخير، ص٤.

(٦) هذا القول أيضاً من المقنع، ص٦، ومن أبي الخير، ص٤، والزيادات من المقنع.

ويجفّ [الماءُ فيها] سريعاً، فتلك أرضٌ ضعيفة [وإنْ نَبتَ] فيها الشَّوْك والغَرائب، وشجرها صغار فليست بصَّالحة[1].

قال قَسْطُوس[2]: علامةُ الأرض الطَّيِّبة أنْ يَكثُرَ نبتُها من الشَّجَر كلّه، والمُتوَسِّطة[3] دون ذلك، ويكون نبتُهَا غير ملتَفّ، والدَّنيئة يكونُ نبتُها رقيقاً ضعيفاً.

وقال أنطرليوس الأفريقي[4]: أجْوَدُ الأرضين التي لا يكثُرُ تَشَقُّقها إذا اشتَدَّ الحَرُّ، وإذا كَثُرتْ الأمطار لم يكن فيها زَلَقٌ ولا تَمْليس، وينشف الماء [فيها] سريعاً، ولا يطُولُ مُكثُهُ[5] على وجهها.

وقال أيضاً[6]: خيْرُ الأرضِ وأجْوَدها الأرضُ السَّوداء المحتملةُ لكثرة الأمطار والماء[7]؛ غير أنّها ليست بصَّالحة للكُرُوم.

(١) ابن حجاج وأبو الخير: ليست بخالصة.

(٢) قول قسطوس الحكيم في الفلاحة الرومية، ص١٣٥، والفلاحة لأبي خير، ص٣.

(٣) عبارة قسطوس: وعلامة الأرض الوسط دون الجيدة، يكثر نبتها من الشجر كله دقيقاً غير ملتف.

(٤) قول أنطرليوس في المقنع، ٦، قال: قال في كتابه "الفلاحة".

(٥) باريس: مكثها.

(٦) المقنع: ص٦، وأبو الخير، ص٤، والفلاحة النبطية، ص٣٢٠.

(٧) المقنع: كثرة المياه والأمطار والحر.

وقال قَسْطُوس[1]: علامة الأرض الطّيبة إذا تتابعت عليها الأمْطار أن يَنْشَفَ ماؤها، ولا تتشَقّق في الحَرِّ.

وقال جالينوس[2]: إنّ القوم الذين وصَفُوا الحراثَةَ في الكُتُب[3]، يقولون: إنّ الأرضَ أَصْنَافٌ، ويصفونَهَا، ويُسَمُّون بعضها أرضاً بيضاء، وبعضها أرضاً سَوْدَاء، وبعضها أرضاً رمليَّة.

ويقولون[4]: إنّ الأرض السَّمينة هي التي يكونُ فيا طِيْنٌ عَلِكٌ مثل الشَّمْع[5].

ويقولون: [أرضٌ] هَشَّةٌ[6] للّتي هي سمينة، وهي التي يكونُ فيها طينٌ لا عُلُوكَةَ له.

(١) الفلاحة الرومية، ص١٣٥، وفلاحة أبي الخير، ص٤، المقنع، ص٦: وأجود الأرض ما لا يكثر تشققها إذا اشتدّ الحر، وفلاحة أبي الخير، ص٤.

(٢) جالينوس: صاحب الأدوية المفردة، وأغذية المرضى، ويتكرر ذكره في كتب النبات العربية. انظر عمدة الطبيب، ٩، ٣٣، ١١٤، ٤١٣، وص٨٥٧.

(٣) باريس: وضعوا الكتب في الحراثة.

(٤) هذا قول ابن حجاج في المقنع، ص٥٨، وفي صفات الأرض السمينة والدَّسِمَة. انظر الفلاحة النبطية، ص٣٣-٣٣٢، والمقنع، ص١٠/١٣، ١٩، ٢٠.

(٥) باريس: الصَّمْغ.

(٦) تفرّد ابن العوّام بذكر هذا النوع من الأرضين، ولم نجده في كتب الفلاحة كلها التي عدنا إليها، وهي في المقنع (ص٥٧): الخوّارة.

ويذمُّون الأرض الهَشَّة البيضاء، والأرض الرَّمليَّة، في أشياء كثيرة، فهذان صِنْفَان: الأول منهما أفضل أصناف الأرض، والثاني أدونُها، ومنها ما هو أقربُ إلى الصِّنْف الأوَّل، ومنها ما هو أقربُ إلى الصِّنْف الثاني، وبعضُها في الوَسَط بينهما. وقد تَقَدَّم هذا، وبعض زيادة [فيه] فائدة.

ويستَدَلُّ أيضاً بشَمِّ الأرض، وذَوْقها[1]، وبما يَطْفو على الماء الذي يَنْقَعُ فيها؛ وذلك أنْ يُجْعَل من تراب وَجْهِهَا —إنْ كانت أرضَ زَرْعٍ— أو من أسْفَل من ذلك بِنَحْوِ ذِرَاعين أو أكثر قليلاً —إن كانت أرض غِرَاسة— يؤخذ من أيِّ الموضعين المذكورين —كان— قَدْرَ مِلْءِ الكَفِّ، ويُجْعَل في آنيةٍ واسعة الفم من زُجَاج أو خَزَف[2] جديد، ويُغْمَرُ ذلك بماء السَّماء، أو بالماء العَذْب، ويُخَضْخَضُ[3] حتى يَنْحَلَّ التُّرابُ فيه، ثم يُتْرَك حتى يرسبَ ذلك التُّراب في أسْفَل الإناء، ويُنْظَرُ إليه عند ذلك، فإن طَفَا عليه من (العَكَر) فهي أرضٌ طيبة، وإلاَّ فهي أرضٌ مَهْزولة لا تصْلُحُ إلاَّ بالزِّبل الكثير، ويُذَاقُ أيضاً ذلك الماءُ ويُشَمُّ أيضاً، فإن كان الماءُ عَذْباً، فالأرض عَذْبة، وقيل: إنْ كان الماءُ طَيِّباً حُلْواً فهي أرض حَسَنَةٌ طيبة حلوة، وإن

---

(١) امتحان الأرض بالذوق والشمّ والنظر في الفلاحة النبطية، ص٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، والفلاحة الرومية، ص١٣٥، والمقنع، ص٦، وفلاحة أبي الخير الإشبيلي، ص٤، ومفتاح الراحة، ص١٠٤.

(٢) باريس ومدريد: حمم؟ لعلها: جَمَّام: مكيال أو الجَمَم: ملء الإناء.

(٣) يخضخض: عبارة الفلاحة النبطية.

كان مُرّاً أو مالحاً، فهي أرضٌ رديئة، وإن كان [الماء] مُنْتِن الريح فهي أرضٌ رديئة لا تصلح لشيء ألبَتَّة[1].

وقال قَسْطُوس[2]: إنْ كانَ [الماءُ] مالحاً، فهي أرضٌ رديئة.

وقال أبو الخير الإشبيلي[3]: ويُشَمُّ ذلك الماءُ والتُّراب، فإن كانَ طيِّبَ الرِّيح، فتلك الأرضُ جيدة، وذلك دليلٌ على اعتدالها. وإن كانَ مُنتِناً فتلك الأرضُ رديئة.

وكذلك [الأرض] السَّهِكَة[4] والمتغيِّرة الريح، ويدلُّ ذلك على خَمَجٍ وتَعَفُّنٍ فيها، لرداءَة مزاجها.

وقيل[5]: الهَرَبُ كلّ الهَرَب من الأرض المالحة، والرَّمل المالح، والماء المالح. وقد تقدّم أيضاً مثل هذا، وفي هذا زيادة بيان فتأمَّله.

---

(١) قال صغريث: شرّ الأرضين: الحرّيفة المرّة المنتنة. الفلاحة النبطية، ص٣٢٣.

(٢) قول قسطوس في الفلاحة الرومية (ص١٣٥): الأرض المالحة لا تصلح إلاّ لغرس النخل والأثل، ويذاق الماء فإن كان مالحاً فالأرض سبخة. وقال ابن حجاج (ص٦) وأبو الخير (ص٤): اهرب كل الهروب من الأرض المنتنة والمالحة، والماء المالح والرمل المالح.

(٣) كتاب الفلاحة، ص٤، وأضاف: على قدر الذوق والطعم تعرف الأرض.

(٤) السَّهِكة: المنتنة ذات الرائحة الكريهة.

(٥) هذا قول ابن حجاج في المقنع، ص٦-٧، وقول صغريث في الفلاحة النبطية (ص٣٠٩).

وأيضاً: إنْ عُجِنَ ترابُ أرضٍ بالماء، فَيَعْلِكُ طينُهـا، ويصير كالشَّمْعِ[1] فهي أرضٌ جيدة، وإنْ لم يكنْ كذلك فهي أرضٌ دنيئة.

وقالوا أيضاً[2]:

إنَّ مِمَّا يُعْتَبَرُ به: الأرض السَّمِينة والكَثِيفة[3]، [وما] تتميَّز به المهزولة عن السمينة أن تَحْفِرَ في الأرض التي تريد اعتمارَها حفرة عميقة [قَدْر] ذراعٍ[4]، ولا يُضَيَّع من تُرابها شيءٌ، [وأَخْرِجْ قدراً من ترابها][5]، ثم يُرَدُّ إلى الحفرة ذلك التُّراب بعد أن يفتَّتَ، فإن فَضَلَ منه شيءٌ على مِلْئِها فتلك الأرض سمينة[6]، وإن لم يَفْضُل منه شيء فهي متوسطة، وإن دَخَلَ الترابُ كلُّهُ فيها، وبقي من الحفرة شيء لم يَرْتَدِمْ، فالأرض رديئة رقيقة.

---

(١) سبق أن ذكر هذا القول. انظر: المقنع، ص١٠، ١٣، ١٩، ٢٠، وهو بمعناه شبه حرفي في المقنع، ص٥٨.

(٢) ذكر هذا القول قسطوس: الفلاحة الرومية، ص١٣٦، وابن حجاج في المقنع، ص٦، وأبو الخير: كتاب الفلاحة، ص٤.

(٣) استخدم ابن العوّام هذا المصطلح، وهو مرادف للسمينة والدّسمة ولم نجده عند غيره من أصحاب كتب الفلاحة.

(٤) أبو الخير: قدر شبر، الفلاحة الرومية: قدر ما بدا لك.

(٥) الزيادة من ابن حجاج وأبي الخير.

(٦) ابن حجاج وأبو الخير: جيدة، قسطوس: جيدة طيبة.

وفي كتاب ابن حَجَّاج (رحمه الله)[1]: لا يَصِحُّ هذا.

قال كَسْيُنُوس[2]: يُرْتَادُ للبُقول الأرض السَّمينة والدَّسِمَة أيضاً التي ليست بالخَشِنَة[3]، ولا البَيْضَاء، ولا اللَّزِجة، ولا التي تَتَشَقَّقُ في الصيف.

وقال غيرهُ[4]: أوفَقُ الأَرْضِين للبَقْل، الأرض التي ليست بِخَشِنَة خَوَّارة؛ فإنَّ الخَشِنَةَ[5] لا تَصْبِرُ على كثرة الماء، وكذلك المتشَقِّقَة والخوَّارة تَسْتَرْخي في الشتاء، وتَيْبَس في الصيف، فيهلك بقلها سريعاً[6].

وقال ابن بصَّال[7]: من الأرضِ ما وَجْهُهَا جيدٌ، وأسْفَلُ منه رديء، فهذه تُزْرَعُ فيها الحُبوب، ويُغْرَسُ فيها —إنْ دعَتْ إليها ضَرُورة—

---

(١) هذا القول ساقط من نسخة المقنع المنشورة.

(٢) هو كَسْيُنُوس بن باسوس، ورد ذكره في المقنع، ص٨٧.

(٣) الخشنة والحرشاء والصلبة: سواء.

(٤) المقنع، ص٥٧، والفلاحة لأبي الخير، ص٦١-٦٢.

(٥) المقنع: الخشنة المشققة.

(٦) المقنع: إلا أن يكثر زبلها، ومن الرملة ما يجود فيها البقل وذلك لقلة عشبها.

(٧) هو أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصَّال (صاحب كتاب القصد والبيان في الفلاحة) ألفه بعد سنة (٤٩٠هـ)، سكن طليطلة وهاجر إلى قرطبة وإشبيلية وصقلية والإسكندرية، والمنشور من كتابه ملخص له، محمد عزيمان تطوان، المغرب ١٩٥٥م، وقد سقط منه هذا النص.

من الشَّجَر ما تَدِبُّ عُرُوقه على وجه الأرض، مثـل: الخَـوْخ والتفَّـاح وشبههما، غير أنَّ عُرُوق هذه إذا وَصَلَتْ إلى التُّربة الرَّدِيئة منها اختَلَّت الشجرة وفَسَدَتْ. وهذه الأرضُ ينبُتُ فيهـا العـشب في أول العـام، ويَحْتَرِقُ إذا سَخَنَ الهواء، إلاَّ أن يُتَدَارَكَ بالسَّقْي بالماء. وإذا بُولغ في حَفْرِ هذه الأرض، أو عُمِّقَ حَرْثُها، ظهَرَ ذلك الرَّديء على وَجْهها فأفسده.

وقيل[1]: لا تُنهِكوا وَجْه الأَرض، [واتركوا] شَحْمَتَهَا فيها. ويُعَالَجُ مثل هذه بالزِّبل الطَّيِّب المُعَفَّن؛ فإنَّ به يكونُ صلاحُها، ولا غِنَى لها عنه.

وقيل[2]: تُزْرَع الأرض الطَّيبة، وتُغْرَس التي دونها.

* * *

(١) هذا قول ابن بصَّال.

(٢) الزراعة للبقول والغرس للأشجار.

[الـ] ... (فصل) [الثامن]

[طبائع تراب الأرض]

ومن كِتَابي الشَّيْخَيْن: أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم **بن بصَّال**، **والحكيم أبي الخَيْر** (رحمهما الله) في معرفة طبائع تراب ظاهر الأرض التي تصلُحُ للزراعة والغراسة، وما يُعَالَج به كلُّ نوع منهما، وما يجود فيه من الشَّجَر والخُضَر، من ذلك **التُّربة البيضاء**، قال أبو الخير الإشبيلي[1]: طَبْعُهَا البرودة واليُبُوسة[2].

وقال أبو عبد الله، ابن بصَّال[3]: وعِشْبُها رقيقٌ ما دامت مُبَوَّرة، ولا يكون العشب الكثير إلاَّ في الأرض الكريمةِ والسَّمِينة منها، من غير ما تحتاجُ هذه الأرض إلى عمارة كثيرة لطِيبها، فإذا عُمِلَتْ، وكُرِّر عليها الحَرْثُ والحَفْر وطُيِّبَتْ بالزِّبل الكثير، لأجْلِ بَرْدهَا[4]، طَابَت وصَلُحَت، وعَظُمت فيها الأشجار، وتَدَوَّحَت.

(١) أبو الخير الإشبيلي له كتاب في الفلاحة مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين، وعلى تجاربه. وله كتاب في النبات والأدوية المفردة (ضائع) وله معجم عمدة الطبيب في معرفة النبات، حققه: محمد الخطابي، الرباط ١٩٩٠م، قال أبو الخير (٨٦) الأرض البيضاء دنيئة ما لم تتعاهد بالعمارة والزبل، وقول أبي الخير هو في الحقيقة لابن بصَّال، ص٤٥.

(٢) ابن بصَّال: وبرودتها أكثر من يبسها.

(٣) كتاب الفلاحة (المسمى: القصد والبيان)، ص٤٥، المبورة: هي البور.

(٤) ابن بصَّال: ولا تحتمل الماء الكثير لبردها، وهي محتاجة إلى كثرة الخدمة والتزبيل.

وإن **كانت سهليّة**، واعتُمِرَت، وطُيِّبت بالزِّبل، وزُرِعت جادَ ما يُزْرَعُ فيها. ويحتاج نباتها إلى الزِّبل الكثير الحارّ الرَّطب، والعَمَارة الكثيرة، ولا تحتملُ هذه الأرضُ كثرة الماء لبَرْدها[1]. ويجودُ فيها شجر التِّين، والزَّيتون، والخَرُّوب، والكُمَّثرى، والرُّمَّان، واللَّوز، والسَّفَرْجل، والفُسْتُق، والكَرْم.

وينجبُ فيها شجر اللَّوز ويعظُم، وكذلك شجر التين، والخَرُّوب، وليس يحتاج فيها شجر التين واللَّوْز إلى عمارة كثيرة، وليس يَعْظُمانِ فيها. والتين والعنب أنجَبُ في غيرها، إلاّ أنَّ العنب يكونُ فيها شديد الحلاوة، كثير المَائيَّة.

ويَجُودُ فيها أيضاً أنواع الحَزَاء[2]، والسَّماجي[3]، والنِّيل[4]، والفُوَّة[5]. ويُصْلِحُ هذه الأرض ذَرْق[6] الحَمَام صلاحاً كثيراً.

(١) قال ابن بصّال (ص٤٦): لا تحتمل هذه الأرض الماء الكثير لبرودتها، وهي محتاجة إلى كثرة الزِّبل.

(٢) الحزاء: جمع حزاءة؛ وهو سذاب البر، من الأحرار والأغلاث. عمدة الطبيب، ص٢١٦.

(٣) السماجي من صنف الأشجار البرية، الفلاحة النبطية، ص١٦٩.

(٤) النيل هو النيلنج والليلك والصباغ. وقيل: هو الغبيراء والقضة.

(٥) الفوة: عروق الصباغين، وحشيشة الأفعى، والعكرش. انظر: الفلاحة النبطية، ص٦٣٢، ١٢٥٣-١٢٥٤.

(٦) ذَرْق الحمام: سُلاَحه.

وقال أبو الخير الإشبيلي: شجرها لا يَضُرُّها الصَّرّ!؟[1] وقال غيره: توصَفُ هذه التُّرْبة بأوصافٍ، فيقال: تُرْبَةٌ بيضاء جبليَّة، وبيضاء جَرْداء، وبيضاء نَدِيَّة وسَمِينة، وصُلْبة وكُدْنيَّة[2]، وحُلْوة، وبيضاء مالحة، ولا خَيْرَ فيها، وهي التي تَتَهرَّأ[3] بعد جُفُوفها من الماء.

وقال جالينوس: ومنها مُعْتَرِقَة[4] الأَجْزَاء، غير سمينة.

والتُّرْبة الغَبْرَاء: والغُبْرَة لونٌ مُحْدَثٌ من اجتماع البياض والحُمْرَة والسواد.

قال أبو الخير الإشبيلي[5]: هي أرض مُنْقَادة للعمارة، ومنها كريمة سمينة، ولَزِبة[6]، وتكونُ في السَّهْل والجبل، وهي أَصْلَحُ من التُّربة البيضاء،

(١) ربما يقصد الصر: البرد، وترجح أن قراءة هذه الكلمة (الصَّر: أي البرد)، وأن الشجر الذي ينبت في الأرض الرملية البيضاء (وغالباً ما تكون جافة مالحة) فلا يضرها بعد ذلك شيء. ونرجح أن المقصود بالصر: وهو البرد. كتبت في النصوص الخطيَّة: الصَّرا.

(٢) الكدنية: الصلبة الشديدة. الكدن: النبات ذو الأصول الصلبة، ومن الأرضين: الحمراء المكدنة وهي أحط من المضرسة اليابسة.

(٣) هرأ البرد الشيء: هرءاً وهراءه: أفسده وهرأ الحر الثوب: أفسده، واللحم: أنضجه واشتد عليه، تهرّأت التربة: تفتتت.

(٤) ذكر علماء الفلاحة: الأرض النَّزَّة والعرقة وهي التي ترشح ملحاً وماءً، تعرق الشجر وأعرق: امتدت عروقه في الأرض.

(٥) سقط قول أبي الخير من كتابيه المنشورين: الفلاحة، وعمدة الطبيب.

(٦) اللزبة: المتماسكة. لزب الطين: لزق وتماسك.

وتحتاج من العمارة أقلّ ما تحتاج إليه البيضاء، ويجودُ فيها: الزَّيتون، والرُّمّان، والبَلُّوط، والخَرُّوب، والفُستُق، والكُمَّثْرَى، والزُّعْرُوْر، والمُشْتَهَى، واللَّوْز، والكَرْم.

ومن أنواع التين الأحمر[1] اللَّطيف، والخَبِيص[2]، والشَّعْرِي[3]، وجميع أنواع التِّين الأسْوَد.

ويَصْلُحُ فيها من البُقول: السِّلْق، والكُرُنْب، والفُجْل، والجَوْز، والسَّلْجَم[4]، وشِبْهَ ذلك، ويُصْلِحُهَا ويوافِقُهَا ذَرْق الحَمَام[5]، والماء العَذْب.

والتُّربةُ الحَمْرَاء:قال أبو الخير الإشبيلي وغيره[6]: طَبْعُهَا الحَرَارةُ واليُبُوسة، وحَرَارتُها أكثَرُ من يُبُوستها، وهي أنواع؛ منها: حمراءُ سمينة،

(١) التين الأحمر: هو الجميز، ومنه: الطبار وهو أحمر كميتي اللون (عمدة الطبيب، ١٤٧-١٤٨).

(٢) ذكر أبو الخير من أنواع التين: الملاحي والشيولي، والقرطي والفاخر، والسهيلي والقرشي والجعفري. عمدة الطبيب، ص١٤٧.

(٣) من أنواع التين: الشعري. عمدة الطبيب، ص١٤٧.

(٤) السلجم: هو اللفت.

(٥) ذرق الحمام: سلاحه.

(٦) هذا قول ابن بصَّال (ص٤٦)، وأضاف: من أجل ذلك صار فيها رطوبة متمكنة قوية، وفي تربتها غلظة، ويرق تراها بأن يقلب أعلاها أسفلها، وهي تحتمل الماء الكثير، وانظر: مفتاح الراحة، ص١١٠-١١١. انظر قول أبي الخير في الأرض الحمراء، كتاب الفلاحة، ص٨٦.

وحمراءُ رِخْوَة[1]، ومنها مائلةٌ إلى السَّواد قليلاً، مثل لون الزَّبيب، وتُعْرَف بالهِنْدِيَّة، ومنها ما يخالطها رملٌ يسيرٌ، وتُسَمَّى "الرَّيسن"[2]، وهي نوعان: أحدهما يخالطُهُ الرَّمْلُ، والآخر أَحْمَرُ عَلِكٌ لا يخالطه رملٌ.

ومنها جبليَّة وسَهْلِيَّة؛ وهي أرض غليظة قوية غير منقادة للعَمَل إلاّ بَعْدَ مشَقَّة وقَهْر، وتحتاجُ إلى عِمَارة كثيرة حتى يرقَّ ترابُها، وتَلْيِنَ شِدَّتُها، وبذلك يَصْلُحُ حالها، وتُزْرَعُ بعد ذلك مرَّةً واحِدةً دون زِبْلٍ[3]، وهي تحتملُ الماء الكثير، وتُمْسِك الثَّرى[4] زماناً طويلاً.

وقال ابن بصَّال[5]: ولا تحتاجُ إلى زِبْلٍ كثير، بل يُقَلَّل لها منه لأَجْل حرارتها حتى لا يكاد يَظْهَرُ فيها، وكذلك يُقَلَّلُ منه لأشجارها، وتكفيها العِمَارة فقط[6]، ويُزَادُ من الزِّبْل إن زُرعت مرَّات؛ مرَّةً بعد أخرى، ولاسيما على السَّقْي، وكَثْرَةُ الزِّبْلِ يوهنُها ويُمْرِضُها.

(١) هي رِخوة ورَخوة ورُخوة: هشة.

(٢) الرس: اللينة التي لم يخالطها حجارة أو آجر، والأرسان: الأرض الحزنة.

(٣) في المتحف وباريس ومدريد (تصحيف): دون رمل.

(٤) الثرى: الندى والرطوبة.. قال ابن بصَّال (ص٤٧) هذه الأرض تملك الثرى ويدوم فيها.

(٥) قول ابن بصَّال في كتابه القصد والبيان، المسمى كتاب (الفلاحة)، ص٤٧.

(٦) قال ابن بصَّال: هذه الأرض لا تجود إلا بعد الخدمة والاجتهاد.

وقيل تُكْرَم بقليل من الزِّبل البالي من عامين، زِبْل دوابّ، وإذا تَبوَّرت هذه الأرض لم ينبتْ فيها من العشب[١] إلاّ ما لا خَطَر له.

وقال ابن بصَّال[٢]: يَجودُ فيها شجرُ التين والجَوْز، واللّوْز، والفِرْصَاد[٣]، والصَّنَوْبر، والعَرْعَر[٤]، والسَّرْو، والأُتْرُج، والخَرُّوب، والفُستُق، والآس، والعُنَّاب، والزُّعْرُور، والغُبَيْرَاء[٥]، والتُّفَّاح، والإجَّاص، وعيون البَقَر[٦].

ويجودُ فيها الوَرْد نَعماً، ويَحْمَرُّ جدّاً.

وقال ابن بصَّال: ويَصْلُحُ في التُّرْبة الحمراء من البُقُول، ويَجُود: البَصَل والثُّوْم، والباذنجان، والفِجْل، والجَوْز، واللِّفْت، والخَرْدل، والحُرْف[٧]، والشُّونِيز[٨]، والكَرَاويا، والفَيْجَن[٩]، وما أَشْبه ذلك.

---

(١) ابن بصَّال: هي قليلة الدغل والعشب.

(٢) قوله سقط من النسخة المنشورة بتحقيق: خوسي مارية ومحمد عزيمان.

(٣) الفرصاد: التوت البلدي.

(٤) العرعر: الشث واللزاب والأبهل.

(٥) الغبيراء: الجنجاث والقضة.

(٦) عيون البقر: هو البرقوق المسمى شاهلوك.

(٧) الحرف: حب الرشاد.

(٨) الشونيز: الحبة السوداء أو حبة البركة.

(٩) الفيجن: هو سذاب البر المسمى الذفراء.

وأمَّا الرَّيْسَن[١]، وهي التُّربة الحمراء المُخْتَلِطَةُ بالرَّمْلِ اليسير؛ فهي تربة مَهْزُولة رقيقة، لا يَجُودُ فيها شيءٌ إلاّ الزَّيتون إذا أكْثِرَ تَزْبِيْلُهَا بذَرْق الحَمَام، وحُرِّكت بالحَرْث مرَّات.

ومنه نوعٌ آخرُ أحْمَرُ عَلِكٌ لا يُدَاخِلُهُ الماءُ بسُرْعَةٍ، يُعْرَف أيضاً **بالرَّيْسن**[٢]،ويجودُ فيه الزَّيتون، والتِّين الشَّعْريّ[٣]، والخَرُّوب، والبلُّوط، والكُمَّثرى، والغُبَيْرَاء[٤]، والزُّعْرُوْر، والشَّاه بلُّوط[٥]، وشبه ذلك، ويحتاج إلى العَمَل والتَّزْبيل مثل ما تَقَدَّم.

والتُّربةُ السَّوْداء[٦]، قال أبو الخير الإشبيلي: طَبْعُها الحرارة واليُبُوسة[٧]، وهي قليلةُ الانقياد للعِمَارة والحَرْث، ولا تُنْجِبُ في ذلك[٨]،

---

(١) باريس: الرين، مدريد: اليس، المتحف: الرسن أو (الريسن) وهي من (الأرسان من الأرض: الحزنة التي اختلط ترابها بالحجارة فصلبت). والطين المريس: الملطخ بالزبل.

(٢) باريس ومديد: الريس، ولعلها: المريس. وفي النبطية (ص٣٦٧): طين الدبس، مفتاح الراحة، ص١١٥ طين الدنس.

(٣) عمدة الطبيب، ص١٤٧.

(٤) الغبيراء: هو الجنجاث.

(٥) الشاهبلوط: هو المعروف بأبي فروة.

(٦) ابن بصَّال، الفلاحة، ص٤٤-٤٥.

(٧) ابن بصَّال: طبعها الحرارة واليبوسة مع الملوحة.

(٨) قال أبو الخير (ص٨٥): السوداء لطيفة الأجزاء، سريعة التفتت، تحمل الغيث الكثير، مساماتها مفتحة، تصلح للشدة والرخاء.

ولا تَتَشقّق، [ولا ينجب] فيها شجرٌ إلاّ بَعْدَ العمارة الكثيرة، والسَّقْي بالماء، ولا يُغْفَلُ عنها، ويَصْلُحُ —في الجبليَّة منها على حالٍ مع كَثْرة العِمَارة— شَجَرُ الزَّيتون، والخَرُّوب، والبلُّوط، والشَّاه بلُّوط، وشجر الغُبيراء، والكُمَّثرى، والإجَّاص، والقَرَاصيا، وشبه ذلك.

ولا يَجُودُ فيها شجر التِّين، وكذلك الخَوْخ لا يطول عُمْرُهُ، ولا يكثُرُ حَمْلُهُ فيها.

ويُزْرَعُ فيها الفُولُ والشَّعير، والعَدَس، والدُّخن[1]، والذُّرة، والكَمُّون، والكَرَاويا، والشُّونيز[2]، وشبه ذلك.

ويجُودُ فيها الحُرْفُ[3]، والكُزْبرة، والخَرْدَل[4].

وقال غيره:

هي أنواعٌ، منها تُرْبةٌ رِخْوَة تتشقَّقُ، وجبليَّة صُلْبَة إذا ضَرَبْتَ فيها بالمِعْوَل يَمْتَنِعُ موضعُ الضَّربة. ومنها ما يشبه لونُها لَوْنَ الرَّماد الأسْود، ومنها رَطْبَة.

(١) الدخن: الذرة الحمراء أو الجاورس (فارسية).

(٢) الشونيز: الحبة السوداء.

(٣) الحرف: حب الرشاد.

(٤) هذا القول في فلاحة ابن بصّال، ص٤٥.

وقال الحاجّ الغرناطي[1]: منها سوداء مُفْرِطة السَّوَاد، احْتَرَقَتْ حتّى خرجت عن حدّ الاعتدال، وعَدِمت الرُّطُوبة التي بها، وهذه يُصْلِحُهَا الزِّبْلُ القديم؛ لأنّه قد ذهبتْ —لِقِدَمِهِ— حَرَارتُهُ، وبقيت رُطُوبته.

وقال جالينوس: منها سمينةٌ لزِجَة سريعة الانْحِلال بالماء. وقال غيره: التُّرْبة منها —وهي التي تَتَشَقَّقُ في فصلِ الحَرِّ— ما لا يَجُودُ فيها شَجَرٌ، ويَصْلُحُ فيها: البُرُّ، وبعضُ القَطَانيّ، وأكثَرُ عُشْبِها الشَّوْكُ، مثل: الحَرْشَف[2]، والعواليق[3]، وشِبْهُ ذلك، والذي يكثر فيها الحَرْشَف نَعَماً رديئة. ويَعْرَفُ الطيِّبُ والوَسطُ والدُّوْن من أصْنَافِها مِمّا تقدَّم وَصْفُهُ.

والتُّربة المُدْمِنَة[4]؛ سميت بذلك لاتِّصالها بمَسَاكن النَّاس، وقُرْبها منهم، ويُخَالطها لذلك زُبُول الدَّواب، وشبه ذلك، ويُصْلِحُ بذلك الدَّنِيئَة منها. وكثيراً ما يَغْلُبُ لون ظاهرها إلى السَّوَاد، وإنْ كانت أرضاً طيِّبة أضَرَّ كثرة ذلك الدِّمْن[5] بِنَبَاهَا إذا سَخُن الهواء، وإنْ كانت رمليَّة أو

(١) الحاج الغرناطي؛ هو أبو عبد الله، محمد بن مالك المعروف بالتغنري نسبة إلى بلدة تغنر في غرناطة، له كتاب اسمه: زهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط، يتولى الأستاذ بريس تحقيقه في الجزائر.

(٢) الحرشف والخرشوف (نبطية): هو العكوب أو شوك الحمير.

(٣) العواليق؛ منها: البقلة الباردة، وعليق العدس، وعليق الكلب، وعليق الكبش.

(٤) ابن بصّال، ص٤٤-٤٥.

(٥) الدمن: السماد المتلبد، والدمنة: آثار الناس وما سودوا، وما اختلط من البعر والطين عن الحوض فتلبد، وهو اسم عام للمزبلة.

بَيْضَاء، أو جبليَّة يابسَة، أو حَرْشاء[1] مُضَرِّسَة[2]، أو نوعاً من الأرض التي يُصْلِحُها كثرة الزِّبْل نَفَعَها ذلك.

وضِدّ هذه تُسَمَّى "**البَرَّانِيَّة**" وهي التي تبتعدُ عن مَسَاكن الناس.

والأرضُ المُدْمِنَة يُكَرَّرُ حَرْثُها مرّات ليمتزِجَ أعلاها بأسفلها[3]، ويعتدل حالها. ويُزْرَعُ فيها الحُبُوب والقَطَانِيّ فَيَجُود، وتُزْرَعُ فيها البُقول على السَّقي فيجُودُ أيضاً.

ويَنْجُبُ فيها جميع الأشجار التي يُصْلِحُها كثرة الزِّبل، والتي تحتملُهُ، وأمّا ما لا تَحتملُهُ منها، مثل: السَّفَرْجل وشبهه، فلا يَطُولُ عمره فيها، وكذلك الخَوْخ لا يطول عُمْره فيها، ولا يكثُرُ حَمْلُهُ.

والتُّربة الصَّفْرَاء، قال ابن بصّال[4]: طَبْعُها قريبٌ من طَبْع الأرض البيضاء في البُرُودة واليُبُوسة[5]؛ إلاّ أنّها دونها في الطِّيبِ، ودون الأرض السَّوْداء الجبليَّة أيضاً، وأَقَلّ فائدة.

---

(١) الحرشاء: الخشنة التي اختلط ترابها بحجارة صغيرة.

(٢) المضرسة: فيها حجارة كأنها أضراس الإنسان.

(٣) قال ابن بصّال: هذه الأرض لا يعلم جيدها من رديئها حتى يعلم ظاهرها وباطنها، فقد يكون وجهها رديئاً، وأسفلها بخلاف ذلك.

(٤) ابن بصّال، ص٤٦.

(٥) ابن بصّال: في الطبع والجوهرية.

وهي ضَعِيفةٌ مُعْتَلَّة لطيفة[1]، لا تصلُحُ إلاّ بالعمارة الكثيرة، والزِّبل القديم الكثير جداً؛ زِبْل الدَّواب والغَنَم الذي قد أتى عليه الحَوْل. وإن عَدِمَتْ ذلك لم يكن فيها منفعة ألبَتَّة.

وقيل: إنها أنواع؛ منها المُكَدَّنَة التي تشبِهُ الكِدَان[2]، إلاّ أنها رَطْبَة، ومنها ما يميلُ لونها إلى البياض، وهي طَفْلِيَّة[3] وتُسَمّى "النَّزَّة"[4]، و[قد] تتشَقّق، وهي أَلْطَفُها، ومنها شديدة اللُّزُوجة، لا خيرَ فيها.

وقال أبو الخير الإشبيلي[5]: ولا يَصْلُحُ منها إلاّ ما فيه رُطُوبة وكُدُونة، ولا يَصْلُحُ فيها من الأشجار إلاّ ما له منها أصلٌ قويٌّ؛ مثل: الخرُّوب، واللَّوز، والزُّعْرور، والبلُّوط، والقَسْطل[6]، والجَوْز، والنَّخْل، والأُترُجّ، والفِرْصاد، وشِبْه ذلك، ولا يَجُودُ ذلك فيها إلاّ بالعِمَارة الكثيرة والتَّزْبيل.

---

(١) ابن بصّال: ضعيفة، معتلة، متغيرة لا تصلح إلا بكثرة المعاناة. مدريد: مقتلة؟؟

(٢) الكدان: حبل يشد في عروة الدلو. كدن التراب كدنا: صلب واشتد، والمكدنة: الأرض الغليظة الصلبة الشديد المتلززة.

(٣) الطَّفل: الطين الأصفر، تصبغ به الثياب، وهو معروف بمصر. والطفيل: الماء الكدر، وطفل طفولة وطفالة: نعم ورق.

(٤) الأرض النَّزَّة: ذات نز، وهو ما يتحلب في الأرض من الماء.

(٥) أبو الخير الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ص٨٦-٨٧.

(٦) القسطل: هو الشاه بلوط.

والتُّرْبة الحَرْشاء[1]،وتُسَمَّى المُضرَّسة[2]، والمُحَجَّرة[3] أيضاً: قال **أبو الخير الإشبيلي**[4]: طَبْعُها البرودة واليُبوسة[5]، وهي نوعان[6]: أحدها ترابٌ مختلط برملٍ غليظ، والآخر: تراب مختلط بِحَصَى أو حجارة صغار مُحَبَّـبَة، وتكون جبليَّة، وتكون سهلية، فما كان منها في الجَبَل، وتحت ظاهرها حجارة كثيرة متَّصِلة تَمْنَعُ العَمَل، فلا خير فيها، وما كان منها في السَّهْل، وحَصْبَاؤها[7] صغار، بحيث يأخُذُ فيها[8] العَمَل، فتلك يُكَرَّرُ عليها الحَرْثُ مرَّات حتى تختلط وتَمْتَزِج، فتَصْلح بذلك، وهي مُتْعِبة[9]

(١) الحرشاء: الخشنة.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: محينة- المضرمنة.

أرض مضروسة: فيها حجارة كأنها أضراس، والضرس: الأكمة الخشنة كأنها مضرسة.

(٣) ابن بصَّال: المحببة. وقال: هي تشبه الأرض الجبلية.

(٤) هذا القول منسوب لابن بصَّال في كتابه، ص٤٧.

(٥) ابن بصَّال: وفيها رطوبة.

(٦) قال ابن بصَّال: هي على ضربين: ضرب يكون التحبب على وجهها لطيفاً، وضرب على وجهها تحبيب كثير، ومتى كشف عن باطنها وجد حجراً متصلاً.

(٧) باريس ومدريد: حصاؤها.

(٨) المتحف: يأخذها.

(٩) المتحف وباريس: نباتية؛ أي تصلح لزراعة النبات لا للشجر.

وهي مصحفة؛ لأن الجبلية تصلح للشجر لا للخُضَر.

بالعَمَل، وتحتاج إلى العمارة الكثيرة، والسَّقْي الكثير بالماء، والزِّبل الكثير، زِبْل الغنم، وذَرْق الحَمَام، وكذلك الأرض الجبليّة كلها.

وَيجُودُ في التُّربة الحَرْشَاء شجر الجَوْز، والفُستُق، والذُّكَّار[1] والتِّين، والبرتقال، والوَرْد، والإجَّاص. ويَصْلُحُ فيها الكَرْمُ جداً، ويجودُ فيها المُشْمُش، واللَّوْز، والرَّنْد، والعَرْعَر، والسَّرْو، والآس، والدَّاذِي[2]، والمُشْتَهَى[3]. وجميع ما ينبتُ في الجَبَل من الأشجار الكبار والصِّغار.

قال أبو الخير الإشبيـــلي[4]:

والتِّين البَرِّي[5] والأَحْمَرُ[6] يَجُودُ فيها.

ويجودُ فيها من الخُضَر: القَرْع -ويُعَجَّلُ بالإطعامِ فيها- والباذنجان، وضُرُوب الأحْبَاق، والفَيْجَن[7]، والسَّوْسَـــن، والنِّيْلُـــوفَر[8]،

(١) الذكار: هو التين البري، تذكر به البساتين (عمدة الطبيب، ص١٤٨).

(٢) الداذي: هو الفاريقون: أو أنس النفس (عمدة الطبيب، ص٢٨٥).

(٣) المشتهى: هو شجر الزُّعرور، وقيل: هو العَوْسَج، وقيل: هو الغبيراء.

(٤) قول أبي الخير ذكره ابن بصَّال، ص٤٧.

(٥) التين البري: هو الذكار.

(٦) التين الأحمر: هو الجميز.

(٧) الفيجن: سذاب البر.

(٨) النيلوفر: زهر العروس، أو اللوطس، ومنه ما له زهر أبيض، أو أزرق.

والمَرْدَدُّوش[١]، والمَرْو[٢]، وشِبْهَ ذلك.

ومن الحبوب: العَدَس، واللوبياء، والحِمَّص وشبهها، ولاسيما إذا زُرِعت مُؤَخَّرَة، ويُجْتَهَدُ في عَمَارتها، فإن قَصَّر عن ذلك قَصُرَت الغَلَّة، وهي بالجملة محتملة لتَقَلُّب الأَزْمنة، واختلاف الأهوية على نباتها.

قال ابن بصَّال[٣]:وإنْ نُقِلَ من ترابها إلى موضعٍ آخَرَ رَطِبِ التُّربة، وزُرِعَ فيه القَرْع بكَّر بالإطعام.

والتُّربة الحريرية والرَّمْل:

قال أبو الخير الإشبيلي[٤]: الرَّملُ ثلاثةُ أنْواعٍ:

أحدها: رمْلٌ رقيقٌ جدّاً، ليِّنٌ.

والثاني: رَمْلٌ غليظٌ غير مُلْتَئِمٍ، لا خيْرَ فيه، ولا يُنْبِتُ شيئاً.

---

(١) هو مرزنجوش ومرزجوش ومردقوش ومرددوش: نوع من الأحباق، وجنس من الصعاتر (عمدة الطبيب، ص٤٧٩).

(٢) المرو: هي حبق الشيوخ والريحان المسمى لسان الفرس (عمدة الطبيب، ص٤٨٠).

(٣) ابن بصَّال، الفلاحة، ص٤٧–٤٨، وقال: ويتصلب القرع ويكبر.

(٤) أبو الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة، ص٨٧، وقال: إذا كان وجه الأرض تراباً، والباطن رمل؛ فهي شر الأرضين وأخبثها لجميع الشجر.

والثالث: رملٌ رقيقٌ مختلطٌ بتراب كثير، ويعرف بالتُّربة الحَريرية[١].

وقال ابن بصَّال[٢] وغيرُهُ: الرَّمْلُ الرَّطْبُ يقبَلُ تغيُّر الهواء لضَعْفِهِ؛ فيبرُدُ في زمن البَرْد، ويَسْخُنُ في زَمَنِ الحَرّ[٣]، وهو بالجملة باردٌ، وكذلك الأرض الرَّمليَّة، فإن خالَطَ الرَّمْلَ ترابٌ[٤]، فإن كانَ الرَّمْلُ هو الأكثر، فهو إلى البَرْد أَمْيَلُ.

وقيل: تَغَيُّر الهواء تأثيره فيه أكثر إنْ قَلَّ نَبَاتُهُ.

وقال أبو الخير الإشبيلي: وكذلك يَتَعَجَّل سقوط أوراق أشجارها وثمرها.

وقال ابن بصَّال[٥]: وأحْسَنُ ما تكون [الأرض الرَّمليّة] في الاعتدالين[٦]، ويُصْلِحها الزِّبل الكثير، وهي سهلةٌ للعمارة، ولا تحتمل الماء

---

(١) باريس ومدريد: الحريرة.

(٢) ابن بصَّال: الفلاحة، ص٤٣.

(٣) عبارة ابن بصَّال: بردها يتقوى ببرد الهواء، وتتقوى حرارتها بحرارة الهواء.

(٤) باريس ومدريد: تراباً.

(٥) كتاب الفلاحة، ص٤٣.

(٦) يريد: الاعتدال الربيعي، والاعتدال الخريفي.

الكثير[١]، والأَصْلَحُ أنْ تَعْطَشَ، وحينئذٍ تُسْقَى.

والأرض الرَّملية المذكُورة تبتلِعُ الماء بسرعة، فيُقَدَّرُ لها منه ما تَصْلُحُ به، فقد يجفُّ وَجْهُهَا، وباطِنُها راوٍ، ويجودُ فيها من الأشجار[٢]: النَّخْل، والصَّنَوْبر، والطَّرْفاء[٣]، والسَّرْو، وسائر الأشجار النَّابتة في الرَّمْل الرَّطبة. ومن الخُضَر: الرِّجْلَة[٤].

والتُّربة الحَريريَّة[٥]: تَتَكَوَّنُ بمَقْرُبَةٍ من الأنهار[٦] الكبار، والأَغْلَبُ على لونها الغُبْرَة، وهي في الأَغْلَبِ مُسْتَوية، وهي تربةٌ مختلطَةٌ برَمْلٍ لَيِّنٍ غير غالبٍ عليها، ومنها رطْبَةٌ ورخْوَة.

(١) قال ابن بصَّال: لأن الماء يغيب في داخلها، وربما ظن أنها لم ترو.

(٢) وذكر ابن بصَّال: التين والرمان والتوت والسفرجل والخوخ والبرقوق.

(٣) الطرفاء: الأثل.

(٤) الرجلة: هي البقلة الحمقاء؛ لأنها تنبت على جوانب الطرق دون زراعة، وتسمى: البقلة اللينة، والبقلة الزهراء لأن فاطمة (رضي الله عنها) كانت تحبها.

(٥) سماها ابن بصَّال: الأرض اللينة (اللئيمة)، ص٤١، وهي في مفتاح الراحة (ص١٠٧) الأرض الليمة. قال المحققان: هي من الملاءمة وليس من اللؤم.

(٦) المتحف: تكون من الأنهار الكبار (سقط).

قال أبو الخير الإشبيلي: هي من أعْدَل الأرضين[١]، وأَقْبلها للعَمَل، وهي موافقةٌ لكلِّ نباتٍ، ولكلِّ هواء، ولكلِّ ماء، وليْسَت تحتملُ الزِّبل الكثير، ولا تُزَبَّلُ إلاّ في زَمَن البَرْد فقط.

ويوافقُها من أنواع الزِّبْل ما قَدُمَ وعَفِنَ، وذلك زِبْل الغَنَم وَحْدَهُ، أو زبل الإنسان وحْدَه، والزِّبل المختلط أيضاً.

ويجودُ فيها من ضُرُوب الفواكه، وأنواع الرَّياحين أصناف الأَحْبَاق، والياسمين، وأجْنَاس الخُضَر كلّها، والتين[٢]: الزَّنْقَال والقَرْطِي[٣]، والأبيض، والفَارِق، والسَّفَرْجَل، والتُّفَّاح، والأُتْرُجّ، والنَّارَنْج[٤]، والأعناب، والرُّمَّان؛ وهو يَنْجُبُ فيها أكثر نَجابة من غيرها. والفِرْصَاد[٥]، والوَرْد، والجَوْز، والنَّشَم[٦]، والمُشْتَهَى[٧]، والخَوْخ،

(١) هذا قول ابن بصَّال، ص٤١.

(٢) ذكر أبو الخير الإشبيلي من أنواع التين: القربال والزنقال والبرجي والفارق، والمرتيني، والقرطي والفاخر.

انظر: عمدة الطبيب، ١٤٧-١٤٨.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: القرطبي. والتصويب من عمدة الطبيب.

(٤) النارنج: هو البرتقال.

(٥) الفرصاد: التوت البلدي.

(٦) النشم: هو الدردار، والمسمى: شجرة البق أو شجرة البعوض.

(٧) المشتهى: هو شجر الزعرور، وقيل: هو نوع من العَوْسَج.

والقَراسيا؛ إلاّ أنها ليس يَطُولُ عُمْرها بها؛ لأنها تُدْرِكُ سريعاً، وشجرها قد يُصيبُهُ الصرُّ لكثرةِ إيْنَاعِهِ[1]، فيلحقُهُ زمن البَرْد، وهو رَخْصٌ.

وكذلك أيضاً يتأخَّرُ فيها التِّين بالنُّضج، فيلحقُهُ المَطَر ويجودُ فيها البَصَل، والبَاقِلّي[2]، والكِتّان، والحِنّاء، والأَرُزّ، والنِّيل[3]، والقُطْن، والقَطَاني، والجُلْجُلان[4]، والدُّخْن[5]، والذُّرَة، والزَّعْفَران، وجميع البُقُول البستانيّة.

وبالجملة كلّ ما يُزْرَع ويغرس في البساتين، من أنواع الخُضَر، وأصناف الشجر يَجُودُ فيها.

والتُّربة التي تُسَمَّى الغليظة:

قال أبو الخير الإشبيلي[6]، وغيره: لونُها بين البياض والصُّفْرَة، وهي غليظة قويَّة عَلِكَة، ولا رُطُوبة فيها، وهي غير مُنْقَادة للعَمَل، تتشقَّق

(١) المتحف وباريس ومدريد: أتباعه.

(٢) المتحف وباريس ومدريد: البقالى.

(٣) النيل: هو الغبيراء أو بطيخ الملائكة.

(٤) الجلجلان: هو الجلبان أو البسلة.

(٥) الدخن: الذرة الحمراء.

(٦) سقط وصف هذه التربة من كتاب أبي الخير المنشور. انظر: كتاب الفلاحة، ص٨٥-٨٧.

في زمن الحَرِّ، مثل "البِيرِيَّة"[1]، وتنغلق شُقُوقُها إذا نَزَلَ عليها المَطَر، وتَتَعَلَّكُ[2]، ولا يغوصُ فيها الماء، لكثرة شِعْبِها[3] ولُزُوجتها، وتحتملُ الكثير منه.

ويوافقها زِبْل البَقَر والغَنَم مُعَفَّنان للأَبَد[4]، **قال ابـــن بصّال**[5]: تَتَحَلّل الأرضُ الغليظَةُ بالرَّماد والزِّبل والعمارة، حتّى ترقَّ وتَسْلَس.

قالوا: وهذه الأرض تَصْلُحُ للزَّرْعِ، ولا تَصْلُحُ للغِراسة، وكذلك كل أرضٍ تتشَقَّق شقوقاً كباراً، [يجود فيها] الحنطة، وجميع القَطَاني،

(١) البيرية: هي التربة المستخرجة من البئار عند حفرها.

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال (ص٤٢)، قال: وهي تتعلك عند نزول المطر عليها، وتتشقق في فصل الحر ويغوص فيها الهواء الحار فيطبخها وينضجها، ويذهب ببرودها.

(٣) المتحف: شبها، باريس ومدريد: شبعها (تصحيف).
والصواب: شعبها: مجرى الماء تحت الأرض.

(٤) ابن بصّال: لا تحتاج إلا للزبل اليسير، وينبغي أن يكون زبلها سلسلاً مخدوماً معفناً رقيقاً قديماً.

(٥) ابن بصّال، ص٤٢.

والقَطَف[1]، والرِّجْلَة[2]، والكُرُنْب، والفُجْل، والسَّلْجَم[3]، والبَصَل، والثُّوم، والشُّونِيز[4]، والكَرَاويا، وشبه ذلك.

وقال قسطوس[5]: لا يُغْرَسُ الشَّجر إلاّ في الأرض العميقة[6] التي ليس فيها خَزَفٌ ولا حجارة[7]، ولا يُغْرَس شَجَرٌ في الأرض المَتَشَقِّقَة.

وتوجَدُ تربة مركَّبة من هذه الأنواع، فَتُنْسَب إلى الغَالِب عليها، وتُذْكَر بحسب ذلك[8].

* * *

(١) القطف: البقلة الذهبية، أو بقلة الروم وتسمى: الريحان اليماني.

(٢) الرجلة: هي البقلة الحمقاء.

(٣) السلجم: هو اللفت.

(٤) الشونيز: الحبة السوداء.

(٥) بعض قوله في المقنع، ص٨٦-٨٧، وسقط قوله من الفلاحة الرومية.

(٦) المتحف وباريس ومدريد: الأرض الصحيحة (سهو).

(٧) المتحف وباريس ومدريد: ليس فيها حزق ولا حجر (تصحيف).

(٨) جاءت هذه العبارة مصحفة تصحيفاً لا تستقيم معه، وفيها سقط وانتقال نظر، واجتهدنا قراءتها على ها النحو المثبت في المتن.

[الـ]... (فصلُ) [التاسع]

[الأرض التي لا تصلح للزراعة]

ومن أنواع الأرض ما لا يَصْلُحُ للزِّراعة ولا للغِرَاسة، ولا يَنْجُبُ فيها شيء من ذلك.

قال **ابن بصَّال**[1] **وأبو الخير الإشبيلي**[2]: من ذلك التُّربة الصَّفْرَاء الفاقعة التي تعْرَف في صَبْغ الخَشَب والثِّياب[3].

والتُّربة الحَمْرَاء القَانية التي تُسَمَّى "مَغْرَة"[4]، وهي ثلاثة أنواع: تُرْبَة بُرْقَة[5]، وهي بيضاء إلى الصُّفْرَة تَسْطَعُ منها رائحة الكِبْريت.

(١) كتاب الفلاحة، ص٤٦، قال: هي أرض ضعيفة معتلة لا تصلح إلا بكثرة المعاناة والتزبيل والخدمة وإلا لم يكن فيها منفعة ألبتة.

(٢) ذكر قول أبي الخير الإشبيلي: عبد الغني النابلسي في كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٦.

(٣) باريس ومدريد: الشب (تصحيف).

(٤) المَغْرة والمَغَرة: الطين الأحمر يصبغ به. والمَغْر: لون ليس بناصع الحمرة، وهو شقرة بكدرة.

قال ابن حجاج في المقنع (ص٨٦): الأرض اللزجة تسمى المكرة (الحمراء الطينية). وانظر الأرض الجصية وما يوافقها من الأزبال (الفلاحة النبطية: ٣٦٨).

(٥) البرقة والبرقاء (مؤنث الأبرق): أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة. قال النابلسي (ص٦)، الحمراء القانية (المغرة) والبرقاء البيضاء.

والتُّربة الجُصيَّة: وهي المحَجَّرة، وهي بَيْضَاء حَرْشاء تحتها حجارة، يُعْمَلُ منها الجِيْر.

والرَّمل الغليظ الأَحْرَش[١] السيَّال الأَعْمَى[٢].

والتُّربةُ الزَّرقاء[٣] التي تُخْلَطُ بطين الفَخَّـــارين، يُعْمَـــلُ [منـــها] الخَوَابي.

والصَّفْرَاء المُكَدَّنَة، التي كأنها الكِدَان[٤] الرَّطب.

والأرض السَّبْخيَّة والمعدنيَّة؛ مثـــل[٥]: الزَّرنيخيَّـــة، والكبريتيَّـــة والنُحاسيَّة، والحديديَّة وشبه ذلك.

(١) الأحرش ومؤنثه: الحرشاء: القشفة الغليظة.

(٢) عمى الرمل عمياً: سال، والأعميان: السيل والحريق، يريد الرمل الذي يسيل وأسفله أرض يابسة صلبة.

(٣) النابلسي: علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٧.

(٤) الكدان حبل يشد في عروة الدلو، والأرض المكدنة المتلززة الصلبة كأنها حبل من مسد.

(٥) من الأرضين الفاسدة ما خالطها الشب والزاج والزنك والكبريت والمرتـــك (الرصاص) والجص والملح وجثث الموتى، ومنها: الحديدية والكبريتية والزاجية والحامضة والحريفة والمرة... انظر: الفلاحة النبطية: ٣٤٢، وعلم الملاحـــة، ص٦، ومفتاح الراحة، ص١٠٤.

وكذلك أنواع الأطيان اللَّزِجَة جدّاً، مثل: الطَّفْـــل[١]، والطِّـــيْن الأَرْمَني، والطِّيْن الرُّومي –وهو خَاتَم الرؤوس–[٢] والطِّـــين الجُـــوري، والتُّراب السلوقي، والحَمْأة[٣]، وطَفْل الوادي، وشِبْهَ ذلك.

وبعض الناس يُسَمِّي هذه الأرض "المُهْمَلَة". وقد تقـــدَّم عـــلاج الأرض الدَّسِمَة، والعَرِقَة، والنَّزَّة، والمالحة، والرَّمليَّة، وما ذُكر معها مـــن أنواع الأَرضين التي يُصْلِحُها العلاج (في الفصل قبل هذا) حَسْب ما نقلت من "الفلاحة النبطيّة" فَخُذْهُ من هنالك، واجْمَعْهُ إلى ما ذُكِرَ قبل هذا مِمّا نُقِلَ من كتابي الشَّيخين: أبي عبد الله [ابن بصَّال] وأبي الخير (رحمهما الله) يَجْتَمعُ من ذلك ما فيه كفاية –إن شاء الله تعالى– وهو المُوَفِّـــق، لا رَبَّ غيره، ولا مَعْبُودَ سواه.

* * * * *

(١) الطَّفْل: الطين الأصفر تصبغ به الثياب.

(٢) المتحف: خاتم الروس، ولعل المقصود أن الطيب الرومي تصنع منه الأختام أو رؤوس الأختام التي يوقع بها.

(٣) الحَمْأة والحَمَأ: الطين الأسود المنتن.

[الفصل الأول]

[في الزبول: أنواعها ومنافعها وتدبيرها]

"في الزُّبول، وأنواعها ومنافعها، وتَدْبيرِها، ووجه استعمالها، وعملها، وتَسْمِية ما تحتملُهُ من الأشجار والخُضَر، وما لا تحتملُهُ منها"

من كتاب ابن حجّاج (رحمه الله) في القَوْل على السـرّجين[1]، وهو الزِّبل؛

قال يونيوس[2]: إنّ السِّرجين يزيد في طِيب الأرض الطِّيبة، وأمّا الأرض الرَّديئة فإنه يُصْلِحُها إصْلاحاً كثيراً ويُقوِّيها. والأرض الطِّيبة[3] لا تحتاج إلى سِرْجين كثير، وأمّا الأرض المعتدلة فإنّها تحتاج إلى سِرْجين أقلّ قليلاً مِمّا تحتاج إليه الأرض الطّيبة[4].

وأمّا الأرض الضعيفة الرَّقيقة فإنّها تحتاج إلى سِـرْجين كـثير[5]. وليس ينبغي أن تُسَرْجَنَ الأرضُ دفعةً، ولكن ينبغي أن تُسَرْجَنَ قليلاً قليلاً

---

(١) السرجين والسرقين: الزبل.

(٢) قول يونيوس سقط من كتاب المقنع، وهو مضمن في الفلاحة النبطيـة، ص٣٧١-٣٧٣، قال: إذا طرح السرجين في أرض رديئة أصلحها، وإن كانت الأرض الصالحة زادهـا صلاحاً وطيبها وقواها. وفائدته التقوية والإصلاح ودفع الهوام والعوارض الرديئة.

(٣) قال أنطرليوس: السمينة لا تحتاج إلى كثرة الزبل. المقنع، ص١٠.

(٤) كذا في النسخ جميعها، وهو (سهو) والمراد: الأرض الرديئة. أو الضعيفة.

(٥) هذا القول في الفلاحة النبطية، ص٣٧١-٣٧٣.

مرّات متواترة، فإنّ الأرض التي لا تُسَرْجَنُ بَرَدَت[1]، والأرض التي تُسَرْجَن بأكثر من المِقْدَار تحترق[2]، وينبغي لمن يُسَرْجِن الغروس أنْ لا يلقي السِّرجين على عروقها وأصُولها[3]، لكن ينبغي أن يلقي على الأصول –أولاً– تُرَاباً، ثم بعد ذلك يُلْقِي السِّرجين على التُّراب، ثم يُغَطِّي أيضاً السِّرجين بالتُّراب، فإنه إذا فَعَل ذلك لم تحترق الغُرُوس من إلقاء السِّرجين عليها، ويُرْسل السِّرجينُ الحَرَارة من وراء حجاب التراب إلى العُرُوق قليلاً قليلاً، ويَمنَعُ التُّراب المغطّى به السِّرجين حَرَّ السِّرجين أن يَتَنَفَّسَ، فيعكسُهُ إلى أسفل.

قال يونيوس[4]: وأجْوَدُ ما يُسَرْجَنَ به زِبْل جميع الطَّيْر، ما خلا زِبل الإوز[5]، وطير الماء، فإنه أردأها[6]؛ لمكان رطوبته، إلاّ أنه إذا خُلِط مع سائر أنواع الزِّبل كان نافعاً.

---

(١) المقنع: إذا لم تزبل بردت. باريس ومدريد: باردة.

(٢) المقنع (ص١٠): احترقت.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٧٢، قال: فيكون السرجين بين ترابين سحيقين غريبين.

(٤) قول يونيوس في المقنع، ص١٠.

(٥) المقنع: ما خلا طائر الماء كالبط والوز.

(٦) المقنع: فإنها رديئة تحرق الأرض وتهلك النبات.

قال قوثامي: خرؤ طيور الماء والبط لا يستعمل ألبتة. الفلاحة النبطية، ص٣٦٤.

وقال ابن بصّال: من السرجين ما هو سم للنبات مثل زبل طير الماء.

قال[1]: وأجْوَد الزِّبل ذَرْق الحمام لحرارته؛ وذلك أنه ينفَعُ الأرض الضعيفة، فإنّه يقوِّيها ويُعينها على إنبات ثمرها، وهو أيضاً يفيدُ النَّبْت ويُقَوِّيه[2].

وبَعْدَ ذَرْق الحمام في الجُودة رَجِيْعُ[3] الناس؛ لأنّ فيه قُوَّة شبيهة بقوّة ذَرْق الحمام، وله قوّة خاصيّة أيضاً في إفساد الحشيش.

وقال قسطوس: كل ذرق الطير (غير البط) نافع (الفلاحة الرومية)، ص١٣٧.

(١) قول يونيوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٨، والفلاحة النبطية، ص٣٦١.

(٢) قال قسطوس: ذرق الحمام يذهب بكل آفة تصيب الشجر لشدة حره. (الفلاحة الرومية، ص١٣٨)، وفي المقنع (ص١٠)، أفضل الزبول خرء الحمام.

وقال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص٣٦١، وص٣٦٥): ذرق الحمام له خاصية في دفع السموم، ويقتل الخفافيش والفأر والعصافير، ويقضي على الحشيش.

وقال ابن حجاج: زبل الحمام يطرد جميع الخشاش (المقنع، ص٥٩).

(٣) قال أبو الخير (الفلاحة، ص٨٩): أفضل الزبول زبل ابن آدم العفن الذي قد قدم وعتق في الكنف وفنيت بعض رطوبته.

والرجع والرجيع: الروث. قال قوثامي: خرء الناس دواء جليل لأشياء عظيمة الضرر للناس، وفي دفع الأمراض والسموم وإذا كان عتيقاً أسود مخلطاً بسحيق التراب فهو من أكثر الأزبال منفعة. الفلاحة النبطية، ص٣٦٥، وقال: خرء الناس هو أعدل من خرء الطيور، وأكثر إسخاناً، وألطف وقعاً ينفع النبات والشجر ويقوّيهما ويحفظهما من الآفات.

وسِرْجين الحمير[1] هو الثالث بعد هذه في الجودة، وذلك أن طبيعته تُزْكي ما يُزْرَع، وهو جيد لجميع الغروس. وبَعَر المعز هو رابعٌ في الرتبة، وذلك أنَّه حرِّيف جداً. ثم بعد [ذلك] الضَّأن؛ وهو أدسَمُ من بَعَر المَعَز. ثم بَعْدها خُثِيّ[2] البَقَر.

وأضعفُ جميع أنواع السِّرجين وأخَسُّها: سِرْجين الخيل والبغال، إذا كان على وَجْهِهِ؛ فأمّا أن يُخْلَطَ مع أنواع السِّرجين الحرِّيفة، فإنَّه يجُودُ وينفَعُ فهذا تَنْويع "يونيوس" للسِّرجين وتدريجه[3].

وأمّا "**قسطوس**" فإنّه قال[4]: أحْسَنُ زبل الطَّيْر ذَرْق الحمام، فَحَرَارته تُمِيْتُ الأعشاب، ثم زبل الحمير، ثم زِبْل الغنم، ثم زبل البَقَر.

---

(١) قال ابن بصّال (ص٤٦): السرقين أنواع: زبل الخيل والبغال والحمير نوع واحد، ثم زبل الآدمي، ثم الزبل المضاف وهو المؤلف من الكناسات، ثم زبل الغنم، ثم زبل الحمام، ثم رماد الحمامات، ثم المولد، وهو زبل متخذ من الحشيش والتراب. ومنه سم للنبات كزبل طير الماء والخنازير.

(٢) هو خَثَى وخِثْي: روث البقر والفيلة، والجمع: أخثاء وخِثِي وخُثِيّ.

(٣) الفلاحة النبطية: خرء الحمام أفضل الأزبال، وأنفعها: أخثاء البقر، وزبل الغزلان والخنازير، ثم الضأن، ثم الجواميس ثم الخيل، ثم الحمر الأهلية. وقال عبد الغني النابلسي: أجود الزبول: ذرق الحمام، ثم زبل الناس، ثم زبل الحمير، ثم المعز، ثم الضأن، ثم البقر والخير، والبغال أخسها إلأ إذا خلط بغيره.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٨.

وأنفع الأزبال عامة للنبات زِبْل الخَيْل والبَراذين. وأمّا الزِّبل المخلوط فصلاحة للزَّيتون أكثر من غيره.

ولكسيْنُوس[1] فَصْلٌ في (**كتابه**) فَضَّلَ فيه زبل الخيل، وأثنى عليه، وحمل ذلك على قوم من الفلاَّحين.

وقال **سيداغوس**[2] **الإسباني**: حَرَارةُ الأزْبَال ورطوبتُها على قَدْر أزبال الحيوان في أمزجتها؛ فإذا كان الحيوان حارَّ المزاج كان زبله كذلك؛ كَذَرْق الحمام، فإنّه حارٌ يابس؛ لأنَّ الحيوان الذي رَمَى به كذلك، وعلى ذلك يكون قياسك في جميع السَّراجين فأمَّا منفعتُهُ فإن يُذْكي الحرارة الغَريزيَّة في النبات[3]، ويفتحُ بِحَرِّه مَسَامَّ الأرض، ويُخَوِّرُهَا[4] لوُلُوج العُرُوق فيها. (انتهى قوله).

ثم رجع بنا سياق الكلام إلى قول "**يونيوس**" وذلك أنّه قال[5]: ينبغي قبل كلِّ شيء أن تجتنبَ استعمالَ السِّرجين من سنته، وأن تمنع

وقال: أجود أرواث الدواب للسماد أرواث الحمير، ثم الخيل والبغال، وأجود الأبعار: أبعار النعاج ثم المعز ثم أخثاء البقر، وثلط الخنزير رديء يحرق الشجر. وأبعار الإبل نافعة.

(١) كسينوس ذكره ابن حجاج في المقنع، ص١٢٣.

(٢) جاء ذكره في المقنع، وضبطه: سيداغوس أو سيدغوس أو سيداعوس. ص١١٣، ١٢٣.

(٣) عبد الغني النابلسي، ص٩.

(٤) الأرض المخوارة: الهشة اللينة.

(٥) قوله ذكره ابن حجاج دون نسبة في المقنع، ص١٠، وابن بصّال، ص٥٠.

الفلاحين من استعماله، وذلك أنَّه لا يكون فيه مَنْفَعة في شيء، وهو مع هذا ضَارٌّ يولِّدُ الهَوَام[1].

وأمّا السِّرجين الذي قد أتت عليه ثلاث سنين، وأربع سنين فجيِّد جداً[2]، وذلك أنَّه إذا طال به الزَّمان ذَهَب عنه جميع ما كان به من طَراوَة ونَتْن الرَّائحة؛ ولان ما كان فيه من الخُشُونة[3].

وقد قلنا في هذا قولاً كافياً[4]. **(انتهى قول يونيوس)**.

قال سولون[5]: الزِّبْل إذا تَقادَمَ عَهْدُهُ لَطُفَ وبَرَد، وأوفق ما يكون حينئذٍ للبَقْل، وينبغي أن يستعمل منه للشجر ما أتى عليه سنة وأقلّ من ذلك لاحتمال الشجر، وضَعْف البقل عن ذلك؛ ولأنّ الطَّرِيَّ كثيراً ما يَتَوَلَّدُ منه الهَوَام المُفْسِدَة للبُقُول.

---

(١) المقنع: يتولد منه دواب كثيرة. النابلسي: يتولد منه الهوام المفسدة للبقول.

(٢) المقنع: كثير الصلاح والمنفعة.

(٣) المقنع: وكلما عتق الزبل احترق كل شيء فيه، ولانت حرارته وشدته، وحسن.

(٤) وقال ابن وحشية: أجود الأزبال ما أتى عليه بعد عفنه سنتان، فإن أتت عليه ثلاث فهو أجود، وإذا أتت عليه أربع زال عنه جميع الروائح المنتنة، وصار لا ريح له، وهو حينئذٍ أصلح الأزبال كلها. (الفلاحة النبطية، ص٣٦٩).

(٥) بعض قوله في المقنع، ص١٠، وص٥٩.

وابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص٥٠، والنابلسي، ص٩.

وله أيضاً فَصْلٌ، قال فيه:

إنّ ذَرْق الحمام[1] فِعْلُهُ في الثَّمَر أكْثَرُ؛ فمن أراد كَثْرَةَ الثَّمَر في الشَّجر، فعليه بذَرْق الحَمَام، فإنه يُنْمي ذلك، ويُنْضِر الفروع، ومن أراد الزيادة في عروق الشجر، لاسيّما ما قد ضَعُفَ منها وهَرِمَ، فعليه بزبل الدَّواب والبقر؛ فإن من خاصيته إنشَاءَها وإنباتَها.

والأرض الكثيرة الرُّطوبة يصلح لها الزِّبل الذي يغلبُ عليه اليُبْس كذَرْق الحمام، وسِرْجين الحمير. والأرض القليلة الرُّطوبة والدَّسم يصلُحُ لها زبل البَقَر، وعلى هذا فَأَجْرِ عَمَلَكَ (انتهى قوله).

وقال يونيوس:

تُزَبَّل الأرضُ اللَّيِّنَة بزبل الضَّأن والمَعَز[2]؛ لأنَّ هذه الزُّبول أَلْيَن من غيرها.

---

(١) ابن بصّال: ذرق الحمام غياث النبات الذي قد ضعف من شدة الحر، فإنه يقويه من يومه، ويحييه من حينه (ص٥١) وهو في مفتاح الراحة، ص١١٤، وهو أفضل الأزبال ويطرد الخشاش من الأرض (المقنع، ص٥٩)، ويذهب بكل آفة تصيب الشجر (الفلاحة الرومية، ص١٣٧).

(٢) قول يونيوس سقط من كتابي ابن حجاج وأبي الخير، وبعضه في كتاب ابن بصّال، ص٥٠، ومفتاح الراحة، ص١١٣.

وقول قوثامي: بعر الضأن أدسم الأزبال كلها، وهو أصلح الأزبال للأرض المالحة والمرة والحادة والحامضة (الفلاحة النبطية، ص٣٧٥).

وأمّا في الأرض البيضاء فاستعمالُ زبل البَقَر[1] أجْـوَد؛ لأنّ فيه حلاوةً ودَسَماً، وطبعُ هذه الأرض ضعيفٌ فيُقَوِّيها.

ومن كتاب "**الفلاحة النبطيّة**" في ذلك، **قال قوثامي**[2]: الزِّبل يُسْتَعْمَلُ على ضَرْبين:

أحدهما من جهته.

والآخَرُ زبلٌ يعملُهُ الناس ويركّبونه فيُخْلَط شيء على شيء، ويُجْمَعُ زبلٌ إلى غيره، أو إلى تُربةٍ من التُّراب الموافق له.

وأكثَرُ الأزبال المُفْرَدَة النّافعة[3] للأرضين الفاسدة الخارجة عن الطِّيب والعذوبة هو أخْثَاء البَقَر، ويتلوه في الجودة لذلك بَعَر الغِزْلان[4]، ورَوْث الحمير البريَّة، وبَعَر المَعَز من الغَنَم التي يتّخِذُها الناس، وبَعَر الغَنَم الضَّأن[5]، وأرواث الجواميس، والخيل والحمير الأهلية، وذَرْق الحَمَام[6] فإنَّه عندنا أفضل الأزبال كلّها.

---

(١) أكثر الأزبال المفردة منفعة للأرضين الفاسدة، الخارجة عن الطيب والعذوبة هو أخثاء البقر (الفلاحة النبطية، ص٣٦١).

(٢) الفلاحة النبطية، ص٣٦١.

(٣) الفلاحة النبطية: منفعة.

(٤) الفلاحة النبطية: زبل الغزلان.

(٥) الفلاحة النبطية: وزبل الخنازير والغنم الضأن.

(٦) الفلاحة النبطية: وخرء الحمام.

وأمّا ذَرْقُ غيرها من الطيور الأجَامِيَّة[1] فإنَّه أنْقَصُ فِعْلاً إلاّ أنّه إذا خُلِطت بغيرها صَلُحت.

ثم خُرْءُ النّاس؛ فإنَّه أعْدَلُ من ذَرْق الحَمَام والطيور، وأكثر إسْخَاناً؛ لأنّه ألطَفُ الأزْبَال كلّها، فهو يُسَخِّن الأرضَ بجودةِ اختلاطه بها، ويدفعُ عنها خَشَاشَها[2] وغلَظ بَرْدها، ويُبْسها، وفيه منافع كثيرة للنَّخْل والشجر والكُرُوم، وأكثر النبات الصغير، فإنه يُنْشِئُهُ ويَحْفَظُهُ من الآفات -بمشيئة الله تعالى-.

وخُرْءُ النّاس[3] العتيق الأسْوَد المختلط بسحيق[4] التُّراب من أكثر الأزبال مَنْفَعَة لبعض الأشياء، وغيرُهُ أنفعُ منه لبعض الأشياء، وأنا أشرح ذلك كلّه وأفصِّلُهُ (إن شاء الله تعالى).

فهذه هي الأزبال المُفْرَدَة.

---

(١) باريس ومدريد: الأجانبة (تصحيف) وهي آجامية؛ أي تعيش في الأجمات والغابات.

(٢) الفلاحة النبطية (ص٣٦١): خشاها.

باريس ومدريد: جشاها.

والصواب خشاشها: وهي صغار الهوام والدود والفراش وغير ذلك.

(٣) الفلاحة النبطية: ص٣٦٣.

(٤) باريس ومدريد: بسحق.

وبَعْدَهَا الأَتْبانِ المفردة[1] أيضاً من عيدان بعض النبات، وأوراقها وأُصُولها وثمارها، مُجَفَّفة مَسْحُوقة.

فأوّلها، وأعْظَمها منفعة: تِبن الباقِلّي، ثم تبن الشّعير والحِنْطة والقَرْع، والعُلّيق، والخُبّازَى[2]، والوَرْد، والخِيْريّ[3]، والبَنَفْسَج، والنِّيْلُوفَر[4]، والخِطْمِيّ[5]، وورق السَّلْجَم[6]، والجزَر، والخَسّ، وعيدان التِّين وورقه، وما أخْضَرَّ من شجره[7]، وسَعَف النَّخْل، وخُوْصه، وما لَطُف[8] من حَمْلِهِ المُسَمَّى "بَلَحاً". ويتلو الأزبَال والأتبان[9]: الأَرْمِدة، فإنّ جميع ما ذكرنا أن يؤخَذَ تِبْنُهُ إن أُحْرِقَ بعد تَجْفيفه، وجُمع رمادُهُ، كان ذلكَ الرَّمادُ نافعاً في إصلاح المنابت والأرضين.

---

(١) الفلاحة النبطية: ص٣٦٣.

(٢) الخبازى والخباز: البقلة اليهودية، أو الخطمي البستاني.

(٣) الخيري: هو ورد النهار أو المنثور.

(٤) النيلوفر (فارسية) زهر العروس، منه أبيض وأزرق، ويسمى أيضاً: اللوطس.

(٥) الخطمي: هو الغسل أو الخبازى، وقد يسمى: العضرس.

(٦) السلجم: اللفت.

(٧) الفلاحة النبطية: من ثمرته.

(٨) باريس ومدريد: وما ألطف.

(٩) الفلاحة النبطية، ص٣٦٤-٣٩١.

ويستعملُ رمادُ كلِّ شجرة في إصلاح مثل تلك الشجرة، وكذلك الكُرُوم والنَّخْل، والحُبوب والبُقول، وجميع النبات جملةً: صغيره وكبيره[1]، فإنَّ ذلك يَنْفَعُهُ ويُقوِّيه. وهذا أصْلُ وعمودُ هذا الباب وجملته.

قال قُوثامي[2]: الأصْلُ في إفلاح المنابت كلّها؛ شجرها ولطيف نباتها، أن يُخْلَطَ شيءٌ منها بالأزبال التي تناسب[3] تلك الشجرة، وذلك النبات.

وقال أيضاً: إنْ أُحْرِق نوى الأشجار، وأغْصَان ما لا نَوَى له منها، وأغصان من سائر النبات، وزُبِّل برماد كلِّ نوع منها مع زِبْل ذلك النوع، كان ذلك صالحاً مُنْجِباً جيداً لذلك الذي زُبِّل به. وكذلك تعالَجَ المنابتُ والأشجارُ بأرمدة[4] من أجزائها مع الزِّبل، مثال ذلك أنْ تعالَجَ

---

(١) باريس ومدريد: صغيرة وكبيرة.

(٢) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٦٣، وقال: إن أزبال جميع الحيوان نافعة للمنابت، وكذلك أتبان جميع المنابت وأرمدها نافع مستعمل.

(٣) باريس ومدريد: التي تزبل. قال قوثامي (ص٣٦٨)، الأشجار الخشنة الغليظة موافقة الأرض الخشنة الغليظة كالصلبة والبيضاء الجصية، فهي تقوى في هذه الأرض ولا تحتاج إلى تعاهد وإفلاح.

وقال (ص٣٧٥): يخلط رماد الشجرة بالزبل لتلك الشجرة ورماد البقول والحبوب، وكل شيء من النبات جملة، لكل واحد من النبات رماده؛ فإن هذا أفضل التزبيل.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٣٦٣.

الكُرُوم برماد قُضْبانها، وورقها، وعَجَم ثَمَرها، وكذلك سائر الأشجار والمنابت، وإن لم تكن مُحَرَّقَةً فَمُعَفَّنة، تُعَفَّن مع الزِّبل الذي يصلح لذلك، وتُزَبَّل به.

قال قوثامي[1]: وأقولُ ها هنا قولاً كليّاً[2]: إنَّ أزبال جميع الحيوان نافعٌ مستعمل، وكذلك أرْمِدَة جميع النبات نافعة مستعملة، لكنّ الذي سَمَّيْنا من هذه الأصول الثلاثة "المُفْرَدَات"[3] أبلغ من غيرها، وغيرها إذا خُلِط بتلك المسماة [المفردة][4] جوَّدَهُ وأصْلحه.

قال صغريث[5]: أفضَلُ الزُّبول كلِّها على العُمُوم ذَرْق الحَمَام، وذَرْق جميع الطيور، إلاّ طائر الماء والبَطّ، فإنَّ أكثر إقليم بابل يخلطون ذَرْق الحمام والوَرَاشين، والفَوَاخِت بحَبِّ الحِنْطَة والشعير، والذُّرة، والدُّخْن[6]، والعَدَس واللُّوبيا، ويَبْذُرُونَها مع البِذْر [عندما] يريدون سرعة

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣٦٣.

(٢) الفلاحة النبطية: كلياً مجملاً.

(٣) الأصول الثلاثة هي: الأزبال المفردة، والأتبان المفردة، والأرمدة المفردة.

(٤) هذه الكلمة سقطت من الفلاحة النبطية.

(٥) قول صغريث حرفاً فحرفاً في الفلاحة النبطية، ص٣٧٣-٣٧٤، وهو أول من صنع كتاب (الفلاحة النبطية) باللغة السريانية.

(٦) الدخن: الذرة الحمراء.

نُشُئِهِ وثَمَره، وخاصّة إن كانت تلك الأرض رقيقة وضعيفة، وعَرِقَة ونَزَّة، فإن هذا النبات يعلو نَشْؤُه[1].

وقد يَفْعَلُ ذَرْقُ الطيور في الشَّجر المُثْمر شبيهاً بهذا الفعل. واعلموا[2] أنَّ خُرْءَ الناس يتلو ذَرْق الطُّيور في الجُودة والإِسْخان[3] للأرض والمنابت كلّها، وفيه خاصيَّةٌ في إِفْسَادِ نبات الثِّيل[4] والشَّوْك وغيرهما من الحشيش المُعَادي للحُبُوب المُقْتَاتة، وغيرها من جميع المنابت.

وقد وصف ينبوشاد[5] كيف نَعْمَلُ بخُرْءِ الناس قبل الاستعمال له، فقال: ينبغي أن يُجَفَّفَ من رطوبته الأُولى حتى يَكْمَلَ[6] ويَسْوَدَّ، ثم يُجْعَلَ في الحَفَائِر التي يأتي ذكرها، ويُرَشُّ عليه الماء العَذْب، ويُحَرَّك تحريكاً كثيراً، ويُخَلَّط حتى يَخْتَلِطَ، ويُجَفَّفُ حتى يجفَّ جفافاً جيداً، ثم يُخْلَط به رماد أغْصَان الكُرُوم[7]، وتُزَبَّل به الكُرُوم، فهذا أوفق شيء لها، وإنْ زُبِّل

(١) الفلاحة النبطية: فإن زبل الطائر يقويها، ويعين النبات على النشوء.

(٢) هذا قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٤٧.

(٣) باريس ومدريد: الامتحان (تصحيف).

(٤) باريس ومدريد: النبل، والصواب الثيل؛ وهو النجيل.

(٥) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٦) الفلاحة النبطية: حتى يتم جفافه.

(٧) الفلاحة النبطية: رماد سعف الكروم.

به غير الكُرُوم من الشجر والبُقُول والنبات، فليُخْلط بالجزء المذكور رماد ذلك الذي يراد أن يُزبَّل به.

وقال[1]: فإن هذا أفضل التَّزْبيل، وإنْ تأذَّى الأَكَرَةُ[2] برائحته، فلتُكْسَر رائحتُهُ بأنْ يُخْلَطَ بتراب أرضٍ حمراء التُّربة، حُرَّة طيبة الرِّيح، مخلوطة بأَزْبال الطُّيور، ويُخْلَط ذلك بخُرْء الناس خَلْطاً جيِّداً، فإنَّه يزيلُ رائحته المُنْتِنة، بعد أن يمكثَ جافّاً أياماً كثيرة.

وسِرْجين الحمير[3] تالٍ[4] لهذه بالجودة والإصلاح للشجر والمنابت، إلا أنَّه غير موافقٍ للكروم، ولا لشجر الزيتون، فينبغي أن يُتَجَنَّب استعماله فيهما؛ فإنه يُحْدِثُ بأُصولهما إذا أُلْقِيَ تحتهما بعد يومين أو أيّام ثلاثة منابت رديئة جدّاً، ويَضُرُّ ذلك بهما ضَرَراً عظيماً.

وليُخْلط سِرْجين الحمير بغيره إن احْتِيْجَ إلى استعماله فيهما بمثل: خُرْء الناس والطائر والتُّراب وسائر الأزبال.

---

(١) القول لينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٧٥.

(٢) الأكار: الحراث، والجمع أكرة. والفعل: أكر الأرض يأكرها أكراً: حرثها وزرعها.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٧٥.

(٤) الفلاحة النبطية: ثالث (تصحيف).

ويتلوه بَعَر الضَّأن[1]، وتَختَصُّ منفعته بالغروس الحديثة من الشَّجَر، وغيره من الرَّياحين والبقول التي تُحَوَّل من موضع إلى موضع.

واعلموا أن بَعَر الضَّأن[2] أدسم الأزْبَال كلّها، فلذلك هو أصلحُهَا للأرض المالحة والمُرَّة، والحَادَّة[3]، والحامِضَة[4]، وللمنابت النابتة في هذه الأرضين. ويتلوهُ روث الخيل والبِغَال.

وقد فَضَّلَ قومٌ[5] أخثاء البَقَر على البَعَر من المَعَز والضَّأن، وجَعَلُوهُ تالياً[6] لزبل الحمير.

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٧٥: بعر الضأن والمعز.

(٢) انظر في بعر الضأن: ابن بصّال، ص٥٠، ومفتاح الراحة، ص١١٣.

قال قوثامي (ص١١٢٥): الزبل الدسم هو المركب من أخثاء البقر وأتبان الحبوب وأوراق المنابت الباردة الرطبة، والأشياء اللعابية من المنابت.

والزبل الحاد النافذ: هو أزبال الناس، وخرء الحمام، فهو أحد ما زبل به وأشد إسخاناً ونفوذاً. ويرى صغريث أن الدسمة والحلوة شيء واحد.

(٣) باريس ومدريد: الحارة.

(٤) قال يونيوس: تزبل به الأرض اللينة؛ لأنه ألين من غيره.

(٥) الذي قدم زبل الخيل والبغال والحمير على زبل الضأن (ابن بصّال)، قال: هو دون ما تقدم من الزبول لأنه يكثر به العشب في الأرض إذا استعمل قبل التعفين. الفلاحة لابن بصّال، ص٥٠، ومفتاح الراحة، ص١١٣.

(٦) باريس ومدريد: تالٍ (خطأ نحوي).

وأمّا زِبْل الخنازير[1] فَجُرِّبَ فوُجِدَ شديد الإحْرَاق لأصول الشجر العُظَام، والنَّخْل، والنبات كلّه، فهو على هذا لا خير فيه.

قال ينبوشاد[2]: إنّ أفْضَلَ السِّرْجين كلّه ذَرْق الحَمَام.

ويتلوه[3] ذَرْق سائر الطَّير، إلاّ طَيْرَ الماء.

ثم يتلوه، وهو الثالث خُرْء الناس.

والرَّابع: بَعَر المَعَز.

والخامس: بَعَر الضَّأن.

والسادس: روث الحمير.

والسابع: أخْثَاء البَقَر. والثامن: أرواث الخيل والبغال.

ثم يتساوى ويتقارب ما بقي، حتى يَشْكُل أمره، ولا يتبيَّن فيه تَفَاضُلٌ.

---

(١) قال ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ص٣٧٥): التالي لزبل الخيل والبغال: زبل الخنازير، وقد زعم طماثرى الكنعاني العالم أن زبل الخنازير موازٍ لزبل الحمام والطير.

قال قوثامي: والذي جرّبناه أن زبل الخنازير شديد الإحراق لأصول الشجر والنخل والنبات كله، ولا خير في استعماله.

وقال قسطوس: ثلط الخنزير رديء يحرق ما يسمد به (الفلاحة الرومية، ص١٣٨).

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية، ص٣٧٥.

(٣) الفلاحة النبطية: يتلوه خرء الناس ثم سائر الطيور.

قال قوثامي[1]: وتُرَكَّب هذه الأزبال مع الأتبان والأرْمدة [حتى] تَعْفَن، وحتى تصير كالأدوية المركّبة التي يتعالَجُ بها الناس، ويعالَجُ بهذه الشَّجَر، والنَّخْل والكُرُوم، وجميع المنابت، من جميع الآفات والعاهات.

وقد يعالَجُ بعض أدواء النبات[2] بالدِّماء والأبْوَال؛ لأنّ للدماء قُوَّةً[3] عجيبة في إنعاش[4] بعض الشجر والنبات.

* * *

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) الفلاحة النبطية، ص٣٦٤، وص٣٧٧.

(٣) باريس ومدريد: قوى (وهذا صحيح).

(٤) الفلاحة النبطية: نعش.

[الـ]... فصل [الثاني]

[في كيفية عمل الأزبال]

وأمّا كيفيَّة عَمَل الأزبال،

قال قوثامي في الفلاحة النبطية[١]: من أراد أن يَعْمَـلَ الأزبـال النافعة للشجر والنبات على العُمُوم[٢] في الأرض الموافقة لـه، والأزبـال المُسْتعملة لدَفْع عَاهَات النبات وغيره؛ فيَحْفِر في الأرض حَفَـائر طُـوَالاً عميقة، كهيئة السَّوَاقي والأحواض، وكُلَّما كانت أوسع وأَعْمَق كانـت أجْوَد، ثم يُلْقَى فيها من الأَزْبال كافَّة مع خُرْء النـاس، وذَرْق الحَمَـام، وغيرها من الطَّيْر[٣]، إلاّ طَيْر الماء، والبَطّ، فلا يستعمل ألبَتَّة.

فإذا أُلقيت الأزبالُ في تلك الحَفَائر، فَلْتُخْلَط جيِّداً، ويُضَاف إليها شيء من وَرَق القَنَّبيط، ووَرَق الكَرْم، ويضاف إليها حَمْأَة[٤] سَوْداء من بعض الأنهار والآبار[٥] رَطْبَة ويُخْلَطُ الجميع، ويُقَلَّب بالخُـشُب الطِّـوال

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٤.

(٢) الفلاحة النبطية: لدفع الآفات في الأرض.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: الطائر.

(٤) الحمأة: الطين الأسود.

(٥) الفلاحة النبطية: من بعض الأنهار رطبة (بإسقاط الآبار).

حتى تختلطَ، ويُرَشّ عليها شيء مِنْ دُرْدِيّ الخَمْر[١]، وأبْوَال النَّاس[٢]، فهو أجْوَدُ الأزبال للكُرُوم خاصَّة.

ويقلَّبُ كلّ يوم أو ثلاثة أيّام تقليباً جيداً، حتى تفوحَ منه رائحة مُنْتِنَة، فإذا نَتَنَ واسْوَدَّ فلْيُضَاف إليه رمادُ أغْصَان الكَرْم المُحَرَّقة مع ورقه، ويُخْلَط جيِّداً.

وكُلّما زدْتَ من هذا الرَّماد كانَ أجْوَد.

ويُقَلَّب في كل يوم كما وَصَفْنا دائماً، وإذا اختلَطَ الجميع تُرِكَ في موضعه، ويُبَالُ عليه كلّ يوم، ولا يُقْطَع البَوْل عنه، حتّى إذا انتهى إلى شِدَّة نَتْنِ الرِّيح والسَّوَاد، ولم يتميّز للناظر شيءٌ مّما خُلط به متفرِّداً [فقد بَلَغ وجاد اختلاطه، فلْيُخرَج بعضُهُ من تلك الحفائر][٣] فَيُبْسَط على الأرض ليضربَهُ الهواءُ، ويُبْسَط باقيه في حفائره ليجفَّ أيضاً، فإذا جَفَّ[٤] فقد بَلَغ، فهذا زِبْلٌ تُزَبَّلُ به الكُرُوْم السليمة من الآفات، فإنه يُنْعِشُها ويُقَوِّيها، ويدفع عنها أكثر الآفات بمشيئة الله (تعالى).

---

(١) الدردي: ما رسب أسفل مائع الأشربة، من مثل: دردي الزيت والخمر وعصير الفاكهة.

(٢) الفلاحة النبطية: ويطلب رب الضيعة من الأكرة أن يبولوا على الخليط.

(٣) هذه الزيادة من الفلاحة النبطية، وقد سقطت من النسخ الخطية.

(٤) الفلاحة النبطية: جف أو قب.

وأمّا سِرْجين الشَّجَر المُثْمِر[١]، مثل: الرُّمَّان، والسَّفَرْجَل، والتُّفَّاح، والكُمَّثرى، والزُّعْرُور، والخَوْخ، والمُشْمُش، والعُنَّاب، والسِّبِسْتَان[٢]، وما أشْبَه ذلك مِمّا ثَمَرَتها باردة، فيُؤْخَذُ [لها] من حَمْأَة الدَّبَّاغين ذلك القَدْر المجتمع من دِبَاغهم، فيُلْقَى عليه من طين المَرِيْس[٣]؛ الذي يكون تحته، وتخلطُهما جميعاً [خلطاً] جيِّداً، ثم تَخْلِطُ معهما شيئاً صالحاً من ذَرْق الحمام، والوَرَاشين[٤]، وزبل الخُفَّاش[٥]، ويُخْلَط هذا بالخُشُب الطُّوال، أو بمجارف الخَشَب، حتى يختلطَ جيِّداً، ويُصَبّ عليه إمّا بَوْل الجِمَال أو بول الناس، ويُقَلَّب حتّى يَسْوَدَّ ويَعْفَن، ثم يُخْلَط به من خُرْء الناس العتيق الأسْوَد مِقداراً كثيراً، ويُخْلَط الجميع بالمَجارِف[٦]، ويُبَال عليه كلَّ يوم، حتّى يزيدَ عَفَنُهُ، ويَنْتَن ريحُهُ. وبَوْل الجِمَال لهذا أنفعُ من بول الناس، فإن

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٧.

(٢) السبستان: هو نبق مخيط أو زيتون الكلب. وقد يسمى أطباء الكلبة أو حب العروس.

(٣) الطين المريس: الملطخ بالأزبال والأملس، وأصل المريس: ما مرسته في الماء من تمر أو ثريد أو غيرهما. وقد سبق الإشارة إلى التربة الحمراء، ومن أصنافها "الريسن" وهي حمراء علكة قد يخالطها رمل، وقد لا يخالطها. أما الأرسان؛ فهي الأرض الحزنة.
الفلاحة النبطية: طين الدبس. باريس: المدبس، مدريد: المديس.

(٤) الورشان: طائر يشبه الحمامة، والجمع ورشان، ووراشين.

(٥) زبل الخفاش يسمى (الشيزوق). الفلاحة النبطية، ص٣٦٧.

(٦) الفلاحة النبطية: المحاذف.

لم يَحْضُرْكَ بول الناس، فتزيدُهُ من زِبْل الخُفَّاش[١]، وضُمّ إليه من أصول الفِجْل وورقه، فإنّه يُعْفِن جميع ما يُخالِطُهُ بسرعة، ويَنْتن ريحُهُ أيضاً، ثم بعد عَفَنِهِ يُحرَّك دائماً ويبسَط على الأرض، حتّى يجِفَّ، ويبقى فيه أدنى نَدَاوَة، ثم تُطْمَرُ به أصول تلك الأشجار، وما كان نَحْوَها، فإنه يُصْلِحُها ويُنْعِشُهَا.

وأمّا سرجين أُصُول المَوْز والبِطِّيخ المُدَوَّر الهِنْديّ[٢]، وغيره من أنواع البِطِّيخ المُدَوَّر؛ فإنَّ سِرْجينه الموافق له[٣]: سرجين البَقَر، وسِرْجين الحمير، يُخْلَطَان[٤] جميعاً، ثم تُؤخذ أصُول الشَّوك[٥] الذي يَنْبُتُ في الأرض الخالية من الإفلاح وفروعه أيضاً، فيُحْرَق ذلك[٦] الشَّوْك، ويُخْلَط رماد هذين بذلك، ويُجَوَّد خَلْطُهما، ويُصَبُّ عليهما من دُرْدِيّ النبيذ[٧]،

(١) الفلاحة النبطية: تزيده من الشيزوق (وهو زبل الخفاش). باريس ومدريد: تزيده من بول الخفاش (سهو).

(٢) أنواع البطيخ: الهندي والسندي، والشامي والعقابي، والدمسي وهو الملون، والأرميني والدلاع (الفلسطيني). انظر: عمدة الطبيب، ص١٠١-١٠٢.

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٦٨.

(٤) الفلاحة النبطية: يخلطا.

(٥) الفلاحة النبطية: أصول الحشيش.

(٦) الفلاحة النبطية: يحرق مع الشوك.

(٧) الدردي: ما رسب في أسفل الآنية من الزيت والنبيذ وغيرهما.

ويُقَلَّب حتى تختلطَ رُطُوبتهما التي فيهما، ثم يُتْرَك حتى يَتَعَفَّن ويَسْوَدّ، ثم يَخْلَط به مثله من تراب سَحِيقٍ من أرض بعيدة من أرضها، أو من الغُبَار المرتفع من كل [شيء] مُغَبَّر، ويُخْلَط الجميع بالمجارف، ثم يُلْقَى في أُصُول المَوْز والبِطِّيخ، فإنّه يُصْلِحُهما ويُقَوِّيهما.

وأمّا صِفَة عَمَل سِرْجين شجر التِّين[١] والأُتْرُجّ، واللَّوْز، والفُسْتُق، والجَوْز، واللَّوْز المُرّ، وما أشْبَهها مِمّا ثَمَرته حارّة[٢]، فيؤخذ لذلك سِرْجين البَقَر، وما يبقى من الحنطة والشعير بعد الحَصَاد، وحشيش الحِنْطة والشعير، وقَصَب[٣] الشَّيْلَم[٤]، وما صَغُر من القَصَب، فتجمع هذه وتُتْرَك في البيوت التي يَأْوي[٥] إليها البَقَر، ويُفْرَش فيها فَرْشاً حتى تَدْرُسَها البَقَر، وتبولَ عليها وتَرُوث فيها، وتَطْحَنها بأرجلها، حتى تصير كالمخ وتَخْتَلِط بأختاثها، ولا بدَّ أن تَعْفَنَ عَفَناً بليغاً سريعاً، فإذا كانَ ذلك، واسودَّت فقد بَلَغَتْ، [فَتُجْمَع][٦] بمَجَارف الحديد والخُشُب القويَّة، ويُخْلَط بها

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٨.

(٢) المتحف وباريس: حادة.

(٣) الفلاحة النبطية: فضيل.

(٤) الشيلم والشولم: البهمى والمسمى عندنا الزوان.

(٥) الفلاحة النبطية وباريس ومدريد: تأويها.

(٦) الزيادة من النبطية.

تُرابٌ[١] أحمرُ طيِّبُ الرِّيح، ويُخْلَطُ الجميع، ويُنْشَرُ[٢] حتى يجفَّ، ويبقى فيه أدنى نَداوة، ثمّ يُزبَّل به ما ذكرنا وشبهه.

وأمّا صِفَة عَمَل السِّرجين العَامِّ المَنْفَعَة[٣] لكلِّ نباتٍ جملة، صغيرِهِ وكبيرِهِ؛ فهو أنْ يؤخذ عيدان نبات الحنطة مع أُصولها بعد الحَصَاد، ومن الشعير مثل ذلك، والشَّوْك[٤] والعَوْسَج، وخشب شجر التين وورقه، فَتُحْرَق هذه، ويُجْمَع رمادُها، ويُضَاف إليه مثله من أَخْثَاء البَقَر، وجزء من ذَرْق الحمام، ومن تِبْن الباقِلّي والحنطة والشعير، وعيدان القَرْع على وجهها[٥] غير محترقة، وورق الكَرْم وشيء من عيدانه، وأصوله، وشيء من الطُّحْلُب المجموع من الأنهار، وحَافات الآجام، والسَّوَاقي، وصغار القصب المقتلع بأصوله، فتجمع هذه في الخَنَادِق[٦] التي وَصَفْنا، ويُعْمَل لها مَجَاري منصوبةً من الطُّرُق لتجري إليها مياه الأمطار، فتقف فيها، وتُعفِّنها؛ فإذا كان كذلك فَلْيُبَلْ عليها الأَكَرَة.

(١) الفلاحة النبطية تراب حر أحمر...

(٢) الفلاحة النبطية: ويشرد (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية، ص٣٦٨.

(٤) الفلاحة النبطية: والباقلي والشوك.

(٥) الفلاحة النبطية: على جهتها غير محرقة.

(٦) المتحف وباريس: الحفور.

واعلموا[١] أنّ مياه الأمطار تغسلُ من الطُّرُق أَزْبَالاً وحَمْأَةً[٢] وطيناً، وجَوَاهرَ أرضيَّةً لطيفةً وغليظةً؛ فإذا وَقَعَتْ على ذلك الزِّبل بقيتْ فيه، فإذا نَضَبَ الماء وشربته الأرض، وقُلِبَ ما في تلك الخَنَادق، ثم ضُرِب بالخُشُب حتى يدخُلَ بعضه في بعض، ويَعْفَنَ عَفَناً بليغاً جيّداً، فإذا اسْوَدَّ، وفَاحَ منه ريحُ العَفن، فليُحَرَّك بالمجارفِ حركة دائمة، ويقلَّب تقليباً كثيراً، حتى يجود اختلاطه، ويصير كالمُخّ، فهذا سِرجينٌ نافعٌ لجميع الشجر والمنابت، ويُزَبَّل به كلّ شيء[٣] إلاّ البِطِّيخ والمَوْز فقط.

وأمّا الخِيَار[٤] والقِثّاء، والقَرْع، واللِّفْت، والجَزَر، والكُرَّاث الشَّامي، وغير هذه مما يشبهها من المَكْنُونة[٥] تحت الأرض كالعُرُوق، فإنّ هذا الزِّبل يوافقها إذا خُلِطَ بخُرْء الناس العتيق.

وأمّا الخيار والقثاء فزبلهما أَخْثَاء البَقَر[٦]، وروث الحمير، وخُرْء الناس [العتيق] مُخَلَّطَة[٧] بمثلها من تراب طَيِّبٍ.

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٩.

(٢) مدريد: حماتاً (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية: مثل الحبوب والبقول.

(٤) الفلاحة النبطية، ص٣٦٩.

(٥) المتحف وباريس ومدريد: المتكونة.

(٦) الفلاحة النبطية: وورق الجميز.

(٧) الفلاحة النبطية: مخلوطة.

وأمّا الباذنجان[١]، والقنّبيط، والكُرُنْب، والفِجْل، والبَصَل، والثّوْم، والرَّاسَن[٢]، وما أشبه هذه، فينبغي أن تُزَبّل بخُرْء الناس مختلطاً بسِرْجين الحمير وأيّ رَمَاد كان، أجْوَدها أرْمِدَة الغَرَب[٣]، ويُضَاف إليها من ورق الشّاه بَلُّوط قُضْبانها وأصْلها، ويُجْعَلُ ذلك في الخَنَادق المذكورة، ويُصَبُّ عليها الماء العَذْب، يُرَشُّ به رَشّاً حتى تَعْفَنَ جيّداً، وتُقَلّب، وتُخْرَج بعد عَفَنها من الخَنَادق، وتُنْشَر حتى تَيْبَسَ جيداً، وتصير مثل الذَّرُور، ثم زَبّلوا بها ما ذكرنا فإنها تَنْعَش بها وتَفْلَحُ[٤].

وأمّا صفة عَمَل زِبْل البقول الصِّغار[٥]، مثل: النَّعْنَع، والهِنْدَبا[٦]، والطَّرْخُون[٧]، والسِّلْق، والكُرَّاث النَّبطي، والجِرْجِير[٨]، والحُرْف[٩]،

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٦٩.

(٢) الرَّاسَن: الزنجبيل الشامي، أو ما يسمى بالقسط.

(٣) الغرب: هو الصفصاف. باريس ومدريد: العرب.

(٤) الفلاحة النبطية: تعيش بها وتصلح (تصحيف).

(٥) الفلاحة النبطية، ص٣٧٠.

(٦) هندباء وهندبا: نوع من البقول يسمى العلث.

(٧) الطرخون: هو الحوذان.

(٨) هو جرجير، وجرجار وجرجر: ويسمى بقلة عائشة (نبت مشهور).

(٩) الحرف: حب الرشاد (عمدة الطبيب، ص٩١).

والبَادَرُوْج[١]، والبَقْلة اللّيِّنة[٢]، والكَرَفْس، وما أشبه هذه، فينبغي أن يؤخذ من خُرْء الناس، وذَرْق الحمام، وروث الحمير، وأخْثَاء البقر، وليكن خُرْء الناس الغالب عليها، وجُزْؤُه أكثر من أجزائها، ويُضَاف إليها مثلها من تراب طَيِّب سحيق، وتراب مجموع من المَزابل وما أشبهها، فتُجمَع هذه في الخَنَادق المذكورة، ويُصَبُّ عليها الدَّم، أيّ دمٍ كانَ، وأفضَلُها دَمُ الناس، ودَمُ الجِمَال، ودم الضَّأن، ويُرَشّ عليها الماء العَذْب، ويُخْلَط، ويُقَلَّب جيّداً حتى يَختَلِط، وإن سيق إليها ماءُ المطر عَفَّنَها وأحْمَأَها[٣]، وجَوَّد خَلْطَها بعضها ببعض، وليُكْثِر من تقليبها حتى تَعْفَن وتَسْوَدّ، فإذا صارت حَمْأَة فلتُجفَّف، وتُخْلَط بعد جفافها بترابٍ سحيق، ويُجمع إليها أيّ تراب وغبارٍ كانَ، وتُزَبّل به البُقول على ما ذكرنا، ويُجْعَل منه في أصُولها، فإنه يُنْعِشُها ويُنْبِتُها[٤].

وأمّا الخَسُّ[٥] فإنَّ زبلَهُ النَّافع له خُرْء النّاس وذَرْق الحمام، وزِبْل

(١) البادروج (فارسية): الريحان الملك المسمى شاهسفرم أو الحبق الكرماني؛ أو الحبق الصعتري.

(٢) البقلة اللينة هي البقلة الحمقاء وتسمى الرجلة، والبقلة المطلقة لأنها تنبت على جوانب الطرق.

(٣) المتحف وباريس: وأحياها.

(٤) الفلاحة النبطية: فإنه يعيشها (تصحيف) وينميها.

(٥) الفلاحة النبطية، ص٣٧٠.

الدّجاج، وورق الخَسّ، وشيء من زبل الخُفّاش[1]، ورماد الطّرْفاء[2] والأثْل وما أشبهها، يُخلَط بعض هذه ببعض، ويكون خُرْءُ[3] الناس نِصْفَها، والنصْفُ الآخرُ من هذه التي عَدَدْنا، وليُحْزَر ذلك حَزْراً على التقدير، لا على التّحقيق[4]، ويُجْعَلُ في الخَنَادق المذكورة، ويُصَبُّ عليها من الدَّم، أي دَمٍ كان، ويُصَبُّ[5] عليها ماء المَطَر، وتُترك حتى تَعْفَن وتَسْوَدّ وتَنْتن ثم تُخرَج من الخَنَادق وتُجَفَّف جفافاً[6] جيّداً، ثم تُستَعْمَلُ للخَسّ من وضعها في أصُوله، وتُغَبّر فروعه بذلك جميعاً كما نَصِفُهُ إن شاء الله (تعالى).

وهذه الصِّفَات في تَعْفِين الزُّبُول كافية –إن شاء الله– في هذا المَعْنَى، وما هو في التَّعْفين لها بمنزلة الخَمِير في العَجين[7].

(١) الفلاحة النبطية: الشيزوق (زبل الخفاش).

(٢) الطرفاء: هو العفص والعبل، وقيل: هو الأثل شجر يشبه الصفصاف ينبت في الرمل.

(٣) الفلاحة النبطية: كبان الناس؟؟ (تصحيف).

(٤) الفلاحة النبطية: وليحزر ذلك حزراً على التقريب لا على التحديد.

(٥) الفلاحة النبطية: ويصوّب.

(٦) باريس ومدريد: جفاً (تصحيف).

(٧) الفلاحة النبطية: ص٣٧٦.

والشّيْزُوق (وهو خُرْء الخُفّاشِ) وأبوال الناس، ودماؤهم، هذا هو في الأزْبَال بمنزلة الخَمير في العجين؛ يُصْلِحُها ويُقَوِّي[1] سُخُونتها، ويُعَفِّنها، ويُجَوِّد اختلاطها، ويزيدُ في إسْخَانها[2].

* * *

(١) الفلاحة النبطية: يقوم.

(٢) النص السابق كله في الفلاحة النبطية، ص٣٧٦.

[الـ]... فصل [الثالث]

[أجود السِّرجين]

ومن "**الفلاحة النبطية**"[١]: أجْوَدُ السِّرجين والأزْبَال ما أَتَتْ عليه بعد عَفَنه سَنَتان، فإنْ أتَتْ عليه ثَلاثُ سنين فهو أجْوَد، وإنْ أتت عليه أربعُ سنين، وزالت عنه جميع الرَّوائح المُنْتِنَة، وصَارَ لا رِيْحَ له، فهو أصْلَح من هذه الأزْبال كلّها التي هي قريبة العَهْد[٢].

قال قوثامي[٣]: والذي أوصيكُم به أن لا تستعملوا الزِّبل من جميع أنواعه من أوَّل سَنَة، حتى يَختَلِطَ ويَعْفَن، فإنّه إن استُعْمل قبلَ سنةٍ ماضية عليه كان ضارّاً، وهو بعد مِضِيّ سنة ليس بالكامل الجُودة، والذي عَتُق ثلاث سنين أو أربع سنين هو أفْضَلُ.

ولا يُستَعْمل ما قد أتى عليه أكثر من أربع سنين؛ لأنَّه لا عَمَل له؛ لأنَّ قوّته قد انقطعَتْ، والذي يُستَعْمَلُ قبلَ تمام سنة فَضَرَرُهُ أنّه يولِّد هَوَامّاً[٤] رديئة، وديداناً صغاراً وكباراً[٥]، وربَّما إذا زُبِّل به نباتٌ، وسُقِي

---

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٩.

(٢) الفلاحة النبطية: قريبة العفن.

(٣) قوله في الفلاحة النبطية: ٣٧٦.

(٤) باريس ومدريد: حيوانات رديئة.

(٥) الفلاحة النبطية: قريباً من الحيات.

ماءً كثيراً، وكانت الأرضُ نَزَّةً أو عَرِقَةً تآكَلَتْ أصُول النبات[1]؛ فينبغي أن لا يُسْتَعْمَل[2] إلاّ بعد شهر أو شهرين من انْسِلاخ السَّنَة الأولى، وأمّا الزِّبل الذي قد بَلَغَ خَمْسَ سنين، أو جاوَزَها فلا يَصْلُحُ لشيء، بل هو يَقُومُ مقام الأَتربة المختلطة بالأَزْبال المأخوذة من الأراضي الغريبة بل هو أفضَلُ منها.

والزِّبل[3] [الذي تجاوَزَ] سَبْعَ سنين[4] يصير تراباً مَحْضاً، حُكْمُهُ حكْمُ التراب الصالح المحمود. هذا إن كانت الأزبال تحت السَّماء [بحيث تضربه الرياح، وتطلع عليه الشمس، وتجيء عليه فأما إذا كان موقى، مصوناً في بيت][5] تحت سُقُف فإنّه يَعْمَلُ عَمَلَ الأزبال، ويَجُودُ إلى سَبْع سنين، ولا يصيْرُ هذا تُرَاباً إلى بَعْدَ عشر سنين إلى اثنتي عشرة[6].

* * *

(١) الفلاحة النبطية: فإنه يأكل أصول النبات.

(٢) الفلاحة النبطية: لا يستعمل إلا في السنة الثانية وبعد مضي شهر أو شهرين من انسلاخ سنته الأولى.

(٣) الفلاحة النبطية: ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) الفلاحة النبطية: بعد الخمس سنين وإلى سبع سنين، فإذا جاوزها فقد صار تراباً محضاً...

(٥) هذا النص سقط من النسخ الخطية، وهو ضروري لسلامة السياق.

(٦) الفلاحة النبطية: الثانية عشر؟؟

[الـ]... فصل [الرابع]

[كيفية استعمال الأزبال في الشجر والخضر والتغبير]

"أمّا كيفيَّة استعمال الأزبال في الشجر والخُضَر وتَغْبير بعض الخُضَر بها" من "الفلاحة النبطية"[1]:

كلّ هذه التي ذكرنا تَزْبيلها[2] من الأشجار والخُضَر، يُحْفَرُ في أُصُولها إمّا قليلاً، وإمّا كثيراً، على حسب كِبَر الأشجار وصغرها، وتُطْمَرُ ببعض هذه الأزبال؛ وإمّا أن يُنْثَرَ عليها بعض هذه، أو يُغَبَّر به فُرُوعُها فلا يَعْمَل ذلك؛ فإنّ جميع هذه الأزبال يَنْفَع الشجر والمنابت إذا كانت في أصُولها، وتَضُرُّ بها إذا وقَعَت على أوراقها وأغْصَانها ضَرَراً شديداً، وخاصة الشجر المُثْمِر والكُرُوم.

وليس ينبغي أن يُغَبَّرَ شيء منها إلاّ الباذنجان، والكُرُنْب، والقَنَّبيط، والبُقُول الكبار[3] جملة؛ فإن هذه ينبغي أن يُرَشَّ عليها كلها من الزِّبل الذي يَنْفَعُ البُقُول الصِّغَار خاصة نَثْراً خفيفاً لطيفاً، ويقام في أُصُولها منه شيء.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) باريس ومدريد: ترسلها (تصحيف).

(٣) الفلاحة النبطية: والبقول كلها.

وفي "**الفلاحة النبطية**" أيضاً[١]: أن التَّغْبير بالأزبال بَيِّنُ النَّفْع للكُرُوم، وأنَّ الغُبار الواقع عليها يقوم لها مقام التُّراب الغريب الذي يُسَاق إلى الكروم من غيرها من المواضع، فتُغَبَّر بها؛ فينفعُها، ويعين على إثمارها.

وقيل[٢]: إنَّ الغبارَ إذا تراكم على الكُرُوم نَفَعَها منفعة عظيمةً.

وقيل في "الفلاحة النبطية" أيضاً[٣]: إنَّ التغبير بالزِّبل يَضُرُّ الكُرُوم ضرراً في الغاية إذا أُكثر عليها منه.

وفي "**الفلاحة النبطية**"[٤]: إنَّ الكروم لا تغبَّرُ بالزِّبل، وإنّما يُغَبَّرُ به مع التُّراب السحيق البقول، وما صَغُر من المنابت مما يوافقه منها [إذا] وقع الزِّبل على وَرَقه.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧١، ٣٧٦، ١٠٢١، ١٠٦٦-١٠٦٧.
هذا مذهب دوناي، وهو يرى أن رماد أغصان الكرمة إذا خلط بأحثاء البقر وغبر به الكرمة السقيمة نفعها (الفلاحة النبطية، ص١١٣٠).

(٢) الفلاحة النبطية: ١٠٢١، ١٠٦٧، وهذا مذهب الكنعانيين (الفلاحة النبطية: ١٠٢٥).

(٣) الفلاحة النبطية: ٣٧٢، قال ينبوشاد: إذا باشرتم البقول بالأزبال الحادة فربما نكيتموها.
وقال (ص١٠٤٩): ولا تغبر الكروم ألبتة بزبل ولا بغيره، بل تصان مبلغ الجهد من الغبار.
وقال طامثري وصردايا الكنعانيان: إن الغبار يضر بالكروم ضرراً في الغاية، إذا كثر عليها (الفلاحة النبطية: ١٠٢١).

(٤) وقال في الفلاحة النبطية: ٣٧٠، ٣٧٣: الأزبال لا تلقى على أوراق الكروم والشجر، ولا على فروعها وأغصانها، لأنها حادة شديدة الحدة؛ ولأن الإسخان في جوف الأرض وعلى الفروع والأوراق يحرقها.
وقال (ص١٠٤٩): الكروم لا تغبر بزبل ولا غيره.

وقيل في "الفلاحة النبطية"[١]: إنَّ التغبير بها يُصْلِحُ الخُضَر بعد أن يُرَشّ عليها الماء لِيَسْتَمسِك الغُبَارُ عليها.

قال ينبوشاد[٢]: إنَّكم إن باشَرْتُم بهذه الأزبال لاسيَّما الحادَّة منها أصُول الشجر[٣]، وعيدان سائر النَّبات الصِّغار ربما نكَبْتُمُوها بذلك، لكن يجب في تزبيل الغُروس والشجر [أو تلقوا][٤] في أُصُولها تُراباً غريباً من غير تلك الأرض، ثم تُلقوا السِّرْجين فوق ذلك التراب، [ثم تلقوا فوق السِّرجين تراباً] فيكون السِّرجين بين تُرَابين سَحِيقين[٥].

وتُرابُ الأرض الحمراء[٦] التي تسمى "حُرَّة" هي أفضل الأتربة المستعملة في هذا، ويتلوها التراب المجموع من المَزَابل والمواضع الخراب التي لا تُسْكَن.

وقال (ص١٠٢٤-١٠٢٥): الكروم لا ينبغي أن تغبر أوراقها وأغصانها بزبل ولا بتراب سحيق... وإن الغبار إذا كثر تكاثفه على ورق الكروم أضر به ضرراً بيناً واضحاً.

(١) هذا القول في الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٢) قول ينبوشاد في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٣) الفلاحة النبطية: أصول وأبدان سائر النبات.

(٤) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) الفلاحة النبطية: سحيقين غريبين.

(٦) الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

قال صغريث[1]: يُؤخَذُ التراب الذي تُصنَعُ منه عادةً[2] الأزبال من الأرض الوَحْشيّة[3] المنقطعة من الناس، فهو أبلغُ مَنْفَعَةً للشجَر كلّه، والنَّخْل بأجمعه، وكل النَّبات: صغيره وكبيره.

قال أبو بكر بن وَحْشيَّة[4]: يعني "**صغريث**": المواضع الواسعة، والصَّحَارى التي يكثر عليها هبوب الرِّياح[5].

فإن كان السِّرجين بين ترابين[6]، كان في ذلك احتياطٌ للشجر والنخل من حَيْف[7] السِّرجين عليها.

وأمّا الباذنجان والخيار والقِثّاء والبِطّيخ، وهذه [التي] نسمّيها البُقول الكبار؛ فإنها تحتاج إلى التغبير، وإلى طَرْح السِّرجين في أُصولها.

---

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٢) الفلاحة النبطية: عادية.

(٣) سماها صغريث في موضع آخر: الأرض الوحشية، قال: هي أرض الغيلان (ص٣٧٢).

(٤) قول ابن وحشية في الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٥) الفلاحة النبطية: هبوب الرياح في المواضع الواسعة والبراري المقفرة.

(٦) هذا قول قوثامي؛ الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٧) الحيف: الجور.

وفي "الفلاحة النبطية": ومن جملة البقول الكبار: الكُرُنْب والقِنَّبيط، والسِّلْق، والخَسّ، والإسْفَانَاخ[1]، والحُرْف[2] فيُطرَح الزِّبل بين التُّرابين قبل التغبير بالسِّرْجين، وليكن التراب من أرض غريبة طيبة جداً، ومن التراب المجموع من المزابل التي تكون في المواضع الخَرِبة، والتراب المأخوذ من البَراري والصَّحَارى (كما قال صغريث)[3] ورُبَّما ذُرَّ السِّرجين على الماء الجاري في سواقي البقول ليُؤدِّي الماءُ السرجين إلى أصول تلك المنابت، فإن هذا عند قوم أجْوَدُ[4].

وأمّا أكثر الناس[5] فإنّهم يَتْبَعُون[6] التزبيل بصَبِّ الماء على أصُول الشجر التي زبَّلوها، ثم يَسْقُونها كما جرَت العادة.

وفي "الفلاحة النبطيّة"[7]: إذا وَقَع الزِّبْلُ بجِدَّته على أوراق الشجر الكبار، وزاد وَقْع الشمّس عليها زادَ في سُخُونتها كثيراً، فإنه يَحرقُهُ، ويَثْقُبُ ورقَه، وينقص من قوته بذلك.

---

(١) الإسفاناخ: هي البقلة المباركة (عمدة الطبيب، ص٢٨١).

(٢) الحرف: حب الرشاد.

(٣) الفلاحة النبطية: كما علمنا صغريث.

(٤) وأضاف قوثامي: فإن السرجين إذا لم يباشر أوراق النبات لم يضره. الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٥) الفلاحة النبطية: ٣٧٣.

(٦) الفلاحة النبطية: يتبعون.

(٧) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

وحال البُقُول، وما لَطُفَ من المَنَابت، كَحَالِ أُصُول تلك المنابت الكبار من انْدِفَانِهما جميعاً، فوَجَبَ من أجْل ذلك [أنْ] ينالَ الزِّبلُ من المنابت الصغار أصولها وفروعها، ولا ينال من الكِبَار إلاّ أُصُولها وفُرُوعها وأَوْرَاقها، فهذه هي العِلَّةُ في مَنْفَعَة الأزابل للمنابت الكبار في أصولها [وضَرَرُه لها إذا وقع على][1] أُصُولها وفُرُوعها معاً في زمانٍ واحدٍ.

* * *

(١) هذه الجملة سقطت من النسخ الخطية، وهي في الفلاحة النبطية.

[الـ]... فصل [الخامس]

[منفعة الأزبال ووقت التزبيل]

أمَّا مَنْفَعَة الأَزْبال للأَرَضين ووقت التزبيل لها

(من كتاب الفلاحة النبطية)

قال "صغريث"[1]:

وهذه الأَزْبال التي قَدَّمنا وَصْفَهَا مع مَنْفَعَتها للنبات؛ فإنها تَنْفَعُ الأَرَضين التي فيها نباتٌ، والتي لا نبات فيها، ولا شَجَر، وذلك أنَّهُ إذا طُرِحَتْ في أرضٍ رديئةٍ أصْلَحَتْهَا. وإن كانت الأرضُ صالحةً زادَتْهَا صَلاَحاً في طِيْبِها[2] وقُوَّتها.

وكذلك هو فِعْلُها في النبات وفي الشجر: التَّقْوِية، والصَّلاح، ودَفْع العَوَارض الرَّديئة عنها؛ من الرِّياح الفاعلة للضَّرَر، ومن البَرْد والحَرّ المُفْرِطَيْن، والعَطَش، وفَرْط الرِّيِّ المُعَفِّن[3].

وقد ينفعُ أيضاً الأرض المعتدلة[4] الصالحة، والأرض الفاسدة يردُّها إلى الصَّلاح والسَّدَاد.

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧١.

(٢) الفلاحة النبطية: وطيبتها وقوتها.

(٣) الفلاحة النبطية: وفرط الندى المعفن.

(٤) الفلاحة النبطية: المعتدلة بين الصالحة والفاسدة.

وأمّا الأرض الضعيفة (وهي من أنواع الأرضين الـــتي تُـــسَمَّى: **الرَّقيقة، والنَّزَّة، والعَرقة**) فإنّها تحتاج إلى سِرْجين فيه [فَضْل][1].

* * *

(١) الزيادة من الفلاحة النبطية.

[الـــ]... فَصْل [السادس]

[مقادير الأزبال]

والأَزْبالُ[1] التي تقدَّم ذكْرُها على العُمُوم صالحة للأَرَضين الفاسدة كلِّها، ومَنْفعتُها للأرضين هي منفعةٌ عامَّة. وأمَّا الخُصُوصُ فهو في مَنْفَعَتِهَا للشجر والنبات. والأرض الضعيفة، متى كان فيها شجر أو غـــيره مـــن النبات كبير أمْ صغير[2]، فينبغي أنْ تُزَبَّل مرَّات كثيرة متـــواترة. وربمـــا احتاجت في الخريف، والشتاء، وأوّل الربيع إلى أن تُزبَّل دائماً، والدَّائم في التَّزْبيل هو أنْ تُحْرَث في كلِّ يومين، وفي اليـــوم الثالـــث يُطْـــرَحُ لهـــا السِّرجين، يُفْعَلُ بها هكذا نحواً[3] من عشرين يوماً[4]، أو خمـــسة عـــشر يوماً، أو عشرة أيَّام، على قَدْر ما تَرَى [الأكَرَة][5] وعلى مِقْدَار بلـــوغ الأرَضين في الفَسَاد، وقربها من الصَّلاح، وذلك أنـــه إنْ زادَ الـــسِّرجين، وجاوَز[6] المِقْدارَ أفْسَدَ الأرضَ والنباتَ وأحْرَقهما وأضْعَفَهُمَا، حتى تحتاجَ أن تُعالَجَ من هذا الفساد، فـــإن اســـتُعْمِلَ باعتـــدالٍ لم يحـــرِق الأرضَ

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

(٢) الفلاحة النبطية: كبير أم صغر.

(٣) النسخ الخطية: نحو (بالرفع).

(٤) الفلاحة النبطية: ويقطع ذلك عنها عشرين يوماً أو خمسة عشر يوماً أو عشرة أيام.

(٥) الزيادة من الفلاحة النبطية.

(٦) الفلاحة النبطية: وجاز الحدّ...

والغُرُوس؛ لأنَّ الزِّبل إذا أكثَرْتَهُ في بُقْعَةٍ من الأرض حتى تصيرَ تلك البُقْعَة زِبْلاً كُلَّها احْتَدَّتْ وسَخُنَتْ؛ فأفسدَت أكثرَ المنابت حتى تحتاجَ أن تُعالَجَ بأنْ يُخْلَطَ معها ترابٌ كثيرٌ طيِّبٌ؛ ليصلحَها، أو يُقاوِمَ حِدَّتَها فيها بالماء العَذْب؛ ليصلحها، ويذهَبَ بحِدَّتها.

وليس تَحْتاجُ الأرض إلى أنْ يكثُرَ فيها الزِّبْل، ومن مَنافع الزِّبْل[1] أنّه يعينُ الشمسَ والهواءَ على التَّسْخين، فيُقاوِمُ البَرْدَ والغِلَظ اللَّذين اكتَسَبَهُما النباتُ من الأرض والماء ببردهما؛ فالزِّبْلُ يَنْفَعُ[2] ما يَتَّصِلُ بأصْله من الشجر والنَّخْل، والكُرُوم، وسائر المنابت الكبار؛ فَيُسَخِّن الأرضَ، وتبلغ سُخُونَتُهُ إلى قَعْر الأرض في أصل هذه وفروعها، فيكون هذا الإسْخَان في جوف الأرض[3] لفُرُوع الشَّجَر والمَنَابت.

ومن "**الفلاحة النبطية**"[4]: الزِّبْلُ يُسَخِّنُ وَجْهَ الأرض في البَرْد، ويَدْفَعُ تبريد الهواء عنها، ويُبَرِّدُ عُمْقَ الأرض في الحَرّ؛ لأنَّ عُمْقَهَا يَسْخُنُ في الحرِّ فيضُرُّ ذلك بالنبات والشجر أيضاً.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧٠.

(٢) الفلاحة النبطية: ٣٧٢.

(٣) الفلاحة النبطية: والإسخان الآخر في ظاهر الأرض لفروع الشجر والمنابت الكبار.

(٤) الفلاحة النبطية: ٣٧١.

قال "صغريث"[1]: إنَّ الأرضَ الطَّيبة لا تحتاج إلى تَزْبيل، إذا كانت في الغاية[2] من طِيْب التُّربة، فأمَّا الأرض الفاسِدَة فإنَّها تحتاج إلى سِرْجين، وتحتاج منه إلى مقدار ما يُصْلحها على مقدارِ خروجها من الجُوْدَة إلى الرَّداءَة.

وأمّا الأرض التي بين الرداءَة والجُودة، وكأنَّها في الوسط بينهما جميعاً، فتحتاج إلى السِّرْجين الدائم الكثير مثلما ذكرنا أنَّ الرقيقة تحتاج إليه، فإنّا قُلْنا إنَّها تحتاج إلى تكرير[3] الزِّبل لِتَصْلُحَ من ضَعْفها وتَقْوَى.

ومن منافع بعض الأزبال أنَّ منها ما يَطْرُدُ الدَّبِيْبَ[4] والطَّيْر عن المزارع[5].

قال "قوثامي"[6]: ومَتَى خَلَطْتُم زِبْلَ الطَّيْر، وزِبْلَ الخُفَّاش (وهو الشَّيْزُوق)، والدَّم المُجَفَّف إمّا مَسْحُوقاً، وإمّا قِطَعاً مع الحُبُوب المزروعة، وزُرِعت معه، لاسيَّما في أرضٍ رقيقة أو ضعيفة، أو عَرِقَة، أو نَزَّة، أصْلَحَ

(١) قول صغريث في الفلاحة النبطية: ٣٧٣-٣٧٤.

(٢) الفلاحة النبطية: في النهاية.

(٣) النسخ الخطية: تكثير الزبل.

(٤) الدبيب: ما يدب على وجه الأرض من الدود والهوام والفئران والحشرات.

(٥) انظر: الفلاحة النبطية: ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٤، والفلاحة الرومية: ١٣٨، والمقنع: ٥٩.

(٦) قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٣٧٤، قال: إذا كانت الأرض رقيقة وضعيفة وعرقة ونزة فإن زبل الطيور يقويها ويعين النبات على النشوء.

تلك الأرض و[ذلك] النَّبات، وأسْرَعَ [في] نُمُوِّه، ونُشُوئه، ودَفَع الدَّبِيْبَ عنه المُضِرَّ بالنَّبات الآكِلَ له، مثل: الفأر، والحيَّات، والدُّود وغيرها، مِمَّا يُفْسِد البذرَ ويَلْتَقِطُه، فإن هذا الخليط[1] إذا وَقَعَ في الأرض فأصابته رُطُوبةُ الماءِ عَفِنَ، وخالَطَ الترابَ وأُصُول النَّبات، وانبسط على وجه الأرض، وفاحَتْ له رائحةُ تكرهها جميع الطيور من العصافير وغيرها، من جميع الدَّبيب، مثل: الفأر وغيره.

* * *

(١) يقصد بالخليط هنا: خليط خرء الطير والشيزوق والدم والأتبان؛ إذا وقعت في الأرض وأصابها رطوبة الماء عفنت فيها.

[الـ]... فَصْل [السابع]

[قُوَى الأزبال]

وأمّا قُوَى الأزْبَال، فإنَّ منها ما هو حَارٌّ، ومنها باردٌ ودَسِمٌ وليِّنٌ.

ويستعملُ كلّ نَوعٍ منها في علاج ما يُضَادُّه؛ يُعَالج الحَارُّ بالبارد، والباردُ بالحارّ، والدَّسِم بالجاف، وشبه ذلك.

قال في "الفلاحة النبطية"[1]: الزِّبل الحار مركَّبٌ من خُرْء النّاس، ومثله ذَرْق الحَمَام، ومثله بَعَر الغَنَم، ومثله زبل الخُفَّاش، ومثله عَكَر الزَّيت، يُعَفَّن الجميع زماناً حتَّى يَتَدَوَّد، ويُجَفَّف بعد ذلك، وتُزَبَّل به الكُرُوم[2] التي أصابتها الرِّيح الباردة الهابَّة عليها، وشبه ذلك.

والزِّبل اللَّيِّن[3] هو الذي لا يكون فيه خُرْءُ النَّاس، ولا ذَرْق الحَمَام، بل يُرَكَّب من أَخْثَاء البَقر، وبَعَر الغَنَم مع ترابٍ سَحِيقٍ مجموعٍ من المَزَابل.

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الفلاحة النبطية: تزبل به الكروم التي أصابها اليرقان، أو إذا اسودّ عود الكرم وقشف وتقشر بعض لحائه. ويزبل به الكروم السليمة من الآفات والعاهات، فإنه يقويها وينعشها، ويدفع عنها الآفات.

(٣) الفلاحة النبطية: ١٠٤٩، قال صغريث: الزبل اللين: الذي لا يقع فيه خرء الناس ولا زبل الحمام، ولا شيء حاد، بل يكون مركباً من أخثاء البقر، وورق الكرم والقرع والبطيخ

قال[١]: ومتى احتجتم إلى زبلٍ فيه حِدَّة، فأرْمِدَة الأخثَاء الحارّة، إذا خُلطت بها الأزْبَال أكْسَبَها ذلك فضل حَرَارة وحِدَّة، مثل:

رماد النَّعْنَع والياسمين، والنَّسْرين[٢] والثُّمَام[٣] والباذَروج[٤]، والكَرَفْس بخاصيَّة فيه؛ فإنه عجيبٌ في هذا.

وتُستَعْمَلُ أرمدةُ هذه، وأرمدة ما أشبهها من المنابت الحارة بأنْ تُخلَط مع الأزْبال، وتَعْفَن معها، حتى تختلط معها، ثم يستعملُ هذا الزِّبل فيما أضَرَّ به البردُ وشبهُهُ[٥].

والقثاء، تعفن، حتى إذا صارت هباء خلطت بتراب سحيق بمجموع من المزابل ونبشت أصول الكروم وطمت بها.

(١) هذا قول قوثامي، الفلاحة النبطية: ٣٧٠.

(٢) النسرين: هو الورد الصيني والصنف الكبير منه يسمى جلنسرين، وهو الورد الذكر.

(٣) الثمام: الغرب، ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات: ١/٧٨.

(٤) الباذروج: هو الحبق الريحاني، عريض الورق، له رائحة قوية. عمدة الطبيب: ٩١، ٣٤٦، ٣٧٠.

(٥) يفيد هذا الزبل وهذه الأرمدة في علاج الكرم اليابس فإنه يورق وترجع إليه الحياة (الفلاحة النبطية: ١٠٥١)، ويعالج به الكروم التي أصاب ساقها عقر أو رشح عارض أو الورم الساعي أو استرخاء الكرم أو اليرقان أو لدفع ضرر البرد والجليد (الفلاحة النبطية: ١٠٦١).

والزِّبْل الحُلْوُ[١] أيضاً يركَّبُ من أخثَاء البَقَر، وأتبان الحُبُوب، وأوراق المَنابت الرَّطبة، والأشياء اللُّعابية[٢] من المنابت.

وصفةُ عَمَل الأزْبَال المُبرِّدة أنْ يُخلَطَ ما تَيَسَّرَ من أنواع الخَشْخَاش البَرِّي والبُستَانيّ بورقها وشجرها[٣] وعُرُوقها، وتُعَفَّن بالأزبال.

وقيل[٤]: تُعَفَّن مع خُرْء النّاس، وأزْبَال الحمير[٥]، وأخثَاء البَقَر، فيكون من ذلك زِبْلٌ نافعٌ[٦] بمشيئة الله (تعالى) لجميع المنابت التي يَعْرِضُ لها آفات من الحِدَّة والحرارة، وللدَّاء المسمَّى "اليَرَقان"[٧] و"التَّشْيُّط"[٨] العارض للشجر والبُقُول من إحْرَاق الهواء الحَارّ[٩]، فإنَّه يعملُ في ذلك

---

(١) الزبل الحلو الذي يخلو من الحرافة والحرارة والحدة والإسخان القوي، ويغلب في تركيبه الأتبان والأعشاب مع أخثاء البقر، وزبل الحمير والبغال.

(٢) الأشجار اللعابية التي يسيل منها ما يشبه لعاب الإنسان مثل الألبان والأصماغ والماء الراشح.

(٣) الفلاحة النبطية: ٥٣٥: بورقها وحملها.

(٤) هذا القول في الفلاحة النبطية: ٥٣٥.

(٥) الفلاحة النبطية: روث الحمير.

(٦) الفلاحة النبطية: زبلاً نافعاً.

(٧) اليرقان: مرض يصيب الكروم والنباتات؛ فيصفر ورقها وتيبس، وتتساقط ثمارها. انظر: الفلاحة النبطية: ٢٩، ٣٠، ١٣٢، ٣٦٥، ١٠٥٣.

(٨) التشيط: الاحتراق من الزبل الحار ونقص الماء.

(٩) الفلاحة النبطية: الرديء الكيفية.

عَمَلاً قويًّا نافعاً –إن شاء الله (تعالى)– وانظر كيفيَّة تركيب الزِّبل المبرَّد المُرَطِّب[1] في (فصل: زراعة الأرُزّ، وتركيب زبل حارٍ في فصل: زراعة السِّلْق).

* * *

(١) الأزبال المبردة مكونة من سرجين البقر مخلط بورق القرع والبطيخ وتراب سحيق معفن.

[الـ] (فصل) [الثامن]

[علاج الأرض بالزبل]

ولا تُستَعْمَلُ هذه الأَزْبَالُ الحارَّةُ في الكُرُوم لئلا تَحتَرق أُصُولها، ويَحْدُثُ فيها الدّاء الذي تَيْبَسُ ثَمَرَتُها منه[1]، وكَمَا لا تُحْتَمَلُ الأَزْبَالَ الحارَّةَ المُحْرِقة الأشجارُ والنباتُ؛ فيُعْدَلُ به عنها إلى الأَتْبَان المعَفَّنة، وهي أَتْبَان الحُبُوب المأكولة التي هي أغذية، وأوفَقُها للكرم[2] تبن الباقِلَّى، والشّعير، والحِنْطة، وهي نافعة للكُرُوم، ولا يُتَخَوَّفُ منها ما يُتَخَوَّفُ من إحْرَاق الأزبال.

ومن كتابي أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن بصَّال[3]، والحكيم أبي الخير[4]، وغيرهما في الزُّبول، قالوا: إنَّ الزُّبول المُسْتَعْمَلة في الفلاحة سبعة أنواع[5] –سيأتي ذكرها إن شاء الله (تعالى)– وطبيعة الزِّبل على العُمُوم: الحَرَارة، والرُّطوبة. [والعتيقُ منه أكثر رُطُوبة من الحديث،

(١) يقصد: اليرقان.

(٢) وكذلك تبن القرع والبطيخ والخربق والبقالى والفجل وورق الكرم نفسه.

(٣) كتاب الفلاحة لابن بصَّال، ص٤٩-٥٣.

(٤) كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص١٠-١١.

(٥) هذا قول ابن بصَّال، وهي: زبل الخيل والبغال والحمير، والزبل الآدمي، وزبل الكناسات، وزبل الغنم، وزبل الحمام، ورماد الحمامات، ثم المولد من زبول الحشيش والتراب. (ابن بصَّال، ص٤٩).

والحديثُ أكثر حَرَارة؛ إلاّ أنّه غير صالح ولا يستعمل إلاّ بعد مضي عام فأكثر][1]، ويُنْضِجُهُ إن أُحْتِيج إلى استعمال ذَرْق الحَمَام، والرَّماد أيضاً مُنْضِجٌ له –وسيأتي كيفية العمل في ذلك، إن شاء الله (تعالى)–.

وأمّا ذَرْق الحَمَام، والدُّلَم[2]، واليَمَام فهو شديد الحرارة واليُبُوسة[3]، وعَتِيقُهُ وحديثُهُ سواء، ويُعَالَجُ به ما أَضَرَّ به البَرْدُ من المَنَابت.

وخُرْءُ الناس[4] يُعَالج به ما أَضَرَّ به الحرُّ منها. والزِّبل يُرَطِّبُ الأرضَ المحترقةَ، ويُخَلْخِلُ الغليظة، ويُسَخِّن الباردة، ويُسَمِّن المَهْزُولة،

---

(١) ابن بصّال: لا سبيل إلى استعمال شيء من الزبل إلا بعد عام وما يجاوزه إلى ثلاثة أعوام كان أفضل، ومتى استعمل قبل عام تولد منه حيوان يضر بالنبات.

وقال أبو الخير: إذا ترك الزبل حولاً صار طيباً للحرث والأرض، ولا ينبغي أن تزبل الأرض بزبل لم يأتِ عليه أقل من عام واحد، فإنه لا ينفع، ولكنه يضر، وتتولد منه دواب كثيرة (أبو الخير، ص١١)، وانظر: الفلاحة النبطية، ٣٧٦.

(٢) الدلم: الفيل.

(٣) ابن بصّال: زبل الحمام ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديد، ولا يبوسة فيه بوجه وهو غياث النبات الذي قد ضعف من شدة البرد. وانظر: مفتاح الراحة، ص١١٤.

(٤) ابن بصّال (ص٥٠): الزبل الآدمي طبعه الرطوبة واللزوجة ولا حرارة فيه، يوافق النبات لأنه رطب لا حرارة فيه ولا يبوسة، ويحيا به النبات المحترق، وهو

ويزيد الطَّيبة طِيْباً[1].

والأتبان[2]: تبن الفُول والشَّعير والقَمْح ينفَعُ الأرضَ إذا بُذِرَتْ مجموعةً أو منفردةً أو مُعَفَّنَة.

* * *

أعدل من خرء الطيور، وأكثر إسخاناً، فيه منافع لكثير من الأشجار، والنبات الصغير يقويه ويحفظه من الآفات (مفتاح الراحة، ص١١٢).

(١) ابن بصّال: وتحيا به الخضر وتنعم. وقال انطرليوس (أبو الخير، ص١١) والأرض الطيبة إذا زبلت زكا خراجها.

(٢) هذا القول ذكره أبو الخير الإشبيلي، ص١١.

[الـ]... (فصل) [التاسع]

[ذرق الطير والأبعار والأرواث]

قال أبو الخير الإشبيلي[1]: أمّا ذَرْق الطَّيْر فهو سُمٌّ قاتلٌ للنبات، سوى ذَرْق الحمام منها فإنَّه أفضلُ من غيره من الزُّبول.

وطبيعة ذَرْق الحَمَام: الحرارة المُفْرِطة، وفيه يُبوسة[2]. **وقال ابن بصّال**[3]: هو ذو حرارةَ مفرطة ورطوبة شديدة، **وقال أبو الخير الإشبيلي**[4]: وأضرُّ ذَرْقٍ بالنبات ذَرْقُ طير الماء، والدَّجَاج والإوز.

وبذرق الحَمَام يَنْمَى النباتُ ويَنْشَأ سريعاً بعد جُمُوده، وإذا أوقفه البردُ والجَمْدُ ينهض بعد ثباته، فيُعالج به محلولاً بالماء العذب، يُسْقَى بــه، وهو يوافق جميع الشجر والخُضَر، وله خاصيَّة عجيبة في الحِنَّاء[5]، وشجر الزيتون، ولا يُكْثَرُ منه للحرارة [التي فيه][6].

---

(١) قال أبو الخير (ص١٠) أفضل الزبول خرء الحمام، وكل سرقين الطير جيد ما خلا طـائر الماء كالبط والإوز فإنها رديئة تحرق الأرض وتهلك النبات.

(٢) ابن بصّال: ولا يبوسة فيه.

(٣) قول ابن بصّال في كتابه، ص٥١.

(٤) الفلاحة لأبي خير، ص١٠.

(٥) الحِنّاء: شجرة الخضاب. عمدة الطبيب، ص٢٣٦.

(٦) قال ابن بصّال: زبل الحمام لا يستعمل منه إلا اليسير؛ لأنه بمنزلة النار إذا غلب.

قال الشيخ ابن بصّال[1]: هو غِيَاث النبات إذا [ضعف] وتَحَيَّر[2] من شدّة البرد، يُسْقَى به محلولاً مع الماء، ولا يستعمل إلاّ عند الحاجة إليه.

وقيل: إنه نافِعٌ للأرض الضعيفة، وإنَّه في الدرجة الثانيـــة[3] مـــن الفضل لكثرة حرارته.

وقال قسطوس[4]: كُل خُرْء الطير [ما خلا] البطّ، وغيره نـــافع لكُلّ ما سُمِّد به من الشجر والزّرع والعَدَس، وأنفعُهُ وأذْهبه لكـــلّ آفـــةٍ تُصِيْبُ الشجر وغيره ذَرْقُ الحمام لشِدَّة حَرِّه. والتَّسْمِيْدُ: هو التَّزْبيل.

وفي الفلاحة النبطية[5]: إنَّ ذَرْق الحَمَام والوراشين والفَوَاخِـــت والعَصَافير سواء.

(١) قول ابن بصّال في كتابه، ص٥١.

(٢) الحور: الهلاك والتراجع، حار الشيء: نقص، وحور: اسود، وتحير النبت: هلك وفسد.

(٣) عده ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ٣٧٧) في الدرجة الأولى، قال: أفضل السرقين كله خـــرء الحمام، ويتلوه خرء الناس. ثم سائر الطيور إلا طيور الماء.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٧-١٣٨.

(٥) الفلاحة النبطية، ٣٧٣-٣٧٤؛ قال: أفضل السرقين على العموم هو خرء الحمام وخـــرء جميع الطير إلا طائر الماء والبط، وأكثر أهل بابل يخلط خرء الحمام والوراشين والفواخت بحب الحنطة والشعير عند البذار، وقال ينبوشاد (ص١٣٨٠) النخلة الحائل تعـــالج بزبـــل الحمام والوراشين والفواخت والعصافير، يعفن ثم تزبل به النخلة.

وأمّا خُرْء الإنسان، وهو زبل الكُنُف، **قال أبو الخير الإشبيلي**[1]: يُسْتَعْمَلُ مجفّفاً مَسْحُوقاً، وطبعه الحَرَارة والرُّطوبة، واللُّزُوجة.

وقال ابن بصّال[2]: طَبْعُهُ الرُّطوبة واللُّزُوجـــة والحـــرارة فيـــه متوسطة[3]. وقيل: إنَّ خُرْءَ الإنسان إذا عَفِنَ فهو بارد رَطْب.

وقال أبو الخير الإشبيلي[4]: زبل الإنسان إذا عَتُـــقَ في الكُنُـــف وفَنِيَتْ رطوبته [يصلح للزرع والشَّجر].

وقال ابن بصّال وغيره[5]: يصلُحُ زبل الإنسان لبُقُول الـــصيف؛ مثل: القَرْع، والباذنجان، والرِّجْلة[6]، والبَصَل، والقَنَّبـــيط، والبَرْبُـــوز[7]، والحِنّا بخاصيَّة فيه لها، وكذلك للخَسّ أيضاً.

(١) صاحب هذا القول هو ابن بصّال (ص٥٠)، قال: الزبل الآدمي طبعه الرطوبة واللزوجة.

وقال ينبوشاد (الفلاحة النبطية، ٣٧٤-٣٧٥) ينبغي أن يجفف خرء الناس من رطوبتـــه حتى يسود ويخلط بتراب أحمر حر وأرمدة النبات حتى تذهب رائحته الكريهة.

(٢) الفلاحة لابن بصّال، ص٥٠، ومفتاح الراحة، ص١١٣.

(٣) ابن بصّال لا حرارة فيه ولا يبوسة.

(٤) قال أبو الخير الإشبيلي (كتاب الفلاحة، ص٨٩): أفضل الزبول زبل ابن آدم العفن الذي قد قدم وعتق في الكنف، وفنيت رطوبته، فإنه حار رطب تصلح به جميع الشجر والحبوب والمقاثي.

(٥) الفلاحة لابن بصّال، ص٥٠.

(٦) الرحلة: هي البقلة الحمقاء أو البقلة المباركة.

(٧) البربوز والجربوز (فارسية): هي البقلة اليمانية.

وهو يصلُحُ للنَّخْل، وله فيه خاصيَّة عجيبة. ويُحَلُّ بماء الصِّهْريج[1]، وتُسْقَى به الخُضَر، وهو أوفَقُ ما يستعمل للخُضَر في فصل الحرّ، وهو ينفعُ فيه ولا يَضُرُّه.

وأكثر النبات إذا جُزَّ، أو قَحَل، أو احْتَرَقَ[2] من الحَرِّ، يُحَلُّ [زبلُ الناس] بالماء، ويسقى به، فينفعُهُ سريعاً.

وقيل[3]: إنَّ زِبْل الإنسان من أصلح ما زُبِّلت به الأرض، وأنَّهُ أدْفَأ الزُّبول.

[وقيل[4]: إنَّه] أعْقَرُهَا لكُلِّ نَبْتٍ، ويضرُّ الزَّرْع.

وقيل: إنَّه يضُرُّ شجر الزيتون، وإنَّه يَنْفَعُ الكروم نفعاً عظيماً.

وقيل: إنه في الدرجة الثالثة من الفَضْل.

---

(١) الصهريج: حوض كبير للماء يستخدم لجمع الماء، وتوزيعه على المزروعات.

(٢) ابن بصَّال، ص٥٠.

(٣) هذا قول أبي الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة، ص٨٩.

(٤) قال قوثامي (الفلاحة النبطية، ص٣٧٥): خرء الناس إذا خلط بغيره نفع، أما وحده فلا يستعمل في الكروم والزيتون ألبتة، فإنه يحدث في أصولها منابت رديئة جداً، ويضر بالزيتون والكروم ضرراً عظيماً.

وقيل[1]: إنّه تَالٍ لذَرْق الحمام.

وأمّا الأَبْعَار، مثل: بَعَر الضَّأن، والمَعْز[2]، والإبل، والغِزْلان، والأيائل، والأَكْدَاش[3]، **قال أبو الخير الإشبيلي**[4]: هذه الأَبْعَار متقاربة، وهي حارّة رَطْبة، وهي دون ذَرْق الحَمَام، ولا تُسْتَعْمَلُ حتى تَعْفَن وتموت زَرَاريع الأعشاب التي فيها، وإنْ لم تَعْفَن نبتت تلك الزّراريع وأضَرَّت[5]. و[أنْ] تكون مُعَفِّنة أنفع وأجْوَد للأرض إذا كُرِّمت بها قبل زراعة الحنطة والقَطَانِيّ فيها.

ويَصْلُحُ أن تكرَّم بها الأرض المُشَقَّقة الرِّخْوَة البئريَّة.

وإذا خُلِطَت الأبعار مع غيرها من سائر الزُّبول، وعفنت صَلُحَ ذلك لكلّ ما يُزَبَّل به من الخُضَر وغيرها.

---

(١) قال صغريث: خرء الناس أعدل من خرء الدواب والطيور وأكثر إسخاناً لأنه ألطف الأزبال كلها، وهو دواء جليل يدفع الهوام والدبيب عن البقول والأشجار. (الفلاحة النبطية، ص٣٦١).

(٢) هي معز ومعز، مفردها: ماعز ومعزاة ومعزى وجمعه أمعز ومعيز.

(٣) الأكداش: البغال، مفردها: الكديش: الفرس غير الأصيل (البغل).

(٤) قول أبي الخير الإشبيلي ذكره ابن بصَّال في كتابه، ص٥٠.

(٥) قال ابن بصَّال: يكثر فيه العشب إذا استعمل قبل التعفين لأن الضأن يستكثر من أكل الحشيش فلا ينضج في بطونها، فتلقيه في بعرها على الأرض كما أكلته.

قال قسطوس[1]: أجْوَد الأبْعَار بَعَر النِّعَاج والمَعْز، ثم أخثَاء البقر، وأبعار الإبل نافعة في كُلّ ما سُمِّدَ بها[2].

وقيل: إنّ بَعَرَ المَعْز في الدرجة الرَّابعة في حَرَارته، وبَعَر الضَّأن[3] دونه في القُوَّة، وبعده أرواث البَقَر.

وقال أبو الخير الإشبيلي[4]: وأمّا زِبل الخَنَازير فَرَديءٌ للنبات، وهو له سُمٌّ قاتلٌ.

قال غيره[5]: سماده رديءٌ لكُلّ ما سُمِّدَ به إلاّ اللَّوْز المُرّ؛ فإنه يحلو به.

---

(١) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٨.

(٢) الفلاحة الرومية: أما ثُلْط الخنازير فإنه رديء يحرق كل ما سمد به غير شجر اللوز المر.

(٣) قال ينبوشاد: بعر الضأن أدسم الأزبال كلها، وأصلحها للأرض المالحة والمرة، والحادة والحامضة. وقد فضل قوم أخثاء البقر على المعز والضأن وجعلوه يتلو زبل الحمير.

(٤) قول أبي الخير ذكره ابن بصّال (ص٤٩)، قال: زبل الخنازير وطائر الماء كالسمّ، فالقليل منهما يهلك الكثير من العشب. وزعم طماثرى أن زبل الخنازير مساوٍ لزبل الحمام والطيور.

وقال أبو الخير (الفلاحة، ص١١) زبل الخنازير يهلك كل ما دنا منه.

(٥) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٨.

وأمّا أرواث الدواب، مثل: الخيل والحمير والبغال، **قال أبو الخير**[1]: هو جنس واحد، وطبعُهَا الحرارة والرُّطوبة، وهو زبلٌ محمودٌ إلاّ أنّه دون ما سَمَّينا قبل هذا، ويستعملُ كما هو قبل أن يُنَقّى مما اختلط به من التِّبْن والحشيش، والحجارة والعظام، وشبه ذلك.

قال ابن بصّال[2]: هو زبلٌ محمودٌ، يُسْتَعمل وحْدَهُ بعد تنقيته، ولا يستعملُ إلاّ بعد التعْفين في فصل الشتاء وحْدَه في مَصَاطِب القَرْع والباذنجان والخيار، والقرقاس، وشبه ذلك خاصَّة يستعمل في ذلك الروث طَرِيّاً كما هو.

قال قسطوس[3]: أجْود أرواث الدَّواب للسَّماد أرواث الحمير، ثم أرواث البغال والخيل.

وقيل: إنّ أَجْود الأرْوَاث أرواث الخيل والبغال والحمير.

وقيل[4]: إنّ أَضْعف الأرواث أرواث الخيل والبغال إذا كان مَحْضاً.

---

(١) هذا القول ذكره ابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص٥٢.

(٢) ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص٤٩.

(٣) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٨.

(٤) هذا رأي طماثرى الكنعاني قال: الأزبال الضعيفة: زبل البغال والخيل إذا خالطت الأزبال القوية غلب القوي على الضعيف فجوّده، فصارت نافعة جيدة (الفلاحة النبطية، ص٣٧٦).

قال[١]: وإذا خُلِط بزبل حارّ صَلُح، وقال أيضاً[٢]: الزِّبل المخلوط من أرواث الدّواب والأبعار، وخُرْء الطير هو أفضل ما سُمِّدَ به شجر الزيت.

والزِّبل المؤلف من كناسات الدُّور، **قال أبو الخير**[٣]: هو أدناها، إلاّ أنّه إذا عفن وقطع ونُقِّي، ومضى عليه الحَوْل صحَّ للشجر والخُضَر والزَّرْع، وله خاصيَّة في الرِّجْلة[٤] وهي الفَرْفَج[٥]، وفي اليَرْبُوز[٦]، وفي البَقْلة اليمانيَّة، وفي السَّرْمق[٧] وهو القَطَف، وفي بقلة الأنصار[٨]، وهو الكُرُنْب، وفي الملوخية وشبه ذلك.

وقال ابن بصَّال[٩]: الزِّبْلُ المُضَافُ هو ذو حَرارة ورُطوبة،

(١) الفلاحة النبطية، ص٣٧٦.

(٢) الفلاحة النبطية، ص٣٧٥.

(٣) قال أبو الخير: زبل الكناسات شر أنواع الزبول وأردأها (كتاب الفلاحة، ص٩٠-٩١).

(٤) الرجلة: هي البقلة الحمقاء.

(٥) الفرفج: هي البقلة الحمقاء أو المباركة أو لارجلة.

(٦) اليربوز والجربوز: هي البقلة اليمانية.

(٧) السرمق: هي البقلة الذهبية أو القطف وتسمى بقلة الروم أيضاً والريحان اليماني.

(٨) بقلة الأنصار قيل هي السلق، وقيل: هي الكرنب الدوري وهو الأصح (عمدة الطبيب، ص١٢١).

(٩) قول ابن بصَّال في كتابه، ص٥٠.

ومُلُوحة ولُزُوجة[١]، ويقومُ قليلُهُ مقام كثير من غيره، ولا يُستَعْمَلُ إلاّ بعد أن يمضي عام من وقت جمعه[٢]، وبعد تنقيته[٣]، وإنْ استُعْملَ قبل ذلك تولّد منه عشبٌ وحيوانٌ يَضُرَّان بما يُجَاورهما. ولا يَنْفَعُ كثير نَفْعٍ إلا بعد مِضِيِّ العام [عندئذٍ يصيْرُ] من أفضل الزُّبول، وأشدّها موافقة للأرض، لأنه إذا مضى عليه الحَوْل اعتدلت كِفَايَتُهُ[٤]، وهو بعد عامين يكون حَسَنَاً.

قالوا[٥]: وأفضل ما تكون الأزبال كلها بعد ثلاثة أعوام، وحينئذ تَصْلُحُ لكلِّ نبات، ولكل نوعٍ من الأرض الرَّملة.

وقيل[٦]: إن أضيف إلى الزِّبْل الحديث مثل ثُلُثِهِ، وقيل: سُدُسه من رماد الحمّامات أسرع في تَعْفينه، وأصْلَحَهُ.

(١) قال بعدها: ولأجل هذه القوى المجتمعة فيه صار من أفضل الزبول وأشدها موافقة للأرض والماء؛ لأجل اللزوجة التي فيه.

(٢) ابن بصَّال: إلى ثلاثة أعوام.

(٣) التنقية: إزالة العشب الذي ينبت في الزبول، وكذلك الحجارة والعظام.

(٤) ابن بصَّال: لأن أجزاءه مختلفة الأجناس، لا تأتلف إلا بعد مكث طويل، تنضج فيه أخلاطه وتعتدل.

(٥) هذا قول أبي الخير الإشبيلي، وابن حجاج وابن بصَّال، وصاحب الفلاحة النبطية. انظر مثلاً: ابن بصَّال، ص٤٩، ٥٢.

(٦) قال ابن بصَّال: يؤخذ حمل من زبل مضاف، ويضاف إليه ثلاثة أحمال من التراب ويخلطان معاً، ويتركان عاماً كاملاً، فإنه يأتي زبلاً جيداً بعد العام.

وأمّا زبل الحمّامات، **قال أبو الخير**[1]: هو زبل مختلِط بأرْمِدَة، وكِنَاسة، وهو مالحٌ ويابِسٌ، عديمُ الرُّطوبة، لا يُسْتَعْمَلُ وَحْدَه إلاّ لتَحْلِيَة الأرض الغليظة[2]، فيَفْتَح مَسامَّها إذا كانت خَشِنَة أو حَرْشاء أو غليظة.

وهو غير موافقٍ للخُضَر، ولا يَصْلُحُ أن يُسْتَعْمَلَ وَحْدَه[3] إلاّ بعد مرور الحَوْل عليه وأكْثَر؛ ليُرَطّبه[4] الهواء، وتقل بريقِهِ حَرَارتُهُ، وله خاصيَّة قَتْل الحيوانات المتولّدة في الأرض، من قِبَل خَمَج أو عُفُونة، مثل الدُّود والجُعْلان[5]، وشبه ذلك مِمّا يُفْسِدُ أصُول النّبات.

قال ابن بصّال[6]: رماد الحمّامات ذو يُبُوسة ومُلُوحة، ولا رُطُوبة فيه، وهو يَدْفَعُ مضرَّة الحيوانات المُتَوَلِّدة في البساتين وغيرها في عُرُوق الأرض، والدِّيدان وشبهها[7]، وذلك بأَنْ يُفْرَش منه في الأحواض فرشة

(١) قول أبي الخير بتمامه ذكره ابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص٥١.

(٢) ابن بصّال: الحرشاء.

(٣) قال ابن بصّال (ص٥١): لأنه أشبه بالحيوان الميت الذي فارق الروح، لأنه لا يتركب من الطبائع إلا إذا خلط مع غيره من الأزبال عندئذٍ يصلح وتتكون فيه رطوبة.

(٤) ابن بصّال: إذا طال مكثه ألف الهواء، وفارق تأثير النار.

(٥) باريس ومدريد: والطرطان.

(٦) قول ابن بصّال في كتابه، ص٥١.

(٧) دفع مضار الحيوان المتولد في البساتين، قضية عالجها ابن بصّال في موضع آخر من كتابه (ص١٧٣)، والمؤلف ينقل من موضعين متباعدين.

نحوَ غِلَظِ الكَفّ[1]، ويُجْعَلَ الزِّبْلُ فوقه، ثم تُزْرَعُ الزَّرِيعة في تلك الأَحْوَاض، فإن الحيوان إذا رأى النباتَ يُلْقَى الرَّمادُ دونه يَفِرُّ منه، فيصير الرَّمادُ حِجَاباً بَيْنَهُ وبين ذلك النبات. والرَّماد يُحَلِّل[2] الأرض الرَّقيقة حتى ترق وتَسْلَس. وقيل[3]: الرمادُ حارٌ يدفَعُ البرد عَمَّا سُمِّدَ به.

ومن كتاب ابن حجّاج (رحمه الله)؛ قال يونيوس[4]: الرَّمادُ خيرٌ للبَقْل من جميع السِّرجين؛ وذلك أنَّ الرَّمادَ لطيفٌ، شديدُ الحرارة في طَبْعه، فهو يَغْذُو البَقْل ويقتُلُ الدُّود، وسائر الهَوَام التي تتولّد في الأرض من السِّرجين وغيره.

قال ابن حجاج (رحمه الله)[5]: هذا وَهْمٌ من يونيوس؛ لأنَّ الرَّماد شديدُ اليُبْس جدّاً، وإنْ كان حارّاً فهو عديم الرُّطوبة، فإذا بُذِرَ في أرضٍ

(١) ابن بصّال: غلظ الإصبع.

(٢) ابن بصّال: يحلي الأرض. وقال أنطرليوس: الأتبان تصلح الأرض المالحة وتحليها.

(٣) قال أبو الخير الإشبيلي: جميع الزبول حارة يابسة، وهي مختلفة في قواها وجواهرها، وقوام التراب بارد يابس، والزبل يدفئه، ويذهب البرودة عنه. وقال: الأرض إذا لم تزبل بردت، وإن كثر زبلها فوق ما تحتاج إليه احترقت (الفلاحة، ص١١).

(٤) قول يونيوس حرفاً فحرفاً في المقنع، ص١١٢.

(٥) رد ابن حجاج على يونيوس في المقنع أيضاً، ص١١٢.

هزلت ورقّت، وقلّت رُطُوبتها، وليس لِوَضْعِهِ في الأرض معنىً إلاّ لقتل الهَوَام والدُّود خاصة(١).

وينبغي إذا طُرِح في الأرض أن يُخلَطَ معه زِبْلٌ(٢) معفّن ليدفَعَ مَضَرَّةَ يُبْسِهِ.

قال كَسِيْنوس(٣): أفضل ما تُزَبَّل به البُقُول الرَّماد لحرارته، وقَتْله الدُّود، وغير ذلك من خَشَاش الأرض، ثم ذَرْق الحَمَام -يليقُ بها أيضاً ولا يُكْثَر منه- وبَعَر الغَنَم، وما سوى ذلك من الأزبال فيستعمل عند الاضطرار إليها، ولا يكون الزِّبْلُ رَطْباً فإنّه يولّد الهَوَام والدُّود(٤).

وقال قوثامي في الفلاحة النبطيّة(٥): بَعَر الغَنَم، وأحشاء البَقَر يصلُحان للزَّرع، وروث الدّواب للشَّجر، وزبل الإنسان للنَّخل، وذَرْق الحَمَام(٦) يوافق جميع الأشجار، وإن خلط بالبُذُور، وزُرِعَتْ معه في

(١) المقنع: فمجراه مجرى الدواء القتال للحيوان.

(٢) المقنع: زبل طيب متعفن.

(٣) قول كسينوس باسوس سقط من كتاب المقنع المنشور.

(٤) قال أبو الخير الإشبيلي (كتاب الفلاحة، ص١١): الزبل الحديث الرطب تتولد منه دواب كثيرة.

(٥) الفلاحة النبطية، ص٣٦٣-٣٧١.

(٦) ذرق الحمام يوافق الشجر وينميه ويقويه ويعينه على إنبات الثمر وتكثيره، وينفع الأرض الضعيفة، ويقتل الحشيش، ويطرد الدود والهوام والفئران من الأرض.

الأرض النَّديَّة المتطامنة(١) نَفعَ البُذُور جداً. وأمّا في الأرض الجافّة فلا فَضْل فيه.

وقد تُستَعْمَلُ زُبُول عند عدم وُجُود غيرها. ولذلك صفات منها ما ذكر **ابن بصّال**(٢) **وأبو الخير** [قالا]: يُجْمَعُ بين تبنٍ بالٍ، وما في قيعان بيوت التِّبْن، وحشيش مُقَطَّع، ويجمع ذلك في حُفْرَة على قَدْره، ويخلط معه رمادٌ(٣).

وقال أبو الخير(٤): وترابٌ، ويُغَطّى ذلك بتراب قليل، ويُرَشّ بالماء الحارّ -إن أمكن- أو الماء البارد مراراً إلى أن ينْزل عليه ماء المَطَر، ويُرَش أيضاً بأبوال النّاس -إن أمكن- ويُترَك إلى أنْ يمضي عليه حَوْلٌ. ويُقَلَّب مراراً، ويُقَطَّع مراراً، ويُنَقّى مِمّا يخالطه من الحجارة وغيرها، ويكثر تحريكه، فذلك أسرع لعفنه ونُضْجه، وخروج أبْخِرة رديئة منه، ويُستعمل بعد الحَوْل، وهو موافق للشجر والخُضَر في جميع الفصول، وهو أنْفعُ الزُّبول للشجر والزّيتون.

قال ابن بصّال(٥): الزِّبل المؤلّف أقوى منه.

(١) المتطامنة: المنخفضة.

(٢) ابن بصّال: كتاب الفلاحة، ص٥١-٥٢، وسمّاه: الزبل المضاف.

(٣) ابن بصّال: أي رماد أمكن من رماد الحمامات والأفران وغيرهما.

(٤) أبو الخير الإشبيلي: كتاب الفلاحة، ص١١.

(٥) قال ابن بصّال: إلا أن الزبل المضاف أقوى منه على كل حال. (الفلاحة، ص٥٢).

صفة أخرى[1]: يُخلَط أنواع من الزُّبول في حُفْرَة، ويُجْعَلُ عليها رمادٌ[2]، ويُرْوَى بالماء العذب[3]، ويُقلَّبُ مرّات حتى يَعْفَن.

وهو زبلٌ جَيدٌ للزَّيتون والضُّبّار[4]، وإن أُضِيْفَ إلى وِقْرٍ[5] منه ثلاثة أوْقَار من التُّراب، وخُلِطا معاً، فذلك جيدٌ للزَّرع.

صفةٌ أخرى: قال ابن بصَّال[6]: يؤخذ من الزِّبل المُضَاف المؤلَّف قَدْر حمل.

وقال غيره[7]: من أيِّ زبلٍ كان جزءاً قَدْر حَمْلٍ أو أكثر، ويُخْلَط معه ثلاثة أمثاله من تراب.

(١) هذه الصفة ذكرها ابن بصَّال، ص٥٢-٥٣. وذكرها أيضاً أبو الخير الإشبيلي، ص١١.

(٢) أبو الخير: رماد التنانير. المقنع: رماد التنانير أيضاً.

(٣) أبو الخير: الماء العذب وأبوال الناس. وكذلك هو في المقنع.

(٤) أبو الخير: جيد للزيتون والثمار. والصواب: الضبار: شجر كالبلوط، جزل الحطب، قيل: هو القرظ، وقيل: هو العفص. عمدة الطبيب، ص٥٤٤.

(٥) الوقر: الحمل الثقيل. المقنع: كل وقر (وهو تصحيف) الوقر: النقرة في الحجر.

(٦) ابن بصَّال: الزبل المولد: يوخذ حمل من زبل مضاف، ويضاف إليه ثلاثة أحمال من التراب.

(٧) المقنع، ص١٠.

قال أبو الخير[1]: وجزءٌ واحِدٌ من رماد، وجزء من رَمْل، ويُقَطَّع[2] ويُخْلَط بالتقطيع نَعَماً، ويُتْرَك حتى يمضي عليه حَوْل، ويُرَشّ مرّات بالماء البارد أو الحارّ، إن لم ينْزل عليه المَطَر، ويقطّع مرّات؛ فإنه يَنْقَلِبُ زبلاً جيِّداً، ويستعمل في كلّ ما يُحْتَاج فيه الزِّبْل.

صفة أخرى: قال ابن بصَّال[3]: يُؤْخَذُ من ذَرْق الحَمَام حَمْلٌ واحدٌ، ومن التُّراب عشرون حملاً.

وقال أبو الخير[4]: ومن نوى الزيتون حمل واحد، ويُخْلَط الجميع، ويُقَطَّع مِراراً، فإنّه ينقلبُ كلّه زِبْلاً طيباً عجيباً نافعاً للشجر والخُضَر، ويستعمل بعد مضي حَوْل.

قال قسطوس[5]: إنّي جَرَّبتُ في الزِّبل شيئاً لم تذكره النَّبَط ولا غيرهم، وذلك أني أخذْتُ من هذه الزُّبول المشهورة، وأحْرَقتها بالنّار حتّى صارت أرْمِدة، واستعملتُها فوجَدْتُها في نهاية الجُودة والصِحَّة للشجر والخُضَر.

(١) قول أبي الخير في كتاب الفلاحة، ص١١، والمقنع، ص١٠.

(٢) أبو الخير: يفتت.

(٣) ابن بصَّال، ص٥٣، وهو في المقنع، ص١٠، وكتاب أبي الخير، ص١١.

(٤) قول أبو الخير هذا سقط من النسخة المطبوعة (فاس، ١٣٥٧هـ).

(٥) قول قسطوس ساقط من كتاب الفلاحة الرومية، ولم يذكره ابن حجاج في المقنع.

لي(1): يُشْبه أن يكون رَمَاد الحمّامات التي تحترق فيها الزُّبول بهذه الصِّفَة.

قال ابن بصّال[2]: قالوا: لا يُسْتَعْمَلُ زِبْلٌ قبل أن يمضي له عامٌ، غير أنّ من أحبَّ استعماله قبلَ تمام العَام، فيجمع من الزِّبل ما أحبَّ، ويجعله في موضع، ويُسَوِّيه فيه، ويَحْفر في وسطه حُفَراً مفترقة، ويُعَمِّقُها قليلاً، ويجعَلُ في كلّ حُفْرَة منها منْ ذَرْق الحمام جزءاً على عشرين من الزِّبل أو أكثر من ذلك، ويُغَطّيه بالزِّبل، ويتركه كذلك شهراً فإنه يَنْضُجُ حتّى يكونَ كأنّه من ثلاثة أعوام.

لي[3]: جَمَعْتُ في القَصْر[4] زِبْلاً مؤلَّفاً من أرْوَاث الدَّواب، وكُنَاسَات[5] الدِّيَار، وتراباً أَسْوَدَ من قيعان المَزَابل، ورماداً، وفرشْتُهُ في [مكان] واحدٍ واسعٍ على الأرض، ونَزَل عليه الغَيْث على ذلك، ثم قُطِّع

(١) في الأصول الخطية: (لي)، والمقصود أن هذا التعليق لابن العوّام.

(٢) كتاب الفلاحة، ص٥٢، قال ابن بصّال: من أراد استعجاله قبل تمام العام فلينضجه بزبل الحمام.

وقال: يؤخذ زبل الحمام ويطرح فيه عشرون حملاً من تراب، ويترك عاماً، فإنه يأتي بزبل جيد.

(٣) هذا قول ابن العوّام.

(٤) يشير ابن العوّام هنا إلى خدمته في قصور المرابطين في الأندلس دون تعيين.

(٥) الكناسة: القمامة، والجمع: كناسات.

(وهو رَطْبٌ من ماء الغَيْث) بالمَسَاحِي[1]، ونُقّي مِمّا خالطه من حجارة وغير ذلك، وكُوِّم أكْوَاماً، ودُرِسَ بالأَقْدَام نَعَماً[2]، وبَعْدَ ليالٍ قُلِّبَتْ، وتشَقَّقَتْ تلك الأكوام، وتَهَرَّأَت[3]، وصار الكُلُّ في قَوَام ذَرْق الحَمَام ولونه، يفوحُ منه رِيْحُهُ، وطَرَحْتُهُ في أصُول شجر الزَّيتون: الأصل الكبير نحو نصف حِمْل صغير، والوسط والصغير أقل من ذلك، فرأيْتُ له منفعة عظيمة، وبَرَكَة كثيرة في كثرة حَمْل الزَّيتون، ووالَيْتُ ذلك أعْواماً كثيراً، فَحَمَدْتُهُ، وقامَ القليل منه مقام الكثير من الزِّبل المفرد.

* * *

(١) المسحاة: أداة من حديد ويدها من خشب تقطع بها التربة وتفتت وتقشر، والجمع: مساح.

(٢) نَعِمَ الشّيء ينعم نَعَماً ونعمة ونعيماً: لانَ ونضر ورق، ونَعُم نعومة: صار ناعماً ليناً.

(٣) مدريد: ونثرت، باريس: ونهرهت. المتحف: تهرت. والصواب: تهرأت: نضجت، ومنه هرئ اللحم هَرءاً وهُرءاً وهروءاً نضج أشد النضج.

[الـ]... (فصلُ) [العاشر]

[وقت التزبيل]

وأمّا وَقْت التزبيل من الشَّهْر العربي،

قال قوثامي في الفلاحة النبطيّة[1]: ينبغي أن لا [يُسَرْجَنَ] زَرْعٌ ولا نَخْلٌ ولا شجرٌ، ولا شيء من المنابت الصِّغار في أول يوم من الشَّهر، ولا بَعْده إلاّ أن يجوز القَمَرُ استقبال الشمس[2]، فإذا جَاوَزَ ذلك فلتُزَبَّل الأرض والمَنابت كلّها في نقصان القمر [من الضوء] وذلك من اليوم السادس عشر من الشهر القَمَري إلى آخره.

وقيل[3]: تُزَبَّل الكُرُوم في زيادة ضوء القَمَر، وذلك من أوّله إلى نصفه، فيبين نَفْعُهُ لها. وإنْ فَعَلَ ذلك في نقصان ضوئه لم يبن نفعُهُ لها. وفي ليلة امتلاء القَمَر يظهر من القُوَّة، والنموّ، والزِّيادة في الحُسْن والمنظر في النّبَاتُ ما يتبيَّن، ولا يَخْفَى.

وأمّا وقت التزبيل من السَّنَة الشمسيَّة فذلك مذكور في فصول هذا الكتاب فيما بعد -إن شاء الله (تعالى)- في الباب الجامع.

* * *

(١) الفلاحة النبطية: ٣٧٧.

(٢) قول قوثامي: والعلة في هذا أن الزبل إذا وقع في الأرض، والقمر زائد في الضوء أنبتت الأرض حشائش كثيرة. وإذا كان الضوء ناقصاً لم تنبت الأرض شيئاً من الحشائش.

(٣) هذه أقوال ماسي السوراني في الفلاحة النبطية: ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠.

[الـ]... (فصل) [الحادي عشر]

[ما يحتمل الزبل وما لا يحتمله]

قد تقدَّم أنّ من الأشجار والخُضَر ما لا تحتملُ الزِّبْلَ، ومنها ما تحتمله؛ فأمّا ما لا تحتملُ الزِّبلَ من الأشجار والخُضَر، ولا تحتاج إليه.

[قال قوثامي] في كتاب الفلاحة النبطية[1]: أمّا الأشجار التي لا تحتاج إلى تزبيل، ولا إفلاح فالجَوْز[2]، والبُنْدُق، والأَثْل، والخَرُّوب الشامي، والبلُّوط، والشّاه بلّوط، والغَار، وشجر الحبَّة الخضراء[3]، والزّيتون البَرِّي (وهو اللطيف الحَمْل)[4]، والوَرْد، وما أشْبَه هذه مِمّا يَنْبتُ في البراري كثيراً لِنفسه، وما طبيعته خَشِنة غليظة، وما توافقه الأرض الغليظة الخَشِنَة منها -فإنّها لا تحتاج إلى تزبيل، وإن زُبِّلت ببعض الأزبال التي ذكرنا كان ذلك نافعاً لها، وإن لم تُزَبَّل لم تحتج إليه؛ لأَنّ الأرض الحُرَّة والصُّلْبَة والبيضاء الجُصِّيَّة توافق ذلك الشجر، ويَقْوَى فيها، ولا يحتاجُ إلى تَعَاهُدٍ وإفلاحٍ، وإن استُعْمل التَّعَاهُدُ والإفلاحُ فيها كان أصلح لها.

---

(١) الفلاحة النبطية: ٣٦٨.

(٢) الفلاحة النبطية: مثل شجرة إبراهيم وشجرة الجوز والبندق والشربين والأثل والحور.

(٣) الحبة الخضراء: هي البطم.

(٤) الفلاحة النبطية: اللطاف الحمل.

قال قوثامي[1]: جميع الأشجار التي لها دُهْن لا تحتاجُ إلى تزبيـــل، وإنْ زُبِّلت نَفَعَها الزِّبل و لم يَضُرْها.

وهي تقبل التركيب دون غيرها من الأشـــجار الـــتي لا تحتمـــل الزِّبْل[2] [مثل]:

الرَّيحان، والياسمين، والأُتْرج، والنَّارَنْج، والمَوْز —والـــتي يُهلكُهـــا الزِّبل من الأشجار، وهي كالسُّمِّ لها: السَّفَرْجل وحبّ الملوك، والتفّـــاح، والورد، والرَّند، والصَّنَوْبر، والمُشْمُش، وذوات الصُّمُوغ[3] كلها يفسدُهَا الزِّبل.

(١) لم نعثر على قول قوثامي في الفلاحة النبطية.

قال ابن حجاج في المقنع (ص١٠)، الأرض السمينة لا تحتاج إلى كثرة زبل.

وعدد قوثامي الأشجار التي لا تحتاج إلى تزبيل (الفلاحة النبطية: ٣٦٨).

وقال: الأرض الحرة الصلبة والبيضاء الحُصِّيَّة... لا تحتاج إلى تعاهد وإفلاح.

وقال (ص٣٧٣): الأرض الطيبة لا تكاد تحتاج إلى تزبيل.

(٢) قال ينبوشاد في الفلاحة النبطية: ١٤٣، الآس وهو سيد الرياحين ليس يحتاج إلى إفـــلاح وخدمة إذا كانت أرضه نقية من الدغل والحشيش.

(٣) ذوات الصموغ: البرقوق واللوز وعيون البقر والخوخ.

وأما ذوات الأدهان: الزيتون والرند واللبان والضرو.

وذوات الألبان مثل التين والدفلى.

ومن الخُضَر والرَّيَاحين التي يفسدها الزِّبل: الموز، والمَرْدَقُـــوش[1]، والبنفْسَج، والنَّعْنَع، والرَّيحان، والبَادَرُوج[2].

ومن الخُضَرَ: الفِجْل، واللِّفْت والجَزَر.

ومن الأشجار التي تحتمل الزِّبل: الزَّيْتُون، والتِّين، واللّوز، والنَّخْل، والكُمَّثْرى، والرُّمَّان، والأَعْنَاب، والفُستق، وما أشبهها.

* * * * *

(١) هو مردقوش ومرزنجوش ومردكوش: هو السمسق والعنقر.

(٢) البادروج: هو الحبق الصعتري المسمى شاهسفرم.

[الفصل الأول]

[في أنواع المياه المستخدمة في السقي]

"في أنواع المياه المستعملة في سَقْي الأشجار والخُضَر، وما يوافقُ من أنواع المياه كلَّ نوعٍ من أنواع الخُضَر، وكيفيَّة العَمَل في فتح البئار في الجنّات؛ لسقيها وتَعْديل أرضها لجري الماء منها وإليها، وذكر ما يُستَدَلُّ به على قُرْب الماء من وَجْه الأرض، وبُعْده عنها، وما يشبهه في معناه، وهو لاحقٌ به"

قال قوثامي في الفلاحة النبطيّة[١]: الماءُ المَشْرُوبُ المحمودُ هو الذي يُقَال عليه إنَّه "العَذْب" وهو الذي لا يغلبُهُ طَعْمٌ يُضَافُ إليه.

والعُذُوبة هي الطَّعْمُ التَّفِهُ[٢]، والماءُ المُرُّ هو شرُّ[٣] المياه، ثم الماءُ المالحُ الزُّعَاق[٤]، ثم القابضُ العَفْص، ثم ما غَلَب عليه طَعْمُ بعض المَعَادن[٥].

---

(١) قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٨٧.

(٢) الفلاحة النبطية: وقد يخرج عن هذا الطعم العذب التفه إلى طعوم مختلفة، بحسب أصل مخرجه من العيون النابع منها، ومقدار جريه على التراب.

(٣) الفلاحة النبطية: أشر.

(٤) قال هو من الرداءة والضرر أن شاربه لا يروى ويزداد عطشه.

(٥) الفلاحة النبطية: ثم الكبريتي، ثم الرصاصي، ثم النحاسي، ثم الزاجي، ثم البورقي، ثم النطروني ثم العفن.

قال أبو الخير الإشبيلي[1]: الماء ستّةَ أنواع[2]، منها:

الماء العذب؛ وهو أخفُّها وَزْناً، وأوفقُها لتغذية الناس والنبات.

وماء المطر؛ وهو الماء المبارك، وهو يصلح لسقي ما لَطُفَ من النبات؛ مثل: الزَّرع والقَطَاني، وجميع الخُضَر التي تقومُ على ساق واحدة، ممّا أصلُهُ قريب من وجه الأرض، وهو يصلح لسَقي أبقال[3] الأشجار، وهو يُرَبّيها.

قال ابن بصّال[4]: هو أحمدُ المياه وأفضلها، يجودُ به جميع النبات لعذوبته[5] ورطوبته، ويجودُ به الكُرُنب[6] والقَطَف[7] والباذنجان وشِبْهها.

(١) قول أبي الخير سقط من كتابه (الفلاحة).

(٢) الأنواع الستة هي: الماء العذب، وماء المطر، وماء الأنهار، والماء الزعاق، والماء المر، وماء العيون. وأضاف ابن بصّال: ماء الآبار.

(٣) جمع بقل: بقول، ولم يرد في جمعه: أبقال، ولعلّ المقصود: أنقال؛ جمع: نقلة.

(٤) ابن بصّال: كتاب الفلاحة، ص٣٩.

(٥) ابن بصّال: لعذوبته ورطوبته واعتداله، وتقبله الأرض قبولاً حسناً، ويغوص فيها.

(٦) ابن بصّال: الأكرنب والبقل؟

(٧) القطف: هو الريحان اليماني المسمى: البقلة الذهبية.

وماء الأنهار: قال أبو الخير[1]: ما عَذُبَ ماؤُهُ منها، وصَفِي، فيصلُحُ لسقي جميع الخُضَر؛ مثل[2]: القَرْع، والباذنجان، والثوم، والبصل، والكُرّاث، وجميع أنواع الخُضَر البستانيّة، وبعض الزّراريع البرّيّة، مثل الكِتّان، وجميع أنواع الزّراريع العطريّة؛ كالكراويا، والحُرْف[3]، والشُّونيز[4]، وشبهها.

وهذه الخُضَر تحتاج إلى ماء النهر احتياجاً كثيراً إذا كَثُرَ عليها الزِّبلُ، وكذلك أكثَرُ الخُضَر التي أصلُها ضعيفٌ وقريب من وجه الأرض، فإنّها تحتاج إلى ماء كثير، وزِبْلٍ وافرٍ، وهي تجودُ بماء النّهر أكثر مِمّا تجود بغيره من المياه.

قال ابن بصّال[5]: مياه الأنهار طبائعها مختلفة باليُبوسة والرُّطوبة والحُرُوشة[6]، وهي تذهبُ برطوبة الأرض، فتحتاج لذلك الخُضَرُ الضعافُ التي تُسقى بها إلى الزّبل الكثير.

(١) قول أبي الخير ساقط من المنشورة، وهو مضمن في كتاب ابن بصّال.

(٢) ابن بصّال، ص٣٩.

(٣) الحرف: هو حب الرشاد. ومنه حرف الماء، ورقه كالنعنع، يسمى: جرجير الماء (عمدة الطبيب، ص٢٠٩).

(٤) الشونيز: يسمى الكمون البري وقزحة، وحبة البركة، والحبة السوداء.

(٥) كتاب الفلاحة، ص٣٩.

(٦) ابن بصّال: الحروشة واللين.

والماءُ الزُّعَاق والمُرُّ[1]:

قال ابن بصَّال[2]: يَصْلُحَان لبعض بقول الجنّات، مثل: الفَرْفَج[3]، والبَقْلة، والرِّجْلَة[4]؛ -وهي البَقْلَة اليمانية، وهي اليَرْبُوز[5]- والبقلة الذهبيَّة، وهي القَطَف[6]، والدُّسْتِي[7] وهو الإسْفَنَاخ[8]، والخَسّ والهِنْدِبَاء[9]، والسَّوْسَن البُسْتَاني، والملوخية، وشبه ذلك.

---

(١) انظر في مضارهما ومنافعهما في الفلاحة النبطية: ٨٩.

(٢) قال ابن بصَّال سقط من النسخة المنشورة، وهي مختصر لكتابه الكبير المسمى: القصد والبيان.

(٣) الفرفج: اسم البقلة الحمقاء، أو البقلة المباركة أو البقلة اللينة، أو بقلة الزهراء.

(٤) الرجلة: هي البقلة اليمانية، وهي نوع من الحبق تشبه القطف.

(٥) اليربوز والجربوز: هي البقلة اليمانية.

(٦) البقلة الذهبية هي الريحان اليماني، والخوشان، وتسمى السرمق أو بقلة الروم.

(٧) الدستي هو الإسفاناخ الرومي، جلب بزره إلى الأندلس من تستر في المشرق، وهي لفظة فارسية أصلها دشتي أي صحراوي أو بري، وهو في بعض المراجع الهندباء البري. (انظر: عمدة الطبيب، ص٢٩٩) ورئيس البقول، وقد يسمى البقلة الذهبية والريحان اليماني والقَطَف البري. أو السبانخ.

(٨) الأسفاناخ: هو القطف أو الريحان اليماني.

(٩) هو هندب وهندباء: هو السريس من أنواع البقول وقد تسمى بقلة العصافير، وهي أنواع كثيرة. انظرها في عمدة الطبيب، ص٨١٥-٨١٧.

ويَصْلُحان أيضاً لسَقْي الكِتَّان، والقَرْع، والباذِنْجان، والحنّاء، وضروب الأحباق، وشبه ذلك.

وأمَّا العُيُون العَذْبة الماء:

قال أبو الخير الإشبيلي[1]: تصلُحُ لسَقْي كلّ ما يُزْرع في الجنّات غير الذي ذكرنا (قَبْلُ).

قال ابن بصَّال[2]: ماء العيون وماء الآبار يوافقان من الخُضَر ما له أصلٌ كبير غائر تحت الأرض؛ كالجَزَر [والفُجْل][3] واللِّفْت الطويل، ولا يتمّ صلاحها إلاّ به [سواء] أكانت أرضُها ثريَّة بماء المطر أمْ لم تكن. [ولا بد له من السَّقْي] بماء الآبار وماء العيون في شدة البرد، فيحرِّك الخُضَر [ويُدْفئها][4] وإذا سقيت بهما صَلُحَت.

والخُضَر تحتاج الماء النَّابع في ثلاثة أوقات من السَّنَة: في فصل الشتاء، وفي وقت الخريف، وفي فصل الرَّبيع، أمّا في فصل الشتاء فيحرك[5] الماءُ النَّابعُ الخُضَرَ برقّته ورطوبته ودِفئه إذا سقيت به، فإن لم

---

(١) هذا القول سقط من كتاب أبي الخير الإشبيلي المنشور.

(٢) ابن بصَّال: الفلاحة، ص٤٠.

(٣) سقطت من الأصول الخطية وهي في كتاب ابن بصَّال.

(٤) الزيادات كلها من ابن بصَّال.

(٥) ابن بصَّال: يكون عند شدة برد الهواء دفيئاً ليناً يحرك الخضر إذا سقيت في هذا الفصل.

يكن ذلك فيُعَوَّض عنه بالزِّبل الكثير، وكذلك تَصْلُح الخُضَر إذا سُقِيَتْ به في فصل الخريف[1]، وفي فصل الربيع صلاحاً بَيِّناً.

<u>والماء المالح: قال أبو الخير</u>[2]: هو الذي يَنْعَقِدُ منه المِلْح، وماء البَحْر ليس يَصْلُحان[3] لسَقْي شيء من النبات، بل هُمَا مُفْسِدان لجميع الشجر والخُضَر.

<u>لي</u>[4]: وأمّا المياه الحديديَّة والكِبْريتية والنُّحاسيَّة وشبهها فغير موافقة للنبات. وأفضل المياه الماء العَذْب كما تقدّم القول فيه.

* * *

---

(١) ابن بصّال: وفي فصل الحر يصلح الخضر ببرده صلاحاً بيناً.

(٢) قول أبي الخير سقط من كتابه المنشور باسم: كتاب في الفلاحة.

(٣) ذكر صاحب الفلاحة النبطية طرائق في معالجة الماء المال حتى يتحول شبه عذب، ويستفاد منه في الشرب والسقي. انظر: الفلاحة النبطية: ٩٠.

(٤) أضاف قوثامي في الفلاحة النبطية: ٨٨: الماء العفص القابض، والماء الرصاصي والزاجي، والحديدي، والكبريتي، والماء العفن المنتن، والكدر الغليظ الراكد.

[الـ]... (فصل) [الثاني]

[دلائل قرب الماء وبعده عن الأرض]

"ومِمَّا يُسْتَدَلُّ به على قُرْب الماء من وَجْه الأرض وبُعْده منها"

مَنْ أحبَّ أنْ يَفْتَحَ بئراً، قالوا[1]: يُسْتَدَلُّ على ذلك بأنواعٍ من النَّبات، وبلون وَجْه الأرض[2]، وبطعمه وبريحه، وغير ذلك مما يذكَرُ بَعْدُ (إن شاء الله تعالى).

<u>قال قوثامي في الفلاحة النبطية</u>[3]: إنَّ الجبال التي فيها مياهٌ كثيرة قريبة من وَجْه الأرض يَظْهَرُ على سُطُوحها نَدَاوَة بَيِّنَة، توجَدُ باللَّمْس باليد، وتُرَى بالعَيْن، ولاسيَّما في أول ساعة من النَّهار، وفي آخر ساعة منه؛ يَظْهَرُ على وجه الأرض فها شِبْهَ عَرَقٍ ونَدَى، فمتى أردتَ اليقين بذلك، فخُذْ شيئاً من ترابٍ سحيقٍ فَغَبِّر[4] به وَجْه حجارة تلك الجِبال، وسطْحَ الأرض، وانتظر إلى العِشاء، فإن رأيتَ ذلك الغبار قد تَنَدَّى، ففي

---

(١) هذه أقوال أبي الخير الإشبيلي، ص٥، وابن حجاج في المقنع، ص٧.

(٢) قال قوثامي: ينظر إلى وجه الأرض، فإن كانت متقذرة، ممتلئة، رضراضاً، خشنة، قحلة الوجه، عديمة النبات فهي عديمة المائية. وإن رأيتموها دمثة التربة، سوداء اللون، شديدة الغبرة، لزجة، فهي أرض ماء، والماء في غورها كثير ممكن. (الفلاحة النبطية: ص٥٨).

(٣) قوله في الفلاحة النبطية: ٥٧، وذكره أبو الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة: ٩٢.

(٤) أبو الخير: تغبر به وهدة من حجارة تلك المواضع ضحوة، وينظر إليها بالعشي. (كتاب الفلاحة، ص٩٢).

ذلك الجَبَل ماءٌ قريبٌ من وجه الأرض، وعلى قَدْر كثرة الماء في ذلك الجَبَل وقُرْبه من ظاهِرِه يكونُ كثرةُ النَّدَى. وإن كان الماءُ هناك قليلاً أو بعيداً كان ذلك النَّدَى ضعيفاً، فاعلموا هذا.

وقد يُستَدَلُّ على كون الماء في أَغْوَار الجبال[1] بالاستِماع بالأُذن لدَوِيِّه[2].

ويُستَدَلُّ على ذلك أيضاً بصِفَةِ تراب وَجْهِ الأرضِ من المَلاسة والخُشُونة، وغير ذلك من أحْوالها، ومِمّا يظهرُ على وَجْهها من الدّسُومة المعروفة للأرض، أو عَدَمها، وهو القَشَف[3]، فاعلموا ذلك.

وانظروا إلى وَجْه الأرض، فإن كانت التُّربةُ دَسِمَةً سَوْداءَ اللون، أو شديدة الغُبْرة، دَسِمة في المَجَسَّة[4] إذا أصَابها أدنى ماء، فاعلموا أنَّها (أرضُ ماءٍ) وأنَّ الماء في غَوْرها، وفي عُمْقها كثير متمكِّن[5].

---

(١) هذا قول قوثامي في الفلاحة النبطية: ٥٧، والفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص٩٢.

(٢) الفلاحة النبطية: لأن الماء إذا كان كامناً كان له حفيف ودوي.

(٣) القَشْف والقَشَف: قذارة الجلد، والخشونة، والوسخ.

(٤) الفلاحة النبطية: سمينة دسمة لزجة في المجسة.

(٥) الفلاحة النبطية: ممكن.

وإن كانت الأرضُ[1] لَزِجة رِخْوَة سَوْداء دَسِمَة[2]، وإذا عَجَنْتَ شيئاً من تُرَابها وجَدْتَ فيه صَمْغيَّة، فهي رَيَّانة[3]، فيها ماءٌ كثير. وإنْ كانت خَشِنَة قَحْلَة الوجْه، عديمة النبات، أو هو قليلٌ فيها، فاعلموا أنَّها عديمةُ الماء جداً. وكذلك إنْ رأيتم المَدَرَ المتكوِّن على وَجْهها قطعاً قطعاً[4]، وهو يابسٌ قَحْلٌ شديدٌ، وسوادُ وجه الأرض أصْفَرُ لوناً، مائلٌ إلى البياض، فاقضوا في هذه الأرض على عَدَم الماء منها ألبَتَّةَ.

وأمّا الأرضُ[5] القحلة اليابسة التي يكون لونُ مَدَرِها المتكوِّن فيها بمنزلة الخَزَف اليابس، فإذا رأيتموها كذلك، فاعلموا أنّها عديمة الماء.

فإن كان لَمَدرِها طَنينٌ كَطَنين[6] الخَزَف، فهو أوكد الأدلّة على أنّها عديمة النَّداوة والماء.

وأمّا الاستدلالُ على قُرْب الماء[7] وبُعْده بطَعْم التُّراب وريحه؛ فيُحْفَرُ في تلك الأرض حفرة عُمْقَ ذراعٍ، ويؤخذُ من تراب أسفلها فينْقَعُ

---

(١) الفلاحة النبطية: ٥٨.

(٢) الفلاحة النبطية: سوداء سواد الدسومة.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: زيانة (بالزاي).

(٤) الفلاحة النبطية: أن يكون مدرها بمنـزلة الخزف اليابس.

(٥) الفلاحة النبطية: ٥٩.

(٦) المتحف وباريس ومدريد: طين كطين.

(٧) الفلاحة النبطية: ٦٢، والمقنع: ٦، وكتاب أبي الخير: ٤.

في ماء عَذْبٍ في إناء نظيف؛ ويُذَاق الماء، وتُذَاق التُّربة، وتُستَطْعَمُ؛ فـإن ضَرَبَ طَعْمُهَا، أو طَعْم الماء الذي نُقع فيها إلى مَرَارة، فتلك الأرض عديمة الماء ألبتة[1]، وإن ضَرَب إلى ملوحة حادة[2]، فهي عديمة الماء أيـضاً، وإن ضرب إلى ملوحة خفيفة[3]، فهي أقرب إلى الماء قليلاً، وإن كان لا طَعْمَ له، فالماء أقرب من وَجْه الأرض، وإنْ كان [يَضْرِب] إلى التَّفَاهة[4]، فالماءُ إلى سَطْحها قريبٌ.

ويُشَمُّ ذلك التُّراب[5]، فإذا كانَ بين الماء[6]، وبين وَجْـه الأرض أذْرُعاً يسيرة، وجد ريحُ ذلك التُّراب مثل رائحة التراب المُستَخرج مـن السَّوَاقي والأنهار الدَّائمة المياه إذا جَفَّ ذلك التـراب منـها. وكـذلك الرائحة الشبيهة[7] بالعُفُونة تدلُّ على قُرْب الماء. والشبيهة برائحة الطّحْلُب كذلك.

(١) الفلاحة النبطية: عديمة المائية.

(٢) الفلاحة النبطية: وإن كان يضرب إلى عفونة أو ملوحة حادة فهي عديمة الماء.

(٣) الفلاحة النبطية: خفيفة عذبة؟؟

(٤) الماء التفه: الذي ليس له طعم.

(٥) الفلاحة النبطية: ٦٢.

(٦) الفلاحة النبطية: الماء في غور الأرض.

(٧) الفلاحة النبطية: التي تضرب إلى العفونة.

ومن كتاب الفلاحة النبطية، وكتاب الفلاحة لابـن بـصَّال، وكتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، قالوا[1]: يُستَدَلُّ أيضاً على قُـرْب الماء في الأرض السَّهْلَة أن يَنْبُتَ فيها شجر السَّرْو، والـبُطم، والعُلّيْـق، والعَوْسج، والصَّعْتَر؛ **قال ابن بصَّال**[2]: هو الذي يسمّى "الحُلَّب"[3] **وفي الفلاحة النبطية**[4]: العَوْسَج الصغير خاصَّة من نوعه هو الذي يدلُّ علـى الماء، لأن العوسج الكبير ينبُتُ في الأرض القَشْفَة البعيدة المـاء، والنـوع الصغير اللطيف منه ينبت في الأرض النَّدِيَّة التي في سطحها الماء[5].

(١) الفلاحة النبطية: ٥٩، وابن بصَّال: ١٧٥، وأبو الخير: ٥-٦، ٩١-٩٢. الفلاحة النبطية: المنابت التي يستدل بها على الماء القريب: الخربق والزلم، ولـسان الكلـب، والحمـاض والعوسج ولسان الثور، والبردي، والحبق البري، والقصب، والقراص، والثيل، وإكليـل الملك وعنب الحية وعنب الثعلب.

وقال أبو الخير: العليق والسعدوالبردي والديس (السمار) ولسان الثور، والغبيراء، وكزبرة البئر.

وقال ابن بصَّال: البطم والعليق والبردي والسعد، والحماض، والعوسج الـصغير، وهـو الحلب، ولسان الثور، وكزبرة البئر، والبابونج وإكليل الملوك والضومران والدوم.

(٢) ابن بصَّال، ص١٧٥، قال: العوسج الصغير وهو الحلب.

(٣) الحلب: نوع من العوسج، له وصف في كتاب النبات لأبي حنيفـة، ص١٠٤؛ وعمـدة الطبيب، ص٢١٨.

(٤) الفلاحة النبطية: ٥٩.

(٥) أضاف قسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٣٣: الحاج والثيل والسوس والقصب.

والطَّرْفاء[1]، والبَرْدِيّ، والسُّمَّاق، والحُمَّاض[2]، ولسان الحَمَل[3]؛ وهو ينبتُ في المواضع الرَّطبة بالماء، وفي السِّبَاخ والآجام.

ولسان الثّور[4]، والفُوذَنْجَات[5]، والبَابُونَج، والخَطْمِي[6]، وكُزْبرة البئر[7] (وهي البَرْشاوشان)، والدِّيْس[8] والسُّعْدَى[9]، والثِّيْل[10]،

---

(1) الطرفاء: هو شجر الأثل، وثمره: جوز الطرفاء، أو عفص الطرفاء.

(2) الحماض أنواع كثيرة، وغالباً ما يطلق على البقلة الخراسانية ومنه: حماض الأسد، والبقر، والبر، والبهائم، والسواقي، وحماض الماء.

(3) لسان الحمل: يسمى أيضاً: ذنب الثعلب، وآذان الجدي، ولسان الكلب. وهو ورق الصابون.

(4) لسان الثور هو الحمحم ويطلق عليه أيضاً: ذنب القط ومفرح.

(5) هو فودنج وفوتنج: حبق الماء، والنعنع البري، والضومران.

(6) الخطمي: نبت الغسول، ويسمى: الغسل أو الخبازى البري أو العضرس.

(7) هي بالفارسية برشاوشان، يستدل به على قرب الماء ويسميه العرب: شعر الجبار وشعر الجن (الفلاحة النبطية: ٦٠).

وقيل: هو بالفارسية برسياوشان ومعناه: دواء الصدر. ويسمى: شعر الكلاب، وشعر الغول، وشعر الجن، وكزبرة البير.

(8) الديس: هو السمار الذي تصنع منه الحصر.

(9) السُّعد والسعدى هو الخلنجان البري أو ريحان القصارى.

(10) الثيل: كل نبات لا ساق له، وخصوا به النجيل أو نجم الصليب.

وإكليل الملك[1]، والخِرْوَع، والضَّوْمَرَان[2]، والأَسَل[3]، والخُبَّازَى[4]، والخَنْدَقُوقا[5]؛ وهو ينبتُ في المُرُوج، والقَنْطُورِيون الصغير[6]، وهو الزَّلَم الصغير[7]، فهذه وشبهها تنبُتُ في المواضع الرَّطبة القليلة الماء، وقُوَّتُها وكثرة وَرَقها، وأغصانها وعروقها، ودوام خُضْرتها يدلُّ على كثرة الماء في باطن الأرض التي تَنْبُتُ فيها، وعلى قُرْبِهِ وبالضِّدِّ. ويدلُّ على قرب الماء وعُذُوبته القَصَب[8] والثِّيْل[9].

---

(1) إكليل الملك: هو النفل.

(2) الضومران والضيمران: النعنع البري أو حبق الماء.

(3) الأسل: هو سمار الحصر وهو نوع من الديس.

(4) الخبازى: البقلة اليهودية.

(5) هو هندقوقى وحندقوق وحندقوقاء بستاني: هو النفل ولوطس، وهو الحباقا عند أهل الحيرة. عمدة الطبيب، ص٢٣٢، والنبات لأبي حنيفة، ص١٧٨.

(6) قنطريون صغير: هو الطرطر وفصة الحية والمرارة. وهو أيضاً: قنطوريون أي عشبة المرارة، وهي المعروفة بالشبرق. أما القنطوريون الكبير فهو فول الحمام، انظر تفصيلات ذلك في عمدة الطبيب، ٦٨٤-٦٨٦.

(7) حب الزلم: هو حب العزيز (لأن فرعون كان مغرماً به) وهو أيضاً فلفل السودان.

(8) القصب يسمى بالنبطية (زالا). الفلاحة النبطية: ٦٠.

(9) الثيل: هو النجيل أو نجم الصليب، ويسمى بالنبطية (إثيالا) الفلاحة النبطية: ٦٠.

وفي الفلاحة النبطية[1]: وتَسْكُنُ عَرُوق هذه المنابت في الأرض جدّاً، وبأصْلِها في الأرض، ولاسيّما في فصل الصيف والخريف [وهذا] يدلُّ على كثرة الماء في باطن تلك الأرض.

وقال في الفلاحة النبطية، وفي غيرها[2]:

ومّما يستدل به أيضاً على قرب الماء، ويُعْرَف به طعمه: أن تحفرَ في الأرض —ولاسيما التي تُنبتُ تلك المنابت المذكورة أولاً— حفْرَةً عُمْقَ ثلاثة أذْرُعٍ أو نَحْوَها، ويؤخذ إناء من نُحَاسٍ[3] أو رصاصٍ شبه الطَّسْت[4] أو السَّطْل الكبير قَدْر ما يَسَعُ عشرة أرطال أو نحوها، وقيل:

(١) الفلاحة النبطية: ٦١-٦٢. قال: انظر إلى وشوج عروق النبت في الأرض، فإن كانت متمكنة جداً قد ضربت العروق إلى غور كثير في الأرض، فثم ماء قريب في باطن الأرض. وإذا انبسطت العروق على وجه الأرض في الشتاء والربيع، فاعلم أنها تنبت من ماء الغمام.

(٢) هذه الطريقة موصوفة في الفلاحة النبطية: ٦٣، وابن بصّال، ص١٧٦، والفلاحة الرومية: ١٣٤، والمقنع: ٧-٨، وكتاب أبي الخير، ص٧-٨.

(٣) سمى قوثامي هذه الآلة (ممراثا) وقال هي على هيئة المحجمة تصنع من الأسرب أو النحاس أو الخزف كهيئة نصف دائرة.

الرومية: قدر من صفر أو بستوقة. ابن بصّال: كورة مجوفة من نحاس.

المقنع وأبو الخير: نصف كورة مجوفة من نحاس أو رصاص أو خزف.

(٤) هو طشت وطست وتشت.

من فخّار. **وفي الفلاحة النبطية**[1]: وليكُنْ الإناء نصفَ كُرَةٍ قدْرَ ما يَتَّسع من الماء؛ سبعة أرطال إلى واحدٍ وعشرين رطلاً[2].

قالوا: تؤخذ قطعةٌ من صوف أبيض، وتُغْسَل نَعَماً حتى لا يكون فيها طعْمٌ لشيء، ثم تُيبَّسُ وتُنشّفُ، وتُرْبطُ بخيط في وسط ذلك الإناء، وفي جوانبه من داخله، ولا يَمَسُّ ذلك الصُّوف الأرض إذا كُفِأ الإناءُ على وجهه.

وقيل[3]: يُدْهَنُ الإناء من داخله بقِيْر مُذَاب أو بشحم أو بدُهْن —ولاسيّما إن كان من فَخّار- فيدهن بذلك (ولا بُدَّ)، قالوا: فإذا غابت الشمس فَيُكْفَأ ذلك الإناء على فَمِهِ من أسْفَلَ تلك الحُفْرَة، وتُغَطّى

(١) الفلاحة النبطية: ٦٣.

(٢) ابن بصّال: تسع تسعة عشر رطلاً أو أكثر.

(٣) الفلاحة النبطية: يجعل في قعرها قطع شمع مذاب.

ابن بصّال: يطلى داخلها بالشمع المذاب والزفت.

الرومية: شمع مذاب.

المقنع: شمع أو زفت.

أبو الخير: بالشمع المذاب والزف.

المسعودي: تطلى جوانب الكرة بموم مذاب (شحم) أو بشمع مذاب (مروج الذهب: ٥٥/١).

بحشيشٍ رَطْبٍ[١] وتُراب قَدر ذراعٍ. وقيل: تُغَطّى بالتراب حتى تَمْتلـئَ الحُفْرَة.

قالوا[٢]: فإذا كان من الغد قبل طلوع الشمس[٣] يُزَالُ جميعُ مـا غُطِّي به ذلك الإناء، ويُنْظَرُ إلى ذلك الصُّوف؛ فإن كان في ذلك المَوْضع ماءٌ قريبٌ، فيجدُ ذلك الصُّوف قد استنْقَعَ منه[٤]، وإن كان المـاء فيـه متوسِّطاً فتجد الصوف قد تندَّى وتَرَطَّبَ، وإن لم يكن كذلك فالمـاء في ذلك الموضع بعيد، وإن وجَدْتَهُ جافّاً فليس هناك ماءٌ، أو قد حال دونـه حَجَرٌ صَلْدٌ. ومع كثرة الماء في ذلك الموضع قد توجد جِبَاب[٥] من الماء، وقد يَعْلَق بالماء [رائحة] أو يُذَاق ذلك الماءُ، فطعم ماء ذلك الموضع مثـل طعمه أو قريب منه (إن شاء الله تعالى).

---

(١) المقنع، ص٨.

(٢) يفعل ذلك قبل غيبوبة الشمس (المقنع، ص٨).

(٣) تخرج قبل طلوع الشمس، الفلاحة النبطية: ٦٣، والفلاحة الرومية: ١٣٤، والمقنـع: ٨، وابن بصّال: ١٧٦، وكتاب أبي الخير: ٨.

(٤) الفلاحة النبطية: تجد الصوفة مبتلة قد عرقت وترطبت وابتلت.
الرومية: وجدت تلك الصوفة قد امتلأت ماءً.
ابن بصّال: فإن كان الصوف قد ابتل بالماء والإناء كذلك.
ابن حجاج وأبو الخير: فتجد الصوفة مملوءة والإناء كذلك.

(٥) الحباب: طرائق على وجه الماء وفقاقيع.
والجب: البئر الواسعة، والجمع: جباب، وهو المقصود.

قال ابن بصّال[١]: قد جَرَّبناه واخْتَبَرْناه فوجَدْناه على حسب ما ذكروه.

وقال ابن بصّال[٢]: ومِمّا وجَدْناه[٣] أيضاً في معرفة ماء البئر قبل أن يُفتَح؛ أن يُحْفَر في ذلك الموضع الذي يراد فتح البئر فيه حفرة عميقـة قَدْر ذراعٍ. ويؤخذ من تراب أسفلها قطعة، وتُجْعَلُ في صَحْفَة[٤] حَنْتَمٍ[٥] جديدة، ويُلْقَى عليها من الماء العَذْب الحلو؛ مثل: ماء المطر، وشـبهه، أو [ماء] بئار، ويُحَلُّ فيه التُّراب ويُتْرَك إلى الغَدِ، ويُذَاق ذلك الماء؛ فإن كان عذباً فماء ذلك الموضع عَذْبٌ، وإن كان على غير ذلك فماء ذلك الموضع على حسب ما تجد من طعم ذلك الماء.

* * *

---

(١) ابن بصّال: ١٧٦، قال: هذا مما جربه صاحب النسخة واختبره فوجده كما وصف.

(٢) ابن بصّال: ١٧٦.

(٣) قال ابن بصّال: ومما جربته أيضاً في معرفة طعم الماء.

(٤) ابن بصّال: في صحيفة (تصحيف).

(٥) الحنتم: الخزف الأسود، وقيل: الجرة الخضراء، وأصلها: شجرة الحنظل.

[الـ]... (فصل) [الثالث]

[في فتح الآبار]

وأمّا فتح الآبار في الجنّات[1]، وفي الدِّيَار:

قال أبو الخير الإشبيلي[2]: البئر المستديرة الأسفل، المستطيلة الفم تُعْرَف بـ(العَرَبي)[3]، والمستطيلة الفم والأسفل معاً تُعْرَف بـ(الفارسي).

وقد تكون البئر المستديرة الأسفل أكثر ماءً من المستطيلة إذا كانت استدارتها على قدر تلك الاستطالة؛ لأنها تكون أَوْسَعَ فناءً.

قال قوثامي في الفلاحة النبطيّة[4]: إذا حَفَرْتَ البئر، فرأيتَ الأرضَ صُلْبَة فَوَسِّع استدارة البئر أكثر من المعهود، وإن كانت رِخْوَة فضَيِّقها، فإذا نَبَعَ الماء فيؤخذ منه في كُوْزٍ ويُذَاق؛ فإن كان حُلْواً فيتَمَادَى في العَمَل، وإن كان مُتَغَيِّر الطَّعْم، فيُمْسَك عن العمل قليلاً، ثم يُذَاق مرّة أُخْرَى، فإن كان على الحقيقة متغيِّراً إلى المُلُوحة فيُسْتَمَرّ بالعَمَل، ولا

---

(١) ابن بصّال، ص١٤٧، والفلاحة النبطية: ٧٠.

(٢) هذا النص سقط من كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي.

(٣) البئر مؤنثة، وكان ينبغي له القول: تعرف بالبئر العربية، لكنه اعتمد الاسم المعروف شعبياً.

(٤) الفلاحة النبطية: ٧٠.

بأسَ، فإن كان فيه مَرَارة أو زَعَارَة[1] فتُغَطّى البئر إلى الغَدِ، ثم يعاد إلى البئر، ويُتَمّ العَمَل.

قال أبو الخير الإشبيلي[2]: البِئْرُ العميقة تَفْتَحُ فيها فَتْحاً كبيراً؛ لتكونَ سَانِيَتُهَا[3] كذلك. فإن كان عمق البئر نحو خَمْس قامات[4]؛ فليكُن طول فم البئر نحو ستّة عشر شِبْراً، ليدخُلَ في الطَّيِّ من ذلك نحو ذراعين، ويبقى فيها نحو تسعة أشْبَار، وإن كان العُمْقُ أكثر فاعْمَل فَمَ البئر أكبر لتكون سانيتُهُ أكبر، ويكون قُطْرُ دَوْرِها[5] نحو اثني عشر شبراً.

وفي "الفلاحة النبطية"[6]: إن ظَهَر للحَفّار أن البئرَ عيونها قليلة، وأنّ ماءَها نَزْرٌ، فإنْ أرَدْتَ تكثيرَ مائها، فَعَمِّق حَفْرَهَا فضل تعميق، واجتهد في ذلك غاية ما تقدّم عليه، فإن أرَدْتَ أن تكثّر ماءَها نَعَماً،

(١) الفلاحة النبطية: إن كان فيه زعارة أو مرارة فينبغي أن يكفوا عن العمل ويغطوا البئر، وينصرفوا عنها إلى الغد، ويعطل العمل في البئر إذا كان لها بخار خبيث السريح، ودهان غريب قاتل.

(٢) قول أبي الخير ليس في كتابه المنشور.

(٣) السانية: الناقة التي تسنو الماء من البئار بالحبال والبكرات والدلاء.

(٤) المتحف وباريس ومدريد: خمس قيام (أي قامات) وهذا جمع على غير قياس، قامة الإنسان: طوله، وجمعها قِيَم وقامات.

(٥) الدائرة: خشبة تركز وسط الكدس تدور بها البقرة أو الناقة، قطر دورها: أي قطر دائرتها. دار دوراً ودوراناً: طاف حول الشيء.

(٦) الفلاحة النبطية: ٧٦.

فاحْفِرْ بئراً أخرى إلى جانبها غير متّصلة بها حتى تصل إلى الماء، وتعُمِّقها أقلّ من عُمْق تلك الأولى قليلاً بذراعٍ ونِصْف، ثم تحفر بئراً أخرى غير ملاصقةٍ للبئر الأخرى، يكون عمقها –بعد الوصول إلى الماء– أقلّ من عمق الأخرى بذراع، ثم تحفر كذلك إلى تمام أربعة آبار، تكون الأولى أعمق من كل واحدة منها، ثم تُنْفِذُ الأربعة آبار إلى الأولى في أسفلها، وفي قُعْر كلّ واحدة منها، لتكون الأولى (أُمّاً) لها لتجمع مياه جميعها فيها، فإنّه إذا اجتمع ماء الأربعة آبار في الأُمّ كَثُر ماؤها وتَضَاعَفَ.

وقال ابن بصّال[1]: إذا كان العِرْقُ الذي يَنْبَعُ منه الماء في البئر حَصًى، كان ماؤها مَعِيْناً كثيراً، وإن كان رَمْلاً كان دون ذلك في القُوَّة، وإن كان [العِرْقُ] كَدِناً[2] لم يخرج منه الماءُ إلاّ رَشْحاً. ومِمّا يزيدُ في كثرة الماء في الينابيع الظّاهرة[3]، وهو يَصْلُحُ أنْ يُعْمَلَ للآبار إذا قَلَّ

(١) قول ابن بصّال في كتابه، ص١٧٦-١٧٧.

قال: العيون التي تتفجّر على وجه الأرض إنما هي عروق من حصى أو رمل تندفع من تحت الأرض.

(٢) ابن بصّال: إذا كان العرقُ كِدَاناً (وهو تصحيف).

الكِدَان: حبل يُشَدّ في عروة وسط الدلو لئلا تضطرب الدلو في أرجاء البئر.

والصّواب (كدِناً) كَدِن يكْدَن كَدَناً: صَلُب واشتدّ، فهو كَدِنٌ.

(٣) هذه الفقرة في الفلاحة النبطية، ص٧٠.

ماؤها، أنْ يُؤْخَذَ مَكُّوكٌ[١] ملحٍ عَذْبٍ كَيْلاً، ويُخْلَط بمثلِهِ من الرَّمل المأخوذ من نهرٍ جارٍ، ويُنَجَّم[٢] تحت القَمَر والنُّجوم ليلةً، ثم يُؤْخذ من الغَد، فيُذَرُّ في أصل الينبوع، أو يُلْقَى في البئر في كلّ يومٍ سَبْعَ حَثْيَاتٍ[٣] بمِلْءِ الكفّ اليُمْنَى وما حَمَلَتْ فقط، فإنّه عند استكمال ذلك يتبيّن من زيادة الماء شيءٌ كثيرٌ.

ومن غيرها[٤]: إذا أَرَدْتَ زيادة الحَفْر في البئر لتَغْزير الماء فيها، فليكُن ذلك عند تناهي غُؤُور المياه في (شتنبر)[٥] وفي أكتوبر قبل نزول المطر، وليكن ذلك من الشّهر القَمَري في اليوم السابع منه، وفي الحادي والعشرين، والثاني والعشرين منه.

قال ابن بصّال[٦]، وغيره: يُقْصَدُ أنْ تَحْفِرَ البئر في أرفعِ مكانٍ من الجنّة، وفي المِبْقَلَة، وأَقْرِبِهِ من بابها، وفي وسطها إن أمكَنَ.

---

(١) المَكُّوك: طاس يشرب به أعلاه ضيّق ووسطه واسع، وهو مكيال يسع صاعاً ونصف، وهو عند النَّسَّاجين: الوشيعة.

(٢) يُنَجَّم: يوضح قبالة النجوم يرعاها ويسهر معها.

(٣) الحَثَا: التراب المَحْثُوّ، حَثَى التراب حَثْياً وحَثْى: اهال، الحَثْية: قطعة من التراب المَحْثُوّ.

(٤) أي من غير الفلاحة النبطية، و لم نجدها في كتب الفلاحة الأخرى.

(٥) شتنبر: هو شهر أيلول.

(٦) ابن بصّال، ص١٧٤.

ويقصدُ أن يكون في أرفع موضع مِنْهَا؛ ليصل الماء منه إلى كلّ موضع منها، وكَوْنه يَقْرُبُ من بابها لِيَقْرُبَ الدخول منه إليها، وليكن فتح البئر[١] في أغْشَت[٢]، وفي شتنبر[٣]، وفي أكتوبر.

وانظر إلة ما يَقْرُبُ من ذلك الموضع من الآبار، وصفة تراها، وعُمْقها، وكثرة مائها، واستدلل به، وإذا وَصَلَ الحَفَّارون إلى الماء فَيُنْزَح، ويُتَمَادَى بالحَفْر إلى أنْ يكون الماء ويَغْلُب، فإن وُجِدَ في أسفل البئر تربةٌ قويَّة صفراء ،قليلة النَّدَاوة، مائلة إلى البياض قليلاً، أو بيضاء مائلة إلى الصُّفْراء، وهذه تُسَمَّى[٤]: "المِطْفَال" فإنَّ ماءَها يكون قليلاً، وكذلك إن كانت التربةُ أسفلَ البئر مُكْدِنةً[٥] أو حجراً يرشَحُ الماءُ من جوانبه فلا يعتَدُّ به، فاحْفِرْ حتى تكْسِر الطَّبَق[٦] الذي [يُخْفِي] عيون الماء، فتصل إلى الماء المعِين على الحَصَى.

---

(١) ابن بصّال، ص١٧٥.

(٢) ابن بصّال: أغشت، أبو الخير: غشت، وهو شهر آب.

(٣) شتنبر: شهر أيلول.

(٤) التربة المِطْبَال (في الأصول الخطية جميعاً)، ولعلّها مصحّفة عن كلمة "المِطْفَال" التي فيها طينٌ طَفْل: وهو الأصفر. وهذا ما نرجّحه.

(٥) الأرض المُكْدِنة: الصُّلبة الشديدة كأنّها الكِدَان وهو الحبل المشدود المفتول.

(٦) الطَّبق هنا: طبقة من الصخر تخفي الماء تحتها.

وفي الفلاحة النبطية(١): إنْ ظَهَر في البئر حَجَرٌ يَعُـوقُ الحَفْـر، فلتُشْعِلْ عليه النّار لتُقطِّعه النارُ بشدّة حرارتها ودُخّانها.

قال أبو الخير الإشبيلي(٢): ويُبَادَرُ بطي البئر في الأرض الرِّخْـوة، وإن احتاجت البئر إلى تابوت(٣)، فيكون طوله نحو عشرين شبراً، وعرضه نحو اثني عشر شبراً، وأصغر التوابيت يكون طوله نحو اثني عـشر شـبراً، وعرضه نحو خمسة أشبار ونصف شبر.

وفي الفلاحة النَّبطيّة(٤): إنْ خِفتُم أن يكونَ في البئـر(٥) البُخَـارُ المؤذي المانعُ من دُخُولها لعَمَلٍ يُعْمَلُ فيها، فيعرف ذلك بأنْ تُوْقَدَ شَـمْعَةٌ وتُدَلَّى فيها، فإن لم تَنْطَفِئ، فهي حسنةٌ سليمة من البُخَار المُؤْذي، فـإن انْطَفَأَت، [فينبغي أن] يُخْرَجَ البُخار منها، بـالتَّرويح فيهـا بالأكـسية وشِبْهِهَا، وذلك معلومٌ؛ وصفتُهُ أنْ يُدَلِّي فيها رجُلٌ واحِدٌ كِسَاءً كـبيراً مربوطاً بحبل يُحرِّكُهُ بسرعة، ويُطْلِعه من فَمِها، ويُنْزِله بسرعة إلى أسفلها، يكَرِّرُ ذلك مرّات. وإن كانت البئر واسعة، فيعمل ذلك رجال بأكسياتٍ

---

(١) الفلاحة النبطية: ٧٣.

(٢) ليس في كتاب الفلاحة المنشور.

(٣) التّابوت الموصوف هنا: نُقْرَة في الصخر تحفظ الماء المستخرج من البئر، ويُصَبّ فيها الماء، فتشرب منه الحيوانات أو ينقل الماء منه في قنوات إلى الأشجار.

(٤) الفلاحة النبطية: ٧١، ٧٣.

(٥) البئر مؤنثة، ووردت في النسخ الخطية مذكّرة، فقال: دخوله –يعمل فيه– تدلّى فيه...

وشِبْهها على حسْب سعته، ثم تمتحنُ بالشمعة، فإن لم تنطفئ فقـد زال ذلك البخار الرَّديء.

أو تُعْمَل حُزَمٌ من قَصَبٍ(١) وشِبْهِهِ على قَدْرِ سَعَةِ فَنَاء البئر وتُدَلّى بِحِبَالٍ إلى قَعْر البئر بأيدي رجالٍ، ويحرِّكونها ويَطْلُعُون بهـا إلى فمهـا، ويترلون بها بسرعة إلى أسفلها، ويكرّرون حركتـها مـن الـصُّعود إلى النُّزول، ومن النُّزول إلى الصعود، ثم يُنْزِلونها في قعرها قليلاً، ثم يرفعونهـا بسرعة، وينْزلونها كأنَّهم يريدون دقّ شيء في أسفلها، فإنَّ بهذا العَمَـل يخرجُ البخار الرَّديء من البئر.

أو يقوم على رأس البئر(٢) عشرة رجال أو أكثر بمقدار ما يَـسَعُ دَوْرُهَا [وفي أيديهم مراوح من خُوصٍ كبارٍ، ثم يُرَوِّحون البئـر ترويحـاً شديداً، فإن ذلك يُجَفّف البخار، أو يأخذ هؤلاء](٣) بأيديهم أواني مملوءَة بماءٍ باردٍ يَسَعُ كلُّ إناءٍ منها نحو عشرة أرطال(٤)، ثم يَصُبُّونه كُلّهم معاً في حينٍ واحدٍ من الأواني، ويُتْبِعُونَهُ بالتَّرْويح(٥) بما ذكرنا وشِبْهِهِ، فإنَّ ذلـك البخار يخرُجُ منها (إن شاء الله تعالى).

---

(١) الفلاحة النبطية: ٧٥.

(٢) الفلاحة النبطية: ٧٥.

(٣) هذا النص سقط من النسخ الخطية، وتَمَّمْنا السياق من الفلاحة النبطية.

(٤) الفلاحة النبطية: إلى سبعة، وليكن الماء مبرَّداً بالثَّلج أو بالهواء.

(٥) الفلاحة النبطية: الترويح بالمراوح أو الترويح بالأكسية.

وقيل: يُصَبُّ فيها ماءٌ سَاخِنٌ شديد السُّخُونة[1]، ويُغَطّى فَمُهَا في ذلك الوقت بثوبٍ كثيفٍ، ثم يُزَالُ عنها، فيخرج البُخَار منها (إن شاء الله تعالى).

وقيل[2]: يُجْعَلُ في آنيةٍ[3] تِبْنٌ وشِبْهُهُ، ويوقَدُ فيها نـــارٌ[4]، فـــإذا دخن يُدْخَلُ في البئر ذلك الدُّخَان، ويُخْرَج، ويُعَاد، ويُكَرَّر ذلك مرّات، فإن البخار [الرَّديء] يخرج معه (إن شاء الله تعالى).

قال أبو الخير الإشبيلي[5]: وَلْيَكُن في القامة من حَبْـــل الـــسَّانية خمسة قَوَادِيس[6] أو نحوها.

وقال: كُلّما كَثُرت الأمْشَاط في الفَلْك[7] الصغير الـــذي يُـــدير السَّانية مع كِبَر الفَلْك الكبير، جاءت السَّانية أخَفَّ وأسهل.

---

(١) المتحف وباريس ومدريد: شديد السخانة.

(٢) الفلاحة النبطية: ٧٥-٧٦.

(٣) الفلاحة النبطية: مَجَامر... وتدخّن بعيدان الهندباء والخس والبقلة اللينة وقشور البطيخ.

(٤) المتحف وباريس ومدريد: ناراً.

(٥) قول أبي الخير الإشبيلي ذكره ابن بصَّال في كتابه، ص١٧٤-١٧٥.

(٦) القادوس: وعاء خَزَفي كالجرَّة، تنتظم القواديس في سلسلة تديرها النـــاعورة أو الـــسانية فتغرف الماء من البئر وتصعد به إلى سطح المزرعة.

(٧) أصل الفَلكة القطعة المستديرة من الخشب أو الحديد يثبت فيها عـــود المِغْـــزَل أو عمـــود السانية.

وطول المَجْرَة[1] يسهل به [عَمَل] السَّانية، ولا ضَيْرَ إن كانت من ثلاثين شبراً أو نحوها.

ومما تَسْهل به السَّانية أن يُقْطَع ما فوقَ ثَقْب المَجْرَة من الـــسهم القائم.

وتَسْهَلُ السانية أيضاً أن تكون الدائرة الحاملة للقَـــوَاديس مـــن خَشَب رزين، وأنْ تُعْمَل غليظة جداً حتى تكون ثقيلةً نَعَماً، وتكون أغلظ وأرزن من المعتاد فيها، فإنها بذلك تخفّ السانية.

وقيل: إنّ مِمَّا يمنَعُ من انفتال السَّوْقَرَة[2] بالقَوَاديس في ماء البئـــر أن يُثْقَبَ في أسفل كلّ قَادوس من قواديس السانية ثقبٌ صغيرٌ، فلا تَنْفَتِل القَوَاديس في الماء في البئر، وتَسْلَم من أن يكْسِرَ بعضها بعضاً عند ذلـــك، أو تُكْسَرَ بطَيِّ البئر إذا وقفت السانية تَفَرَّغت القواديس، وطـــال عُمْـــر الحَبْل لذلك (إن شاء الله تعالى).

* * *

وهنا يربط بها خرزات من حديد ليكون جري اللَّوْلبِ فيها سريعاً، والمُـــشْط والمِـــشْط: خشبة عريضة تدور في لولب البَكَرَة.

(١) المجْرة: القائم الذي فيه المغازل القائمة.

(٢) السَّاقُور: الحديدة التي تربط بها الحبال والقواديس، وجمعها سَوَاقير. وسمّاها هنا المؤلـــف: سَوْقرة.

[الـ]... (فصل) [الرابع]

[تعديل الأرض ووزنها ليجري الماء فيها]

وأمّا كيفيّة العَمَل في وزن[1] الأرض بالآلة التي تُسَمّى: "المَرْجيْقَل"[2]، وبغيرها [لتعديلها ليَجْرِ] الماء عليها.

قال أبو الخير الإشبيلي[3]: هذه الآلةُ معلومةٌ، وصِفَةُ وَزْنِ الأرض بها لتعديلها؛ أن تأخذ ثلاث عِصِيّ أو أربعة، متساويات الطُّوْل، وتقسيم كل واحدةٍ منها قياماً مُسْتوياً على لوحٍ لتكون على خطوط متساوية، ولتكُن كُلّها مع قواعدها مستوية الطول، ولا بُدَّ [أنْ] تُقِيمَ الواحدة من على استقامة دون تحريف على فم البئر —إن كان سقي الماء من البئر دون صِهْريج[4]، أو عند بِكَار[5] الصِّهْريج إن كان السَّقْيُ منه. وتقيم [العَصَا]

---

(١) وَزْن الأرض: ميزانها وتسويتها بالآلة.

(٢) ابن بصّال (ص، ٥٥): المرحيقل هو ميزان الماء، تُعَدَّلُ الأرض وتُوزن بميزان الماء، بحيث تسوّى، ويؤخذ التراب من المكان المرتفع ويوضع في المكان المنخفض.

واسم ميزان الماء المرجيقل بالإسبانية القديمة: AL – marchaquel

وهو في اللغة السريانية "كنافرا" قال قوثامي (ص، ٨١) الآلة كنافرا تعمل من الشَّبَه (النحاس) توزن بها الأرض من علوّ موضع منها إلى أدنى موضع، حتى تمرّ القناة على استواء.

(٣) بعض قوله في فلاحة ابن بصّال، ص٥٥.

(٤) الصِّهريج: حوض الماء يوضع عند فم البئر.

(٥) البِكَار: جمع بَكَرة، وهي بكرة السانية التي تسنو الماء من البئر.

الثانية أمامها على بُعْدٍ منها، والثالثة كذلك، والرابعة في آخر الفَنَاء الذي تريد تُعْديل فم البئر أو بِكَار الصّهريج إليه.

وليكن البُعْد بين تلك العصيّ مُتَسَاوياً، وتُثقّل قواعدها بالحجارة وشِبْهها لئلا تَميل أو تَسْقُط. ثم تَمُدُّ على رؤوسها من الأولى إلى الأخيرة شريطاً رقيقاً مشدوداً نَعَماً، ثم تُعَلّق تلك الآلة من ذلك الشّريط فيها بين القائمين الأوّلين، وتنظُرُ إلى الثّقّالة الرَّصاصيّة، فإن وقَعَت على الخطّ الذي يَقْسِمُ تلك الآلة نصفين، فذلك الفَنَاء الذي بين القائمين الأوَّلَيْن مستوياً[1]، وإن مال عنه إلى جهَة إحدى القائمتين؛ ففي تلك الجِهَة هو الانخفاض، وفي الأُخرى هو الارتفاع؛ فيُعَدَّل بأن يؤخَذَ من تراب الأعلى، ويجعَلُ في [المكان] الأخفض؛ حتى يَسْتَويا، ويقع خيط الثّقّالة على الخَطّ الذي في وَسَط تلك الآلة.

وكذلك يُعْمَلُ فيما بين كل قائمتين منهما، فإذا استوت تلك الأرض إلى آخرها بهذا الوَزْن، فتقصِد أن يكونَ الطَّرف الذي يُحْمَلُ إليه الماء أخفض من الأعلى الذي عند فم البئر أو البِكَار[2]، وأقل ذلك عرض إِصْبَع في مسافة مائة ذِراع.

(١) المتحف وباريس ومدريد: مستوي.

(٢) البِكار: جمع البَكَرَة؛ وهي خشبة مستديرة في جوفها مِحْوَر تدور عليه، أو اسطوانة من خشب أو حديد يدور فيها حبل لإخراج الماء.

ذكر هذا القَدْر "أَفْلِيمون"[1] في كتابه في "قود المياه".

وتوزَن الأرض أيضاً بذلك، وتُسَوَّى "بالأُصْطُرْلاب"[2] وذلك أنْ يُوضَع عند فم البئر أو عند بِكَار الصِّهْريج لوحٌ مستوٍ يُوضع عليه الأُصْطُرلاب، وليكن شُطَبُهُ[3] إلى فوق، والثّقبان اللذان في طَرَفِهِ؛ أحدُهما من جهة فم البئر أو بِكَار الصِّهريج، والآخر من الجهة التي يُرَادُ مِضِيّ الماء عليها.

ويؤخذ لوحٌ أو عُودٌ مُربَّع، ويُعْمَلُ في أحد ترابيعه دوائر كِبَار متّصلة على قَدْرٍ واحدٍ من أعلاه إلى أسْفَلِه، ويُصْنَعُ كُلُّ واحدٍ منها مُخَالِفاً للذي يليه، أو يُعْمل فيه علامات مختلفات منْ أيِّ شيءٍ تَيَسَّرَ، ولتكُنْ ظاهرةً لتُرى من البُعْد.

(١) هو أفليمون البيزنطي صاحب كتاب "قَوْد المياه" وهذا الكتاب شرحه وبيّنه أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي، وهو أحسن كتاب أُلّف في هذا المعنى (على حد قول ابن حجّاج). المقنع، ص٧.

وجاء اسمه مصحّفاً في كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي (ص، ٥)، قال: قيلون البربطي صاحب كتاب "قود المياه".

وقد ذكر له ابن حجاج كتاباً آخر اسمه "فراسة الحَمَام وتخيُّرها" المقنع، ص٧١.

(٢) الأُسطُرلاب: جهاز استعمله القدماء لمعرفة الوقت، وتحديد أبعاد الأرضين، وتحديد أبعاد النجوم وحركاتها.

(٣) الشُّطَب: الخطوط التي تتراءى في متن الأداة، الواحدة شُطْبَة.

ثم يُرْكَنُ ذلك اللَّوحُ أو العود [الذي] يُقَامُ علـى استقامة دون انحناء ولا مَيْلٍ في أحد [جوانب] ذلك الفَنَاء الذي يُعَدَّلُ لجَرْي الماء.

وتكون تلك الدَّوائر إلى جهة الأُصْطُرْلاب، ثم يجعل الإنسانُ حدَّهُ في الأرضِ فيما بين بِكَار الصِّهْريج والأُصْطُرْلاب وبِمَقْرُبَةٍ منه، وينظر من ثقبَة الشُّطْبَة التي تليه إلى الثَّقْبَة الأخرى منها إلى الدوائر المُلَوَّنـة الـتي في ذلك القائم على خطٍّ مستوٍ، حتى يقع بَصَرُهُ على دائرة منها، ويَتَحقَّقها، وتَنْتَظِمُ مع ثَقْبَتي الشَّطْبَة بالسَّواء، وتعرف [عندئذٍ] أيُّ دائرة هي بلونها أو علامتها التي تتميَّز بها من غيرها، ويحفظها ثم يَصِيْرُ إليها ويعرفُ مِقْـدَارَ بُعْدِها من وجه الأرض في الموضع الذي فيه ذلك القائم مَرْكُوزاً، فيُقَـدِّر ذلك الارتفاع، وهو ارتفاعٌ حَدَّ بِهِ الأرضَ من بِكَار الصِّهْريج، ومن ذلك القائم [فـ] يُنْقِص من تراب تلك الأرض المرتفعة، ويُزَاد في [التـراب] المنخفض، حتى ينتظم شُعَاع بَصَر النَّاظر بين ثَقْبَتَيْ شُطْبَة الأُصْـطُرلاب، وبين أوَّل دائرة من ذلك القائم مِمَّا يلي وَجْه الأرض هنالك. فإذا كـان كذلك فقد استوى ذلك البُعْد الذي بينهما في ذلك الموضـع، فيجعلُـهُ أَمَاماً، ويَعْمَلُ على جانبيه يميناً وشمالاً على بعد منه مثل ذلـك، ويَعَـدِّلُ الفناءُ الذي بينهما بانتقال التراب من الأعْلى إلى الأسفل حتى يكتملَ مـا تريدُ في ذلك الموضع.

ذَكَرَ هذا وشِبْهَهُ "أفْلِيمون" في كتابه في "قَوْد المياه".

وقد يُسْتَعاض من الأُصْطُرلاب[1] بلوحٍ طويلة[2]، نحو ذراعٍ بخيطٍ في وَسَطها على خَطٍّ مستقيمٍ، وتُثْقَبُ في أحد طَرَفَيْ ذلك الخيط ثُقْبَـة، وفي الآخر أُخْرَى، ويركز في أحد الثُّقْبين رَزَّةٌ[3] من حديد، وفي الأُخرى مثلها مساوية لها في السَّعَة والارتفاع، ويكون ثُقْب كلّ واحدة منـهما يُقَابِلُ الأُخرى على ذلك الخَطّ، وتَفْعَلُ به مثل ذلك الفِعْل بالأُصْـطُرلاب سواء بسواء، فتنظر من إحدى ثقبتي الرَّزَّتين إلى الأخرى [ثم] إلى ذلـك القائم.

وكذلك اجْعَل في موضع الأُصْطُرلاب قِرْميدتين[4] ظهر إحـداهما في الأرض، والأخرى موضوعة عليها لكي يصير منها شِبْه قَيْدٍ مثقوب، ثم تنظر من الثقب الأعلى من جِهِة البِكَار إلى الثُّقب الآخر، ثم إلى القـائم، وتعمل مثلما تقدَّم، فإذا اعتدلت الأرض واستوتْ فتُقَطِّع وتُعمـلُ فيهـا السَّوَاقي المعلومة، ويكون بين الساقيتين قدر الاختيار في طول الحَـوْض، ويُتَوَخّى أن يكونَ أَخْفَضَ قليلاً من الأحواض، وتكون الأحواض مستوية

(١) اسم هذه الآلَة في الفلاحة النبطية (ص٨٢): العوجا، وهي من خشب السَّاج أو الـدُّرْدار أو من البلُّوط، ويعمل في وسطها (فردايا) تُخْرَط من وسط لوح الخشب...

(٢) قال: لوح طويلة أي صفيحة عريضة من الخَشَب؛ لذلك جاءت صفة اللوح مؤنّثة.

(٣) الرَّزَّة: حديدة يُدْخَلُ فيها القُفْل، والمقصود: حَلْقَة من حديد.

(٤) بعضه عند ابن بصَّال، ص١٧٧.

نَعْماً، لا يكون أعلاها أخفض أو أرفع من أسفلها، فيُحْمَل الماء إلى الزّراريع والزّبْل من أعلاها إلى أسفلها.

واختار ابن بصّال[1] أن يكونَ طول الحَوْض اثني عشر ذراعاً، وعرضه أربعة أَذْرُعٍ؛ وهو الحوض الذي يُتَعَرَّف ذِكرُهُ في هذا الكتاب إن شاء الله (تعالى) وإن عُمِلَ أقلَ من ذلك فلا بأس، فإنْ أردْتَ أن تُخْرِجَ ساقيةً مستقيمة من بِكَار الصِّهريج، أو ساقية أخرى، فتأخذ ثلاثة أوتاد من خشب على قدر ما شِئْتَ، وتضرب أحدها في الأرض عند البكار، وتُغَيِّبه حتى يبقى منه نحو شِبْر، وتضرب الثاني عند يَمِينِهِ مع حائط الصِّهريج، وتجعل بينهما من البُعْد نحو ذراعٍ أو أكثر، وتضرب الآخر عن يَسَارِهِ مثل الأوّل، وتجعل بينه من البُعْد، وبين الذي عند البَكَار مثل الذي عند البكار والآخر الذي عن يمينه سواء.

ثم تأخذ شريطة رقيقة صغيرة، وتعملُ في إحدى طَرَفيها عيناً، وتجعل في أحَد الوَتِدين الطّرفين، وتمدُّها إلى الآخر الذي في الطرف الآخر، وتعقد فيه عُقْدَة هناك، وتمسك بالعقدة، وتديرُ منها إلى جهة اليَسَار نصف دائرة، ثم تردّ العين في ذلك الوَتِد، وتمدّ الشريط إلى ذلك الوتد الذي كان فيه أوّلاً، وتديرُ منه نصف دائرة إلى جهة اليمين؛ فإنّ الدّائرتين تلتقيان قبالة الوتد الذي في الوسط عند البكار، ثم تربط طَرَف حبل التقطيع في الوسط الذي هو قبالة البكار، وتمدُّه إلى موضع التِقَاء

(١) بعض قول ابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص١٧٧-١٧٩.

الدائرتين المذكورتين. ومثل ذلك تعمل في إخراج ساقية من أخرى، وهذه صورة ذلك [الرّسم مفقود].

* * * * *

الباب الرابع

في اتخاذ البساتين، وترتيب غراسة الأشجار فيها

"في اتخاذ البساتين، وترتيب غراسة الأشجار فيها"، من كتاب ابن حجاج (رحمه الله) في ذلك":

قال يونيوس[1]: ينبغي أنْ تختارَ مَوْضعاً لغَرْس[2] البساتين، فيه مياهٌ كافية، يَقْرُبُ من منْزل صاحبه -إن أمكن ذلك- ليكون مع النَّظر إليه، والسُّرور به، يُصْلِحُ الهواء، [ويَسُرُّ] أعين الناظرين.

وينبغي أن لا يكون غرسُ الأشجارِ غَرْساً مختلطاً[3]، لكن يُغْرَسُ كُلُّ واحدٍ منها قريباً من جِنْسِهِ، لئلاَّ تَغْلُبُ القَوِيَّةُ منها على الرَّقيقة[4]، فيعدم ذلك الضعيفة منها.

وينبغي أن تكون الفُرَج التي فيها بين الغُرُوس على قَدْرِ طَبْع الأرض وقوَّتها.

وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله (تعالى).

---

(١) قول يونيوس في كتاب المقنع، ص٣٥، وكتاب أبي الخير الإشبيلي، ص٣٨، قال ابن حجاج: إذا أردت أن تتخذ بستاناً، فاختر موضعاً صالحاً، وماءً روياً، وليكن قريباً من مساكن الناس...

أبو الخير: ما كان قريباً من مساكن الناس، فإنها مصحّحة لهم.

(٢) النسخ الخطية: موضعٌ.

(٣) ابن حجاج (ص١١) ينبغي أن يزرع كل نوع على حِدَتِهِ.

(٤) المتحف: الغذا، باريس ومدريد: الغذى. الفلاحة الرومية، ص٢٥٨: تغلب الشجرة الباسقة الواسعة الظلّ على الشجرة اللطيفة.

قال يونيوس وقسطوس[1]:

ينبغي أنْ يُعْلَمَ أنَّ الغُرُوسَ التي تكون من البذور –في الجملة– أضعف من جميع الغروس.

وينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ أجْوَدَ جميع الغُرُوس: التي تُحَوَّل[2]، وأنَّ خيرَ غرسِ الشجر ما يكون من غُصُونه[3].

قال قَسْطُوس[4] (نحو ما تقدَّم ليونيوس)، وهو قوله: ينبغي أن يكون غرس كل نوعٍ من الشجر مع ما يُشَاكِلُهُ من الشجر، غير مختلف، ولا متفرِّق، حتى لا تكون[5] لِطَافُ الشجر وبَوَاسقه جميعاً، فإن الأشجار

(١) قولهما في الفلاحة الرومية، ص٢٥٩، قالا: إن خير غرس الشجر ما يكون من غصونه وقضبانه، ولا خير في شجر يكون غرسه من ثمرته وبذره. وقال الحكيم (أرسطو) ربَّ غرس من البذر خير من غرس من قضبانه.

(٢) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٦١): الغروس التي تنبت من الأصول بالثقب والأوتاد واللَّواحق إذا عَلِقت في موضع ثم حوِّلت إلى موضع آخر؛ كان ذلك أصلح لها وأجْوَد. وقال يونيوس (المقنع، ص٩٢) الغروس التي تُحَوَّل من مواضع تربى فيها كان أصحّ وأحكم في الإمساك.

(٣) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩): خير غرس الشجر ما يكون من غصونه وقُضبانه.

(٤) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٥٨.

(٥) الفلاحة الرومية: حتى تكون (سقط وتصحيف).

الباسقة الواسعة الظِّلّ إذا جَاوَرَت[1] الأشجار اللطيفة وأظَلَّت عليها، أضرَّت بها، وأذهبت قوَّتها[2].

وقال كَسْيُنُوس[3]: إنَّ أحَقَّ ما أُتُّخِذَ فيه البُسْتان ما كانَ تحت سَقْيٍ، في قاعٍ مستوٍ.

وقال بعض الفلاَّحين[4]: مَلاَك صلاح جميع الأشجار سقيها بالماء في الصيف، ولْيُنْزَع بالأيدي ما كان ثابتاً في أصُولها وحَوَاليها طريًّا، قبل أن يشتَدَّ إلى أنْ يلحَقَ فروعَهَا، فيصير إليه قوَّة ذلك أجمع.

وقال غيره[5]: ولْيُقَوَّم المُعْوَجَّة منها بالدَّعائم والحِبَال، حتى تشتَدَّ وتستقيمَ؛ فإنَّها إذا كانت لَدْنَة قبِلَتْ ذلك، ويُتَعَاهد أمْرُها بالسِّرْجين[6].

(١) المتحف وباريس ومدريد: تجاوزت (تصحيف).

(٢) الفلاحة الرومية: أذهبت قوّة أصلها.

(٣) معنى قول كَسْيُنُوس باسُوسٍ مُضَمَّن في كتاب المقنع، ص٣٥. قال اختر للبُستان موضعاً صالحاً وماءً رويّاً.

(٤) الفلاحة الرومية، ص٢٦٢، قال قسطوس: ملاك الغرس ألاَّ يُغْفَل عن سقيه في الصيف. وأن يُكَسَّر من الغرس ما كان من فضل ينبت في أصله أو في عروقه بالأيدي من غير أن تمسّه حديدة قبل أن يأتي عليه عام، فإن ذلك يضرّه، ويذهب بقوّته.

(٥) الفلاحة الرومية، ص٢٦٢.

(٦) الفلاحة الرومية: أن يتعاهد الشجر المثمر بالسِّرجين كل عام في (مهرماه) حزيران، من غير أن ينال السماء أصل الأشجار.

وقال أبو الخير الإشبيلي[1]: وغيره:

يُختَارُ للبَسَاتين والجنَّات من أنواع الأرض أطيبُها بُقعَةً، وأعذَبُها ماءً[2]، وليكن مع ذلك مَعِيْناً، وتُعَدَّلُ أرضها قبل غراسها، ثم تُسوَّى لجَرْيِ الماء عند سقيها؛ لأنَّها إنْ سُوِّيت أرضها بعد غراسة الأشجار فيها، فَرُبَّما انكَشَفَ بعض أصُول الشجر عند تعديل الأرض، فَيَضُرُّ ذلك بها.

ولتكن البساتين مستقبلات للمَشْرِق[3] -إن أمكن- وتُغْرَسُ الأشجار فيها صُفُوفاً على أسْطَارٍ مستقيمة.

ولا تُغْرَس الأشجار التي تعظُم مع الأشجار التي لا تعظُم[4]، ولا التي تَتَعَرَّى من أوراقها مع التي لا تتعرَّى منها، فإنَّ ذلك أجملُ.

---

(١) قول أبي الخير في كتابه، ص٣٨، والمقنع، ص٣٥، وفي كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة للنابلسي، ص١٨.

(٢) أبو الخير وابن حجاج: اختر موضعاً صالحاً وماءً رويًّا.

(٣) المقنع، ص٨؛ قال: ولتكن الزروع والبساتين مستقبلة ريح الشمال والشرق حتى تدخل فيها الشمس؛ لأن الرياح الشرقية أصحّ من الغربية، وسخونة الشمس تنفي الأسقام.

(٤) الفلاحة الرومية (ص٢٥٨): يغرس كل نوع من الشجر مع ما يُشَاكله فلا تُغْرس لطاف الشجر مع بواسقه جميعاً؛ لأن الباسقة إذا أظَلَّت اللطيفة أضرّت بها وأذهبت قوتها، وانظر: النابلسي، ص١٨.

ويُغْرَس من الأشجار التي لا تتعَرَّى بمَقْرُبَة من الباب والصِّهْريج؛ مثل: الرَّنْد، والرَّيْحَان، والسَّرْو، والصَّنَوبر، والأُترُجّ، والياسمين، والنَّارَنْج، والزَّيتون، واللَّامُون، والجَنَاء الأحمر[1]، وشبهها.

ويُغْرَسُ شجرُ الصَّنَوْبر حيثُ يُحْتَاجُ إلى الظِّلِّ الكثيف منه، وفي وسط الرِّيَاضَات[2] أيضاً.

ويُغْرَسُ السَّرْو أيضاً في المماشي[3]، وفي أركان التَّرَابيع[4] ويُغْرَسُ أيضاً بمقربة من البئر والصِّهْريج[5] شجر الغُبيراء، والأَزَاذْرَخْت[6]، والدَّاذِي[7]، والنَّشَم[8]، والجُور الرُّومي[9]، والصَّفْصَاف، والجلّنار، وشبه ذلك.

---

(١) الجَنَاء الأحمر: هو القُطْلُب أو القَيْقبان، ويسمى قاتل أبيه؛ لأنَّ نبته وثمره لا يجفّان.

(٢) الرَّوْضة: جمعها رَوْض ورِياض... وجمع الجمع رَوْضَات، راضَهُ رياضَة: ذَلَّلهُ، فهو مُرَوَّض، وجمع رياضة: رياضات. والمقصود هنا: الرَّوضات وليس الرِّيَاضات.

(٣) الماشي: الممَرَّات.

(٤) الترابيع: المكان الذي تتقاطع فيه الخطوط (المُرَبَّعَة).

(٥) الصِّهريج: حوض الماء.

(٦) الأَزَاذْرَخْت؛ (فارسية): معناها حُرّ الشجر، وهو اللَّبخ والعُنّاب الأبيض، شجر عظيم ينبت بمصر والشام وخراسان (عمدة الطبيب، ص٥٥).

(٧) الدَّاذي والدَّادي: من الشجر العظام، متكاثف الأغصان، لونه لون الخروب، والداذي الرومي: هو القطران، وقيل: الخوخ (عمدة الطبيب، ص٢٨٥).

(٨) النَّشَم هو الدَّرْدار أو البَقَّم الأسود، أو شجرة البعَوض.

(٩) النابلسي: الجور الفارسي. ابن حجاج: الجوز.

ويُعَلَّقُ على العظام منها العَرَائش، ويُبَرَّد الماء في ظِلِّها.

والماء الباردُ أنْجَعُ للسَّقْي في فَصْل الحَرّ وأنْفَعُ.

ويُجْعَلُ الشجرُ الكثير الظِّلّ[1]، والمَشُوك[2]، مثل[3]:

العُنَّاب والصَّنَوْبر، والمَيْس، والنَّشَم، والصَّفْصَاف وشِبْهَ ذلك مع حائط البُسْتَان من جهة الجَنُوب، ومن جهة الغَرْب أيضاً؛ فلا يَضُرُّ ظِلُّها شجر البستان وخُضْرته.

وليكنْ كلّ نوعٍ من الأشجار في الجنّة الكبيرة على حِدَةٍ، وكذلك ما يأتي فائدة منها في وقْتٍ واحدٍ يُغْرَسُ معاً في جهة واحدة، مثل: التُّفَّاح، والإِجَّاص، والكُمَّثْرَى، والمُشْمُش لتَخِفَّ المؤونة في حَرَازَتها[4].

ويُغْرَس الوَرْد[5] في ناحية تَصْلُحُ من البُسْتَان. ويُغْرَسُ في المواضع

---

(١) هذا القول في المقنع، ص٣٥، وكتاب أبي الخير: ٣٩، والنابلسي، ص١٨.

(٢) النابلسي: الشَّائك.

(٣) المقنع وكتاب أبي الخير: الدُّلب والسَّرْو والصنوبر والصفصاف والجوز والبندق.

(٤) حَرُزَ يحرُز حَرَازَة: امتنع وتَحصَّن، خَفَّت المؤونة في حَرَازَتها: حفظها في مكان منيع ووعاء حصين.

(٥) النابلسي (ص١٨): يغرس الورد على المجاري التي يسقى بها أو في ناحية تصلح من البستان.

الرَّطْبَة الكثيرة النَّدَاوة منها: النَّشَم[1]، والغَرَب[2]، والصُّفَيْراء[3]، والأُتْرُجّ، والمَيْس، والرَّنْد.

ويُتَوَخّى أن يكون شجر الأُتْرُجّ في موضع مستور عن الريح الشرقية والريح الغربية، مكشوفٍ للريح القِبْلِيّة[4].

وسوف نذكُرُ اختيار الأرض التي تصلُحُ للمباقل في الباب (الثالث والعشرين) إن شاء الله (تعالى) وقد تقدَّم ذكر بعضها فتأمَّله، وبالله التوفيق.

* * * *

---

(١) النَّشَم: هو الدَّرْدار.

(٢) الغَرَب: هو الصَّفْصَاف.

(٣) الصَّفْرَاء والصُّفَيْراء: عشبة لها زهر أصفَر تعرف بالخَسّ البرّي أو المصاصة (عمدة الطبيب، ص٥٣٩-٥٤٠).

(٤) المقنع، ص٤٤: توافقه الرِّيح القبليَّة.

الباب الخامس

غراسة الأشجار

[الفصل الأول]

[في اتخاذ الأشجار في البعل والسقي]

في اتِّخَاذ الأشْجَار في البَعْل، وفي الجَنَّات على السَّقْي، وذكر ما لا يسقي الغَارِسُ منها عن مَعْرِفةٍ[1]

اعلَمْ أنَّ من الأشجار ما يُتَّخَذُ لثمره، ومنها ما يُتَّخَذُ لجَمَالِه، وفَوْح زَهْره ونَوْرِهِ، ومنها ما يتَّخَذُ للانتفاعِ بخَشَبه.

وتُتَّخَذُ جميعُ الأشجار[2] من نوىً منها، ومن حبٍّ ثَمَر ما لا نوى له منها، ومن أغصانٍ تُمْلَخُ[3] وتُقْطَع متخيَّرَة من الجهة التي تصْلُحُ أنْ يؤخذ ذلك منها، ومن أعْيُنٍ من أعَالي تلك الأغصان[4]، ومن أوتادٍ تُعْمَلُ من أسفل تلك الأغصان، ومن القضبان النّابتة في أصول بعض الأشجار، وبمَقْرُبةٍ من بعضها[5]، وفي اختيارٍ أيضاً [ما] يُسَمَّى النَّوامي واللواحق[6]،

(١) المتحف وباريس ومدريد: عن معرفة إخراجه عنها (وهي جملة غير مفهومة).

(٢) هذا النص حرفاً فحرفاً ذكره النابلسي، ص٢٠.

(٣) ملخ الغصن: جذبه قبضاً، واستله واقتلعه.

(٤) قال ابن بصّال: الغراسة تنقسم ثلاثة أقسام: زراريع ونوامي ونوى (كتاب الفلاحة، ص٥٩).

(٥) يشير إلى زراعة فسائل النخل وشبهها.

(٦) اللاحقة: الثمر بعد الثمر الأول، والغصن بعد الغصن الأول، والفسيلة بعد الأصل الأول، والجمع لواحق.

والنبات، والأنقال[1] [التي] تُقْلَعُ بعروقها وأصُولها، وتنتقـلُ إلى موضـع التّربية[2]، وإن لم يكن لها عُرُوق فَتَرْبُو حتى يصير لها عَرُوق.

ونذكُرُ تدبيرها بعد هذا (إن شاء الله تعالى) ويُسَمَّى هذا التدبير: التَّغْطيس[3] والاستِسْلاَف[4]، ولكل نوع منها عَمَلٌ في غراسته، وتدبيرٌ في إفلاحه، نذكره (إن شاء الله تعالى).

فإذا عَلِقَتْ هذه الغُرُوسات[5]، وصار لها عُرُوق، وصَلُبَ عودُهـا -وذلك بعد ثلاثة أعوامٍ أو نحوها- وصارت نُقُلاً تَنْتَقِلُ إلى المواضع الـتي تصلُحُ لها؛ لتُؤْتِي فيها أُكُلَهَا (بمشيئة الله تعالى).

---

(١) المتحف وباريس: اللفاح: نبت معمر سام، يسمى اليبروح، ينبت برياً في بـلاد الـشام، ويسمى الزعرور الجبلي وخوخ الدب، والصواب: الأنقال: جمع نَقْلة: ما ينقل بعد التربية في الأحواض.

(٢) سمى المؤلف هذا النوع من الغروس: الأنقال، وواحدته نقلة (كما سيأتي) وقـد تـسمى المحولة.

(٣) التغطيس: أن يحفر حول الدالية وتغطس قضبانها وتخرج من كل الجهات.

(٤) الاستسلاف: إحدى طرائق تكثير الأشجار، سوف يتولّى شرحها ابـن العـوّام بفـصل مستقل من الباب الخامس ويعني: اقتراض غصن من شجرة لزراعته بالتكبيس أو بالأوتاد.

(٥) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٦١.

ومن كتاب ابن حَجَّاج (رحمـه الله) في أصـناف المغروسـات وأشكالها، قال يونيوس[1]: تكادُ جميع الأشجار تغرسُ بكل واحدٍ مـن أنواع الغَرْس؛ أعْني أنَّ غرسَها يكون من نوىً، ومن بُذُور، ومن فـروع تُنْتَزَع من الشَّجر، ومن أوتادٍ؛ وليُختَرْ ما لانَ منها، وما تُفُقِّدَ كـثيراً[2]، وأن نباتَهُ أجْوَدُ، وله طبعٌ خاص، وينبغي لنا أنْ نَتفقَّدَ ذلك كثيراً؛ فـإنّ الذي ينبغي أنْ يصير غرسُهُ من بِذْرِه[3] هو: الجَـوْز، واللّـوْز، والـشّاه بلّوط[4]، والخَوْخ، والإجّـاص، والنَّخـل، والـصَّنَوْبر، والـسَّرْو[5]، والغُبَيْراء[6]، والغار، وشجر الصنوبر الذّكر.

وذكر دِيمُقْراطيس في جملة هذه: المُشْمُش.

---

(١) قول يونيوس مضمن في كتاب المقنع، ص٣٤، والفلاحة الرومية، ص٢٦٠-٢٦١، وابـن بصّال، ص٥٩، وما بعدها.

(٢) يريد: ما تم اختباره.

(٣) المقنع: ما يغرس من نواه وبذره: اللوز والخروب والبطم والبنـدق والـسدر والمـشمش والأترج والعنب والتين، وأضاف قسطوس (الروميـة، ٢٦٠): القـسطرون والعرعـر والدهمشت والموز.

(٤) الشاهبلوط: هو القسطل، ويعرف بالكستناء.

(٥) المقنع: السدر. الفلاحة الرومية: السرو.

(٦) الغبيراء: شجرة لها نوى أحمر، غبراء الورق، ثمرها كالعناب.

وذكر **قسطوس**[1]: (الفُستُق) **قال قَسْطوس**[2]: فإذا عَلِقَ كلُّ غَرْسٍ من هذه البُذُور في موضعه [ثم] حُوِّل إلى موضع آخر فهذا خيرٌ له.

قال ديمقراطيس[3]: إذا حال على هذه الغروس حَوْلان، حُوِّلت كُلّها إلى مكان آخر.

وقال يونيوس[4]: ينبغي أن تنقل هذه الأشجار وتُغْرَس.

قال ابن حَجَّاج (رحمه الله تعالى): هذا إجْمَاعٌ من حُذَّاق الفلاّحين على أن لا تَقَرَّ هذه الأشياء في مواضعها.

وقال يونيوس[5]: وأمّا ما ينبغي أن يُغْرَسَ من فُرُوعٍ تُنْتَزَعُ من الشجر[6]؛ فالتُّفاح، والقَرَاسيا، والبُنْدُق، والآس، والزّعرور.

---

(١) الفلاحة الرومية، ص٢٦٠.

(٢) الفلاحة الرومية، ص٢٦١.

(٣) الفلاحة الرومية، ص١٤٠، قال ديمقراطيس: لست أرى أن ينزع الغرس الذي قد أتى له سنة؛ لأن الأصول لا تعلق ولا ترسخ في موضع غيرها لضعفها ورقتها.

وقال (الفلاحة الرومية، ص٢٦٢): لا ينبغي لشيء من الغرس أن يحول من موضع إلى موضع دون أن يستبين لصاحبه أنه قد علق ورسخت عروقه.

(٤) قال يونيوس في المقنع، ص٣٦، قال تحول بطينها مستمسكاً وبعروقها.

(٥) قول يونيوس ذكره قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٤٠، وعزاه إلى ديمقراطيس. وهو في المقنع دون عزو (ص٣٥)، وقال: إن شئت قضباناً وإن شئت أصولاً.

(٦) أضاف في الفلاحة الرومية، ص١٤٠، ص٢٦٠: الكلاشيه والخبيراء والتفاح الجبلي.

وذكر قَسْطُوس في هذه الأشجار[1]: شجرة الغُبَيْرَاء.

قال يونيوس[2]: ومن الناس مَنْ يَعْمَدُ إلى فروع هذه الأشجار، وهي بَعْدُ مُلْصَقَة بأشجارها فيميلها ويَطْمُرُها في التراب، حتى يصيرَ لها أصول، ثم ينقلها، ذلك أنَّ الفروع تُحِبُّ أنْ تُنْقَلَ فتُغْرَسَ.

وسوف يأتي وصف العمل في هذا الوجه (إن شاء الله تعالى).

قال: والأشياء التي تُغْرسُ من أوتاد، هي: شجر التُّوت، والأُتْرُجّ، والسَّفَرْجل، والزَّيتون، والطَّرْفَاء[3]، والحَوْر.

وقال: وهذه أيضاً إنْ نُقِلَت فغرست تكن أجودَ.

قال سيداغوس[4]: إنَّ الأشجار إذا لم تَتَعَرَّ من الأوراق، أو كان بَقَاؤها على الأرض كثيراً، ولا تَهْرَم إلاّ في الأزمنة المتطاولة، أو كان

• وأضاف ابن حجاج: الرمان والزيتون والإجاص والدلب والشاهبلوط والخلاف والستين والعنب.

(١) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٦٠.

(٢) يشير يونيوس هنا إلى التغطيس والتكبيس وقد سبقت الإشارة إليهما.

(٣) الطرفاء: الأثل، وهو نوع من العضاه تأكله الإبل ويخرج عصياً سمحة في السماء، ولا خشب له. منه بري وبستاني، وينجب في الأرض المالحة.

(٤) ورد ذكره في المقنع: سيدعوس وسيداغوس (ص١١٣).

إيراقها وفَتْحُها بطيئاً، عَلِمْنا أنّها من مادّة غليظة[1] لَزِجَة لَيْسَتْ برقيقة، سَخِيفَة[2].

والشَّجَر الذي يكون بَقَاؤُه ولُبْثُهُ قليلاً، علمنا أنّه من مادّة لطيفة رقيقة، سريعة الانتفاش[3]، ولذلك أرى أنْ تكون غروس الأشجار الغليظة المادّة أكثَر شيءٍ من الأوتاد المُلْسِ المُحْدَثَة، لا من القُضْبان اللّيِّنة؛ لأنّ المادّة التي تكونُ من هذه الأوتاد أثْخَن وأكْثَف، وأشَدّ اندماجاً من التي تكون من هذه القضبان [اللّيِّنة].

ومن تلك الأشجار: الفِرْصَاد[4]، والسَّفَرْجل، والزَّيتون، والكُمَّثْرى، والأُتْرُجّ، والرُّمّان، والآس.

(١) ابن بصّال: الأشجار التي لا يسقط ورقها قلما يعرض لها الهرم والارتكاس، من أجل أن موادها فيها باقية لأنها مودكة، وماؤها ثقيل (كتاب الفلاحة، ص٩٠).

(٢) المتحف وباريس: سخيفة (تصحيف).

والصواب: سحيفة؛ أي رقيقة.

المسحفة: الأرض الرقيقة الكلأ. يقال: سحف الشحم عن ظهر الشاة: قشره من كثرته.

والسحوف: السمينة.

(٣) الانتفاش: الانتشار بعد تلبد، والانتفاش: التفرق.

(٤) الفرصاد: التوت البلدي.

[فينبغي] أنْ يُغْرَس من هذه الأوتاد التي مادتها غليظة لتكون عُرُوقها ناشئة منها، وأشدّ مُطَابَقَةُ لها، وأليق بها جدًّا. وإن شئتَ غرستَ قضبانها، لكنّ الذي ذكرْتُ أحسنُ وأشبَهُ.

وما كان من الأشْجَار، القليلة اللُّبْث[1]، التي تتقدَّمُ بالفَتْح[2] سريعاً عرفنا أنّها من مادّة لطيفة رقيقة؛ كاللَّوْز، والخَوْخ، والتفّاح، والإِجّاص، وما شاكل ذلك.

وتكونُ غروسُ هذه من القضبان اللّيِّنة، والثِّمار أَلْيَقَ بها.

وأمَّا شجرة التِّيْن[3] —وإن كانت من الأشجار اللاّبِثة[4]— فلتجْوِيْفِ عُوْدِها وخَوَرِهِ[5] رأوا غَرْسَهُ من القُضْبَان الرِّقاق؛ لأنَّ الوَتِدَ منه إذا قُطِع وغُرِسَ، فكثيراً ما يَلِجُ الهواءُ ورطوبةُ الأمطار إلى جَوْفه من موضع قَطْعِهِ الأعلى، فيصيرُ إلى لُبِّهِ الذي يُسَمَّى "المخّ" وهو ضعيفٌ بَعْدُ؛ لأنّه لم يَتّصِل ويتّخذ أُصُولاً، فَيَهِن[6]، ويتعَفّن لذلك (انتهى قوله).

(١) أي: غير المعمرة.

(٢) يريد أن زهورها تتفتح أول الربيع قبل غيرها من الأشجار.

(٣) شجر التين يغرس من قبضانه ونقله وتكابيسه وأقلامه وزراريعه (بذوره). انظر: ابن بصّال، ص٦٤-٦٦.

(٤) المعمرة التي يطول عمرها وتمكث في الأرض طويلاً.

(٥) الخور: الهشاشة والرخوصة.

(٦) المتحف وباريس: يهق (تصحيف) يهن: من الهوان والضعف.

وقال **سولون**[1]: الأوتادُ القليلةُ الرُّطوبة، اليابسة بالطَّبع، يُختَار عليها المُلُوخ[2] والقضبان؛ لأنّها أرطَبُ منها؛ كالرُّمان ونحوه.

أمَّا **قسطوس**[3] فَنَوَّعَ في هذه الأشياء، وأكثر من هذا التنويع، وخالف "**يونيوس**"[4] في أشياءَ منها، وهذا نصُّ قوله: "ينبغي أنْ يُعْلَمَ أيُّ الغُرُوس يُغْرَسُ بذْرُهُ، وأيُّها يكْسَرُ كَسْراً بالأيدي ثم يُغْرَس، وأيُّها من الغُصون، وأيُّها من أواخر الشجر التي تنبُت في أُصُوْله؛ فإنَّ ذلك كلّه مختلفٌ، فَرُبَّ غَرْسٍ[5] إن بُكِّرَ في غرسه، كانَ خيراً له[6]، ورُبَّ غَرْسٍ إن أُضيفَ إلى غيره من الشجر كان خيراً له، فلكُلٍّ ذلك أمرٌ لا يُصْلِحُهُ غيرُهُ؛ فأمّا ما يُغْرَسُ من الغرْس بِذْراً[7]: فالفُستُق، والجَوْز، والبُنْدُق، واللَّوْز،

(١) ورد ذكره في المقنع، ص٨٩ في حديث عن أوتاد الزيتون، وما ورد هنا سقط من المقنع.

(٢) الملوخ: القضبان التي تقتلع من الأشجار جذباً ونزعاً.

وقيل: هي الفسائل والعقل التي تنتزع من الأشجار ثم تغرس، كعقل التين والرمان.

(٣) قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٦٠-٢٦١.

(٤) يرى قسطوس ويونيوس أن لا خير في شجر يكون غرسه من ثمره وبذره.

(٥) هذه الأقوال نسبت إلى الحكيم قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٦٠).

(٦) الرومية: ورب غرس إن قلع من موضع يعلق به؛ فيحول إلى غيره يكن خيراً، ورب غرس من اللواحق التي تنبت في أصول الشجر، إن زرعت كانت خيراً.

(٧) الفلاحة الرومية، ص٢٦٠.

والقَسْطَل[1]، والخَوْخ، والإجَّاص، والصَّنَوْبر، والسَّرْو، والدَّهْمَشْت[2]، والنَّخْل، فإذا عَلِقَ كلُّ غَرْسٍ منها في موضعه [ثم] حُوِّل إلى موضع آخر، فهذا خيرٌ له.

وأمّا ما يُجْذَبُ بالأيدي[3] جَذْباً؛ فَيُمْلَخُ، فيُنْزَعُ من غصون الشَّجَر، أو يُكْسَرُ كَسْراً للغَرْس: فشجرة الغُبَيْرَاء، والآس، والتُّفَّاح[4]، فإذا علقَ كلّ غرس منها وحُوِّلَ إلى موضع آخر كان خيراً.

وأمّا ما يُغْرَسُ من الغَرْس من لَوَاحِق الشَّجَر[5]، والذي ينبُتُ من أصُوله بالثَّقْب[6] والأوتاد؛ فاللَّوْز، والكُمَّثْرى، والفِرْصَاد[7]، والأُتْرج، والتُّفَّاح، وشجرة الزَّيت[8]، والسَّفَرْجل، والآس، والغبيراء[9]، فإذا علقَ

(١) الرومية: القسطرون: نبات حولي ورقه يشبه البلوط، طيب الرائحة ينفع من نهش الهوام.

أما القسطل فهو الشاهبلوط أو الكستناء.

(٢) هو دهمست ودهمشت: وهو ريحان الريف أو الغار أو الرند (عمدة الطبيب، ص٣٠٠).

(٣) الفلاحة الرومية، ص٢٦٠.

(٤) الرومية: وشجرة تسمى كلاشيه، وتسمى بالعربية: تمر الهند.

(٥) المتحف وباريس: من أواخر الشهر (تصحيف).

(٦) الفلاحة الرومية: بالنقب (تصحيف).

(٧) الفرصاد: التوت البلدي الأحمر.

(٨) الفلاحة الرومية: الزيتون.

(٩) الغبيراء: شجرة ورقها يضرب إلى الغبرة وثمرها يشبه العناب.

كلّ غرس من هذه الغروس في موضعه، ثم حُوِّل إلى موضعٍ آخر كان خيراً له.

وأمّا ما ينبغي أنْ يُجْذَبَ جَذْباً[١] من أنواع هذه الغُروس[٢]؛ فالفِرْصَاد، والأُتْرُجّ، والزّيتون، والرُّمّان، والنَّبق الجَبَليّ الأبيض[٣]، والسَّفَرْجَل.

وأمّا ما يُحْفَرُ عن أصْله من أنواع هذه الغروس، ثم ينتزع بالأيدي[٤]، فأصُول الكُرُوم، والغَرَب[٥]، والصَّنَوْبَر[٦].

وأمّا ما يَعْرَق[٧] غَرْسُهُ بِذْراً وانتزاعاً من أصْله من هذه الغروس؛ فالمُشْمُش، وأنواع الإِجّاص كله[٨]، واللّوْز، والفُسْتُق[٩]، والدَّهْمَشْت.

---

(١) المتحف وباريس يجد جداً (تصحيف).

(٢) الفلاحة الرومية: ولا يجذب ما والاها من حالها.

(٣) الفلاحة الرومية: والرمان الجبلي الأبيض (سقط).

(٤) الفلاحة الرومية: ينتزع بالأيدي انتزاعاً.

(٥) الغرب: الصفصاف.

(٦) الفلاحة الرومية: وشجرة القسطرون (نبات ورقه مثل ورق البلوط سام).

(٧) الفلاحة الرومية: يعرف غرسه (كذلك) ولعلها مصحفة هنا وهناك. وصوابها: ما يزرع غرسه بذراً، أو يَعْرَق: يتخذ عُرُوقاً، أو يَعْلَق: أي: ينبت من إضافته إلى غيره.

(٨) الإجاص أنواع: منه الشامي والبستاني والبري، والإجاص الرطب والإجاص الشتوي (عمدة الطبيب، ص٤٦-٤٧).

(٩) الفلاحة الرومية: والنخل والفستق.

قال ابن حجّاج (رحمه الله)[١]: ذكَرَ **قسطوس** -كما ترى- ما يُغْرَسُ من هذه الأشجار على حال واحدةٍ، فأفرد له فَصْلاً في كتابه، وما يكونُ غَرْسُهُ على حالتين مختلفتين، فأورده أيضاً في فصل آخر. وما اتّفَقَ فيه كل واحدٍ من هذه الأشياء مع صاحبه في حاله، فذكره معه في فَصْلٍ أفرده لذلك، وإن كان قد كرّرَه.

وقال ابن حجّاج[٢] (رحمه الله) في صِفَة **الترمدانات**[٣]: قال يونيوس في استعمال هذه المُلوخ والأوتاد، وتَصْيِيرها في المَوْضع المُسمَّى بـ"**الترمدانات**" ثم نَقْلها عنها: **والترمدانات عند اليونانيين**: المواضع التي تُغْرَس فيها أوّلاً، ثم تُنْقَل عنها، كذلك فسَّرها **يونيوس** في كتابه[٤]، قال[٥]: الأجْوَدُ أن تُغْرَس هذه القُضْبان وقت الخريف، وذلك بأنْ يُحْفَرَ الموضعُ أوّلاً، ثم يُزَبَّل، ويوضع فيه ما يُرَاد أن يصيّرَ له أصولٌ، أكان ذلك من قضبانٍ أو أوتادٍ، ويصيرُ فيما بينها قَدْرَ ذراعٍ، ثم تُطْمَر وتُسْقَى، ومتى

---

(١) قول ابن حجاج أخل به كتابه المنشور باسم (المقنع).

(٢) هذا القول سقط من كتابه المقنع.

(٣) الترمدانات: هي أحواض تربية الغروس قبل أن تنقل إلى مغارسها الدائمة.

(٤) اعتمد ابن حجاج على كتاب يونيوس في الفلاحة اعتماداً كثيراً، ونقل من آرائه أكثر من ثلاثين فقرة أثبتها في المقنع.

(٥) بعض قول يونيوس في المقنع، ص٩٢-٩٣.

كانت السنة الثالثة تُنْقَلُ إلى المواضع التي يرادُ غرسها فيها، ويُنَقّى[1] ما حَوْلها بالمِنْجَل.

وينبغي عند تحويلها[2] أن يُحْفَرَ حولَها برفْقٍ لئلا يضرّ الحَفْرُ بالأصل، ولا يَنْتثرُ عند نقلها منها الطِّين الذي يكون في الأصل، ويُرْبَطُ ما حوله، وتُوْضع في المواضع التي يرادُ أن تُغْرَسَ فيها.

وله قولٌ في البُذُور، وهذا نصُّ قوله[3]: إنّ الغروس إذا نُقلت من مواضع بعيدة، كثيراً ما تَعْطَبُ، ولهذا صار بعض الناس يَستَعْملون الغُروس من البُذُور على هذا النَّوْع: وهو أنَّهُ إذا نضجتْ الثَمَرَةُ في شجرها، يَنْشُرُون بذورها، ويُجَفِّفونها، ثم يزرعونها.

وينبغي أن لا تُجَفَّفَ في الشَّمْس، لكن في الظِّلّ، ومن الناس من يَنْثُرُ رماداً على البُذُور[4]، وينبغي [عندئذٍ] أن يُسْقَى الموضع الذي

(١) التنقية: كسح فضل الأغصان الزائدة.

(٢) هذا قول يونيوس، ص٩٣.

(٣) قال يونيوس (المقنع، ص١١٣): الأشجار التي زرعت من البذور ينبغي عند تحويلها أن تغرس حين تقلع من ساعتها قبل أن تذبل في الهواء. وقال قسطوس في الفلاحة النبطية، ص٢٦٥، لو حملت غصون الشجر وقطعه ولطاف الشجر بأصوله مسافات بعيدة يبست وضاعت لبعد الشقة، لذلك يحمل البذر بعد إدراكه ونضجه ويحفظ برماد البلوط.

(٤) قال يونيوس في المقنع، ص١١٢: الرماد خير للبقل من جميع السرجين؛ ذلك أن الرماد لطيف شديد الحرارة في طبعه، ويقتل الدود وسائر الهوام.
قال ابن حجاج: هذا وهم من يونيوس، لأن الرماد شديد اليبس عديم الرطوبة، وليس له فائدة سوى قتل الهوام.

[يُغْرَس] فيه، ويُزَبَّل، وتُحْفَرُ فيه حُفَرٌ؛ كلُّ واحدة شِبْرٌ، ويصير فيما بَيْنَ الحُفَرِ قَدْرَ قَدَمٍ، فيوضَعُ في كل حفرةٍ بِذْرَة واحدة، ثم تُطْمَرُ بالتُّراب، وتُسْقَى في كلِّ يومٍ حتى يجيءَ المطَرُ. وحتّى إذا أتَتْ عليه سَنَتان أو ثلاث سنين، فَهَاجت النباتات حَوْلها، قبل أن يَنْبُتَ لها فُرُوع، فيغرسها في حُفَرٍ مع أصُولها، ولا يَدَعُ فيها فوقَ الأرض إلاّ رُؤوسها فقط، ويُغْرَزُ إلى جوانبها دعائم.

ومن الناس[1] من يَرَى أنَّ الغَرْسَ الذي يكون من البذر ضعيف.

قال[2]: وينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ كُلَّ غَرْسٍ بذْرٍ يُنْبِتُ جِنْسَهُ الذي منه، ما خلا الزّيتون فإنّه قد يتولَّدُ منه شيء بَرِّيّ، يقال له "قَرْطِينُون"[3] ولا يكون منه زيتونٌ.

(١) هذا قول قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩)، قال: لا خير في شجر يكون غرسه من ثمرته وبذره، وخير غرس الشجر ما يكون من غصونه وقضبانه، وما أضيف من بعض الشجر إلى بعض.

(٢) هذا قول يونيوس (المقنع، ص٩١)، قال: الغروس التي تطاعم تكون أجود وأكثر حملاً [وبذر الزيتون ونواه] قد تصير غروسه "القرطينون" يعني الزبوج (المقنع: الزنبوج).

وقال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٦٥): شجرة الزيتون البرية التي لا تغرس في البساتين، إذا زرعت ثمرها في غير منبتها لم تطعم الزيتون ولا تحمله ثم خالفت ثمرة الزيتون غيرها ثم تذبل وتيبس.

(٣) القرطينون: هو الزيتون البري، وقد يسمى زيتون الكلبة والزبوج، ينبت من نوى الزيتون.

قال سِيدَاغوس(١) في ذلك: ينبغي أنْ يُنْثَرَ على البُذُور الرَّمَاد متى أرَدْنَا أنْ نَنْقُلَهَا من بلدٍ بعيدٍ إلى بلدٍ آخَرَ؛ لئلا تلحقها النَّداوة، فكثيراً ما تَنْبُتُ أو تَعْفَنُ إنْ لم يُفْعَلْ بها ذلك.

ولا ينبغي أن يُجَفَّفَ شيء منها في الشَّمس؛ لأنَّ الشَّمس(٢) تضرّها، وتصيرّها قَحْلَة، وتُذْهِبُ رُطُوبتها اللطيفة الدَّسِمة، فتضعف لذلك. فإن كانت البُذُور ذات قُشُور كالجَوْز والبُنْدُق، وأصابتها الشمس فلا تضرُّ بها، والأحْسَنُ على كلّ حال أنْ تُجَفَّفَ في الظِّلّ.

وقال في موضع آخر من كتابه(٣): ينبغي إذا نحن نَقَلْنَا الغروسَ من التَّرمدانات إلى المواضع التي نريدُ أن نُقِرَّها فيها، أن نَقْلَعَهَا بطينها من غير أن نَنْثُرَه عنها، وإذا طَمَرْنَاها فينبغي لنا أن نَدْفِن قَدْرَ ثلاثة أرباعِ

(١) هذا قول قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٦٥.

وقيل: إن أرمدة جميع النبات نافعة، وتعالج الأشجار والنباتات بأرمدة من أجزائها مع الزبل وكذا عجم ثمرها ونواها (النابلسي، ص١٠) وإذا كان الرماد رماد البلوط كان أجود.

(٢) ما يحفظ البذور والنوى أن تعلق في موضع بارد لا تصيبه الشمس ولا الريح، ولا الدخان، ولا حرارة نار، حتى تذهب رطوبتها. وقد توضع البذور في أواني لم يصبها دهن مخلوطة برماد أو ملح فتحفظها (الفلاحة الرومية، ص٢٦٥).

(٣) كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، ص٣٩، والمقنع، ص٣٦: قال: إن قدرت أن تحولها بطينها مستمسكاً وبعروقها فافعل، فهذا أحرى أن تثبت ولا تتغير.

الغَرْس(١)، ويَبْقَى الرُّبْعُ بارزاً على الأرض، فهذا أجودُ ما رأى العلماء بهذا الشَّأن في طمْرِ الغُرُوس.

قال يونيوس(٢): ينبغي أن تكون **الترمدانات** في أرضٍ لم تُفْلَح قطّ؛ يعني أن تكون الأرضُ جافّةً لم يكن فيها شيء مُوْدَع من قَبْل. وأن تكون الشمسُ مشرقةً عليها، وتَصِلُ إليها الرِّياح الجارية، وينبغي أن تُقْلَبَ هذه الأرض قَلْباً مُسْتَقْصى؛ لِيُنْزَعَ منها أصول الحشيش.

وينبغي أن يكونَ فيها بين غَرْسٍ وغَرْسٍ في هذه المَواضع فُرْجَةٌ قَدْرَ قَدَمٍ، وتوضَعُ الغروس في عمقٍ قَدْرَ نصف قَدَم؛ فإنّ الغَرْسَ إذا فُعِلَ به ذلك سَهُلَ قَلعُهُ بالمِعْوَل، وإنّما ينبغي أنْ توضع الغُرُوس مُفْتَرِقة(٣) [غير](٤) مُتَضَاغطة(٥) جداً لتصلَ إليها الشمس أكثر فَتُسْخِنها في كلّ وقت.

(١) هذا قول يونيوس (المقنع، ص٩٠) قال: ينبغي أن يغمر في الأرض ثلاثة أرباع الغرس، ويترك الربع الباقي فوق الأرض.

(٢) قول يونيوس هذا سقط من نسخة المقنع المنشورة.

(٣) المتحف وباريس ومدريد: مفتوحة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) المتحف وباريس: متضامنة، متطامنة، متعاقبة.

ويُختارُ من القُضْبان للغَـرْس(١): القُـضْبان المُتَقارِبـة العُيُـون لتَستَمْسك سريعاً.

وينبغي أن لا يكون طول القُضُب أقلّ من قَدَم ونـصف، ومـن الناس من يرى أن يحفرَ حولَ الغروس التي تصير في الترمـدانات سـتّ مرات، وأن يبتدأ في حفرها من أوّل شهر آذار، وأنْ تُحْفَرَ في كلّ شـهر مرَّة، وأن تكونَ الآلات التي تحفرها صغاراً جدّاً لئلا يضرّ ذلـك الحفـرُ بالغُرُوس إذا كانت متقاربة بعضها من بعض.

قال(٢): وينبغي أنْ تُلْقَطَ الفُرُوع(٣) التي تنبُـتُ في الغُـرُوس إلى جانب العُيُون، وهي غَضَّةٌ، قبل أن تَخْشَنَ؛ ليكون لقطُهَا بغـير عُنْـف، وليس ينبغي أنْ يكونَ طولُ ما يُتْرَكُ من الغروس أكثرَ منْ قَدَمٍ؛ وأمّا مـا طالَ أكثر من ذلك فينبغي أنْ يُقْطَعَ؛ لتكون زيادة النَّشءِ في غِلَظ الغرس، وينبغي أن يكونَ قطعُ هذه الأشياء ولقْطُها بالأيدي لا بالحديد.

وينبغي أيضاً في السنة الثانية أنْ يُحْفَرَ حَـوْل الغُـرُوس سـتَّ مَرَّاتٍ(٤)، كما فُعِلَ في السنة الأولى، وأن يتركَ عينان فقط في كلّ واحدٍ

(١) المقنع، ص٢٧. قال: يختار القضيب الرطب الأملس المتقارب العيون، وليكن القضيب من عامه فإنه أحرى أن يعلق.

(٢) هذا قول يونيوس، بعضه في المقنع، ص٩٣، والفلاحة الرومية، ص١٤٠.

(٣) المقنع: ينبغي أن ينتزع الفضل من الأغصان بالأيدي، وهي رخصة؛ لأن انتزاعها سهل.

(٤) يحفر حول الغروس في كل سبعة أيام مرة (المقنع، ص٩٣).

من الغروس، وأن تُلْقَطَ أيضاً الفروعُ الثانية في أوّل ما تَنْبتُ مثلما وَصَفْنَا من التقاطها في السنة الأولى.

وإذا فُعِلَ بالغروس هذا الفِعْل، وتُعُوهدَتْ بالترمدانات، ونُقِلَـتْ منها إلى المواضع التي تغرس فيها [نَجَبت].

ومن الناس مَنْ يُحَوِّلها في السَّنَة الثالثة(١)، ذلك أنّ الغرسَ إذا حُوِّلَ في سنة واحدة لا يكاد ينْبُتُ سريعاً، ولهذه العلّة [يَنْصَحُ] صاحِبُ الفِلاحة ألاّ يُحَوِّلَ هذه الغروس إذا حالت عليها [سَنَة](٢).

وعلّة ذلك أنّه أوَّلُ تَعَلّقها وتكَوُّن عروقها، فهي لذلك ضِعَافٌ لم تَستَحْكم، فإذا حُوِّلت كان التّحويلُ مُضِرّاً بها لذلك.

قال يونيوس(٣): ومن النَّاس مَـنْ يـسقي الغُـرُوس وهـي في الترمدانات، وليس ينبغي أنْ يُفْعَلَ ذلك إلاّ إذا نقلت مـن الترمـدانات وغُرِسَتْ.

(١) الفلاحة الرومية، ص١٤٠، ٢٦٥، تقلع الشجرة المحولة بأصلها وعروقها بعـد عـامين أو ثلاثة، فإنها تعلق وترسخ.

(٢) زيادة يقتضيها السياق، وتدل عليها القرائن.

قال ديمقراطيس (الفلاحة الرومية، ص١٤٠): لست أرى أن ينزع الغرس الذي قد أتـى عليه سنة من الكرم، فإن تلك الأصول لا تعلق ولا ترسخ في موضـع غـيره لـضعفها ورقتها.

(٣) سقط قوله من كتاب ابن حجاج.

قال ابن حجاج (رحمه الله)[1]: هذا يُعَضِّد قول **سيداغوس**، حيث قال: ينبغي أنْ يُتَحَرَّى بجُهْدٍ منّا ألاّ ننقلَ ما كان من المُلُوخ والقُضْبان والنُّوى والأوتاد، ومَنْشَؤُهُ على السَّقْي والرُّطوبة الدائمة إلاّ إلى مثل ما كان عليه.

وقال ابن حجّاج (رحمه الله): جميع الفلاحين قالوا: لا بأس بسَقْي الغُرُوس في الترمدانات عند إفراط الحرّ، ويُبْس الأرض.

قال يونيبوس: إنَّ -فيما بين غرس الكَرْمة التي لها أصُولٌ[2]، والتي من القضبان التي تقطع من ساعتها من الكَرْم للغرس- اختلافاً، وذلك أنّ الغروس التي كلّها أصول أحْرَى أنْ تَعْلَقَ في نباتها[3].

ويُقَال [إن **يونيوس** قال]: إنَّ نقل الغُرُوس يصيِّرُ الثَّمَرَ أجْوَدَ، ونحو هذا [القول] **لقسطوس**[4].

(١) قوله في المقنع بعبارات أخرى (ص٣٦)، قال: احذر أن تحول شجرة من موضع جيد وماء عذب إلى موضع رديء، وأرض قحلة وماء غير عذب ولا رواء، فإن فعلت وهلكت فلا لوم علينا.

(٢) المقصود هنا غرس الكرمة بالترقيد بأن تميل قضيباً غير منفصل من أصل الشجرة وتضعه في خندق يبسط فيه ويطم ويخرج رأسه ويبقى سنتين ونصف ثم يفصل عن أمه.

(٣) قال يونيوس (المقنع، ص١٠٧): هذا الغرس أسرع إدراكاً وإطعاماً، وأكثرها نزولاً.

(٤) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٦١) الغرس إذا حول من موضع إلى موضع آخر كان أصلح له وأجود.

وقال يونيوس[1]: ينبغي أن تُنَقِّي المواضع التي يُرَادُ أنْ يُغْرَسَ فيها الغُرُوس من جميع الدَّغل[2] الذي فيها، وأن يُفْعَلَ ذلك فيها -ليس بالحفر فقط[3]- لكن بالسِّكَك والحَرْث مرّات كثيرة.

وينبغي مع قَلْع الدَّغَل أن تُنَقَّى من الحجارة، وأن تُخْرَجَ منها، ولاسيما الحجارة التي لها حَدٌّ: ذلك إنّ جميع الحجارة التي تكون على وَجْه الأرض تحرقُ الغروس[4] في وقت الصيف إذا أحْمَتْهَا الشمس لدوام الحَرَارة في الأجسام الصُّلْبَة زماناً طويلاً، وفي الشتاء أيضاً تَبْرُدُ الحجارة

(١) قول يونيوس مذكور بمعناه في المقنع، ص٢٠، قال: نقّ الأرض التي تريد غرسها من جميع أصناف النبات والحجارة، وقد سقط من كتاب المقنع فصل استئصال الحلفاء والثيل والشوك والقصب والنجيل وكل ما ينبت حول الأشجار من حشائش وما يخالط البقول والرياحين، والمنابت المستأجمة.

وأفرد له فصل في الفلاحة النبطية، ص٣٧٨ وبما بعدها، وفصل في الفلاحة الرومية (ص١٦٠) ما يذهب النبات المضر بالحرث.

(٢) الدغل: الشجر المتلف، والجمع دغال وأدغال.

(٣) يقصد أن لا تزال الأعشاب بالمشق فقط، وإنما المقصود إزالتها من جذورها بالسكك.

قال ابن حجاج (المقنع، ص١٣) ينبغي أن تحفر الأرض بالمدور (أحد أنواع السكك) ليستأصل ما فيها من حشيش.

وقال: ولتكن سكة الفدان كبيرة لتقلب الأرض وتخرج شحمها.

(٤) قال ابن حجاج (المقنع، ص٧): إذا كان في الأرض حجارة عظام فهو رديء لها، لأنها تسخن في القيظ، وتحرق بحرارتها أصول الشجر والبقول، وفي الشتاء تبرد فتفسدهما، والصغار من الحجارة أقل ضرراً، فانقل الحجارة من أرضك.

فتَضُرُّ بسيقان الغروس إذا كانت على جهة الأرض لاصقة بالغروس، كما أنها تَفعَلُ ضِدَّ هذا الفعل إذا كانت في العُمْق؛ وذلك أنَّها حينئـذٍ تـبرِّدُ أصول الغروس في وقت الحَرِّ.

قال: وينبغي أنْ تجتهدَ في أنْ تُسَوَّى المواضع -ما أمكن- فلا تدعَ في الكروم مواضعَ عميقة وغير [عميقة].

وينبغي أنْ يتقدَّم ذلك اختبارُ الأرض التي تصلح لذلك النّوع من الأشجار التي يراد غراستها فيها [بحيث] تُعْمَر عِمَارة جيّدة مرّاتٍ في ثَرىً طيِّبٍ، ويُنَقَّى ما فيها من عُشْب وغيره[1]. وكلّما أُكثِر من عمارتها كان ذلك أحسن، ولتُعَمَّق لذلك، فهو أفْضَلُ وأبقى للثَّرَى فيـه، وتُعَـدَّل إن كانت أرضَ سَقْي، وبعد ذلك تُغْرَسُ فيها الأشجار. وللغراسة أوقـاتٌ تذكر -في هذا المُجْمَل إن شاء الله- فيما بَعْد.

وفي الفلاحة النبطية[2]: تُختَار المواضع التي هي مواضع التُّرْبة لنَقْل الأشجار والنَّوَى، ولتكُنْ الأرضَ المُسْتريحة من الزَّرْع، ولتكن مِمّا لم تُفْلَح هذه السنة -إن أمكن- وإلاّ فلتكن من الأرضين التي لم تُفْلَح سنتين، ومّما لا يلحقها هبوب الرياح كثيراً.

(١) الفلاحة النبطية، ص٩٧٨.

(٢) انظر آراء أنوحا وصردايا وطامثرى في الفلاحة النبطية، ص٩٦١-٩٦٥.

وينبغي[1] أن تكون الأرض التي تُحَوَّلُ إليها الغروس من موضـع تربتها مقاربة في الصِّفَة[2] للأرضين التي ابتُدِئ زراعتها فيها، أو مثلـها، ولا تُحَوَّل من أرض جيدة إلى أرض رديئة[3].

* * *

(١) الفلاحة النبطية: ص٩٧٨.

(٢) الفلاحة النبطية: مشاكلة لها أو قريبة منها شديدة التقارب.

(٣) الفلاحة النبطية: لا ينبغي أن يحول الغرس من موضع أجـود إلى موضـع دون، فيـصبح كالصبي الرضيع الذي يعتاد مرضعة جيدة فينتقل إلى أخرى رديئة المزاج فاسـدة اللـبن، فيفسد مزاجه ويلتاث بدنه. (الفلاحة النبطية، ص٩٧٩).

وهذا القول ذكره ابن حجاج في (المقنع، ص٣٦)، قال: ينبغي ألا تحـول شـجرة مـن موضع جيد وماء عذب إلى موضع رديء، وأرض قحلة، وماء غير عذب ولا رواء.

[الـ]... فصل [الثاني]

[في أوقات غراسة الأشجار والملوخ والأوتاد]

في أوقات غراسة الأشجار والمُلوخ والعُيُون والأوتاد

من كتاب **ابن حجاج** (رحمه الله)[1]:

قال سيداغوس[2]: في البلاد الحارّة، ينبغي أن يكون غرس الأشجار في الخريف[3]، وخاصة إذا كان البلدُ قليلَ الماء؛ ليلحق الغروس رطوبة أمطار[4] الخريف والشتاء والرَّبيع.

وقد تُغْرَس أيضاً الغروس بعد انقلاب فصل البرد، ودُنُوّ الأغصان من التَّفَتُّح[5]. وهلاكُ هذه الأشجار المغروسة الإكثار من اعتمارها بالحَرْث المُعَمَّق المضموم الخطوط، لتتمسَّك الأرضُ بالارتواء المُوْدَع فيها.

---

(١) سقط هذا النص من كتاب ابن حجاج.

(٢) قول سيداغوس هو نفسه بمعناه منسوب لقسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٨٣-١٨٤.

(٣) الفلاحة الرومية: إذا غرس في الخريف كان أسرع نباتاً.

(٤) الفلاحة الرومية: ليستقبل به أنداء الشتاء كله؛ فترسخ عروقه في الأرض حتى يأتي الربيع.

(٥) الفلاحة الرومية (ص٢٥٩): هناك من جعل أوان الغرس حينما تورق الأشجار وتخضر إلى آخر شهر آذار. قال ابن حجاج: الأرض لا تقبل زرعاً في شدة البرد.

وأمّا البلاد الباردة[1]: فينبغي أنْ تكونَ الغراسة فيها بعدَ انكسار حِدَّة الشتاء، وقلبها إذا قَرُبَت الأغصان من النَضَارة والفتح.

وإن شئتَ غرسْتَ في الخريف[2] لما يزعُمُون من قوَّة العُرُوق في هذا الفَصْل، ولأن الأرض تَطِيْبُ لملاطفتها الشَّمس والقيظ بحرّها، ولأنّ البرد لم يُجْمِدْها، فهي هشَّة بَعْدُ متهيِّئة لقبول ما أُلقي فيها؛ وهو عندهم أحسنُ لذلك.

وقال يونيوس[3]: إنَّ أوقات الغَرْس تختلفُ على قَدْر اختلاف البُلْدَان والأُمم؛ فإنَّ بعض الناس يشيرُ بأنْ تُغْرس الغروس بعد القِطَاف[4] إذا سقط الورق عن قضبان الكَرْم.

(١) الفلاحة الرومية (ص٢٥٩): البلاد التي هي أشد برداً، والشتاء فيها أطول مدة يستقبلون بالغرس آخر نيسان حين تهيج ريح الدبور.

(٢) قال قسطوس: وقد ابتدعت الغرس في تشرين الثاني، وفي غيره من شهور الخريف، فأنكر ذلك من شهده، ولما رأوا عاقبته حمدوه.

وقد وجدت أفضل أوقات الغرس في الخريف؛ لاسيما في البلاد التي في مياهها قلة؛ لأن ما يغرس في الخريف يستقبل أنداء الشتاء وأمطاره كلها؛ فترسخ عروقه في الأرض. (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩).

(٣) هذا قول أبوليوس في المقنع، ص٢١، قال: أفضل غرس الكروم حين يقطف العنب. وقوله أيضاً ذكره أبو الخير الاشبيلي، ص٢٣.

(٤) قال أنطرليوس: تنصب الكروم في الأرض المالحة بعد القطف. (المقنع، ص٢١)، وفلاحة أبي الخير، ص٢٣.

ومن الناس من يغرسُ في أوّل الرَّبيع[1]، ويبتدئون في ذلك، في سبعة أيّام من شباط.

والأجْوَدَ أنْ تُغْرَسَ المواضع المرتفعة اليابسة الضَّعيفة، بعد القطاف، وأن تغرس المواضع السَّهلة والقريبة من السهلة في أول الرَّبيع؛ أوّل يوم من آذار.

وأنْ تُغْرَس المواضع النَّديَّة في آخر الأوقات.

وأمّا الأرض[2] المالحة فينبغي أن تغرسَ بعد القِطَاف؛ ذلك أنَّ الأمطار التي تقع عليها بعد ذلك تَغْسِلُ الرَّديءَ الذي في هذه الأرض.

وعندما تَعْمُرُ هذه الأرض ينبغي أن تُلْقي عند سَاق الغرس زِبْلَ البقر[3]؛ ذلك أن هذا يُذْهِبُ الملوحة.

(١) قال ديمقراطيس: تغرس الكروم في أيار، ومنهم من يغرسه حين ينضر الشجر، ومنهم من يغرسه حين قطاف الكروم (المقنع، ص٢١)، وفلاحة أبي الخير، ص٢٣.

وقال قسطوس: منهم من يرى أوان الغرس حينما تورق الأشجار وتخضر إلى آخر شهر آذار. (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩).

(٢) هذا قول أنطرليوس (المقنع، ص٢١)، و(كتاب الفلاحة لأبي الخير، ص٢٣).

(٣) قال ابن حجاج (ص٢١): ومن نصب في أرض ملحة فليلق مع النصبة الزبل (ولم يذكر أي الأزبال).

وقال أبو الخير الإشبيلي، ص٢٣: فليلق مع النصبة من زبل البقر... (المر) مصحفة.

وينبغي أنْ تُمْشَقَ[1] الأرضُ الدَّسِمة في الصيف؛ [حيث] تقع الشمس عليها فتسخّنها، ثم تقع عليها الأمطار فتجعلها هشّة سريعة إلى قبول الغِرَاس.

وأمّا الأرض الرَّقيقة[2] فليس ينبغي التَّقدُّم في حَفْرِها، ذلك أنَّ حرارة الشمس تصيّرها رماديَّةً.

لكن ينبغي أن يكون حَفْرُهَا وغَرْسُها في وقتٍ واحدٍ، ويكون ذلك في الخريف، ذلك أنَّ غَرْسَ هذه الأرض في مثل هذا الوقت نافعٌ.

---

(١) المتحف وباريس: تغيّر (التغبير للنبات، أما المشق فللأرض).

قال ابن حجاج: الأرض السمينة لا ينبغي أن يزيد حدها في عمق الحفر عن ثلاثة أشبار (المقنع، ص٢٠).

وقال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص١٣٥): لا تحفر أرضاً لغرس كرم فوق ثلاثة أشبارٍ عمقاً في الأرض.

وقال (ص١٩٠) ينبغي أن يكون عمق ما يحفر للكرم في الأرض الجافة ضعف ما يحفر له في الأرض الندية؛ لأن الأرض قد تتشقق تشققاً عميقاً فيدخل حر الشمس في تلك الشقوق.

(٢) قال ينبوشاد: الأرض التي تسمى رقيقة ضعيفة، قليلة القوة، لذلك ينبغي أن يقلل من كراها، وإن كربت مرة بعد أخرى تخلخلت فزاد ضعفها. الفلاحة النبطية، ص٣٣٣.

قال: ومن الناس مَنْ يرى أنه ينبغي في الجُمْلة أن يكون الغَرْسُ في المواضع الحارّة في الخريف[1]، ويَبْدَأُ في ذلك من نصف تشرين الأوّل إلى أول كانون الأوّل، ثم يُتَجَنَّب من بعد هذا الغرسُ على كلّ حالٍ إلى سبعة أيّام من شباط [حتى] يكون الدِّفْء، فينبغي أن يُبْدَأ بالغَرْس[2].

وأمّا في المواضع الشَّتويَّة، لاسيّما ما كان منها جبليّاً؛ فينبغي أن يكون الغَرْسُ في آخر الرَّبيع؛ لأن هذه المواضع إنْ لم يَسْخن الهواءُ [فيها] وتُحَوَّل الغروس إليها لم تَقْوَ[3] على الإنبات؛ ولهذه العلّة ينبغي أن تكون الغروس في المواضع الحارّة (أكثر ذلك) في وقت الخريف؛ لأنّ الغروس في هذا الوقت لا تُسْرِعُ في الإنبات، وتميل كلّها إلى أنْ تُرْسِلَ أصولاً[4].

وأمّا في الرَّبيع[5] فإنّ الهواءَ يكون حارّاً، ويُسْرِعُ الزَّهْرُ في أطراف الغروس، قبل أن ترسِلَ أُصُولاً، وينبغي لنا أنْ نأخذَ في الغَرْسِ من الساعة

---

(١) قال قسطوس: أفضل أوقات الغرس في الخريف، ولاسيما في البلاد التي في مياهها قلة (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩).

(٢) قال قسطوس: البلاد الباردة ذات الشتاء الطويل يغرس الغرس فيها آخر نيسان، حيث تهيج رياح الدبور (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩)، لأن الأرض لا تقبل زرعاً عند شدة البرد (المقنع، ص٩٩).

(٣) المتحف وباريس: لم تقوى.

(٤) الشجر الذي يغرس في الخريف ترسخ عروقه في الأرض (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩).

(٥) منهم من ينصب الشجر في مارس والأرض ندية وعندما ينضر الشجر (المقنع، ص٢١، وأبو الخير الإشبيلي، ص٢٣).

الثالثة من النهار إلى السّاعة العاشرة[1]، ذلك أنّ الرياح تشتدّ في أول النهار وفي آخره.

وينبغي أن تكون الأرض في وقت الغرس لا رَطْبَةً جدّاً وَحِلة، ولا يابِسَةً قَحِلَة.

وقال أيضاً (وقد ذكر غرس الزّيتون)[2]:

قد قُلْنا في مواضع كثيرة أُخْرى ينبغي أنْ تكونَ الأرضُ التي تُغْرَسُ فيها الغُرُوس حارَّة رَطْبَة[3]، فإنَّه إن عدمت الأرض أَحَدَ هذين الشيئين لم يكن ثَمَر[4] الغروس تامّاً؛ ولهذا ينبغي أن تغرس الغُرُوس إمّا في وقت الربيع، وإمّا في وقت الخريف، وذلك أنَّ الأرضَ تكون حارَّةً لحرِّ الشمْس في وقت الخريف، وتكون رطبة من الأمطار الخريفيَّة، وتكون في الأرض حرارة ورطوبة من اعتدالِ مزاج الهَوَاء في ذلك الوقت[5].

(١) المقنع، ص٢٢: الشجر لا ينصب ولا يزبر إلا بعد ساعة من النهار إلى عشر ساعات لأن الرياح تهيج في أول النهار وآخره.

(٢) هذا قول يونيوس في المقنع، ص٨٥.

(٣) المقنع: لينة رطبة (ص٨٥)، والصماء الندية (ص٨٧).

(٤) المقنع: شجرة الزيتون تحمل في مثل هذه الأرض ثمرة كبيرة دسمة كثيرة الزيت.

(٥) قال يونيوس: الهواء الموافق لشجر الزيتون هو الهواء الحار اليابس، مثل بلاد سوس وما اتصل بها من بلاد الشام (المقنع، ص٨٨).

وفي وقت الرَّبيع[1] تبتدِئ تَسْخَنُ؛ وذلك إنّه حينئذٍ ينقطعُ البردُ الذي يصيرُ إليها من السماء، وتُنْشِفُ الشمسُ من الأرض أكثرَ الماء الذي فيها، فترفعُهُ، فتنتجُ الأرضُ الغروسَ بعد نقصان رطوبتها، وابتداء حَرَارتها.

والوقت الخريفي[2] أجودُ من غيره للغروس، فينبغي أنْ تغرسَ الغُرُوس في هذا الوقت حين تقع الأمطارُ[3]؛ وذلك بعد غيبُوبة الثُّرَيَّا إلى أن يشتدّ البردُ، ثم يُمْسَكُ عن الغَرْس إلى ابتداء الرَّبيع قبل نُضُوْر الأوراق، وانفتاح الأغصان؛ لأنَّ الزمان -من انقلاب الوقت الشتوي إلى ابتداء الربيع- باردٌ جدّاً، ثم يُبْدَأ بالغَرْس أيضاً من أول الربيع في الأيام التي تَهُبُّ فيها ريحُ الجنوب، وتُجْتَنَبُ [الأيّام] التي [تهب][4] فيها ريحُ الشمال.

وقال قسطوس (وهذا نصُّ قوله)[5]: أحقُّ أوان الغَرْسِ الخريفُ، ولاسيّما في البلد الذي يقلُّ ماؤه؛ فيصيب الغرسَ نَدَى الشتاء كلّه. وهذا ما قد توافق عليه العلماء من الغرس في الخريف، ولا بأس به في الربيع.

(١) قال يونيوس: ينبغي أن تغرس غروس الزيتون في أحد وقتين: إما الخريف، وإما الربيع (المقنع، ص٩٦).

(٢) قال يونيوس حرفاً فحرفاً في المقنع، ص٩٦، وعلم الملاحة، ص١٩.

(٣) المقنع: حين تقع الأمطار إلى أن يشتد البرد؛ فيمسك عن الغرس، إلى ابتداء الربيع، ثم يبتدأ بالغرس.

(٤) الزيادة من المقنع.

(٥) قول قسطوس في الفلاحة الرومية حرفاً فحرفاً، ص١٨٣، وقوله مكرر في الفلاحة الرومية، ص٢٥٩ أيضاً.

ويقول قسطوس[1]: قد ابتدعْتُ الغَرْس في الخريف في سائر الأراضي، فَحَمَدْتُ ذلك الرَّأي، واقتدى غيري [به] فاغتبطوا بذلك.

والعُلَمَاءُ يختارون من ذلك غَرْس الخريف على غرس الربيع؛ لأنَّ زيادة بعض الشجر في أعلاه، وزيادة بعضه في أسفله، وغرس الربيع زيادة في أعلاه، وزيادة غرس الخريف في أصله وعُرُوقه، فأحقُّ أوان الغرس ما كان زيادة في أصوله وعروقه[2]. **(انتهى قول قسطوس).**

قال ابن حجاج (رحمه الله)[3]: فهذا إجماعٌ من الحكماء الثلاثة[4] المشاهير بهذا العِلْم على أنَّ غراسة الخريف أفضل، وقد اعْتَلُّوا بذلك بما تقدَّمَ ذكرُهُ.

(١) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٢٥٩): وقد ابتدعت الغرس في تشرين الثاني، وفي غيره من شهور الخريف، فأنكر ذلك من شهده، ثم استجادوا عاقبته، فاقتدوا به. وقال (ص١٨٤) قد ابتدعت الغرس في قريتي (مردانة) في الخريف، فأنكر ذلك من شهده، ثم حمدوا غبه وعاقبته، فاقتدوا به. وقال أبو الخير (ص١١٥) قال قسطوس: خرقت العادة في زمن وغرست الكرم في قريتي في الخريف، فعجب الناس لذلك، فكان أجود غرس وأحمده.

(٢) قال قسطوس: لأن ما يغرس في الخريف يستقبل أنداء الشتاء وأمطاره كلها فترسخ عروقه في الأرض. والقول حرفاً فحرفاً عند النابلسي، ص١٩.

(٣) قوله في المقنع، ص٨٧.

(٤) الحكماء الثلاثة المشار إليهم، هم: ديمقراطيس وقسطوس ريونيوس.

وقال مرسينال الطبيب[1]: ينبغي لكلّ شجرة وصَفْنَا ذكْرَهَا ألاّ تُغْرَس في أيّام باردة إلاّ في أيام الربيع في وقت إلحاقها من أول فبراير (انتهى قوله).

قال ابن حَجَّاج (رحمه الله تعالى): فهذا خالَفَ الرَّأيَ الأول كما ترى بالتِزَامِهِ الغراسَةَ في الربيع، **وقولُ يونيوس**[2] أعْدَلُ الأقوال عندي.

وفي الفلاحة النبطية[3]: إنَّ الوقت المختصّ بغراسة الكروم من مشرق الأرض إلى مغربها من أوَّل فصل الرَّبيع.

وقيل[4]: إنَّ الذي يغرس في الخريف يكون أكثر حَمْلاً من الذي يُغْرَسُ في الربيع.

ومن غيرها[5]: الأشجار التي عودُها صُلْبٌ؛ مثل: الزّيتون، والعُنَّاب، والبَلُّوط، والفُسْتُق، والدَّرْدار، وشبهها يُغْرَسُ في فصل الشتاء.

(١) هو مرسينال الطنيسي، ورد ذكره في المقنع، ص١٢٣.

قال ابن حجاج، ص١٣: لا ينبغي أن يزرع في أيام شدة البرد بريح الشمال فإن الأرض لا تقبل زرعاً.

(٢) قول يونيوس: يغرس الزيتون في الخريف أو الربيع، والوقت الخريفي أجود من غيره، للغرس، ولا ينبغي الغرس عندما تهب ريح الشمال، وإذا اشتد البرد فيمسك عن الغرس إلى ابتداء الربيع (المقنع، ص٩٦).

(٣) هذا قول أنوحا في الفلاحة النبطية، ص٩٤٤، وهكذا قال آدمي أيضاً.

(٤) النابلسي، ص١٩.

(٥) النابلسي، ص١٩.

والمتوسطة منها في صلابة العُود[١]، مثل: شجر التِّين، والأعناب، والتفاح، والسَّفَرْجل، والخوخ، والمُشْمُش، وشبهها، فيغرس في أول فصل الربيع، وليكن ذلك قبل فتحها وإيراقها[٢].

وقيل[٣]: تُغْرَس كل شجرة حين تتجدَّد بالفَتْح، وذلك من نحو شهر يناير إلى [أول آذار، أو إلى عشرة تخلو منه][٤]، إلاّ اللّوز وشبهه ممّا يبكِّرُ بالنُّوَّار فيغرس قبل ذلك.

ولا يغرس شجر بعد نُضُوره، وظهور وَرَقِهِ[٥] إلاّ الرُّمَّان خاصة؛ فإنه إن غُرِس كذلك نَجَبَ، وقيل: إن غُرِسَ الإجَّاص والتين، وهو كذلك، لم يضرّهما ذلك.

وقيل: إنّ فصل الخريف أفضل الفصول للغِرَاسة، ثم فصل الشتاء، وإنّ الغراسة في أوّل فصل الرَّبيع ودون ذلك؛ لأنَّ فصل الحرّ يدخل على النبت ويلحقه وهو أخضر رَخْص لم يشتدّ، فيفسده الحرّ، فإن خَلَصَ منه أفسده البرد.

---

(١) النابلسي، ص١٩.

(٢) انتهى النص من نسخة باريس التي سقطت منها الأوراق من ص٦٩-٩٤، والتتمة من نسخة المتحف البريطاني ومن النسخة المطبوعة في مدريد.

(٣) هذا قول كاماس النهري في الفلاحة النبطية، ص٩٤٤.

(٤) هذا النص سقط من نسخة المتحف، ونسخة مدريد، والزيادة من الفلاحة النبطية.

(٥) النابلسي، ص١٩.

ويُبَكِّرُ بالغراسة في البلاد الحارّة[١]، و[لا] يبكَّرُ بها في البلاد الباردة، وفي الأرض الباردة؛ لاسيّما في المروج؛ لأنّ المروج والأرض الرَّطبة بالماء لا تصلح أنْ يغرس فيها شجرٌ لا في الخريف، ولا في الشتاء، وإنّما تصلُحُ للغراسة بعد نُضُوب الماء منها، واعتدال البرد فيها، ولا يغرس بعد الاستواء الربيعي[٢] شيء من الأشجار في البَعْل.

وقيل[٣]: إن الأولى أن تُغْرَس المُلُوخ والعيون والأوْتاد، والنَّوَى في فصل الشتاء (هذا في أرض البَعْل).

وأمّا على السَّقْي[٤] فتُغْرَسُ الأشجار كلّها في الفصول الثلاثة، ولاسيَّما في أول فصل الربيع، ولاسيما إذا قُلِعَتْ بعُرُوقها كلّها أو

---

(١) الفلاحة النبطية: ص٩٤٧، وقال قوثامي: وقت الغرس والزرع للكروم في البلدان الحارة في تشرين الأول والثاني.

(٢) قال قسطوس في الفلاحة الرومية (ص٢٦٠): لا ينبغي للشجر أن يغرس بعد استواء الليل والنهار في الربيع، ولا قبل استوائهما في الخريف.

وقال أبو الخير الإشبيلي (ص١١٥): أجود الأوقات لغرس الكرم في البعول والسقي من أول شهر نوفمبر إلى آخر يناير، فهذا الغرس محمود، سريع الانبعاث، مضمون اللقح.

(٣) قال النابلسي (علم الملاحة، ص١٩-٢٠) لا يغرس شيء من الأشجار البعل بعد الاستواء الربيعي. وهلاك الأشجار سقيها في الصيف.

(٤) ابن بصّال، كتاب الفلاحة، ص٣٩؛ قال: لأن الماء في فصل الشتاء يحرك الخضر بدفئه ورطوبته، وفي الخريف والربيع فإن الخضر تصلح بالماء النافع صلاحاً بيناً.

أكثرها، وبجُرْزَات[1] من ترابها، و لم يُغْفَل عن سَقْيها.

قال أبو الخير الإشبيلي[2]: أفضلُ الأهوية في بلدنا[3]، والرِّياحُ ووقت الغراسة: الرِّيح الغربيَّة والغَيْم والرَّذاذ، ولا يُغْرَسُ شيءٌ منها يومَ مَطَرٍ إلاَّ الزيتون خاصَّة.

وينبغي أنْ تُنْقَل[4] (الأنْقَال) الثانية من النَّوى والحُبُوب -ولا بُدَّ- إلى موضع آخر من موضعها الأوَّل.

وقال أبو الخير الإشبيلي أيضاً[5]: رأيتُ حبَّة لوزٍ صارَ منها شَجَرَة لَوْزٍ، لم تُنْقَل، فكانت بخيلة الحَمْل.

---

(١) جاءت هذه الكلمة مكررة في كتاب ابن بصَّال ومصحفة بأكثر من صورة، هكذا: جرزة- حوزة- حرزة، وخرزة... ونرجح أنها جرزة: الحزمة من القت ونحوه، وهنا حزمة مما يعلق بجذور الشجرة من التراب والزبل، وقد يصلح لها لفظ الحوزة، من حاز الشيء: ضمه وملكه، والحوز: ما يحتازه الشخص لنفسه ويضمه إليه.

(٢) قول أبي الخير أخل به كتابه المنشور.

(٣) يقصد: إشبيلية.

(٤) سماها ابن بصَّال (ص٧٤) نقلة ونقول وأنقال. ووصف طريقة نقل الأنقال إلى مواضعها الجديدة (ص٧٤).

(٥) سقط قوله من النسخة المنشورة.

وقيل[1]: لا يغرس غرسٌ يوم الجُمُعة، ولا يوم الأَحَد؛ وأمّا النَّوى والحبّ والقضبان والأوتاد؛ فلِغِرَاسة كلّ نوعٍ منها وقت يُذْكر في الفصول الآتية بعد هذا (إن شاء الله تعالى).

* * *

---

(١) هذا القول ذكره عبد الغني النابلسي، ص١٨، وقال: جربت كراهية ذلك.

[الـ]... فصل [الثالث]

[وقت غراسة نوَى الأشجار]

قال ابن بصَّال[1] وغيره: الوقْتُ العام للغِرَاسة جميعها –عندما يحين أُكلُها وطُعْمها، وبعد استحكام نُضْجها– في شهر نوفمبر، وديسمبر، ويناير، وفبراير، وهو آخر مدّة ذلك، وما يُغْرَسُ بعد ذلك يُدْرِكُ نباتَهُ الحرُّ؛ فيفسده، ويحرقهُ البردُ أيضاً.

وينبُتُ أكثرُ النَّوَى[2] في (مارس) والنَّوَى التي جَسرَت العادة بغراستها في بلدنا، مثل: الخَوْخ، والمُشْمُش، واللَّوْز، والجَوْز، والإجَّاص، والزّيتون، والخَرُّوب، والبُنْدُق، والصَّنَوْبر، والبَلُّوط، والشَّاه بَلُّوط[3]، والمَيْس[4]، والقَرَاسيا[5]، والزُّعرور، والأَزَاذْرَخْت[6]، والنَّخل، والغُبيراء، والفُستُق، والسَّرْو، وما أشبه ذلك.

---

(١) ابن بصَّال، كتاب الفلاحة، ص٦٥، ص٧٤.

(٢) المقنع، ص٣٤.

(٣) الشاهبلوط: المعروف بـ(أبي فروة).

(٤) الميس: هو اللوطس أو حباقا (بالسريانية) والحندقوق بالعربية.

(٥) القراصيا والقراسيا والجراسيا سواء؛ وهو حب الملوك أو الكرز الأحمر.

(٦) الأزادرخت (بالفارسية معناه: حر الشجر) هو شجر اللبخ، والشيشعان (بالعربية).

وصفة العمل في غراستها[1] أن يُختارَ من النّوى الحديثُ السالمُ الذي لم تلحقْهُ آفةٌ، وليكن من ثَمَرٍ ناضجٍ مأخوذٍ من شجرةٍ معروفةٍ بكثرة الحَمْل، وطِيْبِ الطَّعْم، ولا خير فيمن لم يكنْ كذلك منها.

قال أبو الخير الإشبيلي[2]: وليكن [النّوَى] من البَطْنِ الأوَّل؛ وهو أوّل ما يطيبُ من تلك الشجرة. ويُغْرَس [النوى] في الأحواض[3]، وفي الظُّروف الكِبَار[4] الجُدُد من الفَخَّار أيضاً، وذلك أنْ تُقَام له الأحواض في الأرض التي تصلُحُ لذلك (وقد تقدَّم ذكرها) ولتكنْ معمورة مُكَرَّمَة بالزِّبل البالي[5]، وتثرى بالماء[6]، ويُغْرَسُ النّوَى صفوفاً في حُفَرٍ عميقة، كل حفرة منها ثُلُثا شِبْرٍ[7]، وأقلّ من ذلك قليلاً، وذلك بحسب قُوَّة ذلك النَّوَى وضَعْفه، ويُرَدُّ عليه من تُراب وَجْه الأرض، ويكون بين [كلّ] نواة وأخرى قَدْرَ ذراع، هذا فيما يُنْقَلُ منها دون جُرْزَة[8] من تُرَابه، وأمّا ما يُنْقَلُ منها بجُرْزَة من ذلك التُّراب فليُبَاعَد بينهما أكثر من ذلك البُعْد (ويذكر ذلك فيما يأتي ذكرُهُ) ويُسْقَى بعد ذلك بالماء، ولا تترك أرضُهُ تَبْيَضُّ دون سقي، حتى يَنْبُتَ ويصيرَ قَدْرَ الشِّبْر أو أكثر[1].

(وسيأتي ذكر تدبيرها إلى أن تَلْحَقَ بغيرها، وسنذكر غراسة النَّوَى في "الظُّرُوف"[2] في الفصل الذي بعد هذا، إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) ابن بصَّال، ص٦١، وأضاف: أن يؤخذ النوى من مختار الثمر ولم يمسه ملح. النابلسي (ص٢٠)، قال: يختار النوى الجديد السليم من الآفة.

(٢) سقط من كتابه، وذكره النابلسي، ص٢٠.

(٣) ابن بصَّال، ص٧١-٧٢.

(٤) النابلسي: وأوعية الخزف الكبار الجديدة.

(٥) النابلسي: يطيب كل حوض بثلاثة قفف من الزبل القديم الطيب.

(٦) النابلسي: وتسقى بالماء، وكثرة الماء تهلكه وتقطعه أكان صغيراً أو كبيراً.

(٧) النابلسي: كل حفرة ثلاثة أشبار، وبين حفرة وأخرى عشرون ذراعاً.

(٨) الجرزة: الضمة أو الحزمة.

(١) ذكر هذا القول النابلسي أيضاً، ص٢٠.

(٢) الظروف: هي القصارى، وأواني الخزف، وأواني الزجاج والفخار.

[الـ]... (فصل) [الرابع]

[غراسة حبوب الأشجار التي ليس لها نوى]

وأمّا غِراسةَ الحبوب التي في ثِمَار الأشجار التي ليس لها نوىً؛ مثل: السَّفرجل، والتفّاح، والكُمَّثرى، والرَّنْد، والأُتْرُجّ، والنَّارَنْج، واللّيْمون، والرَّيْحَان، والسَّرْو، وعَجَم العنب، وحَبّ التّين، والفِرْصَاد[1] وشبه ذلك مِمّا لثَمَرَته حبٌّ؛ فيُختَار من هذه ما يوافق الصِّفات المذكورة في اختيار النَّوَى، وليكن من البطن الأوَّل من بطون تلك الشجرة، وهو الذي يطيبُ منها أوَّلاً، وتُزْرَعُ حبوبها في الشُّهُور المذكورة[2] (في الفصل السابق) ليدخُل على نباهّا فَصْلُ الحرِّ وقد اشتَدَّ وقَوِيَ، وما يُغْرَسُ منها، ومن النَّوَى في فصل الربيع يُخَافُ على نباهّا أنْ يفسدَهُ الحرُّ والبردُ في فَصْليهما لرُخُوصتهما[3].

وصِفَة العَمَل في غراستها[4]؛ أن تُغْرَسَ الحبوبُ المأخوذةُ من

---

(١) الفرصاد: التوت البلدي.

(٢) يقصد: شهر نوفمبر وديسمبر، ويناير وفبراير.

(٣) ابن بصَّال: يحرقه البرد ويفسده لرخوصته وتنعمه.

(٤) صفة العمل هذه ذكرها النابلسي في علم الملاحة، ص٢٠.

النوع الذي يراد غراسته منها في قُصَارَى[1] أو ظُرُوف[2] كبار شبهها، جُدُدٍ، من فَخَّارٍ مثقوبة الأسْفَل، يُجْعَلُ فيها من تُراب وجه الأرض الذي يَصْلُحُ، أو من أطيب أنواع الأرض مخلوطاً بزِبْلٍ طيِّبٍ بالٍ[3]، يُذَرُّ أقلُّ القليل منه على [أصلها] لأجل سقيها بالماء.

وتُخَفَّفُ زراعتُها وعلى قَدْر ضَعْفِها وقُوَّتها يُزَادُ في مقدار ما يُزْرَعُ من الضعيفة، لما يحدُثُ من بُطْلان بعضها، ويُقَلَّلُ من القويَّة للأمْن من ذلك فيها.

وتُغَطَّى بقَدْر غِلَظ الثَّوْب[4]، أو أكثر، من الزِّبل، يُغَرْبَل عليها، وليكن غِلَظُهُ عليها بقدر قُوَّتها على نفاده إذا أنبتت، وضَعْفها عنه، ويُجْعَلُ فوقه دِيْسٌ[5] مُقَطَّع، أو حَلْفَاء[6] كذلك؛ ليسترها عن تَجْفيف

(١) القصارى: جمع قصرية؛ وهي إناء من فخار. قال النابلسي: هي قدور واسعة من فخار تثقب من أسفلها. وقيل: أصلها القوصرة: وهو وعاء للتمر من قصب.

(٢) الظروف: جمع ظرف، وهو وعاء من زجاج أو خزف أو فخار.

(٣) النابلسي: زبل قديم سليم. ابن بصّال (ص٧٨): زبل رقيق بال.

(٤) ابن بصّال (ص٧٨): زبل رقيق بال يلقى عليه الحصير، ويطرح عليه رمل رقيق نحو غلظ الثوب.

(٥) الديس: هو النجيل، وقيل: هو جنس من الأعشاب المائية من الفصيلة السعدية تصنع منه الحصر، ومنه ديس الحلفاء والسمار والسامان (عمدة الطبيب، ص٣٠٦).

(٦) المتحف: خلقان (تصحيف).

الهواء لها، وتُسْقَى بالماء بعد ذلك على قطعة حصير حَلْفَاء، وشبه ذلك لئلا ينتقل الحَبُّ من موضع إلى آخر، وإن أمكَنَ أن تُسْقَى (قبل إنباتها) الماءَ رَشّاً باليد فذلك أحسن. هكذا يُعْمَلُ في الضعيف منها، وأضْعَفُها حبُّ السَّرْو، وحبُّ الرَّيحان، والفِرْصَاد وشِبْهها.

ويُعْمَلُ مثل هذا في البذور الضِّعَاف أيضاً؛ مثل الأَحْبَاق[1] وشبهها بحسب قوّتها ولُطْفها يكون وجه العَمَل في التَلَطُّف بها، وتُتَعَاهَدُ بالسَّقي بالماء[2] حتى تنبتَ، وفي استقبال فصل الشتاء يُخَفَّف عليها السَّقْي، وإنْ تَوَالت عليها الأمطار قُطِعَ عنها السَّقي؛ لأنّ الأمطار تُغَذِّيها.

ويُخَفَّفُ عنها السَّقْي[3] أيضاً في استقبال فصل الحَرّ؛ لتَشْتَدّ، ويقلُّ إنعامُها؛ لأنَّها إنْ أدركَهَا وهي رَخْصَة أضرَّ بها وإنْ رخُصَتْ[1] منه أحْرَقَها البَرْد.

والصواب: حلفاء، يريد حصيراً مصنوعاً من حلفاء ليقي البذور من حر الشمس وضوئها المباشر. والحلفاء من الأغلاث، قيل: هو الديس، وقيل: شبهه (عمدة الطبيب، ص٢٢٠).

(١) الحبق: النعنع البري أو الريحان البري، والأحباق أنواع: الحبق النبطي، والكرماني، والنهري، والصعتري، وحبق الشيوخ، والبري والبستاني وحبق الراعي وحبق البقر وحبق التمساح.

(٢) النابلسي: يخلط بزبل قديم ويسقى بالماء على حصير وشبهه لئلا يجرف الماء الحب، وإن أمكن الرشُّ باليد فهو أحسن.

(٣) ابن بصّال (ص٧٤): تسقى مرتين أو ثلاثاً إلى أن يلحقها أمطار الخريف والشتاء، فيترك سقيه.

وإن غُرِسَ النَّوَى في القُصَارَى والظُّرُوف المذكورة، فيُعْمَلُ فيهـا مثلما ذكرنا في غِرَاستها بالأحْوَاض، وإنْ غُطِّتْ بالرَّمل فَحَسَنٌ.

* * *

(١) المتحف: خلصت (تصحيف) والصواب: رخصت: أي نعمت وغضرت.

[الـ]... (فصل) [الخامس]

[غروس القصارى والظروف]

ولا تُتْرَكُ [الغروس] في القُصَارَى أكثر من عامٍ[١]، وتُنْقَلُ منها إلى أحْوَاضٍ تُرَبّى فيها، وإن تُرِكَت في "الظُّرُوف" أكثر من ذلك ضَـعُفَتْ، وكذلك إنْ نُقلت منها قبل ذلك فَسَدَت، ولاسيّما إن كانت مع ذلك لم يَصْلُب عودُها، وتَذْهَب غُضْرَتُها[٢]، ثم تنقل مـن أحـواض التربيـة إلى المواضِع التي تَعْظُمُ فيها.

قال ابن بصَّال[٣]: والنَّوى قد يُدْرِكُ الشجرةَ التي يُتَّخَـذُ منـها، وتُطْعِمُ بعد سبعة أعوام[٤].

والتي تتخذ من الحبّ المذكور تدرِكُ بعد أربعة أعوام، وينقل مـا أدْرَكَ منها بعد ثلاثة أعوام[٥].

(١) النابلسي: عام، ابن بصَّال (ص٢٠) من عامين.

(٢) المتحف: خضرتها (تصحيف)، والصواب: غضرتها، أي غضارتها ونضارتها ورخوصتها، والغُضْرَة والغضراء: الأرض الخضراء الطيبة، العذبة الماء.

(٣) ابن بصَّال، ص٦٠-٦١.

(٤) النابلسي (ص٢٠): ما أصله من (القوى) تصحيف (النوى) يدرك بعد ستة أعوام.

(٥) النابلسي: ينقل ما يدرك ويتخذ من الحب بعد أربعة أعوام وما أصله من النوى فبعد ستة أعوام.

وقال أبو الخير[1]: لا يُنْقَلُ شجر النَّارَنْج[2] حتى يبلُغَ قَدْر قامة الإنسان، وإنْ نُقِل[3]، وهو أقل منذ ذلك، بَطَلَ (وسوف نذكر تدبيرها إلى أن تلحق [أمَّها] في فَصْلٍ مفردٍ لذلك إن شاء الله تعالى، [وما ينبغي لك فعله] إن أردت أن تعجِّل إطعامها، وتُقَرِّب فائدها، بمشيئة الله تعالى).

ومن أحبَّ ألاّ يُعَطِّل الأحواض التي يُغْرَس النَّوَى فيها، [يمكنه أن] يزرعَ فيها من الخُضَر ما يخرجُ منها قبل أنْ ينبت النَّوَى المغروس فيها، وذلك مثل الكُزبُر وشبهه.

* * *

(١) قول أبي الخير الإشبيلي أخل به كتابه المطبوع.

(٢) النارنج: هو البرتقال، وقيل: هو (يوسف أفندي).

(٣) ابن بصَّال: يجعل النارنج في القصارى مدة عام، ثم ينقل إلى قصارى أخرى مطيبة بالزبل البارد الرطب قدر نصف الإصبع، ويسقى بالماء مرتين في الجمعة، ثم تفرغ القصرية الثانية بعد عامين وتنقل إلى المكان الذي أعد لها لتزرع فيه. والنارنج لا يتخذ غرسه إلا من زرّيعته (بذره) ولا يؤخذ منه وتد ولا نامية ولا غير ذلك (ابن بصَّال، ص٨٢).

[الـ]... (فصل) [السادس]

[غراسة الملوخ]

غراسة المُلُوخ[1] واختيار الأَحْسَن منها

قال ابن حجّاج (رحمه الله) في "المقنع" من كِتَابه[2]:

أجْمَعَ الفلاّحون على أنه يجبُ على مَنْ أَخَذَ مَلْخاً من شجرة، وقَطَعَ وَتِداً أن لا ينـزعه إلاّ من جهَة الشرق، وناحية الجنوب، وممن ذكر (ذلك) "يونيوس" حيث قال: تُنْتَزَعُ الأغْصَانُ من رأس الشجرة، ومما هو في السنة الثانية من نباته[3]، ويُؤْخذ من جانب الشجرة الذي يلي الجنوب أو الشَّرْق فيُغْرَس في الأرض.

وقال مَرْسينال[4]: المَلْخ والوَتِد ينبغي أن يُؤْخَذَ من ناحية الشَّرْق[5] أو الجنوب، ولا يكونا أصْلاً من ناحية الشَّمال؛ لأنَّ أحسن

(١) ملخ الشيء وامتلخه: استله واجتذبه قبضاً، والملوخ هي الأغصان التي تجذب بالأيدي من الأشجار ثم تزرع.

(٢) المقنع، ص٢٠.

(٣) قال ديمقراطيس: تقطع القضبان للغرس من كرم متوسط؛ لا قديم ولا حديث (المقنع، ص١٩) والفلاحة الرومية، ص١٨٤.

(٤) هو مرسينال الطنيسي (وقد سبق ذكره).

(٥) المتحف وباريس: ناحية الشمال (وهو سهو من المؤلف).

المَلْخ الذي يلي الشَّرْق، ثم الذي يلي الجنوب، ثم الذي يلي الغَرْب، فأمّا الذي يلي الشمال فلا خير فيه[1].

قال سُودِيُون[2]: وإذا أَرَدْتَ أنْ تَأْخُذَ الغَرْسَ من أيِّ نوعٍ شئتَ؛ أكان قطيعاً[3] أو قَلِيعاً[4]، أو مَلْخاً، أو وَتِداً، أو غَرْساً بأصْله، فلا يُؤْخذُ إلاّ مِمَّا يلي الشمس، فهي تَحُرُّه وتَدْبغُهُ، وكُلّما أحَرَّته الشمس كان أجْوَدَ، وذلك له دِبَاغٌ، وهو أسْرَعُ تَعَلُّقاً، وهو أيضاً في شجرته أمْرَأُ ثمرةً. ومع هذا فالجِذْعُ الغليظ المتَقَارب العُقَد، الجديد، خيرٌ من الظليل الأملس السَّبْط[5].

ولا تأخُذْ غَرْساً أبداً من ناحية الشَّمال، وما جاور الشَّمال؛ فإنه ظليلٌ، قليلُ الحَمْلِ، قليل التَّعَلُّق.

---

(١) قال النابلسي نقلاً من ابن العوَّام (علم الملاحة، ص٢٠): الأغصان الصالحة للملخ تؤخذ من أشجار مزروعة من جهة الشرق أو الجنوب، وما كان من جهة الشمال فلا خير فيه.

(٢) المقنع: سوديوس (تصحيف) وتكرر ذكره في الفلاحة الرومية (ص١٢٨، ١٨٦، ١٨٧) وسماه سوديون العالم، وسوديون الفيلسوف.

(٣) القطيع: المقطوع.

(٤) مدريد: خليعاً (تصحيف) الصواب: قليعاً؛ أي: مقلوعاً. ويجوز خليعاً أي مخلوعاً.

(٥) النابلسي (ص٢٠): لا ينبغي أن يتجاوز عمر الأغصان السنتين، وأحسنها ما أخذ من وسط الشجرة من جزئها الأعلى، ولا خير في أغصان الظل السبطة.

وقال يونيوس[1]:

لا ينبغي أن تُؤْخذ الأغصان التي تَنْبُتُ في ساق الشجرة؛ لكن ينبغي أن تُؤْخَذَ من أعلى الشجرة[2].

وقال سُولون[3]:

إنَّما كرهوا النَّاشئَ في أُصُول الشجر؛ لأنّه ظَلِيلٌ سَبْطٌ، لم تدبغْهُ الشَّمْسُ بحرارتها الغريزيَّة وهو معهودٌ[4] بالرُّطوبة، وإذا كان كذلك لم يكدْ يَعْلَق.

---

(١) قول يونيوس في المقنع، ص١٩، قال: لا تأخذ من أعلى الجفنة ولا من أسفلها، ولا مما ينبت في أصلها، ولكن من وسطها مما لا ن من الزرجون وتقاربت عقده، والجاسي من الزرجون لا خير فيه. وهذا قول مكرر أيضاً في الفلاحة الرومية، ص١٨٤.

(٢) قول يونيوس محرف عن أصله، لأنه قال: لا يؤخذ من أعلى الشجرة ولا من أسفلها، ولكن من وسطها (المقنع، ص١٩).

وقال يونيوس في موضع آخر من المقنع (ص٩٢-٩٣) ما يدعم الرأي الذي ذكره ابن العوَّام: لا ينبغي أن تؤخذ الأغصان التي تنبت في ساق الشجرة، ولكن ينبغي أن تؤخذ من أعلى الشجرة.

(٣) سولون: ورد ذكره في المقنع مرتين (ص٨٩، ص١٢٣). وسقط قوله من المقنع ومن الفلاحة الرومية.

(٤) المتحف: معمورة (تصحيف).

قال: وزَعَم قومٌ من الفلاّحين أنه[1] يكون قليلَ الثَّمر، ضعيف الحَمْل؛ لأنّه في أصل نَشْبِهِ[2] من مادّةِ الرُّطوبةُ عليها أغْلَبُ، والحرارةُ فيها ضعيفةٌ.

قال سوديون: وأنا أقول: أمّا أنْ يكونَ بَعْدَ أنْ يَعْلَقَ قليلُ الحَمْل فباطلٌ؛ لأنّه إذا غُرِس وعَلِقَ فقد بَـرزَ إلى الشمس، وتمكَّنَتْ منه حراراتُها[3]، فأوقَدَت الحرارة الغريزيَّة فيه، فقَوِيَ وأوْقَرَ.

وإنّما كُرِهَ منه قِلّة عُلُوقه خاصَّةً؛ لضعف حرارته، وأنَّ رُطُوبته غير مستوفاة النُّضْج.

وقد تقدَّم [ذِكْر] الأشجار التي تُنْجِبُ مُلُوخاً من غيرها.

وفي اختيار الأغصان للغراسة[4]:

يُخْتَار للغراسة من الأغصان الغلاظ[5] اليانعة، ممّا قد أطْعَمَ منها

(١) يقصد: الناشئ من الأغصان في أصول الشجر.

(٢) عبارة المؤلف ملتوية، وهو يقصد: أن الغصن الناشئ قليل الثمر، ضعيف الحمل، لأنه ناشب في أصل حرارته ضعيفة ورطوبته غالبة.

(٣) المتحف: وتمكنت من حرارته (تصحيف).

(٤) يختار من أغصان الكرمة ابن ست سنين لا العتيق ولا المحدث وما تقاربت كعوبه وصفا لحاؤه (المقنع، ص١٩-٢٠)، وغروس الزيتون: ينبغي أن تكون لينة صحيحة غير مشققة اللحاء، معتدلة الغلظ (المقنع، ص٨٨، ٩٢).

(٥) قال ابن حجاج: أن تكون معتدلة الغلظ. ابن بصّال: غلظ الذراع.

الجِذْعُ بكثرةِ العُقَد المُلْس[1]، الجلْدَة، السَّالمة من الآفات، ولتكن الأشجارُ المأخوذ ذلك منها أكثَرَها حَمْلاً، ولا خيرَ في الغصْن السَّبْط[2] الذي في الظِّلّ، وإنْ أسْرَعَ في العُلُوق؛ فإنّه يكونُ قليل الحمل[3].

وليؤخذ من وَسَط ذَرْوَة[4] الشجرة، من أعلاها نَعَماً، من ناحية الشرق، فإنْ لم يكن ذلك فمن ناحية القِبْلَة[5]، فإن لم يكن فمن ناحية الغرب، ولا يؤخذ من جهة "الجَوْف"[6] بوجه؛ لأنّه يكون قليل الحَمْل، وإنْ أثْمَرَ سقط ثَمَرُهُ قبل إدراكه.

وقيل مثل هذا في الذي يؤخَذُ منه من جهة الغَرْب.

ووقت أخذ [المُلُوخ] من النهار بَعْدَ طُلُوع الشمس عليها، وتُمْلَخُ

(١) يونيوس: أن تكون الأغصان ملساً، مأخوذة من ساق محدثة، وقال قسطوس: أن تكون مستويات ملساً معتدلات من شجرة تؤتي أكلها كل عام، وقال ديمقراطيس: أن تكون ملساً من ساق شابة (المقنع، ص٩٧) و(الفلاحة الرومية، ص٣١٢).

(٢) هو سَبْط وسَبَط وسَبِط.

(٣) القول السابق كله ذكره النابلسي (ص٢٠)، وبعضه في المقنع (ص٢٠).

(٤) المتحف: دور (تصحيف).

(٥) ناحية القبلة بالنسبة للمغاربة: الجنوبي الشرقي (ما بينهما).

(٦) يقصد: جوف الشجرة: داخلها، وكان حقه بعد أن ذكر الاتجاهات أن يقول: لا يؤخذ من جهة (الشمال) فيطرد السياق.

بالأيدي[1]، إن أمكن، وألاّ تُقْطَعُ بحديدٍ قاطعٍ[2]، ويكون طول المَلْخ نحو ذراعين، وإن زاد فلا بأسَ.

وتؤخذ المُلوخ في الوقت الذي يتكامَلُ فيه ماؤُها، وتمتلـئ منـه، وتبتدِئ باللِّقاح، وظهور النُّوار، وتُغْرَسُ في الأحْوَاض، وفي "الظُّـرُوف" أيضاً، وتُسْقَى.

وصِفَةُ العَمَلِ في غراستها[3]: أن يُحْفَرَ لها في أرضٍ بِحَوْضٍ حُفَرٌ قُبُورِيَّة[4]، يكون طولُها أكبَرَ من عَرْضِها، وعُمْقُهَا —إن كانت للتّنقيل— نحو شِبْرَين[5]، وإنْ بقيت في مواضعها فأكثر من ذلك، وعلى قدر المَلْـخ في صِغَره وكِبَره.

(١) النابلسي (ص٢٠): تملخ باليد بلحائها.

(٢) قال قسطوس: لا ينبغي لشيء من الغرس أن تصيبه حديدة دون أن يأتي عليه عام (عامان) فإن ذلك يضره ويذهب بقوته (الفلاحة الرومية، ص٢٦٢)، وقال ابن بصَّال: لا ينبغي أن يشَمَّر الشجر بحديد ولا بغيره (كتاب الفلاحة، ص٦٢).

(٣) أي: غراسة الملوخ، وهذا الوصف كرره ابن بصَّال في كتابه أكثر من مـرة، انظر: ص٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، وص٧٥، ٧٦، ٧٧، وص٨٨.

(٤) أي: تشبه القبور.

(٥) ابن بصَّال (ص٦٤): عمق الحفرة ثلاثة أشبار، وكذلك (ص٧٥).

ويُبْسَطُ فيها المَلْخُ ممدوداً[1]، ويُقَامُ طَرَفُهُ مع كَعْبِ الحُفْرَة، وهـو عَرْضُها، ويَخرُجُ من أعلاها على وَجْه الأرض قَدْر طول إصْبَع.

ويُخَلَطُ ترابُ وَجْه الأرض بزِبْلٍ طَيِّبٍ بالٍ[2]، ويُرَدُّ عليهـا مـن ذلك أقل من ملءِ الحُفْرَة قليلاً، ويُدْرَسُ التراب بالأقدام دَرْساً حَسَناً.

وقد تُغْرَسُ المُلوخ على السَّوَاقي[3] (علـى مثـل هـذه الـصفة المتقدمة). وقد يُعْمَلَ على الملوخ أيضاً [في] أمهات السَّواقي؛ وذلك بأن يُعْمَلَ في الموضع الذي يراد أنْ تُعْمَل فيه الساقية، حوضٌ واسعٌ على قدر طول الساقية، أو على قدر كثرة المُلوخ. ويُبْسَطُ في أسافل المُلوخ، ويخرجُ من أطرافها في جانبي ذلك الحوض، نحو إصبع من عَيْن كلِّ ملخٍ منها، ثم يُرَدُّ الترابُ فيه، ويُدْرَس، وتعملُ فيه الساقيَة، وتكون أعْيُن الملوخ مثـل سطرين، كل واحدٍ منهما في هَدَف الساقية، والماءُ يجري بينهما (وسيأتي ذكر كيفيَّة العمل في غراستها في البَعْل، في باب غراسة الأشجار الكبار، والبَقْل، وما هو تتميم لذلك، ولواحقه وأسبابه فيما بعد).

(١) ابن بصَّال: يمد القضيب في قاع الحفرة، ويرقد بطولها، ويقام في جبهة الحفرة طول الكعب إلى وجه الأرض، ويرد عليه التراب (كتاب الفلاحة، ص٦٥).

(٢) هذا قول ابن بصَّال. النابلسي: زبل قديم سليم.

(٣) النابلسي، ص٢٠.

ويُجْعَلُ بين مَلْخٍ وآخَرَ قدر ذراعٍ في الحوض أو أكثر قليلاً فيما ينقل من الأشجار دون جُرْزَة من ترابه، وما لا ينقلُ منها بجُرْزَةٍ يكونُ البُعْد بينهما أكثر (ونذكره إن شاء الله، وكذلك نذكر مقدار البُعْد بينهما إذا غرِستَا في البَعْل، وكذلك نذكُرُ تدبيرَ المُلُوخ إلى أنْ تُدْرِك —إن شاء الله تعالى—).

* * *

[الـ]... (فصل) [السابع]

[غراسة عيون أغصان الأشجار]

أمّا صِفَة العَمَل في غِراسة العُيُون من أَغْصَان الأشجار، مثل: عيون شجر التفّاح، والتين، والعنب، والياسمين، وسائر الفواكه الكثيرة الرُّطوبة، واختيار الأجْوَد منها لذلك.

قال الحاج الغرناطي[1]: يُختَار من عُيُون التفّاح لذلك المُلْس المُنْبَعِثَة أكثر انبعاث[2]، ومن شجر التين والعنب والياسمين المتقاربة العُقَد، ويُرْتَجَى فيها سائر الصفات المذكورة في المُلُوخ.

ووقت غراستها فبراير ومارس، والعَمَل في ذلك مثل العمل في غِراسة المُلُوخ والأوتاد في الأحواض، وفي الخُطُوط على السَّوَاقي[3] (وانظر تدبيرها بعد هذا إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) الحاج الغرناطي؛ هو أبو عبد الله، محمد بن مالك؛ المعروف بالتغنري نسبة إلى بلدة تغنر في غرناطة، وقد يكنى بابن حمدون الإشبيلي؛ لإقامته زمناً في إشبيلية، وله كتاب مشهور في الفلاحة اسمه: "زهر البستان ونزهة الأذهان" لا يزال مخطوطاً. وقد أفاد منه ابن العوّام فوائد جلى.

(٢) ابن بصّال (ص٦٤): يقصد من التفاح إلى القضيب المعقد، وهو أحسن من الأسبط.

(٣) انظر وصف ذلك وتفصيلاته، وصفة التكابيس التي تتخذ في قنوات السواقي (ابن بصّال، ص٨٧).

[الــ]... (فصل) [الثامن]

[غراسة الأوتاد والملوخ أيضاً]

وأمّا غراسة الأوتاد والمُلُوخ أيضاً، واختيــار الأجْــوَد منــها، والأحسن لذلك من كتاب ابن حجاج (رحمه الله)، [قال][1]: إنّ الغُصْن المُحْدَث الذي هو في السنة الثانية من نشئه هو الذي يصلُحُ لاتّخاذ المَلْخ منه.

ويصلُحُ للوَتِد ما كان لسنتين أو ثلاث للرُّطوبة التي فيها، فإنّه إذا وُضِعَ في الأرض قريباً من وَجْهها عَلِقَ سريعاً. وإن اتُّفِق أن يؤخذ الغُصن المُحْدَث كاملاً فلا يليق التعميق له، وإقراره في موضِعِهِ دون أن يُنْقَلَ منه. والوَتِد القصير يسرع نباته ونَشْؤُهُ، والوتد الكبير لا يَدْفَعُ دفعاً **(هذا قول سولون)**[2].

ومن غيره[3]: يُختَار من الأغصان والأوتاد مُوَافِق الصِّفَة المذكورة في المُلُوخ سوى [أن] يكون غِلَظُها نحو غِلَظ الذّراع إلى قَدْر غِلَظ الرُّمح،

---

(١) قوله في المقنع، ص٩٧، والفلاحة الرومية، ص٣١٢. قيل: من ساق محدثة، وقيل: ســاق شابة.

(٢) قال سولون: ينبغي أن تتخذ أوتاد الزيتون قصاراً في المواضع الجبلية والربى العالية، وتتخذ في السهل أكبر كثيراً، لأن الأرض المتعالية يجتذب الغرس فيها مادة أقل مــن الغــرس في الأرض السهلة (المقنع، ص٨٩).

(٣) هذا القول ذكره النابلسي (ص٢١).

أو نِصَاب[١] القَدُوم. وطول الوَتِد من ذراعٍ إلى أكثر من ذلك، ولا يُقْطَع بحديد قاطع[٢]، ويُتَحَفَّظ أن [لا] يتصَدَّع قشرها[٣] عند قطعها، وعند بَرْيها، وعند غراستها في الوقت المذكور قبل هذا.

وقيل[٤]: تُغْرَس أوتاد النَّارَنْج[٥] في الرَّمل[٦].

وصفة العمل في غراستها في الأحواض وعلى السواقي[٧]: أنْ يُعْمَلَ وتِدٌ من عود بَلُّوط، أو من خشب صُلْبٍ مثله، يكون أطول قليلاً وأغلظ من الوَتِد الذي يُغْرَس. ويُضْرَبُ ذلك الوتد في الموضع الذي تريد أن تغْرِسَ فيه الوتد المأخوذ من الشجرة حتى يغيبَ منه القَدْر الذي يُراد

(١) النابلسي: يد القدوم. ابن بصّال (ص٧٩) طول الوتد نحو ذراع وغلظه نحو نصاب القدوم.

(٢) لا تشمر أغصان الأشجار بالحديد، لأنه يضرها ويفسدها. ابن بصّال، ص٦٢، والفلاحة الرومية، ص٢٦٢.

(٣) قال يونيوس: ما كان من الغروس عتيقاً مشقق اللحاء؛ فهو عسير النبات (المقنع، ص٨٩).
وقال: ينبغي أن تكون الغروس صحيحة سليمة غير مشققة اللحاء (المقنع، ص٨٨).

(٤) هذا القول ذكره النابلسي، ص٢١.

(٥) النابلسي: النارنج والتوت والأترج والسفرجل والزيتون والجوز.

(٦) المتحف: الزبل.

(٧) ذكر ابن بصّال (ص٨٢) رأياً مخالفاً، قال: لا يؤخذ من النارنج (البرتقال) وتد ولا نامية ولا غير ذلك، ولا يتخذ غرسه إلا من زريعته (بذره).

أن يكون العُمْق له، ثم يُخْرَجُ ذلك الوتد، ويُعْمَل[١] في موضعه الوتد الذي [يراد أن] يغرسَ، ويُضْرَب قليلاً، ويُجْعَل حواليه في بقيَّة الثُّقْب ترابٌ مُغَرْبَل[٢] أو رملٌ حتى يمتلئ الخلل (إن كان بينهما خَلَل) ويُسْقَى بالماء، فإذا تُرِك ذلك، أُعِيد الترابُ أو الرَّمْلُ حتى لا يبقى هناك خلل بوجهٍ.

ولتُغْرَسُ الأوتادُ صُفُوفاً، ويُجْعَلُ بين وتدٍ وآخر القَدْرَ الذي ذُكر في المُلوخ. وينبغي أن يُضْرَبَ على رأس الوتد المذكور؛ ليستمكّن في الأرض، ويُتَحَفَّظ ألا يَنْشَقَّ، ولا يتصَدَّع قِشْرُهُ[٣]، ولاسيّما وَتِد الأُتْرُج وغيره.

صفة أخرى:

يُحْفَرُ للأوتاد حفرٌ في الأحواض أو على السَّواقي، تكون كلُّ حفرةٍ منها قَدْر طُول الوتِد[٤]، ويُوْقَفُ الوتد الذي يُغْرَسُ في حُفْرته[٥]،

(١) النابلسي: حتى يغيب القدر الذي يراد حفره، ثم يخرج وينزل في موضعه الوتد الذي يراد غرسه.

(٢) النابلسي: تراب مزبل، أو زبل قديم حتى يمتلئ الفراغ.

(٣) المقنع: أن يكون غير مشقق اللحاء (ص٨٨، ٩٢).

(٤) ابن بصّال، ص٧٩: طول الوتد قدر ذراع، وغلظه نحو نصاب القدوم.

(٥) ابن بصّال: يعمل للأوتاد أحواض في الأرض الطيبة ليكون أسرع في إنباتها. ويكون بين وتد وآخر: مقدار ثلاثة أشبار.

ويُرَدُّ عليه التُّرَاب، ويُدْرَسُ[١]، ويُعْمَلُ في ذلك ما سوف نذكُرُ في غراسة البقول والأشجار. ولتكُن الأوتادُ صُفُوفاً، وبين وتد وآخر القدر المذكور في المُلُوخ (في الفصل قبل هذا).

* * *

(١) ابن بصَّال: يدرس بالأرجل حتى لا يكون هناك منفس.

[الـ]... (فصل) [التاسع]

[غراسة القضبان: النوامي واللفاف واللواحق]

وأمّا غراسة القُضْبَان التي تُسَمَّى النَّوامي[١] واللِّفَاف[٢] واللواحق[٣]؛ فينظَرُ إليها، وما أمكَنَ منها أنْ يُقْلَعَ بعُرُوقه، فيُقْلَع ويُغْرَس في موضِع آخر [من] التُرْبَة، أو في الموضع الذي يُطَعَّم فيه، إنْ صلُح لذلك، فإن لم يمكنْ أن يُقْلَعَ بعروقه، فيُحْتَال حتى تَصيرَ له عروق، وذلك

(١) قسم ابن بصَّال الغراسة إلى ثلاثة أقسام: زراريع (بذور) ونوامي، ونوى. والنامية من الكرم: القضيب عليه العناقيد. والجمع: نوام، والمقصود هنا: القضبان سواء أكانت أوتاداً أو ملوخاً أو أنقالاً.

(٢) اللفاف: هي قضبان الملوخ التي تغرس في الأحواض سطوراً على استقامة واستواء، أو تزرع على أمهات السواقي. وأصل اللفافة: قشرة النبات التي تلتلف عليه. قال ابن بصَّال (ص٦٤): يعمد إلى قضيب التفاح المعقد غير السبط ثم يغرس ملوخاً في أحواض معدة لها، وتغرس لفافاً على استواء واستقامة لتشرب الماء شرباً معتدلاً وبعد عامين تنقل إلى الأحواض، فيخرج اللحاء سريعاً، وصارت له الأصول القديمة والفروع النابتة المستحكمة.

وقال في غراسة التين: يؤخذ من الشجرة المستحسنة قضيباً طوله شبر ونصف وفيه أجود عيون شجرة التين وقت جري الماء في العود، ثم تغرس القضبان لفافاً، وتقلع بعد عامين من تلك الأحواض، وتغرس في مغارسها الدائمة.

(٣) اللواحق: ما ينبت في أصول الشجر كالفسائل والعجز. قال قسطوس: رب غرس يكون من اللواحق التي تنبت في أصوله خيراً مما يغرس من بذره أو من نقله، ومما يغرس من لواحق الشجر التي تنبت من الأصول بالقب والأوتاد: اللوز والكمثرى والتفاح والزيتون... (الفلاحة الرومية، ص٢٦٠-٢٦١).

بالعمل الذي يُسَمَّى "التَّغْطِيس"[١] أو بالعمل الذي يُسَمَّى "الاسْتِسْلاف"[٢] وعلى حسب ما يصلح فيه.

* * *

(١) التغطيس والتكبيس: سبق شرحهما (انظر: ابن بصّال، ص٧٧-٧٨).

(٢) الاستسلاف: سبق شرحه في الباب الخامس، الفصل الأول.

[الـ] (فصل) [العاشر]

[التغطيس والتكبيس]

صِفَةُ التَّغْطيس، ويُسَمَّى التَّكْبيس[١] أيضاً

ينبغي أن يُتَقَدَّم أولاً فيُخْتَار من النباتات المذكورة أقْوَاها وأطْوَلها، وأقْوَمها، السَّالمة من الضُّرِّ، وغيره من الآفات، ويُتَخَيَّر[٢] منها ما وافق الصِّفَة المذكورة في المُلوخ، ويُتَحَفَّظ أيضاً أنْ يكونَ النباتُ من أصْلٍ مُرَكَّب؛ لأنّه لو كانَ حمّالاً جيّداً لم يُرَكَّب، وكذلك المُلوخ والعُيُون والأوتاد يُتَوَخّى أن تكونَ من أشجارٍ مُنْجِبَة حمّالة، وإن لم تكن كذلك، احتاجت إلى التركيب. فالغراسَةُ للجيِّد منها أولاً؛ فإن كان لها عُرُوق فَتُنْقَل ويُحْفَر لكل قضيبٍ منها (من أصل القضيب إلى الخارج عنه) خَرْقٌ يكون عمقه نحو شبرين ونصف، وطوله مثل طول القضيب، ويُمَال القضيب برِفقٍ، ويُمَدُّ فيه، ويَخرُجُ يسيرٌ من طَرَفه الذي فيه العَيْن على وَجْه الأرض مع كَعْب[٣] ذلك الخَرْق، وهو عَرْضُهُ، ولا يُقْطَعُ القضيبُ

---

(١) التكبيس غير التغطيس، قال ابن بصّال (كتاب الفلاحة، ص٧٧-٧٨): التكبيس: ما هبط من أعلى الدالية إلى الأرض، يمال القضيب مع جسد الدالية تحت الأرض، ويخرج طرفه في المكان المرحب. وهو ما يسمى حالياً "الترقيد". أما التغطيس: أن يحفر حول الدالية وتغطس قضبانها جميعاً، وتخرج من كل الجهات.

(٢) يختار من القضبان: أكثرها حملاً، وأسلمها من الآفات، وأصحها من العاهات، وليكن القضيب المتقارب العيون، غير متشقق اللحاء، من شجرة لا فتية ولا هرمة.

(٣) كعب الحوض: عرضه.

من الأصل، ويُتْرَك يتغَذّى منه[1]، ويُرَدُّ عليه التُّراب، ويُدْرَسُ، ويبقى كذلك حتى تصير له عُرُوق في ذلك الخَرْق، وحينئذ ينقل (إن شاء الله) ويُعْمَلُ هذا في كلّ قضيب رَطْبٍ، يُمْكِنُ ذلك فيه.

وإنْ كانَ ذلك القضيب من عِنَب، وكان في جَفْنَه[2]، وأرَدْتَ أن تَمُدَّه إلى موضع يمكن أن تَصِلَ إليه، فيُعْمَلُ فيه مثلما تَقَدَّم.

وإنْ أحببتَ الإبقاء على الجَفْنَة، وأنْ يتغَذّى القضيب منها ببعض المادة التي كان يَغْتَذي منها أوّلاً، فاقْلِبْهُ في الموضع الذي يتّصل به في الجَفْنَة قليلاً يسيراً، وحينئذٍ تمدُّه في الخَرْق[3].

وأنجبُ ما يكونُ هذا في الفَتِيِّ من الكُرُوم في البَعْلِ، وأمّا في السَّقي [فتنجُبُ] جميعها، وتسقى إلى انقضاء عام أو أزْيد، ثم تُحَزُّ بحديدٍ قاطعٍ في موضع العَمَل حزّاً لطيفاً، وبَعْدَ ثلاثة أعوام إلى خمسة أعْوَام (بحسب ما يظهر من قُوَّته) يُفْصَل [القضيبُ] عن الجَفْنَة، ويَبْقَى يغتذي

(١) يترك حتى يمضي عليه عامان، فإذا تم له عامان اكتفى بنفسه واغتذى بعروقه التي صارت له، ثم تقطع التكابيس التي تساق من أعلى الدالية. ابن بصّال، ص٧٨.

(٢) الجفنة: هي الدالية.

(٣) قال قسطوس: يصبح الغرس الحديث عند ذلك بمنْزلة صبي ترضعه ظئران بمص ثديهما. وهذا الغرس أسرع غرس الكروم إدراكاً وإطعاماً، وأكثرها نزلا، فإذا أدرك هذا الغرس المحدث أقر في موضعه وقطع من أصول الجفنة الأولى (المقنع، ص١٠٧)، والفلاحة الرومية، ص١٩٠.

من عُرُوقه، أو يُنْقَل إن احتاج إلى ذلك، فإن قَصُرَ عن الوصول إلى الموضع الذي يَصْلُح أن يَصِلَ إليه، فتمُدُّه مرّة أخرى في العام المقبل.

وهذا في العنب قد يطعم من عَامِهِ[1]، ووقت هذا العَمَلِ فيه قبلَ أن يَفْتَحَ عيونَهُ، وإن عُمِلَ بعد ذلك، فلا بأس، وأمّا سائر الأشجار فيُعْمَلُ ذلك فيها في كلِّ زمان؛ لأنّها غير منفصلة عن أصُولها.

قال الحاج الغرناطي[2]: كَبِّسْتُ[3] الرَّيحان والياسمين في سَمُوم الصَّيف، وفي سَمُوم[4] الشتاء فَنَجَبا وأدْرَكا.

قال: وبعض الأشجار ليس لها نَبَاتٌ[5]، فإنْ قُطِعَت في أصلها على وجه الأرض؛ لضُرّ أصَابَهَا، أو لهَرَمٍ، أو لغير ذلك، يَنْبُتُ في أصْلِها أفْرُع وقُضْبَان، ويعمل فيها مثل العَمَل في النبات، من ذلك شجر النَّارَنْج[6] وشبهه.

(١) الفلاحة الرومية: وهذا الغرس أسرع غرس الكروم إدراكاً وإطعاماً، وأكثره نزلاً.

(٢) قوله في كتابه المخطوط: "زهر البستان ونزهة الأذهان".

(٣) سبق شرح التكبيس وهو المسمى حالياً "الترقيد".

(٤) سَمُوم الصيف: الريح الحارة، والحر الذي ينفد في المسام. والجمع: سمائم. وسموم الشتاء: البرد الشديد، وهو استخدام خاص تفرد به الحاج الغرناطي.

(٥) المتحف ومدريد: نبات، باريس: بيات.

(٦) النارنج كلمة سنسكريتية تعني الرمان الأحمر، ويطلق في بلادنا على ما يسمى يوسف أفندي أو البرتقال.

صفة أخرى تُشْبِهُ ما تقدَّم: وذلك أنْ تَعْمَدَ إلى قضيب رَطْب مُطَعَّم، من شجرة كثيرة الحَمْل، طيِّبة المَطْعَم، وليكن طويلاً يلحَق بالأرض، وليكن قد جَمَعَ الصِّفات المذكورة في اختيار المُلُوخ أو أكثرها، فيُرْبَط في أعْلاه شَرِيطٌ أو حبلٌ قويٌّ، ويُمَالُ [الغُصْنُ] حتى ينحني، ويلحَقَ أعلاهُ الأرض، ويُرْبَطُ الحبْلُ في وَتِدٍ قويّ؛ لئلا يقوم[1] ذلك الغُصْن قبل بلوغ المراد منه.

ويُحْفَرُ لأعلاه حفرة طويلة عمق شبرين أو أكثر، ويُمَدُّ أعلاه فيها، ويُرَدُّ عليه التُّراب، ويُدْرس نَعَماً على نحو ما تقدَّم في التكبيس (وهذا نوع آخر منه) ويُتَعَاهَدُ الأصْلُ والتكبيس بالسَّقي والتدبير إلى أن ينقضي عامٌ؛ فإن ظهر من نُجْبه وقوّته ما يدلّ على أنه يغتذي من عروقه التي صارت له في ذلك الحوض، ويَسْتَغْنِي عن الإمداد من أصْله، فيُفْصَل بينهما بحديد قاطع، وإلاّ فيُتْرَك حتى يظهر ذلك ويُتَبيَّن منه.

وبَعْد عام آخر[2] (ما بينه وبين قطع أصْله) يحينُ نَقْلُهُ بقَلْع عُرُوقه بجُرْزَةٍ[3] من تُرَابه –إن كان ممّا يحتاج إلى ذلك– والأشجار التي تحتاج إلى جُرْزَةٍ هي الأشجار التي لا تسقطُ أوراقها، ثم تُغْرَسُ في الموضع الذي يَصْلُحُ لها وتطعّم فيه (إن شاء الله تعالى).

---

(١) يقوم: ينتصب قبل أن تذهب عروقه في الأرض.

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال، ص٦٥.

(٣) الجرزة: الضمة من التراب الذي يلتصق بالعروق عند قلع النقلة.

وأنجبُ ما يكون هذا على السَّقْي. وقد يُتَّفق أن يُعْمَلَ ذلك في شجرة التِّين[1]، وقد يميل الغُصْنُ منها من تلْقَائه حتى يصير إلى الأرض، فيُعْمَلُ فيه مثلما تقدَّم، وكذلك قد يُمْلَخُ غُصْنٌ كبير من شجرة مطعَّمة[2]، ويبقى وهو متَّصِلٌ بها غير منفصل عنها، وتصل أطرافُهُ إلى الأرض، بتكبيس أغصَانه على صِفَة ما تقَدَّمَ، فلا يزالُ يغتذي من الشجرة حتى يصيرَ له عروقٌ، فيستغني عنها، ويُفْصَلُ بالقطع منها، وهذا أفضلُ وأنجبُ من القضبان النّابتة في أصُول الشجر أو بمَقْرُبَةٍ منها؛ لأنَّها أسْرَعُ إطْعَاماً.

وقد يكون [الغُصْنُ] قضيباً، أو قُضْباناً في أصْلِ شجرة، أو على بُعْدٍ منها، لا يمكِنُ تكبيسُهُ بالعَمَل المذكور، فيُجْمَعُ عليه التُّرابُ، أو يُنْقَلُ إليه، ويُكَوَّم عليه منه كَوْمَة بقدر ما ينبت له فيها عُرُوق، ويُتَعَاهدُ بالسَّقْي إلى أن يصيرَ له عُرُوق، ويُعْمَلُ فيه مثلما تقدَّم.

وإن أُدْخِلَ القضيبُ في ظَرْف فَخَّارٍ جديدٍ على صفة العَمَل في (الاستسلاف) ويُمْلأ بالتُّراب، ويُتَعَاهَد بالسَّقي إلى أنْ يصير له عُرُوق، فذلك حَسَنٌ.

---

(١) وصف ابن بصّال تكبيس التين في كتابه (الفلاحة، ص٦٥).

(٢) هذا الوصف ذكره ابن بصّال، ص٧٧-٧٨، وابن حجاج في المقنع، ص١٠٧، وقسطوس في الفلاحة الرومية، ص١٩٠.

وما يُسَمَّى (الإقْلاب)[1] و(التَّغْطِيس)[2] أيضاً، يُعْمَل في جِفَان[3] العِنَب، وفي العَرَائش إذا شَرَفَت[4]، وكذلك إذا كانت الكُرُوم كثيرة التركيب، وفيها موضعٌ كبيرٌ فارغٌ تَقْرُبُ منه جَفْنَة أو غرسٌ كثير؛ فيُحْفَرُ لذلك حُفْرَة كبيرة على قدر ما يغيبُ فيها جِرْمُها كلّه، ولتكن الحُفْرَة عند أصلها من الجهة التي يراد أن تُقْلَب إليها، ومن جهاتها كلّها إن أُحتيج إلى ذلك، ويحافَظُ على أصْلها وعروقها الكُبْرى التي هي عُمْدَتها، أن لا تتقطّع، ويُحَلُّ التراب عنه، وعن سائر عُرُوقها الكبار، وتُخْرَق خُرُوقاً إلى الجهات التي يُرَاد إخراج عروق [الجفنة] منها، ثم تُقْلَب الجَفْنَة في تلك الحُفْرَة برفقٍ دون أنْ تتقَطّع أو تغيب في الحفرة، وتُخْرَجُ قضبانها من الجهات الفارغة التي تصلُحُ لها، أو ما يَعْلَق منها، ويُقْطَعُ ما يستغنى عنه منها، ويُرَدُّ التراب على ذلك كلّه، ويُدْرَسُ ناعماً على صفة العَمَل في الغراسة[5].

---

(١) أصل الإقلاب: من أقلب العنب: يبس ظاهره فحول من مكان إلى آخر، أو حفر عن أصله وطيب بالزبل بوساطة المِقْلب (فأس حديد تقلب بها الأرض للزراعة)، ثم زُبِرَ بالتراب الناعم.

(٢) التغطيس: الترقيد.

(٣) الجفنة: أصل الكرم، وشجرة العنب كلها، ومجموع قضبانها.

(٤) شَرَف شُرُوفاً: هرم وأسن.

(٥) الوصف السابق كله ذكره ابن بصّال، ص٧٥-٧٦، ويحمل معناه في المقنع، ص١٠٧، والفلاحة الرومية، ص١٩٠.

ولا تزال تلك القُضْبان تغتذي من الجَفْنَة، والجَفْنَةُ تغتذي من عروقها، وتنمو تلك القضبان نمواً كبيراً، وتطعمُ من عامِهَا، وتصيرُ جِفَاناً[1] في مدَّةٍ يسيرة.

وتَعْلَقُ[2] تلك الجَفْنَة بعد مُدَّةٍ، وكذلك العَرَائش.

ومَلاكُ أمرها أن يُتَحَفَّظ مِنْ أنْ تُقْطَع، ولاسيما عُرُوقها[3]، ويُعْمَلُ ذلك قَبْلَ زَبْرِها[4]، ووقت ذلك الوقت المعلوم للغراسة، وعمله في الخريف أوْلَى.

وكذلك يُعْمَلُ في (العَرِيش) يُمَدُّ جَسَدُه[5] في خَرْق، وتُمَدَّد سائر فُرُوعه إلى الجهات الفارغة في خُرُوقٍ، ويُخْرَجُ أطْرَاف زُرْجُونها في المواضع التي تصْلُحُ لها.

ويعملُ فيها مثلما تقدَّم؛ فَتَنْجِب.

---

(١) أي شجرة كاملة.

(٢) المتحف: وتعفن (تصحيف).

(٣) ابن بصّال، ص٧٦: ويتحفظ في قلعها بأصولها.

(٤) الزبر: أن تميل التراب في الحفرة على الجذور.

(٥) قال ابن بصّال (ص٧٧): يحفر على الدوالي، ويكشف عن أصلها وعروقها، وتجلس الجفنة في أسفل الحفرة، وتمدد قضبانها يميناً وشمالاً، ووراء وقداماً، ما امتدت تلك القضبان، وتخرج رؤوسها من الأماكن الفارغة المرحبة، وتغطى بالتراب... الخ.

لي: وإنْ أُنْشِبَ[١] في المواضع القويَّة من جَسَدها بالثَّقْب[٢]، قُضْبَانُ العنب، قبل أنْ تُغَطّى بالتُّراب، وأُخرِجَتْ أطرافُها في المواضع التي تصلُحُ لذلك على صِفَة العَمَل في باب التركيب، فالزُّرْجُون تُنْجِبُ (بمشيئة الله تعالى) لأنَّها تكونُ مغروسة مُنْشَبَة معاً، وأنجبُ ما تكون المُنْشَبَة والمكبَّسة وشِبْهها، إذا تُعُوهدت بالسَّقْي بالماء، ويُعْمَلُ هذا في الخريف.

ولي: وإن انْدَفَنَ بعض العَرِيش، وبقيت منه مواضع مُعْوَجَّة ظاهرة، لم يُقْدَر على دَفْنها، فتبقى كذلك، وتُقْطَع بعد مدّة[٣] (إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) الإنشاب: من طرائق تركيب الغروس بين القشر واللحاء.

من نشب في الشيء؛ نَشَباً ونُشُوباً: علق.

(٢) الثَّقْب: الخَرْق. والإنشاب بالثقب يجرى في ساق الدالية المغطى بالتراب.

(٣) قال ابن بصّال (ص٧٥) تعدل الصفوف لتكون على استواء، وما خرج من القضبان على وجه الأرض، نظر إليه، فإن كان طويلاً أو معوجاً قطع منه، وترك فيه ارتفاع عقدتين.

[الـ]... (فصل) [الحادي عشر]

[الاسْتِسْلاف]

صِفَة العَمَل الذي يُسَمَّى "الاسْتِسْلاف" وهو عملٌ تُكَثَّرُ به الأشجار، ويستعملُ في جميعها، وشبيه ذلك ما تقدَّم في "التكبيس" وذلك أن تُؤْخَذَ (ظُرُوفٌ) جُدُد من فَخَّارٍ، مثل: القُصَارَى[١]، والقُدُور الكِبَار الواسعة الأَفْمَام[٢] وشبهها.

ويكونُ عددُها مثلُ عَدَد الأغصان التي تريدُ أن تعملَ فيها هذا العَمَل. ويُثْقَبُ في كلِّ ظَرْفٍ منها ثُقْبَة[٣] بقَدْر ما تدخلُ الزُّرْجُونة[٤] أو غُصْن الرَّيحان، أو الياسمين، أو الكُمَّثرى، أو الأُتْرُجّ، أو غير ذلك من أنواع الشجر كلها.

ثم يُعْمَدُ إلى الشجرة التي تريدُ الاستسلاف منها؛ فإن كانت شجرة فاكهة فيُتَخَيَّر منها من القُضْبَان والغُصُون ما يوافق صفتها الصفة

(١) القصارى: جمع قصرية؛ وهي إناء من فخار واسع الفم على هيئة القدور يزرع فيها. وأصلها القوصرة: وعاء للتمر من قصب.

(٢) الأفمام: جمع فم؛ يستعمل لغير الإنسان مجازاً.

(٣) هي ثُقبة وثَقبة سواء.

(٤) الزُّرجونة: قضيب العنب، والزرجون قضبانه.

المُستَحْسَنَة المذكورة في المُلُوخ[١] حيثما كانت في أعلى الشجرة، أو في ساقها، أو في أصلها.

ويُنَقّى[٢] ذلك الغُصْنُ من الشُّعَب إن كانت فيه، ويُرَدُّ إلى عين واحدة في أعلاه، ويُدْخل أعلاه في الثُّقبة من أسفل الظَّرْف، ويخرج من فمه، ويهبط الظَّرْفُ فيه حتى يصلَ إلى مَنْبَته أو إلى غُصْنٍ يقف فيه، أو إلى الحَدِّ الذي تريدُ من كَمَال ذلك القضيب وقِصَره. أو إلى الأرضِ إن كان القضيبُ في شجرة مفردة، أو ذات شُعَبٍ منبعثة من الأرض، ويُعْمَلُ في مُنْتهاهُ إن كانَ لا يَصِلُ إلى الأرض.

[ويوضعُ] تحت الظَّرْف حِلْحَال من خِرَق مَفْتُولة أو حَبْلٍ لينزل الظَّرْفُ عليه، إذا انتهى إليه، فإنْ لم تُطِق الشجرةُ حَمْلَهُ، أو خِفْتَ أن تحرِّكَهُ الرِّياح إن كان في موضع مرتفع عن الأرض، فيُعْمَلُ تحته سريرٌ من الخَشَب، له أربَعُ قوائم، أو كيفما تيسَّرَ.

ويُجْعَلُ عليه ألواحٌ لتكون الظُّرُوف عليه. ويوثَقُ الظَّرْف فيه، والأغصانُ التي تقرُبُ منه بالرِّباط المحْكَم حتى لا تحرِّكه الرِّيح.

(١) الصفة المستحسنة في الملوخ: أن يكون القضيب كثير العقد، سليماً من العاهات والأمراض، لا شقوق فيه... يختار من وسط الشجرة لا من أسفلها ولا أعلاها ولا جوانبها.

(٢) التنقية: التشذيب.

ثم يضيِّق ذلك الثَّقْب الذي ثُقِب في الظَّرْف لإدخال الغُصْن فيه، من داخله بأُشْقَاق[١]، وجُصٍّ، وتُرَاب عَلِك؛ لئلاّ يخرج منه الماء والتُّرَاب، ثم يُجْعَلُ في ذلك الظَّرْف من التّراب الطَّيِّب: تراب أرض طيِّبة، مخلوط بزبلٍ قديم طيِّب، أقلّ من مِلْئِهِ[٢] قليلاً لأجل سَقْيه بالماء، وتكون الغُصُون في وسط ذلك التُّراب، ويُدْرَسُ[٣] التُّراب باليد، ويُكَبَّس تَكْبيساً[٤] جيداً معتدلاً، ويُرْوَى بالماء العَذْب.

وإن كان الظَّرْفُ في الأرض، وأمكن أن يُدْفَنَ فيها، أو يُكَوَّم عليه التُّراب فذلك حَسَنٌ.

ويُتَعَاهَدُ الأَصلُ وذلك الترابُ الذي في الظَّرْف بالسَّقي بالماء[٥]، ولا يترك ذلك الترابُ في الظَّرْف أن يجفَّ[٦]، ويَتَوَالَى سقيهما مدّة طويلة حتى ينبتَ لتلك الفروع المَدْخُولة فيه عُرُوق، ويصيرُ نَقْلُهُ بعد مِضِيِّ عامٍ وأكثر، فإذا تُيُقِّن ذلك يُقْطَعُ القضيبُ تحت الظَّرْف برفقٍ لئلا يَتَخَلْخَل

(١) الأُشْقَاق: صمغ شجرة الأُشَّق، وتسمى: لزاق الذهب؛ لأنها تلحمه.

ومن الأُشْقَاق: عِلْك الكَلَخ وصمغ نوشادري.

(٢) مدريد: ميله (تصحيف).

(٣) النابلسي: ويكبس التراب باليد.

(٤) مدريد: ويجلس تجليساً (تصحيف).

(٥) النابلسي، ص٢١.

(٦) النابلسي: يترك حتى يجف (فيه سقط).

التّراب الذي فيه، ويُفصَلُ عن أصْله، ويُنْقَلُ بظَرْفِهِ إلى حُفْـرَةِ غراسـةٍ، ويُكْسَرُ الظَّرْفُ برفقٍ، ويُتَحَفَّظ ألاّ[1] يتخلْخَل التراب الذي فيه. وتُتْـرَك النَّقلة[2] بترابها ذلك في حُفْرَتِها، وتُغْرَس، وتُسْقَى بالماء إثْرَ غراستها. وهو غرسٌ مباركٌ وقَلَّما يخيبُ.

وإن كان الظَّرْفُ في الأرض، أو بمَقْرُبة منها[3]، وهـو إذا قُطِـع الغصن[4] منه، وخُلِّف[5] في موضعه من الأصل الباقي هناك قـضيبٌ أو قُضْبَان، فإذا صار مثل الأوَّل، فيعمل به مثلما تقدَّم[6].

ولا تزالُ تُكرِّر ذلك، حتى تصِلَ من شجرة واحدة إلى ما تريدُ من تكثيرها[7]، وإن كان ذلك الغُصْنُ في أعلى الشجرة أو في سـاقها، أو في موضعٍ لا يمكن دَفْنُ الظَّرْف فيه، فلا يُغْفَلُ عن شدّ الظّـرْف، وربطـه بالأغصان المجاورة له، أو عَمَل سرير خشب (على نحو ما تقدَّم) خوفاً من أن تحرِّكَهُ الرِّياح، فيتخَلْخَل التّراب، فيُفْسِده ذلك.

(١) المتحف ومدريد: أن يتخلخل، بإسقاط (لا).

(٢) ابن بصّال: النقلة. مدريد: النبتة.

(٣) المتحف: منه.

(٤) المتحف: الفرع به.

(٥) المتحف: أخلف.

(٦) الفقرة السابقة مضطربة السياق، لم نتبين المراد منها.

(٧) المتحف ومدريد: تكبيرها (تصحيف).

وكذلك لا تَغْفَل عن سقيه، ولا يُتْرك ترابُه يجفّ بوجهٍ، مدّةَ عامٍ، وأقلّ ذلك أن يُسْقَى مرّتين في الجُمُعَة، في غير فصل الحرّ[1].

ولا تَغْفَل أن تَتَفَقّد الظَّرْف من هُبُوب الرِّيح؛ لئلا يتحرَّك الغصنُ فيه، فإن كانَ ذلك فيُرْزَمُ[2] الترابُ حَوْلَهُ نَعَماً، وبعد عامٍ يؤخذ ذلـك الغصن أسفلَ الظَّرْف وقد لَقِحَ، وذلك دليلٌ على أنَّ الغُصْنَ قد نبتَ لـه عُرُوق في الظَّرف وتَستَبيْن فيه القُوَّة لاجْتَذابه الغِذَاء من تـراب ذلـك الظرف، بعروقه النابتة فيه.

ويُتَوَخّى عند إدخال الغُصْن في التُّراب أن يُجْعَلَ في داخل الظَّرف من الأغصان الرِّقاق أو من العُقَد ما يُتعجَّل فيه نبات العروق (إن شاء الله تعالى) وإنْ قُطِعَت هذه النَّقْلَة[3] المُستَسْلَفَة من شجرتها بعد عامين، فَحَسَن أيضاً.

ذَكَر نحو هذه الصفة **قسطُوس وغيره**[4].

(١) النابلسي: في الشتاء يسقى مرة كل خمس عشرة يوماً، ثم كل ثمانية أيام. وقال قسطوس (ص٢٦١): وملاك الغرس ألا يغفل عن سقيه في الصيف.

(٢) رَزَم التراب يرزُمه رُزُوماً ورُزَاماً: جمعه في مكان واحد وثبته بحيث لا يتحرك من مكانه.

(٣) مدريد: البقلة (تصحيف) ابن بصّال: النقلة.

(٤) ذكر نحو هذه الصفة قسطوس في الفلاحة الرومية، ص٢٦١-٢٦٢. ولم يذكر الاستسلاف صراحة، ولم يسمه. وابن بصّال في كتاب الفلاحة، ص٦٨، ٧٢، ٧٤. وابن حجاج في المقنع، ص١٠٧.

ووجهٌ آخر في ذلك(١): إذا فُصِلَ الغُصْنُ المُسْتَسْلَفُ من الشجرة، وقد صارَ نَقْلَةً بعُرُوق، فيُغْرَس بطَرَفِهِ، ولا يُكْسَرُ الظَّرف، ولتكُن الحُفْرَة التي يُغْرَس فيها قُبوريَّةً(٢)، ويُرقَّدُ(٣) الظَّرَفُ في الحُفْرَة، وتُرَقَّدُ النَّقْلَةُ فيه مُكَبَّسَةً، ويقامُ أعلاها مع كَعْب(٤) الحُفْرَة، ويُرَدُّ عليهما التُّراب(٥)، ويُدْرَسُ نَعَماً، وتُتَعَاهَدُ بالسَّقي.

وبَعْدَ عامين يكشَفُ الترابُ عن الظَّرْف، فتجدُ جَسَدَ النَّقْلَة قد نَبَتَ فيه عُرُوق، واستغنت [النَّقْلة] عن عروقها التي في الظَّرْف، فتُقْطَعُ النَّقْلة برفقٍ فوق فَم الظَّرْف بنحو أربع أصابع مَضْمُونة، وتُسْقَى من ساقها مع ما في الظَّرْف، ويُخْرَج الظَّرف بما فيه من الحُفْرَة، ويُرَدُّ التُّراب على النَّقْلَة، ويُدْرَسُ نَعماً، وتُتَعاهد بالسَّقي، ويُتْرك أكثر ذلك الظَّرْف في الأرض، ويُتْرَكُ فَمُهُ على وجه الأرض مع بقيّة ساق النَّقْلَة فيه، ويُتَعاهدُ بالسَّقْي، فإنه يَلْقحُ. وينبت فيه نَقْلَة ثانية، ويُعْمَل بها مثلما تقدَّم، ثم يُعَاد الظَّرف إلى الأرض فتَنْبُتُ فيه نَقْلة ثالثة، وهكذا يُكَرَّر العَمَل المذكور حتّى تصل في تكثير تلك الشجرة إلى المرغوب.

(١) ذكر هذا الوجه ابن بصَّال، ص٦٥، والنابلسي، ص٢١.

(٢) قبورية: تشبه القبر.

(٣) كأنه يشير إلى مصطلح "الترقيد" المستخدم في الوقت الحاضر.

(٤) الكعب: هو جبهة الحفرة (ابن بصَّال، ص٦٥).

(٥) النابلسي: يجعل طرفه في كعب الحفرة، ويترك أعلاه على وجه الأرض بطول إصبع (علم الملاحة، ص٢٠).

ويُعْمَلُ ما ذكرناهُ من (**التَّكْبيس**)(١) أو (**الإقْلاب**)(٢) أو (**الاستسلاف**) في جميع الأشجار على السَّقْي، وفي البعل في الأرض المُدْمِنَة(٣)، وقِسْ على هذا ما يشبهه تُصِبْ (إن شاء الله تعالى).

وإنْ عُلِّق على هذه الظُّرُوف إناءٌ كبيرٌ مملوءٌ بماءٍ عَذْب، في أسْفَله ثَقْبٌ لطيف، يسيلُ الماء منه نقطةً بعد أخرى(٤)، بقدر ما يتنَدَّى ذلك التراب الذي في الظُّرُوف [حتى تصبحَ] فيه نداوة معتدلة، ويزاد الماء في الإناء متى نَقَصَ. وذلك من أحسن ما يُعْمَلُ في سقيه، وفي سَقْي التَّراكيب (وسيأتي ذكرُهُ، وذكر ما يشبه هذا، إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) التكبيس: هو الترقيد، ومثله التغطيس، وقد سبق شرحه.

(٢) الإقلاب: تغيير في تربة الشجرة إذا أصابها عارض مرضي أو يبس أغصان أو عاهة ما، يحفر عن أصلها، ويستبدل ترابها، وتطيَّب بالزبل، وتسقى بالماء.

(٣) الدِّمْن: السماد المتلبد، والدمنة: المزبلة وما سود الناس وتركوا من آثار، وما اختلط من بعر وطين عند الحوض فتلبد، والأرض المدمنة: هي السوداء من الرماد والزبل.

(٤) هذا ما يسمى اليوم: الري (بالتنقيط) وقد أشار إلى هذا النوع من السقي قسطوس (ص٢٧٣)، قال: يعلق فوق الشجرة كوز الماء فيسيل منه نقطة نقطة، وقال قسطوس (ص٣١٦): شجر الزيتون معطاش، وعند إضافة الزيتون يعلق على الشجرة (كوز الماء) ويجعل فيه خرق أو ثقب ما يلي وجه الأرض من شجرته.

[الـ]... (فصل) [الثاني عشر]

[تدبير النوى والحب والملوخ والأوتاد]

وأمَّا تدبير النَّوَى، والحبّ، والمُلُوخ، والعُيُون، والأوتاد، والأغصان المذكورة قبل هذا، وحفظها، والقيام عليها حتَّى تُدْرِك وتَكْمُل (إن شاء الله تعالى).

قال أبو الخير الإشبيلي وغيره: تُسْقَى [الغروس] إذا فُرِغ من غراستها بالماء سقية رويَّة، ولا تُتْرَكُ أرضُها تبيَضّ من قلَّة السَّقْي، بل تُسْقَى يوماً، وتَغِبُّ يوماً، مدّة ثمانية أيّام، ثم تُسْقَى بعد ذلك كلَّ رابعَ يومٍ، حتى تُتِمَّ خمسة عشرَ يوماً، ويظهر اللَّقَح في الأوتاد، فتُسقَى كل ثامن يومٍ.

وإذا أدركت المَطَرَ الجَوْدَ أُمسكَ عن سَقْيها، وإذا أغبَّها[1] المطر سقيت هكذا مدّة الشتاء[2]، تُسْقَى كُلَّ خمسَةَ عشَرَ يوماً.

وبعد ذلك الفصل[3] تُسْقَى كُلَّ ثامن يومٍ، ويُزَال العُشُب[4] من

---

(١) غَبَّت الإبل غِباً: شربت يوماً، وتركت يوماً. أَغَبَّ الماشية: ترك سقيها.

(٢) المتحف ومدريد: مدة الشتوة.

(٣) يقصد: فصل الشتاء.

(٤) المتحف ومدريد: ويجود العشب من أصلها (وهو تصحيف).

أصلها في خلال ذلك، وتُنْقَش[1] أرضُها برفقٍ، ولا يَقْرُب النَّقْشُ منها؛ لئلاّ يؤذي عروقها لضَعْفها، ولا يُحَرَّك التّراب الذي يَقْرُبُ منها.

وتُسْقَى أرضُها متى ابيَضَّ وجْه تراها، وبعد أربعة أشهر من غراستها إذا لم يُشَكّ في عُلُوقها وقوّتها، تُنْقَشُ نَقْشاً جيداً إذا كَدَا[2] تُرَابُها، ثم تُزَبَّل ما تحتملُ الزِّبل بأرواث ذوات الأربع، والرَّماد، وزِبْل ابن آدم أثْلاثاً، ويُخْلَطُ ذلك مع تُرَابها بالنَّقْش؛ إلاّ أوْتَاد النَّارَنْج وأنواعه، فَتُزَبَّل بزِبْل الآدمي[3] مُفْرداً، يُخلَطُ بالنَّقْش مع تراها، وتُغَبُّ ثمانية أيام، ثم تُسْقَى بالماء، ثم يواظب ذلك بالعِمارة والسَّقْي.

وقد ذُكِرَ كلٌّ هذا، ونذكره أيضاً في فصل غراسة كل نوع منها، وبذلك يكونُ صلاحُها ونموّها (إن شاء الله تعالى).

وأمّا أوتادُ السَّفَرْجَل والرُّمَّان وشِبْهُهما، فَيُغْرَسُ معهما في أحواضهما، قبلَ أنْ يطلَعَ لَقْحَهُمَا من الخُضَر ما يَحْتَاجُ إلى السَّقْي الكثير،

(١) النقش: الغمز بالمنقاش، وهو أدنى من المشق: الحفر الخفيف من وجه الأرض.

(٢) المتحف: طاب تراها. مدريد: كاب تراها (وكلاهما مصحف) الصواب (كدا تراها) من كَدَت الأرض كَدْواً: أبطأ نباتها، فهي كادية. وتجوز قراءته: (كبا تراها) يقال: كبا النبت: يبس، والكابي: التراب الذي لا يستقر على وجه الأرض.

(٣) ابن بصّال: النارنج يزبل برماد الحمامات مخلوط بدم المعز أو دم ابن آدم الذي يؤخذ من المحاجم والفصد (كتاب الفلاحة، ص٨٢).

مثل: بَقْل الباذنجان[1]، فهو موافقٌ لها؛ لأنه يَشْجُرُ على الوَتِد، ويَصُونه من الشَّمْس. وقد تقدَّمَ أنّ (النَّوَى) وشبهها يُزْرَعُ في أحواضها الكُزْبُرة، وما يكون بقاؤه في الأرض مثل بقائها ممّا يَخْرُجُ من الأرض مثل نبات النَّوَى[2].

وأمّا قَدْر ما يَصْلُحُ بما تقدَّم ذكرُهُ من السَّقْي بالماء فَيَسْتَقِرّ، فذلك يذكَرُ (إن شاء الله) في فصول غراستها.

والأجْوَدُ أن يُغْرَسَ من النَّوَى، والمُلُوخ، والأوتاد، والعيون، والقُضْبان في كل حفرة اثنان؛ فإن خَاب أحدهما، لم يَخِبِ الآخر.

وأمّا أوتاد الرُّمَّان[3]؛ فيغرسُ منها ثلاثة أو أكثر في موضعٍ واحدٍ؛ لأنَّ المرادَ الْتِفَافها ليقلَّ حَمْلُها؛ ولئلا تحرق الشمسُ حبَّها، إذا كانت متباعدة بعضها عن بعض.

(١) قال ابن بصّال (ص٦٢): ويوافق الوتد أن يزرع في أرضه، ما دام الوتد لم يطلع مثل الباذنجان لأنه يشجر على الوتد، ويصونه من الشمس.

مدريد: بقل الباذنجان.

باريس: نقل.

(٢) يريد: الشجر الذي أصله نوى.

(٣) قال ابن بصّال، ص٦١: حكم غرس وتد الرمان خاصة أن تكون ثلاثة مجتمعة في موضع واحد، غير مفترقة ويسد الخلل بين وتد ووتد بالرمل والزبل.

وأوتاد الرُّمّان والزَّيتون والسَّفَرْجل إنْ غُرِسَتْ متكبِّسة[1] لم يَضُرْها ذلك، ومُلوخُها كذلك أيضاً. وقيل: إنَّ جميع الأشجار مثلها، ويُنْقَلُ جميع ما ذُكِرَ إذا أدْرَكَ، وصَارَ نُقلاً[2]، وظهرت قُوَّته، وذلك بَعْدَ ثلاثة أعوام، إلى المواضع التي يُطْعِمُ فيها.

وقد ذكر قبل هذا من صفة العَمَل في تدبير ذلك في (الترمدانات)[3] ما إذا نُظِرَ فيه مع ما ارْتُسِمَ في هذا الفصل بلغ على قَدْر الغاية (إن شاء الله تعالى).

* * *

(١) التكبيس: الترقيد والتغطيس.

(٢) المتحف ومدريد: تفلاً (تصحيف) والصواب: النَّقْلة: الشجرة تنقل من الأحواض بعد سنتين أو ثلاث إذا نبتت جذورها واغتذت بنفسها، وأصبحت مستقلة، والجمع: النُّقُل، وهو ما كثرت أوراقه وفروعه على التشبيه بنَقَل المكان: حجارته.

(٣) الترمدانات عند اليونانيين: الأحواض التي تزرع فيها الأوتاد والملوخ ثم تنقل منها.

[الـ]... (فصل) [الثالث عشر]

[مقدار الحفر للغراسات]

وأمّا مقدار الحفر للغِرَاسات؛ فذلك يختلِفُ قَدْر طول الحفرة، وعرضها، وعُمْقها، بحسب المغروس فيها، وبحسب طبيعة الأرض.

والأَوْلَى تعميقُ الأرض لئلاّ يلحَق عُرُوق الغرس فيها اختِرَام[1] الأرض [من] عِمَارتها[2]، وتغيير الهواء، ولئلاّ تُسْقِطُ الريحُ الشجرة المغروسة فيها، ولاسيَّما إنْ كانت ممّا يُغْرَس ليُسْقَى في موضعه.

وأمّا المُلوخ والأوتاد، وشبه ذلك ممّا لا يَسْتَقِرّ في موضعه، ويُنْقَلُ (إذا استَحَقَّ) إلى الموضع الذي يصلُحُ له، ولاسيما ما يغرس على السَّقْي منها، لا يُعَمَّق حَفْرُها، ليُعْطِشها حرُّ الشمس، فتقبل الماء قبولاً حسناً، وتنمو بذلك.

وأمَّا الحُفَرُ لنُقُل[3] الزَّيتون، فكُلَّما كانت أوسَعَ وأعْمَقَ وأطولَ، فذلك أجْوَدَ.

(١) الاخترام: الثقب والشق والقطع والاستئصال والموت.

(٢) المقصود: العمارة الجائرة والحرث الذي يؤذي العروق.

(٣) قال يونيوس: ينبغي أن يكون عظم كل حفرة حسب طبيعة الأرض ويكون عمق الحفرة في الأرض المتعالية ذراعين وعرضها كذلك وفي الأرض السهلة أكثر من ذلك (المقنع، ص٩٦).

ويحفر قبل غراستها فيها بعام[1]، وتُغْرَسُ نُقُلُ الزَّيتون فيها في العام الثاني. **ولي**: جَرَّبْتُهُ فَصَحَّ.

وقيل: إنَّ الأرض الرَّقيقة[2] تُغْرَسُ النُّقُلُ في الحُفَرِ فيها في وَقْت حَفْرِها لئلا تذهِبُ الشمسُ رُطُوبَةَ تلك الأرض لضَعْفها.

وقيل[3]: إنّ من أَحَبَّ استعجال الغراسة في حُفْرَةٍ قبلَ تمام العام، فيوقَدُ فيها النَّار، ثم تُتْرَكُ إلى أن يَنْزِلَ عليها الغيث فتَرْوَى، وتُغْرَس بعد ذلك.

وقال: وليكن عمق كل حفرة خمسة أشبار، وبين كل حفرتين ستة أذرع. واسق الغرس كل يوم مرتين حتى يعلق (المقنع، ص٥٣).

(١) قال ابن حجاج (المقنع، ص٥٣): ينبغي أن تحفر لغرس الزيتون حفراً وتتركها "سنة" مفتوحة لتصيبها الرياح والشمس والأمطار فيطيب ترابها. وقال (ص٩٦): والأجود أن تحفر الحفر قبل الغرس بسنة. وقال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٣١٢)، تحفر حفر الزيتون وتترك على حالها سنة لكي يصيبها الريح والحر لتجف.

(٢) قال قسطوس: قد يغرس شجر الزيتون في الأرض الرقيقة الطيبة، وأجود مواضع غرس الزيتون الأرض الصماء الجرداء (المقنع، ص٨٦).

وقال يونيوس: ينبغي أن تصير الغروس التي تكون في الأرض الرقيقة أكثر تقارباً من غيرها. قال ابن حجاج (ص٩١): الأرض الرقيقة تصير غروسها أضيق فرجاً لأن زيتونها لا يعظم ولا يتدوح.

(٣) هذا القول لقسطوس في الفلاحة الرومية، ص٣١٢، قال: إذا رأيت أن مدة سنة قد طالت؛ فيوقد في كل حفرة من تلك الحفر مدة شهرين، في كل يوم يحرق فيها شيء من الحشيش اليابس والقضبان اليابسة. فهذا أسرع لنباته، ومثله في الفلاحة النبطية، ص٢٧.

ولا يُغْرَسُ غرسٌ في حُفْرَة خالية من الزِّبْل الطَّيِّب البالي؛ يُخْلَطُ مع تراب وجه الأرض، ويُلْقَى على عروقها.

وفي "الفلاحة النبطيَّة"[1]:

يُعَمَّقُ الحَفْرُ للغُرُوس على قَدْر نزول حَرَارة الشَّمس في عُمْق تلك الأرض.

وقيل[2]: تُعَمَّقُ الحفرة لذلك قَدْر قَدَم واحدة في عَرْض شِبْر.

وقيل[3]: قَدْرَ قَدَمٍ ونِصْف في سَعَة أَرْبَع أصابع.

وقيل: تُعَمَّق ثلاث أقدام في سَعَة أربع أصابع.

وقيل: إنَّ التوسُّط في ذلك أن يُعَمَّقَ ثلاث أقدام تامّة، وإنْ زاد فنصف قَدَم، وإنْ نَقَص فنصف قَدَم.

---

(١) الفلاحة النبطية، ص٢٧.

(٢) قال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص٣١٢) عمق كل حفرة ثلاث أذرع أو ذراعين.

وقال يونيوس (المقنع، ص٩٦): ينبغي أن يكون عمق الحفرة في الأرض المتعالية ذراعين، وعرضها كذلك، والأرض السهلة أكثر من ذلك.

(٣) ابن بصّال (ص٦٠) يكون عمق الحفرة أربعة أشبار.

وقال النابلسي: عمق الحفرة في البلاد الحارة أربع أقدام وفي البلاد الباردة ثلاث أقدام، ولا يقل عن ذراع ونصف.

وقيل[1]: تُعمَّق الحُفَرُ في البلاد الحارَّة أربَع أقْـدام، وفي الـبلاد الباردة ثلاث أقدام، وهي البلاد التي ينـزلُ فيها الثلج.

وفي "الفلاحة النبطية"[2] أيـضاً: تنـزلُ الـشمسُ في الأرض المتخلخلة[3] إلى عُمْق أكثر مما تنـزل في الأرض **المادرة**[4]، وكـذلك في الأرض التي هي ألْيَنُ وأرَقّ منها.

والأرض المتشقّقة تصل حرارة الشمس من عُمْقِها إلى خمس أقدام.

والأرض السليمة من الشُّقَاق[5] تنـزل الشمس فيها إلى ثـلاث أقدام، وإلى زيادة نصف قدم.

---

(١) هذا القول ذكره النابلسي، وقد سبقت الإشارة إليه في الحاشية التي سبقت هذه.

(٢) بعض قول قوثامي في الفلاحة النبطية، ص٣١٧، وص٣٣٦.

(٣) الأرض المتخلخلة إما طبعاً فيها أو يخالطها تفل الماء الكدر، أو يسقط عليها الثلج فيغطيها وعندما ينحسر عنها تتخلخل (الفلاحة النبطية، ص٣٣٦).

(٤) المتحف: المارة. مدريد: الماردة (وكلاهما تصحيف).

ونرجح أن تقرأ: المادرة: التي فيها مَدَر، وهو الطين اللزج المتماسك، والقطعة منه مَدَرة. وسكان القرى يطلق عليهم أهل المدر؛ لأنهم يبنون بيوتهم من الطين المخلوط بالتبن والزبل.

(٥) الشقاق: تشقق وجه الأرض، وهو ظهور الصدوع فيها.

وقيل[1]: يُعَمَّقُ الحُفَرُ في جميع الأرضين نحو ذراعٍ ونصف.

(ويأتي في الباب السادس المتصل بهذا تتميمٌ لما تقدم، وبيان ما أشْكِل وأُبْهِمَ، وإن كان في ذلك تكرارٌ فهو لزيادة فائدة، ولسياقِهِ كلامٌ متّصل به، وسوف نذكر في فصل غراسة كل شجرة قدر حُفْرَتها، ووجه العَمَل فيها).

* * * * *

---

(١) قال يونيوس: ينبغي أن يكون عمق كل حفرة على قدر طبيعة الأرض، ويغلب أن يكون عمق حفرة شجرة الزيتون خمسة أشبار (المقنع، ص٥٣، ص٩٦).

وقال قسطوس (الفلاحة الرومية، ص١٩٠-١٩١): لست أرى أن يكون عمق الحفرة دون ذراعين لأن الأرض قد تتشقق تشققاً عميقاً فيدخل حر الشمس من تلك الشقوق ويبلغ قعر الحفرة.

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة